

٥٢١
٢٠٠٠
٢٠٠٠

رسالة ماجستير

بمعنوان

تاريخ النحو العربي
في قرطبة في القرن الرابع الهجري

اعداد

عبد الحميد علي الفلاح السالم

١٩٧٩ / ١٩٧٨



باشرف

الاستاذة الدكتورة باكورة رفيق حلمي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في الجامعة الأردنية

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان =====

يسرني أن أقدم بخالص الشكر وجميل العرفان الى الأستاذة
الدكتورة باكرة رفيق حلمي ، والدكتور نهاد الموسى ، اللذين أشرفا
على إعداد هذه الرسالة ، وقد سألني من نصيحتي وإرشادهما
ما أنار لي الطريق ، وكشف أمامي أموراً كنت أجهلها .
كما يسعدني أن أشكر أستاذي الدكتور عبد الكريم خليفه ، الذي
لفت انتباهي الى هذا الموضوع ، وشجمني على دراسته وتناوله .
وأقدم شكرى الى كل من مد لي يد المساعدة لإعداد هذه
الرسالة وأخرجها في صورتها الأخيرة .

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله العربي الأبي محمد
تحتل اللغة العربية مكانة سامقة في نفوس أبنائها الأصلاء منذ القدم ، فهي
قوام تراثهم ، ووسيلة فكرهم ، ولغة دينهم . ارتبطت في نفوسهم بقدر سيستنة
لا تززعها الأيام ، ولا تحوها المحن ، ولا ينتقص منها المناوئون .

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، وتكفل الله عز وجل بحفظه وبقاءه
بقوله سبحانه وتعالى : ((انا انزلنا الذكر ، وانا له لحافظون)) . فوعد الله
حق ، وبقاء اللغة العربية مرتبط ببقاء القرآن الكريم ، ومادام القرآن باقيا ،
فلن يصيبها حيف ، ولن يخط المعادون من قيمتها الا بقدر ما يتراجع أهلها
أمامهم .

أثبتت اللغة العربية بما لديها من خصائص ومميزات تفوق غيرها من
اللغات ، أنها لغة علم وحضارة لغترات طويلة من تاريخ الانسانية . لذا فهي
جديرة بالبحث والاهتمام والدراسة في أي عصر من عصورها ، وفي أي جانب من
جوانبها . ومصرفة جهود السابقين ، ومدى اسهامهم في تطويرها والمحافظة عليها .
بدأت رغبتني في هذا البحث منذ دراستي لمتطلب الماجستير في الجامعة
الأردنية ، وبالتحديد منذ أن كلفني استاذي الدكتور عبد الكريم خليفه كتابة
تقرير عن الحركة اللغوية والنحوية في قرطبة في القرن الرابع الهجري . وبعد اتصالي
بالمصادر والمراجع ، وجدت أن هذا القرن قد درس من الناحية اللغوية ، ان قدم
ألبير مطلق رسالة عنوانها ((الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية
عصر ملوك الطوائف)) . ركز فيها على كشف جوانب النشاط اللغوي فلبسي
الأندلس ، وأهم لغوييها ، وأشار بعض الاشارات الماهرة السريعة عن النشاط
النحوي عند بعض اللغويين آنذاك . كما وردت اشارات عابرة عند بعض الدارسين
المحدثين عن النشاط النحوي الأندلسي ، ولكنهم يتجاوزون هذا القرن سريعاً
الى ما بعده ، ومن الدراسات التي تناولت التراث النحوي في الأندلس فيما أعلم :-

١ . شرح المقدمة الجزولية ، ودراسة مذهب أبي موسى الجزولي في النحو ،
وقد أجز هذا البحث من قسم النحو والصرف والمروغ بكلية دار العلوم ، للحصول
على درجة الماجستير ، باشراف الدكتور أمين السيد .

٢ . أبو علي الشلوين ومذهبه في النحو العربي ، باشراف الاستاذ عبد السلام
هارون .

٣ . خصائص المذهب النحوي الأندلسي في القرنين السادس والسابع الهجريين
باشراف الدكتور أمين السيد .

٤ . الاتجاهات النحوية في الأندلس ، وأثرها في تطور النحو ، رسالة دكتوراه
قدمها الدكتور أمين السيد . (١)

٥ . أبو بكر الزبيدي ، حياته وآثاره ، لنعمة المزاي ، رسالة ماجستير
تناول فيه جهد الزبيدي وآثاره في النحو واللغة .

وتأكد لدي أن فترة القرن الرابع الهجري في الأندلس تمثل عصر
ازدهار فكري وعلمي في قرطبة ، وان هذه الاشارات السريعة في بعض المراجع
الحدیثة ، لا تكفي للكشف عن جهود نحاة هذا القرن ، بل ربما غطت عن بعضهم
ولم تنصفه ، فنسبت الفضل الى غيره ، مع أنه أسبق منه ، ونادى بالفكرة قبله ،
فتجددت عندي الرغبة ، وتأكدت لي جدوى هذه الدراسة ، فقدّمت خطاتي الى
قسم اللغة العربية بعنوان ((تاريخ النحو العربي في قرطبة في القرن الرابع
الهجري)) ، فأقرها ، ثم شرعت في اعداد هذا الجهد البسيط ، ليضاف الى
جهود السابقين ، علّه يضيف شيئاً جديداً ، ترتاح اليه النفس ، ويوفى عنه
الضمير . ويكشف بعض جوانب تطور النحو العربي في الأندلس .

(١) انظر في ذلك كله : مجلة اللسان العربي - المجلد الثاني عشر
الجزء الأول - ص ٢٩٣ .

أما المقبات التي واجهتني في اعداد هذا البحث فكثيرة، وعلى رأسها عدم توفر المصادر والمراجع، فبعض انتاج هذا القرن لا يزال مخطوطا، وبعضه مطبوع ولكن نفدت طبعة بعضه .

حاولت أن أستفيد من جهود مكتبة الجامعة الأردنية لمساعدتي واحضار ما لم يكن متوفرا لديها من مخطوطات ومنشورات ومراجع، وأبدي السوء ولون انتدابهم، فأتصلوا بالجهات المعنية، وأمنوا ما استطاعوا تأييده منها، وحاولت بدوري عن طريق الاتصال الشخصي فاستطعت أن أحصل على ما كنت أود الحصول عليه، فأحضرت من دار الكتب المصرية في القاهرة، مخطوط القصص والمدود لأبي علي القالي، ومخطوط شرح كتاب الجمل، ورسالة في اعراب قولهم: ((ان الضارب الشاتم والده كان زيدا)) لابن الصريف النحوي وكان بعض هذه المخطوطات مصورا على (الميكرو فيلم) الذي تتمذر قراءته الا على آلة خاصة في مكتبة الجامعة، فقد قدم لي السوء ولون في الجامعة التسهيلات، وأعطوني من وقتهم ما سهل عليّ أمر قراءتها . والاستفادة منها .

أما المصادر التي نفدت طبعتها، فقد كانت عقبة كبيرة في طريقي، وكنت أحصل عليها بعد تعب وعناء، فإذا لم أجدها في المكتبات رحت أبحث عنها عند بعض الأساتذة ورجال العلم والأدب .

أما مصادر البحث الرئيسية، فقد كان الاهتمام بالدرجة الأولى منصباً على المصادر القريبة زماناً ومكاناً من هذا القرن، وخاصة المصادر الأندلسية التي تحدثت عن حياة الأندلس مباشرة أو التي ترجمت لعلماء الأندلس عامة ومنها :

- ١- طبقات النحويين واللفظيين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (ت ٣٧٩هـ)، وهو من المصادر الهامة التي لا يستغنى عنها الدارس لتراث الأندلس النحوي واللفظي . ويتضمن الكتاب ترجمة للنحاة واللفظيين العرب منذ عهد أبي الأسود الدؤلي حتى وفاة الريحاني سنة (٣٥٨هـ) . وأهميته العلمية تنحصر في كونه أول مؤلف أندلسي يتصدى لترجمة نحاة الأندلس ولفظيها، وقد قسمهم حسب بلدانهم وأزمانهم، وميزة هذا الكتاب أنه يترجم للنحاة واللفظيين، ويذكر عداوتهم بعضهم

وما أخذ على بعضهم . وقد اعتمدت عليه كثيرا في استنتاج ما توصلت اليه من معلومات وملاحظات عن مرحلة ما قبل القرن الرابع الهجري .

٢ . تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، للمصنف أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي ، المعروف بابن الفرضي ، المتوفي سنة (٤٠٣ هـ) ، والكتاب متمم لكتاب الزبيدي السابق في مادته ، ولكنه لا يقتصر على النحاة واللغويين ، بل يتحدث عن علماء الأندلس في مختلف أنواع العلوم والمعارف . واعتمدت عليه كثيرا ، لقرب مؤلفه من القرن الرابع ، ولأنه موثق الرواية ، صادق الخبر ، مدقق في ما ينقل ويروى .

٣ . المقتبس في أخبار بلد الأندلس لأبي مروان بن حيان القرطبي (٣٧٧-٤٦٩ هـ) وقيمة الكتاب تعود الى قربه التاريخي من القرن الرابع ، والى شهرة ابن حيان التاريخية واهتمامه بذكر العلماء الأندلسيين المشهورين ، ممن كانت لهم علاقة وصلة علمية بحداد الأندلس .

٤ . جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، تأليف الحمدي أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي ، المتوفي سنة (٤٨٨ هـ) ، ومؤلفه يهتم بذكر العلماء وتراجمهم ، ومؤلفاتهم ، وينقل أخباره عن سبقه أمثال الزبيدي وابن الفرضي .

٥ . فهرسة ابن خير ، لأبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي ٥٠٦-٥٧٥ هـ والكتاب من أهم المصادر الأندلسية التي اعتنت بذكر المؤلفات في مختلف العلوم والفنون وسلسلة روايتها . وقد اعتمدت عليه كثيرا ، واستفدت منه في تبيان الصلة العلمية بين علماء المشرق والمغرب ، ومعرفة الكتب النحوية المشرقية الداخلة الى الأندلس في القرن الرابع الهجري .

٦ . نفح الدايب من غصن الأندلس الرطيب - للشيخ أحمد بن محمد المقرئ ، المتوفي سنة (١٠٤١ هـ) وهو كتاب يمكن أن يقال عنه : انه جامع ، حاول مؤلفه أن يجمع فيه ما استطاع جمعه من أخبار أهل الأندلس في مختلف نواحي الحياة العلمية ، والسياسية ، والعمرانية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأدبية ،

وهو مصدر مهم وأساس لكل من أراد أن يدرس أى جانب من جوانب حياة أهل الأندلس ، وهو يعتمد على من سبقه ، وينقل عنهم بعض نصوصهم حرفياً . وقد استفدت منه في التعرف على رحلة العلماء من المشرق إلى المغرب والعكس ، حيث أفرد لذلك أبواباً جاء فيها على ذكر القادمين إلى الأندلس من المشرق والراغبين عنها إلى المشرق طلباً للعلم والمعرفة ، وغير ذلك من المعلومات التي ساعدتني على استخلاص بعض أوجه النشاط النحوي ، تأدياً وتأليفاً .

٧ . أنباء الرواة على أنباء النحاة — للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطلي . حاول فيه مؤلفه جمع ما انتهى إليه من أخبار النحاة ومؤلفاتهم واعتمد في مادة كتابه هذا على من سبقه من العلماء الذين تربوا للنحاة ومصدر الكتاب مصدراً من مصادر الدراسة النحوية ، يحتاج إليه الباحث ويعتمد عليه .

٨ . بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، وأهمية الكتاب تعود إلى أنه احتوى تراجم عدد من علماء النحو واللغة ، واعتمد فيه مؤلفه على ما تقدمه من العلماء . وبجانب هذه المصادر هناك مصادر أدهم منها ، وهي المؤلفات التي وصلت إلينا من تأليف نحاة هذا القرن ، إذ اعتمدت عليها ، فاستقرأتها ، واستخلصت منها ما توصلت إليه من نتائج ، وكانت الأساس الذي انطلقت منه لتحديد منهج نحاة الأندلس في هذا القرن ، وأهمها ،

١ . كتاب المقصور والمدد لأبي علي القالي . والكتاب لا يزال مخطوطة في دار الكتب المصرية ، حصلت على نسخة مصورة عنه ، عرض القالي في كتابه هذا الأبنية المقصور والمدد وأوزانها ، وشرح غريبها ، واعتمد في شواهد على آيات القرآنية ، والآيات الشعرية . والكتاب يخطئ في صورة عن اهتمام النحاة بالجانب الصرفي لبعض أبنية المفردات في العربية ، ومحاولة استقصائها وحصرها .

٢ . كتابا البار والأما لي لأبي علي القالي . وإن كان الكتابان في اللغة والأدب فأنني استقصيت ما فيهما من مادة نحوية ، استفدت منها عند حديثي عن دور القالي في تنشيط الدرس النحوي في الأندلس .

أما المراجع الوحيد التي استغدت منها مادة ومنهاجا فأهمها :

١- أبو بكر الزبيدي حيساته وأثره في النحو لنخبة المزاوي ودرس فيه المزاوي حياة الزبيدي ومولفاته النحوية واللفظية ومنهجه النحوي .

٢- مدرسة الكوفة للدكتور مهدي البخزوي ، تحدث فيه عن نشأة نحاة الكوفة ومنهجهم وخلافاتهم مع نحاة البصرة ، وقد استغدت منه في معالجة الخلافات النحوية بين الكوفيين والبصريين .

٣- مدرسة البصرة النحوية : نشأتها وتطورها للسيدكتور عبد الرحمن السيد . تحدث فيه عن نشأة النحو وتطوره عند نحاة البصرة ، ومنهجهم ومولفاتهم ، ومواقفهم من قضايا السماع والقياس والملة والمامل . وقد استغدت منه عند حديثي عن هذه القضايا عند الأندلسيين ، وهناك مصادر ومراجع أخرى استغدت منها في معالجة بعض جزئيات هذا البحث ، يطول ذكرها ، وهي مبنية في فهرس المصادر والمراجع .

يتألف البحث من أربعة فصول ، تضمنت الحديث عن مراحل الدرس النحوي في قرطبة حتى نهاية القرن الرابع الهجري على النحو التالي :

الفصل الأول :

تحدثت فيه عن ((مرحلة ما قبل القرن الرابع الهجري)) . وتضمن تمهيدا عن النشاط العلمي في قرطبة في هذا القرن ، توخيت فيه الإيجاز ، واتممت في علي المعلوم التي كان لها أثر في تطور الدراسة النحوية ، والاقبال عليها كالمعلوم اللفظية والشرعية . ثم تحدثت عن طبيعة الدرس النحوي في قرطبة قبل هذا القرن ، وذلك ليكون مدخلا لدراسة تاريخ النحو السري في الأندلس في القرن الرابع .

الفصل الثاني :

يتضمن المرحلة الثانية من مراحل تطور الدرس النحوي في الأندلس ، وهي ((مرحلة التأديب النحوي التطور)) . وفيه حديث عن العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في تطور الدرس النحوي ، واللفظي في قرطبة آنذاك . ومن العوامل الخارجية هجرة الكتب النحوية المشترية إلى قرطبة ، ورحلة العلماء المشاركة إليها . أما العوامل الداخلية فتكمن في الاستقرار السياسي ، والرخاء الاقتصادي وتشجيع الحكام للمعلمين وحفزهم

على التأليف ، واحضار المصنفات الى قرطبة ، وانشاء المكتبات ، والاهتمام بالتأديب ،
وارسال العلماء في رحلات علمية الى كثير من مراكز العلم في الاقطار الاسلامية وغيرها .

الفصل الثالث :

يشمل المرحلة الثالثة من مراحل تطور الدرس النحوي ، وهي ((مرحلة التأليف النحوي
(المتخصص)) . حيث سار التأليف النحوي عند نحاة الأندلس في هذه المرحلة في اتجاهين :
الأول التأليف النحوي التعليمي اليسر . وكان أبو بكر الزبيدي وابن القوطية خير
من يمثل هذا الاتجاه .

فقدت بدراسة لهما ولا تأثرهما مستخلصا منها سمات هذا الاتجاه وخصائصه .
الثاني : التأليف النحوي المتأثر بالاتجاه الفلسفي . كان ابن الصريف أصدق مثل علي
هذا الاتجاه من بين نحاة الأندلس في هذا القرن . فقدت بدراسة له وكتابته ((شرح
كتاب الجمل)) مستخلصا سمات هذا الاتجاه وخصائصه . وعرضت بمد هذا الى بعض
نحاة هذه المرحلة ، وهدى اسمها بهم في تطوير الدرس النحوي الأندلسي ، واهتمامهم
بظاهرة الشرح والتعقيبات على المؤلفات النحوية السابقة . وهم يمثلون حلقة الوصل
بين نحاة القرن الرابع والقرن الخامس الهجريين .

الفصل الرابع :

يتضمن حديثا عن منهج نحاة الأندلس في هذا القرن من حيث :
السمع والقياس ، والملة ، والعامل ، والتأويل .
وانتهى البحث بذاتمة أجملت فيها ما توصلت اليه من نتائج ، وما هدى اليه البحث
من فوائد .
وانني أقول ما قال أحد الأصلاء من علمائنا القدامى : اني رأيت أنه لا يكتب انسان
كتابا في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد لكان يستحسن ، ولو
قُدِّم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذه أعظم الصبر ، وهو دليل على استيلاء
النقص على جملة البشر .

فأحمد الله ان أصبت واعتذر للقارىء ان أخطأت ، وما ترفيقي الا بالله ، عليه توكلت
واليه أنيب .

عبد الحميد علي الفـلاح

حظيت قرطبة عاصمة الدولة المروانية في القرن الرابع الهجري باستقرار سياسي ورخاء اقتصادي وتقدم عمراني وشهرة علمية واسعة (١) مما ملأ نفوس الدارسين بالاعجاب فوصفوها بأوصاف كثيرة نحو عصر سيادة قرطبة أو العصر الذهبي لقرطبة (٢) الخ .

وكانت هذه الشهرة نتيجة لاهتمام الحكام آنذاك بالعلم والعلماء (٣) وجعل التعليم مجانياً —

١ - تحدث المقرر عن مكانة قرطبة العلمية ، وما قيل فيها ، ومن ذلك قول أحد الشعراء :

باربع فاقت الامصار قرطبة منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة والعلم اعظم شي وهو رابعها
نفح الطيب ١ / ٣٠١ (ط الحلي) وانظر خبرها في الروغز المقطار في خبر
الاقطار من ٤٥٦ - ٤٥٨ لمحمد عبدالمنعم الحميز .

٢ - انظر تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة لاحسان عباس في صفحات متفرقة .

٣ - نفح الطيب ٢ / ١٢ (ط الحلي) .

لابناء الفقراء (١) واقتناء المكتبات واحضار الكتب ، واستقدام العلماء من المشرق (٢) . وقد ادى هذا بدوره الى نبوغ عدد من العلماء في مختلف العلوم والفنون ، ولعل اهتمام القوم قد تركز بصورة رئيسة على بعض العلوم والمعارف اكثر من غيرها ، فكان لعلوم اللغة والتربية نصيب كبير من هذا الاهتمام وخاصة بعد قدوم التالي الى الاندلس ، وعودة بعض العلماء الراحلين من المشرق ، اذ عكف عدد منهم على كتب اللغة المشرقية يختصرها او يستدرك عليها ، او يرد على من اتهمها بالخلل والنقص (٣) ومنهم من ألف مجاميع لغوية ، وكتبها ادبية لا تقل عسناً مثيلاتها في المشرق ،

(١) يقول صاحب البيان المغرب في الحكم المستنصر احد حكام القرن الرابع الهجري :
(ومن مستحسنات افعاله وطايات اعماله ، اتخاذ المؤيدين معلمون اولاد الضعفاء
والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع بكل ركن من ارباع المدينة (قرطبة)
وفي ذلك يقول محمد بن شخير :
وساحة المسجد الاعلى مكللة مكاتبا لليتامى من نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلسم نادتك يا خير تاليها وداهيها
البيان المغرب ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١ وكان المنصور على هذا الجانب من الاهتمام ، انظر
الادب في الاندلس ١ / ٣٧ - ٣٩ ل احمد بلاقرج ، وقمة الادب في الاندلس عن ١٩٣
لمحمد عبد المنعم خفاجي ، ودولة الاسلام عن ٤٥٨ لعبد الله عنان صلاغة العرب
عن ١٠ - ١١ ل احمد ضيف .

٢ - نفح الطيب ١ / ٣٠١ - ٣٠٥ (ط الحلبي) الصلة ١ / ٣١٠ ، رحلة الاندلس
عن ١١٣ لمحمد لبيب .

٣ - وسنفرد لهذا حديثا خاصا فيما سيأتي من هذا البحث

فقد صنف القالي كتاب البارع (١) وألف تمام بن غالب المعروف بابن التيانسي (ت ٤٣٦ هـ) كتاب "تلقيح العين" (٢) وكان لاهمـد بن ابان (ت ٣٨٢) كتاب العالم بفتح اللام (٣) .

ومنهم من فطن الى تسرب اللحن على السنة الناس ، فادركوا خطره والفوا مؤلفات تحذر من تفشيـه ككتاب لحن العوام لابي بكر الزبيـد (٤) . وفي الادب صنفـت مؤلفات عدة منها (العقد) (٥) لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) وكتاب طبقات الشعراء بالاندلس لـعثمان بن ربيـع (ت ٣٠٠ هـ) (٦) وطبقات الكتاب بالاندلس لمحمد بن موسى الافشين (ت ٥٣٠ هـ) (٧) .

١- سنغرد للقالي كلاما خايما فيما سيأتي من سياق هذا البحث

٢- الصلة ١/ ١٢٠ - ١٢١ ، جذوة المقتبس ص ١٨٣ .

٣- قال الحميدى فيه : " له في اللغة الكتاب المعروف بالعالم ، نحو مائة مجلد

مرتب على الاجناس بدأ بالفلـك وختم بالذره " جذوة المقتبس ص ٤٠٥ .

٤- لنا حديث خاص حول هذا الكتاب في سياق هذا البحث .

٥- كتاب مطبوع .

٦- يذكر بالـشيا انه يوجد منه مخطوط في مدينة فاس ، انظر تاريخ الفكر الاندلسي

ص ٢٨٥ .

٧- بقية المـتـمـس ص ١٢٧ ، جذوة المقتبس ص ٨٨ .

وأخبار الشعراء في الإندلس لمحمد بن هشام (ت ٣٤٠ هـ) (١) وجمع عبد الله بن مغيث سنة ٣٥٢ هـ كتابا في " أشعار الخلفاء من بني أمية " (٢) للحكم المستنصر وألف ابن فرج الجياني (ت ٣٥٩ هـ) كتاب " الحقائق " (٣) وكان لأبي بكر عباد بن ماء السماء (ت ٤٢٠ هـ) كتابان : أخبار شعراء الإندلس والبيديع في شعر الربيع (٤) ووضع صاعد اللانوي كتاب " الفسوي " (٥) للمنصور بن عاصر .
وأما المؤلفات التي تناولت جوانب العلوم الشرعية فكانت أكثر من أن نحصيها وقد نشطت قبل هذا القرن غير أن الاهتمام بها ازداد في هذا القرن ، وصنفت تصانيف هامة آنذاك منها : كتاب " المجتبي " و " صحيح الحديث وغريبه " و " أحكام القرآن " والناسخ والمسنوخ لقاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) (٦) وصنف ربيع احتوى من صحيح الحديث وغريبه ما ليس في كثير من المصنفات (٧) لمحمد بن عبد الملك بن أيمن وصنف محمد بن يحيى بن مفرج (ت ٣٨٠ هـ) كتابا في فقه الحديث (٨) .

-
- ١- تاريخ الفكر الإندلسي ص ٢٨٦ .
 - ٢- بغية الملتصق ص ٣٣٣ .
 - ٣- بغية الملتصق ص ١٥١ .
 - ٤- نشرة هـ نرى بوميس في باريس سنة ١٩٤٠ م
 - ٥- نفح الطيب ٤ / ١٦٥ - ١٦٦ .
 - ٦- فهرست ابن خير ص ١٢٥ وانظر بغية الملتصق ص ٤٤٨ .
 - ٧- بغية الملتصق ص ١٠٢ انظر ترجمته في تاريخ العلماء ٥٣ / ٢ .
 - ٨- بغية الملتصق ص ٤٩ ومنها " فقه الحسن البصري " في سبع مجلدات وفقه الزهري في أجزاء كثيرة وجمع مسند حديث قاسم بن أصبغ للحكم المستنصر .

(٦)

ولمحمد بن يحيى كتاب "المنتخب" (١) في الفقه ومنف عبد الله بن المطرف المعروف بابن آمنه كتابا في التفسير ، قال فيه ابن الفرغني : " رأيت بعضه بخطه " (٢) ولا بن محاسن عثمان بن محمد (ت ٣٥٦ هـ) كتاب في التفسير (٣) .

وفي القراءات ، الف ابو الطيب بن عليون المقرن (ت ٣٨٩ هـ) كتاب " المرشد فسي القراءات السبع " (٤) ولا مية بن الحجارى كتاب في القرآن واحكامه سماه " أحكام القرآن ومعد فلسنا بصدد تعداد مؤلفات هذا العصر وانما هدفنا من ذلك ان نعرض ما يسوب قولنا : ان قرطبة كانت تشهد تقدما علميا ملموسا في العلوم اللغوية والشرعية تجسد في تأليف هذا الانتاج الذى عرضنا صورة سريعة لبعض منه .

وشملت هذه النهضة العلمية النحو ، فلم يكن حظها اقل شأننا من غيره ، بل لقد اهتموا به كما وكيفا وصنفوا فيه كتباً مستقلة ، وشرحوا بعض المؤلفات السابقة واستدركوا على بعضها كما تخصصوا في تدريسه والتأديب فيه وهذا ما سنفصله في الفصول القادمة غير انه يحسن بنا ان نجمل القول في طبيعة الدرس النحوى في الاندلس قبل القرن الرابع الهجرى ، حتى يكون كلامنا مترابطا ، ولتكتمل صورة البحث .

هنا على ذلك ارتأيت ان اقسام الحديث عن تاريخ النحو وتطوره في الاندلس الى مراحل تسهيلا للدرس وترتيباً لفصول البحث رغم انها متداخلة ومتصلة الحلقات ، وهى مرحلة ما قبل القرن الرابع ، ومرحلة التأديب المتطور في بداية القرن الرابع ، ومرحلة التأليف المتخصص وسنقتصر في هذا الفصل على طبيعة الدرس النحوى في مرحلة ما قبل القرن الرابع فقط .

١- بغية المتتمسعين ١٤٤ ، وقال فيه ابن حزم : " وما رأيت لمالكي كتابا انبل منه في

جميع روايات المذهب ، وتأليفها ، وشرح مستفادها ، وتفريع وجهها " .

٢- تاريخ العلماء ٢٦٧/١ - ٢٦٨ .

٣- تاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٠٩ .

٤- فهرسة ابن خبير ص ٢٥ - ٢٦ .

٥- نفح الطيب ٨٦٣/٤ - تحقيق احسان عباس .

مصطلح النحو

يحسن بالدارس وهو يتحدث عن فترة من فترات تأسيس العلوم ان يحدد المصطلح الذي أطلقه العلماء آنذاك على هذا العلم ، ولذا فأنني سأوجز القول في المصطلحات التي أطلقها الاندلسيون على علم النحو في هذه الفترة وما بعدها .

ان الناظر في كتب التراجم الاندلسية ، وأخبار النحاة ، ومعنى نتائجهم يدرك ان الاندلسيين أطلقوا على علم النحو مصطلحات عدة منها : العربية (١) ، والنحو (٢) ، وعلم الاعراب (٣) ، والاعراب (٤) ، فلم يقتصروا على مصطلح واحد .

-
- ١- قال الزبيدي في ترجمة زيد البار النحوي (ت ٣٠٠ هـ) : " كان له حظ من العربية واللفظة " . طبقات الزبيدي ع ٣٠٨ .
 - ٢- وكان ابو صالح ايوب بن سليمان " متفننا في النحو " طبقات الزبيدي ع ٢٩٦ .
 - ٣- قال الزبيدي : " كان عبد الملك بن حبيب قد جمع الى علم الفقه " الحديث ، وعلم الاعراب واللغة والتصرف في فنون الادب " . طبقات الزبيدي ع ٢٨٢ .
 - ٤- قال ابن الفرضي : كان ايوب بن منصور الانصاري " عالما بالاعراب ... " تاريخ العلماء ١٠٣/١ .



- كما يقرر الدكتور محمود فهمي - (١٠) وهو مصطلح العربية .
لقد بدأت الدراسة النحوية تشق طريقها في هذه المرحلة ، وتجلت عوامل عدة دفعت
عملية هذه الدراسة الى الامام ، ومن اهم العوامل التي ساعدت على الاهتمام بالنحو
ما يلي :-

١- رحلة العلماء المشاركة :

رحل عدد قليل من العلماء المشاركة الى الاندلس قبل القالي ، ولعل دافعهم
الى ذلك طلمب الشهرة او كسب الرزق ، والظاهر انهم لم يكونوا من العلماء الا اذا
في بلادهم . فكان تأثيرهم قليلا اذا ما قيس بتأثير علماء الاندلس الراحلين الى
الشرق وعلى الرغم من قلة عددهم ، وعدم شهرتهم فقد ساعدوا على تنشيط الحركة
العلمية بما جلبوه من مصنفات مشرقية ، ولما كان يقصع بينهم وبين علماء الاندلس من
مناظرات لغوية فسي مجالس

١- انظر علم اللغة العربية ص ٦٠ - ٦٤ ، ناقش محمود فهمي هذا الامر ، وخلص الى
ان علماء اللغة اطلقوا " على دراسة بنية اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية
في التراث العربي اسمين اثنين : هما النحو وعلم العربية " ويستمر في مناقشته
هذه ليقرر ان مصطلح علم النحوراج في المشرق بينما مصطلح علم العربية راج في
الاندلس والمغرب ، يقول : " ومن هذا كله يتضح ان المغاربة والاندلسيين كانوا
يستخدمون مصطلح العربية في الوقت الذي كان فيه المشاركة يميلون الى مصطلح
النحو " المصدر نفسه ص ٦٤ .

الاملاء والتدريس (١) ، وقد اعترف بعضهم بما كانت عليه الاندلس من حسب
للعلم ، واقبال عليه ، رغم بعد دارهم (٢) . وتأخر ظهور العلم في بلادهم .
٢ - رحلة العلماء الاندلسيين الى المشرق .

١ - قال الزبيدي في ترجمة عفير بن سمود (ت ٣١٧ هـ) " ولما قدم العجلي من
المراق الى الاندلس منع كتبه ومن بها ، واستدعى الناس الى ان يملي عليهم ،
فتسارب الناس اليه ، وانجلوا الى مجلسه ، فخلا مجلس الخشني ، قال عفير بن
سمود : فقال لي الخشني : مالك لا تسرع الى ما أسرع اليه الناس ، فقلت له
: لست ابغي بك بدلا ، فقال : احببت ان تأتي الرجل ، وتشهد مجلسه ،
فندوت الى العجلي ، فحضرت يملي الميرة : المداوة ، وجمعها مَرَر ، وكان احد
من يكتب بين يديه زيد الجياني فقلت - يرحمك الله - : قال ابو عبيد في المصنف :
المثرة : المداوة ، وجمعها مَثَر ، قال : فكأنني انظر الى زيد قد محا ما كتب .
وقال : هذا الحق ، ثم رددت عليه كلمة ثانية وثالثة في المجلس ، فانفر الناس عنه ،
ولم يمد اليه بعدها احد ، ودر الخبر الى الخشني ، فلما اتيت استدعاني ، وقبل
بين عيني ، وقال لي : نعم مستودع العلم انت . . . " طبقات الزبيدي عن ٢٩٩ ،
وانظر الرواية في تاريخ العلماء ٣٨٥ / ١ .

٢ - ذكر الزبيدي ان ابا جعفر بن ارون البغدادي رحل الى الاندلس ، فاعجب
بأهلها وعلمهم ، وعند ما سأله احد فقهاء الاندلس عند خروجه منها ، كيف تركت
الاندلس ؟ فقال : والله لقد رأيت بها ما لم اتوهم ان اراه ، مع نأي دارهم
لقد رأيت فقها وشعرا ونحويين وأدباء " طبقات الزبيدي عن ٢٩٦ .

لسنا بصدد تعداد العلماء الراحلين الى المشرق في هذه الفترة ، فهم اكثر من ان نحصيهم ، ونظرة في كتب التراجم الاندلسية - امثال طبقات الزبيدي ، وتاريخ ابن الفريسي ، ونفح المشرق وغيرها - تطالعنا على رحلة جادة نشطة بين المشرق والاندرلس في هذه الفترة وغيرها من الفترات ، لها اهداف مختلفة في بداية الامر ، فمن الراحلين من خرج طالبا للعلم ، او سميا وراء الرزق عن طريق التجارة ، او تأدية للحج . وكان الراحلون يرتادون في طريقهم القيروان ، ومصر ، ومكة ، والمدينة ، بغداد ، والبصرة ، ودمشق ، وغيرها من ديار الاسلام ، يقبلون على علمائها ويأخذون عنهم ، ومنهم من كان يخرج الى الصحراء ويشافه الاعراب ويأخذ اللغة عنهم . (١)

وازداد الاقبال على الرحلة الى المشرق عندما حل القرن الثالث الهجري ، وخاصة لما أصبح العالم الاندلسي " العائد الى وطنه يشرف في نظر قومه ، لانه غذا يرون عن الشيخ ، ولم تعد الرحلة امرا منوطا بالنية الدافعة للحج ، بل أصبحت ضرورة لازمة . . وما ان حل القرن الثالث الهجري حتى غدت الرحلة العلمية لدى الاندلسيين هدفا يسمون اليه ، كأنه فريضة ثقافية يؤدونها " . (٢)

١- رحل محمد بن عبدالسلام الخشني الى المشرق ، وأقام خمسا وعشرين سنة متجولا وعند عودته الى الاندلس قال :

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة	إذا كان من بعد الفراق تلاقى
كأن لم تورق بالمرايين مقلتي	ولم تمر كف الشوق ماء مآقي
ولم ازر الاعراب في خبت ارضهم	بذات اللوى من راحة هراق
ولم اصباح بالبيد من قهوة النوى	وكأس سقانيها الفراق دهاق

بنية الملتصق ١٠٣ .

٢- الحركة اللغوية ٥٤ - ٥٥ .

والتقى الراحلون آنذاك - بجملة علماء النحو واللغة المشاركة ، فأخذوا عنهم ما استطاعوا أخذه اذ رحل جود بن النحوي (ت ١٩٨ هـ) فالتقى بالكسائي والفراء (١) . والتقى محمد بن عبدالله النمازي (ت ٢٩٦ هـ) بالرياشي رابي حاتم (٢) . ورحل الافشين محمد بن موسى فالتقى بابي جعفر الدينوري ثم المازني (٣) . والتقى محمد بن ابي علاقة البواب (ت ٣٢٥ هـ) بابي اسحاق الزجاج ، وابي بكر الانباري ، وابي الحسن علي بن سليمان الاخفش ، وابي عبدالله نفاويه (٤) .

وادت هذه الرحلات الى دخول بعض الكتب النحوية الى الاندلس ككتاب الكسائي وسيبويه . وانبرى جماعة من العلماء للتأديب بالنحو واللغة حفاظا على قراءة القرآن وفهم معانيه ، واتخذ التأديب اشكالا متعددة : تأديب الخاصة من ابناء الخلفاء ورجال الدولة ، وكانوا يندبون له مؤدبين مشهورين (٥)

١- طبقات الزبيدي ص ٢٧٦

٢- طبقات الزبيدي ص ٢٨٩

٣- طبقات الزبيدي ص ٣٠٥ ، انباء الرواه ٢١٦/٣

٤- التكملة ٣٦٢/١

٥- كان بكر بن عبدالله الكلاعي " مؤدبا لاولاد الخلفاء في النحو والشعر "

تاريخ العلماء ١١١/١ .

وكان هشام بن الوليد الغافقي (ت ٣١٧ هـ) : " عروضيا نحويا أدب امير

المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ، ثم ولي عهده الحكم المستنصر بالله " تاريخ

العلماء ١٧١/٢ ، وكان محمد بن سليمان الجرفي " مؤدبا بالنحو " تاريخ

العلماء ٤٧/٢ .



وتأديب العامة الذين كان مركزه المسجد (١) . وكان احيانا يتم في بيت المؤدب احيانا في الكتاب (٢) وهناك طبقة من المؤدبين انقطعت الى بعض الاسر الاندلسية لتأديب ابنائها دون سواهم (٤) .
وقد اثمرت جهود هؤلاء المؤدبين لاسباب منها : المكانة المرموقة التي حظوا بها عند اهل الاندلس (٥) والاجر الذي كان المؤدب يتقاضاه على عمله (٦) .
ورغبة المتأديبين والمتعلمين في التحصيل ،

-
- ١- كان سعيد بن خمير (ت ٣٠١ هـ) " يجلس بقرب المسجد الجامع ويتعلق اليه " تاريخ العلماء ١٩٥/١
 - ٢- كان محمد بن حزم (ت ٢٨٢ هـ) " مؤدب احمد بن يحيى ، ومحمد بن هاشم وكان ابوه معلم عامة ، وكانت له اخت تؤدب ايضا ، وتجمعهم كلهم في التعليم دار واحدة " . التكملة ٣٥٨/١ .
 - ٣- كان محمد بن احمد الاشبيلي (ت ٣٢٥ هـ) معلم كتاب . تاريخ العلماء ٤٦/٢ - ٤٧ . واحمد بن شاب بن عيسى الاموي (ت ٣١٧ هـ) مؤدب كتاب . تاريخ العلماء ٤٢/١ .
 - ٤- كان " صالح بن معافى من ذوى العلم بالمرية ، يؤدب عند بني فطيس " طبقات الزيدى ٢٩٩ ، وكان طاهر " بميرا بالنحو والشعر والمروءة يؤدب بني هاشم وبني حدير " طبقات الزيدى ٣١٧ .
 - ٥ - قال المقرئ : " كان العالم عندهم معظم من الخاصة والعامة يشار اليه ، وبه قدره وذكره عند الناس ، ويكرم في جوار او ابتياح حاجة او ما اشبه ذلك " نفح الطيب ١٠٦/٢ (ط - الحلبي) .
 - ٦- قال المقرئ " فليس لاهل الاندلس مدارس تميزهم على طالب العلم بل يقرأون في الملوم في المساجد " نفح الطيب ١٠٦/٢ (ط - الحلبي) .

والاحساس بالحاجة الى الثقافة والعلم (١) .

ولعل تدريس الفقه والحديث هو الخالب على جمهور المؤدبين ، ثم اجتاجوا الى علم العربي ان كان الصبي عندهم اذا عقل " علموه كتاب الله ، فاذا حفظه نقلوه الى الأُرب ، فاذا نهض منه حفظوه الموطأ ، فاذا لقنه نقلوه الى المدونة . . . (٢) والمدونة كتاب فقهي من مؤلفات القرن الثالث الهجري .

والظاهر ان الاندلسيين كانوا يوثقون السلة بين العلوم الشرعية والعلوم اللسانية من نحو ولغة وبيان ، ويرون أنها " ضرورية على أهل الشريعة ، ان مأخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي بلغة العرب وأغلب نقلتها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة ، وتتفاوت بالتأکید بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام والذات يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو ، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة ، فيصرف الفاعل من المفعول ، والمبتدأ من الخبر ، ولولا جهل أصل الإفاده " (٣)

ولعل هذا التصور المنهجي في التعليم كان له اثره في توجيه الدراسات النحوية واللغوية عند الاندلسيين ، فكان اكثر المؤدبين في هذه الفترة - وأغلبهم من الراحلين الى المشرق - يقبلون على حلقات الشيخ في المشرق ، يأخذون عنهم العلوم الشرعية ، واللغة والنحو حبا في زيادة التحصيل أو تأثرا باخوانهم

١- قال المقرئ : " فالعالم منهم بارع لانه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه ، يعمله ان يترك الذي يستفيد منه ، وينفق من عنده حتى يعلم " . نفح الطيب ١٠٧/٢ (ط - الحلبي) .

٢- الديباج المذهب ص ١٢١ ، وانظر التربة في الأندلس ص ٧١-٧٢ لا حمد فؤاد .

٣- تاريخ ابن خلدون المقدمة ٥٥٥/١ .

المشاركة ممن كانوا يجمعون بين أنواع العلوم المختلفة ، فتأثر المتأدبون الاندلسيون بأساتذتهم المائدين الى الاندلس . ولعل هذا كله يفسر لنا ما نجده عند علماء التراجم الاندلسيين ، الذين اكثروا من وصف علمائهم بمثل قولهم كان (فلان) " عالما بالحديث ، حافظا للرأي ، بصيرا بالنحو والتريب " (١)

ولعلنا ايضا لا نعدو السواب اذا قلنا : ان النحو واللغة في الاندلس قد استمرتا في أحضان التيار الثقافي الديني ، وان التخصص الذي عرفته البصرة والكوفة لم يتبلور بشكل واضح في الاندلس إلا في القرن الرابع الهجري ، وفي عهد ابي بكر الزبيدي وأضرابه خاصة .

وأول نحاة الاندلس بالمعنى الدقيق هو جودي بن عثمان الموروري النحوي (ت ١٩٨ هـ) ، فقد رحل الى المشرق ، والتقى بالكسائي والفراء - وغيرهما - وأخذ عنهما ، وعاد الى وطنه ، وسكن قرطبة ، وكانت له حلقة ، وأدب اولاد الخلفاء وألف في النحو كتابا (٢) . ثم جاء بعده عدد من النحاة منهم : حمدون النحوي وعبد الواحد بن سلام الاحدب (ت ٢٠٧ هـ) وكان من اهل العلم بالنحو والتأديب ، ألف فيه كتابا ، كان متداولاً بين ايدي الناس . (٣)

ويحيى بن عبد الرحمن المعروف بالابيض (ت ٢٦٢ هـ) وكان " متصرفا في ضروب من العلم ومتقدما في النحو واللغة بارعا ، وألف في النحو كتابا أخذه الناس عنه " (٤)

١- تاريخ العلماء ٣٠ / ٢ .

٢ - طبقات الزبيدي ت ٢٧٨ - ٢٧٩ ، التكملة ٢٤٩ / ١ ، القواعد النحوية ت ١١٣ لعبد الحميد حسن ، دراسات في تاريخ الاندلس ت ١٨٤ لاهميد بدر .

٣ - طبقات الزبيدي ت ٢٧٩ ، وانظر تاريخ العلماء ٣٣٤ / ١ .

٤ - تاريخ العلماء ١٧٤ / ٢ .

وعبد الملك بن حبيب السلمي (ت ٢٣٨ هـ) وكانت له كتب كثيرة في العلوم الشرعية
ومع النحوي كتاب سماه " اعراب القرآن " (١)

ومحمد بن عبد السلام الخشني (ت ٢٨٦ هـ) ، وله رحلة الى المشرق قبل سنة
(٢٤٠ هـ) ، لقي بها أبا حاتم السجستاني ، وأبا اسحق الزياتي والمازني
وأخذ عنهم ، وأدخل الاندلس كثيرا من حديث الاثمة واللغة والشعر . (٢)

ومحمد بن عبد الله الفازي (ت ٢٩٦ هـ) وكانت له رحلة الى المشرق ، ودخل
البصرة ، ولقي بها أبا حاتم السجستاني ، وأبا الفضل المباسم بن الفرج الرياشي
وجلب الى الاندلس علما كثيرا من الشعر والغريب والعربية والاختبار ، وعنه أخذ
أهل الاندلس الاشعار المشروحة رواية . (٣)

وكان لأبي الاصمغ عثمان بن ابراهيم البرشقيري (٤) ولأبي بكر بن خطاب المكفوف
النحوي تأليف في النحو . (٥)

وكان أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي ، المعروف بالبغل " ذا فضل وصلاح فسي
تأديب المتعلمين ، وانجب على يده اكثر اهل زمانه وله كتاب في شرح كتاب الكسائي " (٦)

١- طبقات الزبيدي عن ٢٨٢ ، قال فيه الزبيدي : " كان عبد الملك قد جمع الى علم
الفقه والحديث علم الاعراب واللغة والتصريف في فنون الادب " .

٢- طبقات الزبيدي عن ٢٩٠ ، تاريخ العلماء ١٦/٢ ، طبقات ابن قاضي شهبة عن ١٦٧ .

٣- تاريخ العلماء ٢٥/٢ ، طبقات الزبيدي عن ٢٨٩ .

٤- طبقات الزبيدي عن ٣٣٤ .

٥- طبقات الزبيدي عن ٢٩٧ ، وتاريخ العلماء ١١٢/١ .

٦- طبقات الزبيدي عن ٢٩٧ ، وانظر تاريخ العلماء ١٤/٢ وللكسائي كتب كثيرة ، منها
في النحو كتاب " مختصر النحو " أو " مختصر في النحو " ولعله هو الكتاب المقصود هنا
انظر في ذلك انباء الرواة ٢/٢٧١ ، الفهرست عن ٧٢ والاعلام ٥/٩٣ - ٩٤ .

و جمع زيد بن الربيع بن سليمان الحجرى ، المعروف بالبارد (ت ٣٠٠ هـ) بسين
 الابواب في كتاب الاخفش فاقتدى الناس به (١) وكان مطرف بن عبد الرحمن بن
 ابراهيم (ت ٢٨٢ هـ) شيخا نبيلاً ، بصيراً ، بالنحو واللغة والشعر سمع الناس
 منه كثيراً (٢) وكان محمد بن أحمد بن سيد (ت ٣٠٠ هـ) نحويًا ، لغويًا أخذ
 عن محمد بن عبد الله الغازي (٣) .

ومن ناحية هذه الفترة ايضا ابو عالج ايوب بن سليمان المصافى (ت ٣٠٢ هـ) ،
 وكان متفنا في علم النحو ، متصرفا فيه (٤) . ومحمد بن اصيف (٢٥٥ - ٣٠٦ هـ) (٥)
 ومحمد بن موسى الافشين (ت ٣٠٧ هـ) (٦) وغير بن مسعود (ت ٣١٧ هـ) (٧)

١- طبقات الزيدى عن ٣٠٨ ، قال فيه الزيدى : " كان له حظ من العربية واللغة
 وكان حسن الذبط للكتب متقنا لهما " .

٢- تاريخ العلماء ١٣٤/٢ .

٣- تاريخ العلماء ٢٦/٢ .

٤- طبقات الزيدى عن ٢١٦ ، تاريخ العلماء ١٠٢/١ .

٥- تاريخ العلماء ٣٠/٢ ، أخذ عن بعض شيوخ الاندلسيين أمثال الخشني ،
 " وكان عالما بالحديث ، حافظا للرأى ، بصيرا بالنحو والغريب ، بليغا متفنا في
 ضروب من العلم " . تاريخ العلماء ٣٠/٢ .

٦- رحل الى المشرق ، فلقى ابا جعفر الدينورى في مصر ، وانتسخ كتاب سيبويه
 عن نسخته ، وأخذه عنه رواية ، وعن المازني ايضا ، وذلك يكون الافشين اول من
 أدخل كتاب سيبويه الاندلس ، في أواخر القرن الثالث الهجرى ، انظر طبقات
 الزيدى عن ٣٠٥ ، انباء الرواة ٢١٦/٣ ، طبقات ابن قاضي شهبة عن ٢٦٦ .

تاريخ العلماء ٣١/٢ ، جذوة المقتبس عن ٨٨ .

٧- طبقات الزيدى عن ٢١٨ - ٢١٩ .

وهشام بن الوليد (ت ٣١٧ هـ) (١) ومحمد بن عبدالله بن أبي علاقة (ت ٣٢٥ هـ) وقد رحل إلى المشرق وأخذ عن أبي اسحاق الزجاج ، وأبي بكر بن الأنباري ، وأبي الحسن علي بن الأخفش ، وأبي عبدالله بن نبطويه . (٢)

وصنف محمد بن سليمان الجرجاني كتابا شرح فيه كتاب الكسائي في النحو . (٣) نستنتج مما سبق أن القرن الثالث الهجري بدأ يشهد حركة نحوية ناشئة على يد المؤرخين ، وصنفت فيه كتب نحوية ، وشرعت فيه بعض المؤلفات النحوية السابقة وأن أغلب هذه المؤلفات كان متداولا بأيدي الناس . ولعل كثيرا منها كان تأليف مدرسية لمساعدة الشاذيين في فهم النحو .

ومما يؤسف له أنه لم يصل إلينا منها شيء ولا نعلم عنها أكثر من عناوينها في تراجم مؤلفيها ، مما يجعل حكمنا عليها ضربا من الحدس والتخمين ، قابلا للنقض على ما يستجد من دراسات ، ويكشف عنه النقاب من مخطوطات هذه الفترة التي لا تزال مفقودة .

ربما نستطيع على الرغم من ذلك أن نستخلص طبيعة المادة النحوية التي كان المؤرخون يعالجونها ، عن طريق استقراء ما وصلنا من أخبار في كتب التراجم الاندلسية ، ولعل أبا بكر أدق علماء الترجمة في وصف حالة النحو قبل القرن الرابع الهجري ، إذ يرى أنها لا تعلو - في الغالب - على تعليم الشاذيين المبادئ الأولية ، والقواعد الأساسية للنحو ، لتعينهم على إقامة لسانهم ، وإنشاء أدبهم ، وشرح ما استغلط عليهم فهمه من الأبواب النحوية ، وذلك في قوله : " أن المؤرخين إنما كانوا يعانون إقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم العوامل وما شاكلها ، وتقريب المعاني لهم في ذلك . . .

١ - طبقات الزبيدي ص ٣٠٨ .

٢ - التكملة ١/ ٣٦٢ .

٣ - جذوة المقتبس ص ٤٠٨ ، انهاء الرواة ١/ ٢٧٢ .

ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وفواضلها والاعتلال لمساثلها ، ثم كانوا لا ينظرون في امالة ولا ادغام ، ولا تحريف ولا ابنية ، ولا يجيبون في شيء منها ، حتى نهج الرياحي (ت ٣٥٨ هـ) سبيل النظر ، وأعلمهم بما عليه أهل هذا الشأن في المشرق من استقصاء الفن بوجهه . واستيفائه على حدوده ، وأنهم بذلك استحقوا الرياسة . . . (١)

واختلف الدارسون المحدثون في سيادة المذهبين : البصري أم الكوفي في هذه الفترة في الاندلس ، وراح كل فريق يحشد الاسباب والادلة على صدق ما ذهب اليه . وكان محمد حجي أحد القائلين بانتشار المذهب البصري ، في المغرب والاندلس ، وسيادته في اليهود الاولى على ما عداه ، وعزا ذلك الى أسباب يمكن اجمالها فيما يلي :

- ١ - ان المذهب البصري أكثر امالة ومنطقية ، وأقل تشعبا .
- ٢ - وجود كتاب سيبويه بين ايدي الناس لا يزاحمه كتاب آخر للرؤاسي او الكسائي او غيرهما من الكوفيين ، ولا خلاف ان هؤلاء لم يؤلفوا ما يمكن ان يشاهدوا ويقارب كتاب سيبويه ، وأن مؤلفات الكسائي والرؤاسي هي عبارة عن رسائل وكراريس لا تذكر أمام الكتاب .
- ٣ - مناصرة المباسيين لعلماء الكوفة ، وايتاردهم اياهم بتعليم ولاية العهد ، وأبناء كبار رجال الدولة والبلاط ، جعل الناس في الغرب ينفرون من هذا المذهب بعد أن خاضوا خلافة بغداد ، وخلصوا طاعتها . (٢)
- وأضاف عمر رضا كحالة سببا آخر هو حرمان اصحاب سيبويه على نشر كتابه عن طريق الشرح والاختصار والتدريس . (٣)

١- طبقات الزبيدي ج ٣٣٦ - ٣٣٧ .

٢- مجلة اللسان العربي - المجلد الثاني عشر - الجزء الاول - ج ٨٧ - سنة ١٣٩٥ / ١٩٧٥

٣- اللغة العربية وعلومها ج ١١٩ ، قال : " رأب اعلام المذهب البصري على دراسة كتاب سيبويه وشرحه واختصاره في صور مختلفة موجزة ومتوسطة وبسيطة . . . " .

أما أصحاب الرأي الثاني فيرون ان المذهب الكوفي هو الذي كان سائدا في هذه الفترة ، وذلك لما فيه من التسهيل والتيسير والتبسيط " على الصنفين مسن المتعلمين لان مذهب الكوفية أقرب الى اذهانهم من مذهب البصرية " (١)
ولعل هذا الرأي أقرب الى الدقة والصواب من الاول لاسباب منها :
١ - أن المذهب الكوفي أقرب الى طبيعة العقلية الاندلسية المتأثرة الى حد كبير بالمذهب المالكي في الفقه ، القائم على السماع والمأثور ، ومذهب الكوفيين يعتمد السماع والمأثور اكثر من القياس . (٢)

-
- ١ - نظرات في اللغة والنحو ٤ لطف الراوي .
 - ٢ - دان الاندلسيون بمذهب الازاعي ثم تغلب عليه فيما بعد المذهب المالكي وظل سائدا حتى القرن الرابع الهجري ، وقال في ذلك ابن خلدون مؤكدا أن مذهب مالك اقرب الى مزاج أهل الاندلس ، وطبيعة تفكيرهم : " فالبداوة كانت غالبية على أهل المغرب والاندلس ، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل المرات فكانوا الى أهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة " مقدمة ابن خلدون ١/٤٤٩ . والمعروف أن المذهب المالكي " يعتمد على الحديث وعلى اجماع أهل المدينة أكثر مما يعتمد على القياس والعقل ، وهذا أكثر ملائمة ، ووفق لمقلية الاندلسيين " ظهر الاسلام ٣/٢٩ .
 - وكان فقهاء المالكية في الاندلس يزرون بعلماء الكلام ، قال احدثهم : " أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الامصار ، أن أهل الكلام أهل بدع وزيف ، ولا يمدون عند الجميع في طبقات العلماء ، وانما العلماء أهل الآثار والتفقه فيه " . بغية الطنيس ١٥٧ .

٢ - ان دخول كتاب الكسائي في النحوي بلاد الاندلس على يد جودي النحوي (ت ١٩٨ هـ) أسبق من دخول كتاب سيويه بفترة من الزمان ، وأن الإهتمام بشرح كتاب الكسائي في الاندلس سبق الإهتمام بشرح كتاب سيويه كما لاحظنا سابقا . (١) وهذا اتاح بطبيعة الحال - لنحاة الاندلس - التعرف على كتاب الكسائي في هذه الفترة .

٣ - ان واقع الدرس النحوي في الاندلس - آنذاك - يؤكد أن النحو الكوفي كان أكثر شيوعا من النحو البصري ، ان وفد جودي النحوي (ت ١٩٨ هـ) الى المشرق ، وهو أول من أدخل كتاب الكسائي ، ووضع في النحو مؤلفا (٢) ، ولعله تأثر فيه بمنهج استاذيه الكوفيين الكسائي والفراء ، ولو قدر للكتاب - ولغيره - أن يصل اليها لكفانا شر التخمين والحدس .

كما أن الامر لم يكن مقصورا على جودي النحوي بل وضع البغل كتابا في النحو شرح فيه كتاب الكسائي ، وكان مؤدبا ناجحا انجب على يده أكثر أهل زمانه (٣) .

٤ - لم يهتم الاندلسيون بالفلسفة وعلم المنطق قبل القرن الرابع الهجري موكل من تعلق بهذين الفئتين اتهم بالزندقة والإلحاد ، ولما كان كتاب سيويه من الكتب النحوية ذات الطابع الفلسفي الى حد ما ، فان مثل هذا المنهج التألفي لا

١ - انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث ص ١٦ - ١٨

٢ - التكملة ١/٢٤٦ .

٣ - طبقات الزهيد ص ٢٩٧ .

يرواق العقلية الاندلسية في هذه الفترة . (١) فلم يقبلوا عليه اقبالهم على نحو

١- كانت الفلسفة في مراحل الاندلس الاولى علما مرغها عنه ، يرمى أصحابه بالزندقة واللاحاد ، ولم يظهر بين الاندلسيين فيلسوف واحد حتى القرن الثالث الهجري ، غير انها بدأت تظهر ظهورا خافتا أيام الحكم المستنصر ، ولم تظهر بشكل واضح الا في النصف الاخير من القرن الرابع . ووصف ابن طفيل حال الفلسفة في الاندلس قال : " انه اعدم من الكبريت الاحمر ، ولا سيما في هذا الصقع الذي نحن فيه لانه من الغرابة في حد لا يظفر باليسير منه الا الفرد بعد الفرد ، ومن ظفر بشي منه لم يكلم الناس به الا رمزا ، فان الملة المسمدية قد منعت من الخوض فيه ، وحذرت عنه " حي بن يقظان ص ١٢ .

ولعل اهم المشتغلين بها في القرن الثالث الهجري ، وأوائل القرن الرابع محمد ابن عبدالله بن مسرة ٢٦٩ - ٣١٩ هـ ، وقد ألف فيها كتابا سماه " التنبصرة " (انظر التكملة ٢٨٤ / ١ - ٢٨٥) .

غير انه لم يفسح المجال أمام ابن مسرة وتلاميذه ، فقد طرد واحترقت كتبه ، واضطار بعض تلاميذه الى الهجرة ، وشارت حوله وحول اتباعه عدة خصومات ، ورد عليه عدد من العلماء في القرن الثالث والرابع ومنهم : أحمد بن زياد وأحمد بن سالم التستري (انظر تاريخ العلماء ٤١ / ٢) . وابن ابيش (انظر السلة ٢٤٦ / ١) وأبو بكر الزبيدي (السلة ٤٦٠ / ٢) وأجل المقرواحام غالبية اهل الاندلس عن الفلسفة وقبال بعض الخاصة عليها ، ولكنهم لا يصرحون بها خوفا من العامة ، يقول : " وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم ، فان لهما حظا عظيما عند خواصهم ، ولا يتظاهرون بها خوفا من العامة ، فانه كلما قيل : فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق ، وقيدت عليه انفسه ، فان زل في شبهة رموه بالحجارة او حرقوه ، قبل ان يصل امره الى السلطان ، او يقتله السلطان تقربا لقلوب العامة وأحيانا يأمر ملوكهم باحراق كتب هذا الشأن اذا وجدت وذلك تقرب المنصور بن ابي عامر لقلوبهم اول نهوضه " نفح الطيب ١٠٧ / ٢

الكوفيين ، كما لاحظنا من اهتمام بعض الاندلسيين الراحلين بكتاب الكسائي وشرحه .
ولذا فان نشأة المعلوم اللغوية - من نحو ولغة - لم تصاحب نشأة الفلسفة الكلامية
في الاندلس على نحو ما كان في المشرق ، فقد كان المشاركة محجيين بالفلسفة
وأساليبها " وأثرت في عقولهم ، فآخذوا يتناولون الظواهر اللغوية والقضايا النحوية
تناولا عقليا " (١)

هـ - ان الأدلة التي أتت بها أصحاب الرأي الاول تحتاج الى اعادة نظر وتقييم
فالاول يصعب على أهل الاندلس ، وهم لا يميلون الى علم الكلام والحدود
والاقيسة ، والثاني أن الكتاب (كتاب سيويه) رقم فائدته الجليله وأصالته
النحوية ، لا يخدم الشا دين بالنحو ، ولا يستسيغه البتة في الاندلس
أما رسائل الكوفيين وكراريسهم فهي اقرب لذوق الاندلسيين وطريقة معالجتهم
للمعلوم في هذه الفترة .

والثالث ليس له ما يؤكده من الاخبار والروايات ، فلم تذكر لنا المصادر ما يؤكد
الملاقة الوثيقة بين السياسة والعلم ، وأن الاندلسيين كانوا يقبلون على البصريين
ويتركون الكوفيين بدافع سياسي البتة ، وانما تؤكد المصادر أن الراحلين أقبلوا
على علماء البصرة والكوفة معا ، ولا يبعد عنهم عن هذا أو ذاك الا مكانته العلمية
وشهرته ومعد سميته ، فقد قدم قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) بغداد ، وسمح
من محمد بن يزيد المبرد ، وأحمد بن يحيى ثعلب ، وهما زعيما المذهبين
في عصرهما . كما اننا لا نمتنع على رواية تروى أن أحد الحكام الامويين فسي
الاندلس منح دخول كتاب للكوفيين في النحو ، بل انها تشير الى رحلة علمية
نشأة بين المشرق والاندلس غير مقيدة بأي قيد .

١- آراء في العربية ن ١٠١ - ١٠٢ لحامر رشيد .

أما رأى عمر رضا كحالة فيصدق على المشرق ، ولا يصدق على الاندلس في هذه الفترة ، وذلك اننا نجد اهتماما كبيرا عند المشاركة بكتاب سيوييه ، وقد توافر عدد من النحاة على درسه وشرحه وفهمه ، غير أننا لا نجد ذرا الاهتمام عند نحاة الاندلس ، فلم تذكر لنا الروايات نحويا اندلسيا قد تناول الكتاب بالشرح والتدريس قبل القرن الرابع ، بينما تذكر لنا عددا من النحاة الاندلسيين ممن انبرى لشرح كتاب الكسائي ، والتأليف حوله ، كما ذكرنا سابقا .
ولعل النحاة في بداية الامر - واغلبهم مؤيدون - وجدوا في المذهب الكوفي سدا من عوز ، وكفاية لحاجة الناشئين ، إذ كانت الدراسات النحوية عندهم لا تزال ناشئة في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، مما أدى الى سيادة المذهب الكوفي .

ولا يعني حديثنا السابق أن النحو البصري لم يكن له وجود في الاندلس في هذه الفترة ، فلقد حفظ حمدون النحوى ، المتوفى بعد المائتين ، كتاب سيوييه ، وكان من اشهر حفاظه في القرن الثالث الافشين (ت ٣٠٧ هـ) ولكن المرجح ان النحو الكوفي كان اكثر شيوعا من النحو البصري ، وقد بدأ الاهتمام بكتاب سيوييه والنحو البصري يتزايد ورجحت كفته في مرحلة التأديب المتطورة في القرن الرابع الهجري لاسباب كثيرة سنتحدث عنها في الفصل القادم ، ان شاء الله .

مرحلة التأديب المتأخرة في القرن الرابع
العوامل التي أدت إلى تطور الدرس النحوي

١- الخارجية

هجرة الكتب النحوية المشرقية
رحلة العلماء المشرقية

٢- الداخلية

الجديدة : الاستقرار السياسي
الرخاء الاقتصادي
انتهاء حكم العصر بالمسلم

التقليدية :

حلقات التلميم والتدريس
رحلة العلماء الندلسيين إلى المشرق .

الموامل الخارجية

تضافرت عدة عوامل خارجية وداخلية ، أدت الى نقل الدرر النحوى فى قرطبة من مرحلة الاولى فى القرن الثالث الهجرى - كما اسلفنا - الى مرحلة جديدة من التخصص والاهتمام . وقد ساعد على ذلك رغبة الخلفاء الامويين فى نشر العلم والثقافة فى ربوع وطنهم الاندلس ، منافسة للخلفاء العباسيين فى بغداد . (١)

وقد اتخذت هذه الموامل سبيلين : خارجية وداخلية ، وتمثلت الخارجية فى هجرة الكتب النحوية المشرقية الى الاندلس ، ورحلة العلماء المشاركة الى بلاط خلفاء بني أمية فى قرطبة . (٢)

هجرة الكتب النحوية المشرقية

دخلت الاندلس فى هذا القرن عيون كتب النحو المشرقية - ومنها ما دخل قبل هذا القرن - عن طريقين : طريق العلماء المشاركة القادمين الى الاندلس ، وعلى رأسهم القالى (ت ٣٥٦ هـ) ، وطريق العلماء الاندلسيين الراحلين الى المشرق وعلى رأسهم محمد بن يحيى الريحاني (ت ٣٥٨ هـ) . (٣)

وتعود الكتب التي نقلها القالى - ورواها عنه تلاميذه فى قرطبة - الى مصدرين اساسيين : بصري وكوفي . ومن مؤلفات البصريين : كتاب المصادر ، والمقصود والممدود وكتاب الالفاظ ، وكتاب اشتقاق الاسماء

١ - نفح الطيب ٣ / ٧٠ - ٧١ تحقيق احسان عباس .

٢ - نفح الطيب ٣ / ٥ - ١٤٩ - تحقيق احسان عباس .

٣ - سنفردهما حديثا خائفا فيما سيأتى من سياق هذا البحث .

للإصمعي (ت ٢١١ هـ) (١) . وكتاب الهمز ، وكتاب المصادر ، وكتاب اللغات
 وكتاب المقتضب لابي زيد سعيد بن الانصاري (ت ٢١٥ هـ) (٢) .
 وكتاب فعلت وأفعلت (٣) ، وكتاب التذكير والتأنيث (٤) ، وكتاب لمن العاصمة
 لابي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) (٥) وكتاب الملاحن لابن دريد (ت ٣٢١) (٦)
 ومن مؤلفات الكوفيين : كتاب البهي في النحو للفراء (ت ١٨٧ هـ) (٧)
 وكتاب القلب والابدال ليعقوب بن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) (٨) وكتاب التذكير
 والتأنيث لابي بكر الانباري (ت ٣٢٧ هـ) (٩) .
 وتعود المؤلفات التي ادخلها الرباعي الى الاندلس الى مصدرين : بمصرى
 ومصرى . ومن مؤلفات البصريين : الكتاب (١٠) لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) ، وقد
 دخل الاندلس قبل هذا القرن — كما ذكرنا سابقا — غير أن الاهتمام بالكتاب
 ومدارسه ، ومناقشة ابوابه ، والاعتناء به بشكل واسع ، بدأ على يد الرباعي
 الذي جعل له في حلقاته مناقشة خاصة كل يوم جمعه .

-
- ١ - فهرسة ابن خبير عن ٣٧٥ .
 - ٢ - فهرسة ابن خبير عن ٣٧١ - ٣٧٢ .
 - ٣ - فهرسة ابن خبير عن ٣٦١ .
 - ٤ - فهرسة ابن خبير عن ٣٤٨ .
 - ٥ - فهرسة ابن خبير عن ٣٤٨ .
 - ٦ - فهرسة ابن خبير عن ٣٦١ .
 - ٧ - فهرسة ابن خبير عن ٣١١ .
 - ٨ - فهرسة ابن خبير عن ٣٨١ - ٣٨٢ .
 - ٩ - فهرسة ابن خبير عن ٣٤٨ .
 - ١٠ - فهرسة ابن خبير عن ٣٠٥ ، نقله الرباعي عن ابي جعفر بن النحاس عن الزجاج
 عن المبرد عن المازني عن الاخفش عن سيبويه .

ومنها كتاب أبي الحسن الاخفش (ت ٥٢١٥) في النحو (١) ، وكتاب المقتضب (٢) ، والتصاريح (٣) ، لأبي العباس المبرد (ت ٥٢٨٥) . وكان كتاب الكامل في اللغة للمبرد قد دخل الاندلس عن طريق أبي عثمان سعيد بن عثمان القزاز (٤) ، ومع أن الكتاب في الادب الا انه يعرض لمسائل من النحو على مذهب البصريين .

ومن مؤلفات المصريين : كتاب الكافي في النحو (٥) ، وكتاب المقتضب في النحو ، وكتاب الاشتقاق (٦) ، وكتاب اعراب القرآن (٧) ، لأبي جعفر النحاس (ت ٥٣٠٧) وكتاب الانتصار لأبي العباس احمد بن ولاد (ت ٥٣٣٢) (٨) .

وأدخل ابو عثمان سعيد بن عثمان بن القزاز ، المتوفى بعد الاربعمئة كتاب الموجز في النحو (٩) ، وكتاب الاصول في النحو (١٠) لأبي بكر بن السراج (ت ٥٣١٦) وأدخل خطابه بن يوسف كتاب الجمل (١١) لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت ٥٣٣٩) .

-
- ١- فهرسة ابن خبير عن ٣١٣ ، نقله الرباعي عن ابن ولاد عن المبرد عن المازني عن الاخفش .
 - ٢ - المصدر نفسه عن ٣٠٧ ، نقله الرباعي عن أبي جعفر النحاس عن الزجاج عن المبرد .
 - ٣ - المصدر نفسه عن ٣١٢ .
 - ٤ - المصدر نفسه عن ٣٢١ - ٣٢٢ .
 - ٥ - المصدر نفسه عن ٣٠٩ ، وانظر تاريخ العلماء ١ / ٣٣٢ - ٣٣٣ .
 - ٦ - المصدر نفسه عن ٣٠٩ .
 - ٧ - تاريخ العلماء ٢ / ٨٤ .
 - ٨ - فهرسة ابن خبير عن ٣١١ .
 - ٩ - المصدر نفسه عن ٣١٠ .
 - ١٠ - المصدر نفسه عن ٣٠٧ - ٣٠٨ .
 - ١١ - المصدر نفسه عن ٣٠٨ .

وبدل هذا العدد من المؤلفات النحوية - الداخلة الى اندلس في هذا القرن - على ان الاهتمام بالنتاج النحوي أخذ يتزايد بصورة واضحة ، وأن أغلب المؤلفات النحوية الاصول وجدت طريقها الى اندلس ، وأن الاهتمام بالمذهب البصري أخذ يتزايد ، وأحرز كتاب سيبويه عند هم قصب السبق .

كتاب سيبويه وأهميته عند الاندلسيين

دخل كتاب سيبويه الاندلس على يد حمدون النحوي المتوفى بعد المائتين ، وعلى يد الاغشين (ت ٣٠٧ هـ) (١) غير أنه لم يعن به كثيرا الا في القرن الرابع ، اذ لاقى الكتاب اهتماما كبيرا من النحويين الاندلسيين ، ومن اعتنى به القالسي الذي اخذه عن ابن درستويه في بغداد ، وأدخله الاندلس (٢) ، والرياحي الذي حمّله عن أبي جعفر النحاس وأدخله الاندلس (٣) واعتنى به أبو بكر الزبيدي (٤) ، وأحمد بن يوسف بن حجاج (ت ٣٦٦ هـ) (٥) وغيرهم . وقد عكف النحاة على دراسته وفهمه ومنفوا حول المؤلفات ، كان منها ما يهدف الى شرحه أو الاستدراك عليه . ومن صور الاهتمام بمادة الكتاب المكوف على دراسته ، وحفظ مسائله (٦) .

١ - انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث ص ١٥

٢ - طبقات الزبيدي ص ٢٠٣ .

٣ - طبقات الزبيدي ص ٣٣٧ .

٤ - ولهذا بيان مستقل انظر فيما سيأتي من سياق هذا البحث

٥ - طبقات الزبيدي ص ٣٢٤ .

٦ - " كان أحمد بن يوسف بن حجاج (ت ٣٦٦ هـ) من أعلم الناس بالنحو ، وأحفظهم لمسائله ، وكان كتاب سيبويه بين يديه ، لا ينني عن مطالعته في حال فراغه وشغله ومحتة وسقمه " طبقات الزبيدي ص ٣٢٤ . وكان عبدالله بن وليد (ت ٤٢٩ هـ) " يختم كتاب سيبويه كل خمسة عشر يوما " الصلة ١ / ٢٥٣ .

والتعليق عليه ، ووضع الشروح (١) ، والتصنيف في تفسير عيون (٢) ، والاستدراك على بعض ابوابه (٣) ، وطرح مسائله على سبيل المناقشة الشفوية (٤) ، والمناظرة فيها (٥) ، وتدرسه والاستاذية فيه (٦) ، واتخاذ حكما على مدى عمق الثقافة التحصيلية عند بعض العلماء (٧) .

١- درس ابو محمد عبدالله بن حمود الزبيدي (ت ٣٧٧ هـ) كتاب سيويه وجمع شرحا فيه . التكملة ٢ / ٧٨٤ .

٢- وضع أبو نصر هارون بن موسى النحوي (ت ٤٠١ هـ) تصنيفا في تفسير عيون كتاب سيويه . انظر فهرسة ابن خير ص ٣١١ ، وانباء الرواة ٣ / ٣٦٣ .
٣- اعتنى به أبو بكر الزبيدي ، وله استدراك عليه . انظر فيما سيأتي من سياق هذا البحث

٤- طالع أبو وهب عبد الرحمن بن محمد كتاب سيويه ، ونظر فيه وكان يرمي المسائل النحوية على أبوابه وكتابه حتى يرموا منه ، واستمفوا من ذلك . انظر انباء الرواة ٢ / ١٧٣ ، ولقب بعضهم بالذاكرة ، وهو ابو الحكم المنذر بن عبد الرحمن " لانه كان اذا لقي رجلا من اخوانه قال له : هل لك في مذاكرة باب من النحو ؟ فلهج بهذه الكلمة حتى نيزبها " انظر طبقات الزبيدي ص ٣١٠ .

٥- كان الرباعي قد " عقد للمناظرة فيه مجلسا كل يوم جمعة " طبقات الزبيدي ص ٣٣٦-٣٣٧ .

٦- كان سعيد بن عبدالله بن دحيم (ت ٤٢٩ هـ) " عالما بالنحو ، اماما في كتاب سيويه " الصلة ١ / ٢١٦ .

٧- جمع المنصور بن أبي عامر أبا بكر الزبيدي ، والماضي ، وابن الصريف ، وهم من كبار نجاة هذا القرن بمساعد اللغوي في مجلسه ، ليختبروا صاعدا في النحو ، فزعم صاعد أنه قرأ على السيرافي كتاب سيويه فبادره الماصي بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يجبه ، فاجابها ، واعتذرا بأن النحول ليس جل بناعته . انظر نفح الطيب ٣ / ٧٣ .

والنقل عنه مباشرة أو عن طريق رواته في بعض مؤلفات هذا القرن (١) ولم يقف اهتمامهم عند كتاب سيبويه حسب ، بل تعداه الى أغلب ما دار حوله من مؤلفات (٢) . ولعل هذا النشاط في التجرد لتحصيل النحو وتأصيله في الثقافة الاندلسية . . . كان من بين ما هياً للمقرئ أن يقول في أهل الاندلس : " والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة . . . وهم كثيرو البحث فيه ، وكل عالم في أي علم لا يكون متعكناً من علم النحو ، بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ، ولا سالم من الازدراء " (٣) . ولعل هذا يفسر لنا أيضاً ما نلاحظه في كتب التراجم الاندلسية التي لا تنفك دائماً عن وصف كثير من العلماء : فقهاء ومحدثين ومؤرخين وغيرهم بأنهم ذوو بصير بالنحو ، أو أن فلانا كان نحويًا ، وما أشبه ذلك .

أما تأثيرهم بمنهج الكتاب في فترة التأديب المتطورة في أوائل القرن الرابع الهجري في الاندلس فليس من السهل الحكم عليه حكماً علمياً دقيقاً نظراً لفقدان بعض مؤلفات القرن النحوية التي دارت حول الكتاب ، ولعل تأثيرهم كان محدوداً ، وأما في مرحلة التخصص فلا يمكن أن يرى الباحث إلا تأثيراً قليلاً عند أبي بكر الزبيدي في استدراكه عليه أما كتابه النحوي الواضح فيغلب عليه الطابع التعليمي الميسر (٤) . ويبقى هذا الحكم قابلاً للنقض في ضوء ما يستجد من دراسات جديدة قائمة على استكشاف مخطوطات مؤلفات هذا القرن النحوية ، غير أن التأثير بكتاب سيبويه بدأ يظهر بشكل واضح في النصف الثاني من القرن الرابع ، كما نجده عند ابن العريف في كتابه " شرح الجمل " إذ يكرر من النقل عنه ، ويميل الى آرائه النحوية كما سنراه فيما بعد .

١- انظر البارع للمقالي ، والاستدراك على سيبويه للزبيدي ، وشرح الجمل لابن العريف في صفحات متفرقة .

٢- ذكر ابن الفرغني (ت ٤٠٣ هـ) أنه كان يقرأ على عبد السلام بن السمح (ت ٣٨٧ هـ) بمدينة الزهراء كتاب أبيات سيبويه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو تاريخ العلماء ٣٣٣ / ١ .

٣- نفح الطيب ٢ / ١٠٨

٤- انظر فيما سيأتي من سياق هذا البحث

وعلى الرغم من قلة تأثرهم بمنهج كتاب سيبويه في مرحلة التأديب هذه إلا أن مدارسته والمكوف عليه أثرت فيهم وفي اهتمامهم بعلم النحو ، ودراسة دقائق العربية وفواضلها والاعتلال لمسائلها (١) . مما أدى بدوره إلى سيطرة المذهب البصري في النحو على غيره في طرد الاحكام وتعليل الظواهر اللغوية .

ولعل في كلامنا السابق على مكانة كتاب سيبويه وأهميته عند النحاة الاندلسيين في القرن الرابع تصويبا وتقويما لقول الرافعي من أن " الهم لم تنصرف الى استظهاره (كتاب سيبويه) الا في القرن الخامس ، كأنهم جعلوا ذلك منافسة " (٢) .

وتاهمت خديجة الحديثي الرافعي في هذا الحكم (٣) ، فأغفل كلاهما ما نال الكتاب من عناية واهتمام على يد نحاة القرن الرابع الهجري في الاندلس .

وحرر بنا ونحن نتحدث عن كتاب سيبويه أن نلتزم الاسباب التي أدت الى الاهتمام به عند الاندلسيين .

-
- ١- طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .
 - ٢ - تاريخ آداب العرب ٣ / ٣٣٣ - ٣٣٤ .
 - ٣ - أنظر ابنية الصرف في كتاب سيبويه ص ٦٢ حيث قالت : " ولم تقف العناية بكتاب سيبويه عند حدود المشرق ومصر ، بل اجتاز البحر الى الاندلس . وأقدم من عرف في الاندلس ممن حفظ الكتاب حمدون النحوي المتوفى بعد المائتين ، ولعله اول من عرف به ، ثم كان من أشهر حفاظه في القرن الثالث الهجري الافشين القرطبي (ت ٣٠٩ هـ) ، فقد أخذه عن أبي علي الدينوري ، وفي القرن الخامس انصرف الهمم الى استظهاره ، وكأنهم جعلوا ذلك منافسة " .

أسباب اهتمامهم بكتاب سيبويه

- يعود اهتمام الاندلسيين به لعدة أسباب لها علاقة وارتباط بطريقتين : جاشر وغيرهما شرس بالعوامل الداخلية والخارجية ، ويمكن اجمالها على النحو التالي :
- ١- الشهرة الواسعة التي حازها الكتاب وصاحبه في المشرق ، فقد وصفه أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١ هـ) بأنه " قرآن النحو " كما وصف صاحبه بأنه " أعلم الناس بالنحو بعد الخليل " . (١)
 - ٢- وجود عالمين نحويين لفويين في هذا القرن في قرطبة ، كانا أميل إلى النحو البصري وأساس نحو البصريين كتاب سيبويه ، وهما الرياحي (٢) وأبو علي القالي (٣) ، وقد تخرج على يديهما أشهر نحاة القرن الرابع ، فلا غرو أن نجد مثل هذا الاهتمام بكتاب سيبويه .
 - ٣- التطور النحوي الذي وصل إليه بعض نحاة الاندلس في هذا القرن ، أدى إلى اقتناعهم أن خير ما ألف في النحو هو كتاب سيبويه (٤) على الرغم مما قام به الزبيدي من استدراك عليه .

- ١- مراتب النحويين ص ٦٥ .
- ٢- وهو الذي نقل الدرس النحوي في هذه المرحلة إلى " الاهتمام بعلم دقائق العربية ونواميسها والاعتلال لمسائلها " طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .
- ٣- قرأ كتاب سيبويه على ابن درستويه وسأله عنه حرفاً حرفاً ، وناظره فيه ، ودقق النظر وكتب عنه تفسيره ، وعمل الحلة ، وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين . انظر انباه الرواة ١ / ٢٠٥ نفح الطيب ٣ / ٧٠ - ٧٥ مجمع الادب ٧ / ٢٧
- ٤- ومن مظاهر هذا التطور أن الشريف النحوي (ت ٣٩٠ هـ) وضع كتاباً " يشتمل على مسائل من النحو ، اعترض فيها على ابن النحاس " جذوة المقتبس ص ١٨٢ . ووضع شرحاً على كتاب الجمل للزجاجي أيضاً ، كما صنف الزبيدي الواضح في النحو ، والاستدراك على سيبويه وغير ذلك .

٤ - ولعل الحرية الفكرية التي تمتع بها علماء قرطبة عامة في عهد الناصر وابنه الحكم المستنصر تجاه علوم الفلسفة والمنطق ، ساعدت على فهم الكتب النحوية المشرقية ذات الاتجاه المنطقي والاهتمام بها . (١)

ورغم انتشار النحو البصري وسيادته على غيره عند نحاة الاندلس فلا يعني انهم تحليلوا من النحو الكوفي بل كانوا يختارون بعض الآراء النحوية التي يرون فيها أكثر عسداً ولأجل على بعض الظواهر اللغوية كما ستراه عند الزبيدي في وانححه .

ولكن هذه كانت قليلة ، ولذا فقد بقيت للنحو الكوفي صورة ضئيلة في هذا القرن نظراً لقلّة انصاره ، ولطغيان المؤلفات المشرقية البصرية النحوية في بيئة الثقافة الاندلسية . ومن اعتنى بالنحو الكوفي في هذه الفترة عبد الله بن الحسن المروزي (ت ٤٢٤ هـ) فقد ألف فيه كتاباً سماه " الابتداء " (٢)

رحلة العلماء المشارقة

بدأت رحلة العلماء المشارقة الى الاندلس قبل هذا القرن - كما اسلفنا - الا انها أخذت بالتزايد في القرن الرابع بشكل ملموس ، وخاصة في عهد الخليفة الناصر وابنه المستنصر ، وفي عهد المنصور بن ابي عامر ، لاهتمامهم بهذا الرافد وتشجيعهم العلماء على القدوم الى الاندلس . (٣)

وكان لمقدم أولئك العلماء أهمية لا تقل عن هجرة الكتب النحوية ، جلسوا للدرس وتحلق حولهم الطلبة ، ورووا عنهم ، وتخرج على ايديهم عدد من التلاميذ . وادى هذا بدوره الى تنشيط الحركة الثقافية عامة ، والحركة النحوية واللغوية خاصة .

-
- ١- ومن ذلك أن الرباعي " طالع كتب أهل الكلام وتفنن فيها ، ونظر في المنطقيات فأهكمها " . أبيات ابن شهبة ص ٢٧٧ .
 - ٢ - الصلة ٢٨٦ / ١ هـ . وعبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن بن شجاع المروزي ٣٤٨ - ٤٢٤ هـ . وكان عالماً بالعربية على مذهب الكوفيين ، وهو أحد العلماء القاديين الى الاندلس من المشرق .
 - ٣- انظر نفح الطيب ٣ / ٧٠ - ٧٢ تحقيق احسان عباس .

ومن العلماء الداخلين الى الاندلس أبو الحسين محمد بن الصباس بن يحيى الفارسي (ت ٣٧٦ هـ) وكان له اثره في الاقراء والرواية . (١) وأبو الحسن علي بن محمد ابن اسماعيل الانطاكي (ت ٢٩٩ - ٣٧٧ هـ) وكان يسيرا بالمرية ، وعبد الله ابن شجاع المروزي (ت ٣٤٨ - ٤٢٤ هـ) وكان عالما بالمرية على مذهب الكوفيين وله تأليف في النحو سماه " الابتداء " (٢) وأبو العلاء حماد بن الحسن اللنوي (ت ٤١٧ هـ) وأهميته النحوية تكمن في المناظرات والمناقشات التي كانت بينه وبين علماء عصره (٣) وأبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ) وهو عالم بالمرية (٤) . واستمرت رحلة العلماء المشاركة الى ما بعد القرن الرابع ، فقد قدم ثابت بن محمد الجرجاني الى الاندلس سنة (٤٠٦ هـ) وتوفي فيها سنة ٤٣١ هـ ، وأملى كتابا في شرح كتاب الجمل لأبي القاسم الزجاجي . (٥) ويعد القاضي أحمد دؤلا العلماء ، وأبعدهم أثرا في تطوير الدرس النحوي .

١ - فهرسة ابن خبير ، ٤٠٨ وكان قد وفد على المستنصر من حلب الى قرطبة فأجرى عليه ، وتوسع له ، وقرأ عليه الناس كثيرا ، ومنهم أبو بكر الزبيدي ، وعن طريقه كانت رواية شعر الصنهرى .
٢ - الصلة ٢٨٦/١ وله كتاب مختصر من علم أبي حنيفة في سبعة أجزاء ، واسمه المفعلي .

٣ - انظر ترجمته في الذخيرة ١/٤ عن ٢ - ٣٩ ، وفيات الاعيان ١٨١/٢ ، انباء الرواة ٨٥/٢ جذوة المقتبس عن ٢٢٣ ، وغية الوعاة عن ٢٦٧ - ٢٦٨ .
٤ - لم يكن مشرتيا أصلا بل هو من أهل القيروان ، حج عدة مرات ، وأخذ علمه عن شيخ مصر ومكة واستقر في قرطبة سنة ٣٩٣ هـ ، وأقرأ بجامعة ، ولكننا ذكرناه مع المشاركة لانه ألف كتابه النحوي " مشكل اعراب القرآن " في الشام ببيت المقدس وقام بتحقيقه هاتم صالح الضامن سنة ١٩٧٣ م انظر خبره في نهاية النهاية في طبقات القراء ٣١٠/٢ وفهرس المخطوطات - دار الكتب الطاهرية عن ٤٨ .
٥ - الصلة ١٢٥/١ .

أبو علي القالي

هو اسماعيل بن القاسم بن حميد بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان مولى عبد الملك بن مروان الأموي المعروف بالقالي . (١) ويمود هذا اللقب - حسب ما رواه الزبيدي عن القالي - الى قوله : " لما انجدرنا الى بغداد كنا في رفقة فيها أهل (قالي) قلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الشر ، فلما دخلت بغداد انتسبت الى قالي قلا ، وهي قرية من منازل جرد ، رجوت أن انتفع بذلك عند العلماء ، فمضى علي القالي " . (٢)

ولد القالي في منازل جرد (٣) سنة ٢٨٠ هـ ، وقيل سنة ٢٨٨ هـ (٤) ونشأ بها ، ورحل عنها الى بغداد سنة ٣٠٣ هـ ، ومربا الموصل ، وأقام بها سنتين ثم دخل بعدها بغداد سنة ٣٠٥ هـ ، وأقام بها الى سنة ٣٢٨ هـ ، وأخذ عن جلة شيوخه (٥) عهد أن استوى عوده ونضج فكره ، خرج عنها قاصدا الاندلس ودخل قرطبة في شعبان لثلاث بقين منه سنة ٣٣٠ هـ (٦) ، واستقبل استقبالا هافلا وأكرمه أهل الاندلس ، وعاش معززا ، يعلم التلاميذ ويصنف المصنفات حتى وافته المنية سنة ٣٥٦ هـ ، ودفن بمقبرة متعة . (٧)

- ١- انظر ترجمة القالي في : نفح الطيب ٣/ ٧٠ - ٧٥ ، طبقات الزبيدي ص ٢٠٢ - ٢٠٥ . تاريخ الملوك ٨٣/ ١ ، جذوة المقتبس ص ١٥٤ - ١٥٨ ، وفيات الأعيان ١/ ٢٢٦ - ٢٢٨ ، انباه الرواة ١/ ٢٠٤ ، معجم الادباء ٢/ ٢٥ - ٣٣ ، شذرات الذهب ٣/ ١٨ بغية الملتبس ص ٢٣١ - ٢٣٤ ، تاريخ الادب في القرنين ٢٧٧/ ٢ ، البداية والنهاية ١١/ ٢٦٤ ، معجم المؤلفين ٢/ ٢٨٦ .
- ٢- طبقات الزبيدي ص ٢٠٥ .
- ٣- قال ياقوت : " منازل جرد ، وأهلها يقولون : منازل جرد ، بلد مشهور بين خلاط .
- ٤- الأرجح أنه ولد سنة ٢٨٠ هـ انظر طبقات الزبيدي ص ٢٠٤ .
- ٥- سيأتي بيان مستقل لشيوخه فيما سيأتي من سياق هذا البحث .
- ٦- طبقات الزبيدي ص ٢٠٥ .
- ٧- طبقات الزبيدي ص ٢٠٥ ، صاحب البيان المنرب فذكر انه توفي سنة ٣٦٦ هـ . انظر البيان المنرب ٢/ ٢٥٠ .

ويستفاد من كلام المقري أن المؤرخين اختلفوا فيمن دعاه الى الاندلس ، ان يقول :
 " صرح المؤرخين يزعم أن وفادة أبي علي الثاني انما كانت في خلافة الحكم المستنصر
 بالاندلس لا في خلافة أبيه الناصر ، والسواب أن وفادته في ايام الناصر ، لما ذكره
 غير واحد من عصره وعنه عن الخطبة يوم احتفال الناصر لرسول الافرنج " (١) .
 والى مثل ذلك ذهب القفطي (٢) ، وياقوت الحموي (٣) ، وأرخ الزبيدي وفادته
 سنة ٣٣٠ هـ . (٤) .

وأما سبب قدومه الاندلس فعائد - في رأي المنري - الى ولائه القديم لبني امية (٥)
 ولعل قدومه الاندلس كان طلبا للشهرة والنفى والجاه ، وكان قد سمع عن الناصر
 وابنه المستنصر ، ما أعجبه من ناحية ، وأغراه بالتقدم عليهما من ناحية ثانية ، وهو
 يصرح بذلك قائلا : " فغبرت برهة التمس لنشره (العلم) موضعا ، ومكثت دهرًا -
 أطلب لاذعته مكانا ، وحققت مدة ابتغني له مشرفا ، وأثمت زمتا ارتاد له مشتريا ، حتى
 تواترت الأنباء المتفقة ، وتتابعت الصفات الملتزمة التي لا تخالجهما الشكوك ، ولا
 تمازجهما الظنون ، بأن مشرفه في عصره أفضل من ملك الوري بذا لال مسائل
 محقق الآمال . . . أمير المؤمنين عبدالرحمن بن محمد ، وأن معظمه ومشتريه
 وجامعه ومقتنيه ، والذليل قبل ان يستنال الحكم ، ولي عهد المسلمين . . . فخرجت
 جاعدا بنفسي ، باذلا لحشاشتي . . . مؤملا أن أوصل العلق النفيس الى من يعرفه
 وأنشر المتاع الخطير ببلد من يظمه " (٦) .

١ - نفح الطيب ٣ / ٧١ تحقيق احسان عباس .

٢ - انباه الرواة ١ / ٢٠٤ - ٢٠٩ .

٣ - معجم الادباء ٧ / ٣٠ ، وانظر اندلسيات ص ٥٤ .

٤ - طبقات الزبيدي ص ٢٠٥ .

٥ - نفح الطيب ٣ / ٧٠ تحقيق احسان عباس .

٦ - الأمال ص ٢ / ١ .

استقبال الاندلسيين للقباليين

عند وصول القبالي حدود الاندلس ، ندب الخليفة الناصر وابنه الحاكم وفدا -
برئاسة قائد اسما وله في المرية عبد الرحمن بن رماح - لاستقبال العالم الوافد
وتكريمه والحفاوة به ، وكان من اعضاء الوفد أبو بكر بن القوطاية وأبو بكر الزبيدي
والاديب ابن رفاعة الالبيري ، والشاعر يوسف بن هارون الرمادي وكثير غير هؤلاء
من علماء الاندلس وأعيانها . (١)

ومدحه الرمادي بقصيدة بيّن فيها مكانته في نفوسهم وشهرته عندهم ، ومنها : (٢)

روى تمأهده السحاب كأنه	متأهده من عهد اسماعيل
قسه الى الاعراب تعلم أنه	أولى من الاعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات فُترقت	فيهم ، وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بمده ، فكأنما	نزل الخراب برمه المأهول
وكانه شمس بدت في غربنا	وتغيبت عن شرقهم بأفول
يا سيدي هذا ثنائي لم اقل	زورا ولا عرضت بالتثويل
من كان يأمل نائلا فأنا أمرو	لم أرح غير القرب في تأميلي

١- نفح الطيب ٣ / ٧٥ تحقيق احسان عباس .

٢ - نفح الطيب ٣ / ٧٥ تحقيق احسان عباس .

اعجاب القالي بنشاط الاندلسيين اللغوي والنحوي

أعجب القالي بذلك أهل الاندلس ومستواهم الثقافي عند وصوله قرطبة ، ووجد عندهم غير ما كان يتوقعه ، وصرح بذلك عند وصوله قرطبة قائلاً : " لما وصلت القيروان وأنا اعتبر من أمر به من أهل الامصار ، فأجد هم على درجات فسيحية المبارات . (١) وثقل الفهم بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاسبة ومقايسة (٢) فقلت ان نفس أهل الاندلس عن مقادير من رأيت في افهامهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان " (٣)

قال ابن بسام : " فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم ، ويتغاضى عند المباحثة والمناقشة ، ويقول لهم : ان علمي علم رواية وليس بعلم رواية ، فخذوا عني ما نقلت ، فلم آل لكم أن صححت " (٤) .

التكوين الثقافي للقالي

تنوعت ثقافته وتعددت بتنوع شيوخه وتعدد هم ، فقد تتلمذ لعدد كبير من علماء الحديث والقراءات والأخبار واللغة والأدب والنحو في الموصل وبغداد . ولكنه أظهر ميلا الى علوم اللغة وآدابها ، وعكف على دراسة مؤلفاتها ، ومداومة الاخذ عن علمائها . ويمكن تصنيف شيوخه في فئات على النحو التالي :-

- ١- في الذخيرة : الفباوة ٤٠ / ١ / ١
- ٢- " قاس الشيء بقيسه قياسا وقياسه ، واقتاسه وقيسه اذا قدره على مثاله . والمقايسة مفاعلة من القياس " لسان العرب ٦ / ١٨٧ ، تحاش القوم تعاميا : اقتسموا حممهم ومجائنه محاميه وحمما : قاسمه فأخذ كل واحد منهما حصته " لسان العرب ٧ / ١٤ .
- ٣- نفح الطيب ٣ / ١٥٤ تحقيق احسان عباس .
- ٤- الذخيرة ٤٠ / ١ / ١ ، نفح الطيب ٣ / ١٥٤ - ١٥٥ تحقيق احسان عباس .

أ - شيوخه في الحديث :

سمع من أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) (١) فـي
الموصل ومن أبي بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦ هـ) (٢) وأبي
القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي المعروف بابن بنت منيع (ت ٣١٧ هـ) (٣)
وأحمد بن اسحاق بن البهلول أبي جعفر التنوخي (٤) ، وأبي عبيد القاسم
ابن اسماعيل المحاطي (٢٣٨ - ٣٢٣ هـ) (٥) وأبي سعيد الحسن بن علي
ابن زكريا بن يحيى بن مالح (٢١٠ - ٣١٩ هـ) (٦) في بغداد .

ب - في السقريات

سمع من أبي بكر أحمد بن موسى بن المباس بن مجاهد (٢٤٥ - ٣٢٤ هـ) (٧)
وغيره (٨) .

هـ - الأخبار

سمع من أبي بكر محمد بن عبد الملك التاريخي ، والباوسي أبي علي الحسن بن علي
ابن نصر ، ومن الدمشقي أحمد بن سعيد وغيرهم . (٩)

١- طبقات الزبيدي عن ٢٠٤ .

٢- طبقات الزبيدي عن ٢٠٤ .

٣- طبقات الزبيدي عن ٢٠٤ .

٤- طبقات الزبيدي عن ٢٠٤ ، معجم الادباء ١٣٨ / ٢ . وقال فيه ياقوت : " انه
كان تام العلم بالذمة حسن القيام بالحنو على مذهب الكوفيين وله فيه كتاب ألفه " .

٥- طبقات الزبيدي عن ٢٠٤ .

٦- طبقات الزبيدي عن ٢٠٤ .

٧- طبقات الزبيدي عن ٢٠٥ .

٨- أنظر طبقات الزبيدي عن ٢٠٥ .

٩- طبقات الزبيدي عن ٢٠٥ .

د - اللغة والنحو

سمع من أبي بكر محمد بن شقير (ت ٣١٥ ، ٣١٧ هـ) (١) وأبي الحسن علي بن سليمان بن الفضل الأخفش الصغير (ت ٣١٦ هـ) (٢) وأبي بكر محمد بن السري السراج النحوي (ت ٣١٦ هـ) (٣) وأبي اسحاق إبراهيم ابن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١٦ هـ) (٤) وأبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ) (٥) وأبي بكر بن أبي الأزهر محمد بن مزيد الخزازي (ت ٣٢٥ هـ) (٦) وأبي محمد عبدالله بن جعفر درستويه (ت ٣٤٧ هـ) (٧) وكلهم من مشاهير نحويي البصرة ولغوييها . وسمع من أبي عبدالله إبراهيم ابن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه (ت ٣٢٣ هـ) (٨) وأبي بكر محمد بن القاسم ابن محمد بن بشار الأنباري (٢٧١ - ٣٢٧ هـ) (٩) وأبي عمر الزاهد ، المطرز غلام ثعلب وثنو محمد بن الواحد (ت ٣٤٥ هـ) (١٠) وهم من علماء النحو واللغة الكوفيين . وبخاصة غير هؤلاء . (١١)

١ - طبقات الزيدى ن ٢٠٥ وقال فيه السيرافي : " كان يخلط علم البصريين بعلم

الكوفيين ، وروى عن المبرد " أخبار النحويين البصريين " ن ٨١ .

٢ - طبقات الزيدى ن ٢٠٥ وقد روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه القاضي بعض

الاشعار والنحو . انظر طبقات الزيدى ن ١٢٥ - ١٢٧ .

٣ - طبقات الزيدى ن ٢٠٤ وثنو من اصحاب المبرد وقرأ عليه كتاب سيويه وخالف اصول

البصريين في مسائل كثيرة انظر طبقات الزيدى ن ١٢٢ - ١٢٥ بغية الوعاة ن ٤٤ - ٤٥

٤ - طبقات الزيدى ن ٢٠٥ واليه والى ابن كيسان (ت ٢٦٠ هـ) " انتهت الرئاسة

في النحو بعد أبي الحباس المبرد غير ان ابا اسحاق كان اشد لزوما لمذهب

البصريين وكان ابن كيسان يخلط المذهبين " طبقات الزيدى ن ١٠٨ .

٥ - طبقات الزيدى ن ٢٠٤ وكان من شيوخه أبو حاتم السجستاني والرياشي

المعروف بمصبيته للبصريين والى ابن دريد انتهت لغة البصريين " بغية الوعاة ن ٣١

٦ - طبقات الزيدى ن ٢٠٥ .

يتبع

وتكوين القالي الثقافي هذا يمثل صورة العالم المشرقي آنذاك الى حد كبير . (١)
ولا غرابة اذن أن نجد القالي يفتش حلقات الحديث والقراءات والأخبار واللغة
والنحو والأدب ، يأخذ من علمائها ما يستطيع أخذه ثم يبرع بعد ذلك في مجال
تخصصه اللغوي والنحوي ، ويحلل الاندلس فيما بعد لغة ومؤلفات وعلماء .
دور القالي في تنشيط الدرس النحوي في الاندلس

كان للقالي أثر كبير في تطوير الدراسات اللغوية والنحوية في قرطبة في القرن الرابع
ومرد ذلك عدة أمور منها :

- ١- المؤلفات النحوية المشرقية التي جلبها معه الى قرطبة ، وفيها قدّم للاندرلسيين
أصولاً نحوية معتمدة ، مقروءة على العلماء الثقات . (٢)
- ٢- الشيخ الذين أخذ عنهم في بغداد ، وجلبهم من كبار نحاة البصرة ولغوييها (٣)
- ٣- المؤلفات التي صنفها في قرطبة .
- ٤- التلاميذ الذين درسوا عليه ، وأتموا المسيرة العلمية بعده .

- ٧- طبقات الزبيدي ص ٢٠٥ " وكان شديد الانتصار لمذهب البصريين في اللغة والنحو"
انظر بنمية الوعاة ص ٢٧٩ انباء الرواة ١١٣/٢ .
- ٨- طبقات الزبيدي ص ٢٠٤ وقد خلط نحو الكوفيين بنحو البصريين " انباء الرواة ١٧٩/١
- ٩- طبقات الزبيدي ص ٢٠٤ " وكان رأساً في نحو الكوفيين ، ثقة صدوقاً ، وكان اعلم
الناس بالنحو والأدب " طبقات ابن شهبه ص ٢٣٥ .
- ١٠- طبقات الزبيدي ص ٢٠٥ روى عنه القالي وأخذ عنه اختيار فصبح الكلام لثعلب
وغيره .

- ١١- انظر طبقات الزبيدي ص ٢٠٤ - ٢٠٥ وانباء الرواة ١/٢٠٤ - ٢٠٦ .

- ١- انظر صورة العالم المشرقي المثقف في مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ص ٨٥
المجلد الاول - المجلد الاول - كانون الثاني ١٣٩٨ / ١٩٧٨ في مقال للدكتور
عبد العزيز الدور .

- ٢- انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث ص ٤٧
- ٣- انظر فيما تقدم من . سياق هذا البحث ص ٤٨

أما مؤلفاته فيمكن تصنيفها في فئتين : الموجودة والمفقودة ، والموجودة تقسم
قسمين : المطبوعة والمخطوطة .

أ - المطبوعة :

١- كتاب الأمالي

ألف القالي كتابه هذا بأمر من الحكم المستنصر (١) وأطلاه على طالبه في قرطبة إذ يقول " فأملت هذا الكتاب من حفطي في الخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة " (٢) أما مادة الكتاب فقد حدها القالي في مقدمته بقوله : " وأودعته فنونا من الاخبار وضربا من الاشعار ، وأنواعا من الامثال ، وغرائب من اللغات ، على أنني لم أذكر فيه بابا من اللغة الا أشبهته ، ولا ضربا من الشعر الا اخترته ، ولا فنا من الخبر الا انتحلته ولا نوعا من المعاني والمثل الا استجدتسه ، ثم لم أخله من غريب القرآن ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، على أنني أوردت فيه من الابدال ما لم يورده أحد ، وفسرت فيه من الاتباع ما لم يفسره بشر " (٣) واعتد القالي في كتابه هذا على مصادر لغوية مختلفة منها : الرواية عن شيوخه (٤) والأخذ عن الكتب المصنفة (٥) .

١- الأمالي ٣ / ١

٢ - الأمالي ٣ / ١ .

٣ - الأمالي ٣ / ١ .

٤ - ينقل عن جلة شيوخه الذين مر ذكرهم .

٥ - وأهم الكتب التي أخذ عنها " كتاب الأبواب ، وكتاب الصفات للاصمعي (الأمالي

١ / ٢٤٦ ، ٢ / ١١٣) وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد بن سلام (أنظر الأمالي

٢ / ٢٨) وكتاب المتناهي في اللغة وكتاب النوادر لأبي بكر بن دريد (الأمالي

٢ / ٤٤ ، ٢ / ٢٧٩) وكتاب النوادر لابن الاعرابي (الأمالي ٢ / ١٠٢) وكتاب

المناقب وكتاب المعاني الكبير ليعقوب بن السكيت (الأمالي ٢ / ١١٦ ، ٢ / ٢٧٩)

وكتاب المقصور والمدود للقالي نفسه (الأمالي ٢ / ١٧٦) وكتاب سيبويه (الأمالي

٢ / ٢١٦) وكتاب لأبي بكر ابن الأنباري (الأمالي ٢ / ٢٧٩) ولأبي بكر هذا

مصنفات كثيرة ، ولعله كتاب الزاهر أو الأمالي انظر طبقات النحاة واللغويين لابن

قاضي شهبه ص ٢٣٥ .

وهو يحرض دائما على ذكر سلسلة روايته ، والعلماء الذين أخذ عنهم أو نقل عن مؤلفاتهم (١) وأحيانا يحيل السند الى السلسلة التي ذكرها من قبل . (٢) والكتاب يغلب عليه الطابع الادبي العام ، ومنهج التيار الثقافي اللغوي المشرقي . ان اعتمد فيه صاحبه على الاخبار والأشعار والروايات المشرقية - وكان للبصريين نصيب كبير منه - ولم يذكر فيه خبراً أو شعراً لأي أندلسي على الرغم من أنه صنفه في قرطبة . ولأشهر حكامها ، الحكم المستنصر الذي عُرف بفضله وعلمه وشغفه بالتراث الأدبي . دأب القالي في كتابه هذا على شرح بعض المفردات النحوية ، والاكتار من الشواهد الشعرية ومعتبر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وذكر مرادفات بعض الألفاظ التي يشرحها (٣) ويكثر من ذكر اللهجات العربية (٤) ، ويمتني بذكر مبادئ الأفعال وأوزانها أحيانا . (٥) ودارس الكتاب يدرك أن القالي التزم بالخطاة التي رسمها لنفسه في مقدمة الكتاب ؛ من ذكر الاخبار ، وغروب من الأشعار والأمثال ، وفرائب من اللغات ، وبعض غريب القرآن والحديث ، والابدال والاتباع . ومن الانصاف القول ان شخصية القالي العلمية والأدبية لا تدوب في شخصية شيوخه والمؤلفات التي أخذ عنها ، بل تظهر أحيانا ، فيرجح قولاً على آخر ، ويخالف وجهة نظر شيوخه أحيانا آخرين . (٦)

١ - الأمالى ١٠ / ١

٢ - الأمالى ١٠ / ١

٣ - الأمالى ١٧١ / ١

٤ - الأمالى ١٩ / ١ - ٢٠ ، ٢٤١ / ٢

٥ - الأمالى ٩ / ١ ، ٢١ / ١

٦ - الأمالى ٢٨١ / ١

أما قيمة الكتاب الأدبية فقد أدركها السابقون والمحدثون ، فقال فيه أبو بكر الزبيدي :
 " وهذا الكتاب غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب " (١) وهو مبارك لكتاب الكامل
 بل أكثر منه لذة وشعرا (٢) . وقال فيه ابن خير : " وهو كتاب حسن يشتمل على
 أنواع من العلم لا نظير له في معناه " (٣) وانساب مادة الكتاب في الفكر الاندلسي
 على يد عدد كبير من تلاميذ التالي ، فقد ذكر ابن خير عددا كبيرا من العلماء
 الاندلسيين الذين رووه ودرسوه . (٤)
 ولما كان الكتاب يميل الى مذهب البصريين ، فقد أدى الاهتمام به الى انتشار
 المذهب البصري بين اوساط علماء قرطبة ودارسيها .
 وهي الاهتمام تمام بالكتاب ومادته اشارة دالة على قيمته ، ومن عصور هذا الاهتمام :
 اختصاره وشرحه في القديم (٥) ، واتصلت العناية بالأدب الى يومنا هذا ، فقد
 وضع بعض المحدثين عليه شرحا لم ينشره (٦) .

-
- ١ - طبقات الزبيدي ص ٢٠٢ ، انظر انباء الرواة ١/٢٠٦ .
 ٢ - انظر جذوة المقتبس ص ١٥٦ ، هنية الملتصق ص ٢٣٣ .
 ٣ - فهرسة ابن خير ص ٣٢٥ .
 ٤ - فهرسة ابن خير ص ٣٢٣ - ٣٢٥ ومن رواه : أبو بكر الزبيدي ، وأبو عمر أحمد
 ابن الحباب ، وحكم بن منذر بن سعيد ، وأبو القاسم أحمد بن أبان ، وأبو
 الفليلي وغيرهم .
 ٥ - قام الكمال أبو العباس أحمد الشريشي (ت ١١٦١ هـ) باختصاره . انظر نفع
 الطيب ١١٥/٢ تحقيق احسان عباس .
 ٦ - وهو محمد عبد المنعم خفاجه قال : " والتعليقات التي نشر بها الكتاب (الأدبي)
 في طبعته قليلة وان كانت قيمة ، ولدني شرح واسع مستفيض نخدم للكتاب يقسح
 في ستة اجزاء كبار ، حجم كل جزء لا يقل عن خمسمائة صفحة ، الا انني حتى اليوم
 لم أحاول نشر هذا الكتاب النضج لما يتكلفه من أعباء مالية كثيرة " انظر قصة الادب
 الاندلسي ص ٤٠٧ .

وقال فيه محققه : " ان كتاب الأمالى هو من أمهات كتب الأدب العربي المعدودة ،
طالما نجد من أئمة اللغة والأدب يثابرون في كتبهم من درره ، ويغترفون من بحره (١)
ولما كان الكمال لله وحده ، والعمل الانساني لا يخلو من العيب والنقص ، فقد قام
أبو عبيد البكري بتعقيب بعض السقطات والبهنات عند القالي في أماليه ، وصنف فيها
كتاباً سماه " التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه " . (٢) وهي مأخذ لا تحصى .
من سمعة أبي علي ، وعلو مرتبته ، ولا تنزع من سمة علمه وحفظه للأدب والعربية
ووثوق روايته .

وخلاصة القول ان ميل القالي للبصريين في أماليه ، بكثرة الرواية عنهم ، والأخذ
عن مؤلفاتهم ، واقتصار مادته على المادة الادبية المشرقية ، وكثرة روايته من الاندلسيين
أذن الى انتشار المذهب البصرى في اللغة والنحو ، بين اوساط علماء قرطبة ودارسيها .
وغلبيتته على المذهب الكوفي في هذه المرحلة من مراحل التطور النحوى واللغوى في
الاندلس .

٢- البارع في اللغة

ألف القالي كتابه هذا بأمر من الحكم المستنصر^(٣) واستغرق تأليفه مدة ستة عشر عاماً ،
فقد بدأ العمل به في " رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، ثم قطاعته علل واشتغال ،
ثم عاود النظر فيه بأمر أمير المؤمنين (الحكم) وتأكيده عليه ، فعمل فيه من سنة تسع
وأربعين وثلاثمائة فأخذه بجد واجتهاد ، وكمل له ، وابتدأ بنقله فكمل لنفسه السى
شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة : كتاب الهمز ، وكتاب الهاء ، وكتاب العين ،
ثم اعتل في هذا الشهر " (٤)

١- مقدمة الأمالى (س)

٢ - انظر التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه للبكري في صفحات متفرقة ، ١٦ ، ١٧ ،
١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣١ ، ومن هذه السقطات ما كان خطأ في الرواية ، او
في المعنى اللغوى ، او خطأ تحفيظاً ، او منهجياً او اعرابياً .

٣ - انباه الرواة ١/ ٢٠٩

٤ - انباه الرواة ١/ ٢٠٩ .

ومات قبل أن ينقحه ، فاستخرج بعده من المكوك والرقاع ، وقام وراقه محمد بن الحسين الفهرري يماونه محمد بن معمر الجباني في نسخ كتاب البار ومراجعته . (١) وما وصلنا من البار قليل من كثير ، فكل ما وصلنا منه (١٤٨) صفحة منه نسختان إحداها في المكتبة الأهلية بباريس ، والاخرى في المتحف البريطاني تحت رقم ٩٨١١ شرقيات ، وقد قام (فلتن Fullen) بتصوير نسخة المتحف البريطاني ولدى الجامعة الأردنية نسختان منها ، وهما بخط أندلسي تحتاج قراءتهما الى صبر وتأمل . وقام أحد الدارسين حديثا بتحقيق هذه الصورة . (٢) وتفيد الروايات القديمة أن حجم البار كبير " يشتمل على خمسة آلاف ورقة " (٣) وقيل : عدد ورقه ست وأربعون وأربعمائة وأربعة آلاف ورقة (٤) ، وقيل يحتوى على مئة مجلد . (٥)

وأبواب البار ستة هي بالترتيب : الثنائي المضاعف (الثنائي في الخط الثلاثي في الحقيقة) (٦) أبواب الثلاثي السحيج (٧) ، أبواب الثلاثي المعطل (٨) ، أبواب الحواشي أو الأوشاب (٩) ، أبواب الرباعي والخماسي (١٠) ، وقد ملأ القالي أبوابه هذه بالتقاليب ، فتجده يوضع بعد كل صيغة فعل ، كلمة (ومقلوبه) ، مما أتاح له استقصاء اللفظ الواحد على غير وجه حسب تقاليب حروفه . ونرى القالي كتابه على حروف المعجم ، ورتبه حسب مخارج الحروف على النحو التالي :-

- ١- فهرسة ابن خبير من ٣٥٤ - ٣٥٥ .
- ٢- قام عايشم الطامان بتحقيق البار في اللغة للقالي ، وقد مرر رسالة ماجستير في جامعة بغداد .
- ٣- باقيات الزبيدي من ٢٠٤ وانظر نفح الطيب ٣ / ٧٤ - ٧٥ تحقيق احسان عباس .
- ٤- فهرسة ابن خبير من ٣٥٤ - ٣٥٥ .
- ٥- معجم الادباء ٢٩ / ٧ .
- ٦- البار من ١٠٨ .
- ٧- البار من ٤٢ .
- ٨- البار من ١ .
- ٩- البار من ٧٦ قال القالي : " انما سميناه اوشابا لاننا جمعنا فيه الحكايات والجزر بالصوات والمنقوسات ، وما اعط عينه ولا مه أو فاؤه ولا مه أو فاؤه وعينه أو كان فاؤه ولا مه أو فاؤه وعينه أو لا مه وعينه بلفظ واحد " البار من ٧٦ .
- ١٠- البار من ٢٨ .

هـ ، ع ، غ ، ق ، ك ، غي ، ج ، ش ، ل ، ر ، ن ، ط ، ذ ، ت ،
ص ، ز ، س ، ظ ، ذ ، ث ، ف ، ب ، م ، و ، ا ، ي ، ء .
وليس لدينا أن شاهد مخطوطاً عن وضع الهمزة غير أننا وضعناها مع حروف العلة
لأنه جعل الهموز مع المعتل .

والملاحظ أن حرفي : ح ، خ ، لم يردا فيما وصل اليها من البارع واقتصرنا فقلنا (
أن الحاء بين الهاء والميم ، والحاء بين النين والقاف . وقال بصدور ذلك : "
ولا تبين لنا نسخة المتحف البريطاني ، ولا نسخة باريس من كتاب القالي الوضع
الصحيح للحرفين الساكنين ح ، خ ، والوضع الذي نسبناه لهما هنا افتراضي ،
ومن المحتمل صحة " (١) ويرى الدكتور حسين نصار أن (فلتن) استند في افتراضه
هذا " إلى ترتيب الخليل وسيبويه لوجود بعض الشبه بين الاوضاع الثلاثة " . (٢)
ولا شك أن الدارس يجد صعوبة في البحث عن اللفظ ومعناه في إطار هذا النظام
المسير القائم على المخارج والأبنية والتقاليد ، وهو ما شكنا منه ابن دريد فـ في
جمهرته (٣) ، والسيوطي في مزهره (٤) ، عندما تحدثا عن منهج العين للخليل .
والقالي في بارعه أمين في نقل المادة اللغوية ، حريص على نسبتها إلى أصحابها (٥) ،
مهتم بضبط الكلمات حيث لا يأمن اللبس أو التصحيف ، أما عن طريق ضبط حركات
الحرف كتابة أو النسخ على الوزن (٦) . ومعني باللهجات العربية عناية فائقة (٧) ،
ومعتمد على كبار علماء اللغة من السابقين ، مما أدى إلى استتار شخصيته في
بارعه ، وهو يكثر من الاستشهاد بالشعر كثرة تدل على حبه للشعر وتعلقه برواته .

١- البارع ، مقدمة (فلتن) ص ٨٠

٢- المعجم العربي ص ٢٨٠

٣- الجمهرة ٣/١

٤- المزهر ٤٦/١

٥- والامثلة والشواهد في البارع كثيرة في صفحات متفرقة .

٦- البارع ص ١٠٦ ، ص ١١٢

٧- ومنها : اللهجات الكلابيين والتميميين - ص ٣ - ، وقيس ص ٤ ، ومعنى أسد ص ١٥

وأهل الحجاز ص ٢٠ ، والهدليين ص ٨٧ وغيرهم .

ونال كتاب البارع تقدير كثير من القدامى واعجابهم ، قال أبو بكر الزبيدي : " ولا نعلم أحدا من العلماء المتقدمين والمتأخرين ، ألف نظيره في الإحاطة والاستيعاب " . (١)
وقال ابن حزم : " كان يحتون على لغة العرب " (٢) .

إو وضل الكتاب إلينا كاملا لا استفدنا منه كثيرا . ولعل القالي كان يرمي في بارعه إلى إتاحة الفرصة للاندلسيين ، ليسهموا في حركة المصاحم التي ظهرت في المشرق وأخذت تيارها في التدفق حتى رأى القرن الرابع عددا منها (٣) فهذا الوافد المشرقي على الاندلس كان يريد أن ينقل معارف المشاركة إلى تلاميذه في الاندلس فألف لهم هذا الكتاب في اللغة .

ب - المخطوطة

كتاب المقصور والمدود (٤)

كان قد ألفه للحكم المستنصر بالله ، إذ يقول : " فكان مما بعثني عليه ، وأمرني به (الحكم المستنصر) تأليف هذا الكتاب " (٥) . وقد بنى القالي كتابه هذا " على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق ، مستقصى في بابه لا يشذ عنه شيء في معناه ، لم يوضع له نظير " (٦) . والكتاب يقع في عشرة أجزاء (٧) وتبلغت صفحات مخطوطة في دار الكتب المصرية مائة وثماني وثلاثين صفحة من الحجم الكبير .

١ - طبقات الزبيدي ج ٢ - ٢٠٤ - ٢٠٥ .

٢ - جذوة المقتبس ج ١٥٦ .

٣ - انظر فيما تقدم من يسيان هذا البحث

٤ - لا يزال الكتاب مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٥٦٣ لغة . نسخه محمود حمدان على نفقة دار الكتب المصرية ونسخة الاصل في دار الكتب المصرية برقم ١٨٤ لغة ، وقد انتهى من نسخها يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع اول عام ١٥٥٦ هـ . وقد حصلت على نسخة مصورة عن المخطوطة الأم .

٥ - المقصور والمدود ج ٣ .

٦ - طبقات الزبيدي ج ٢٠٣ . وانظر ما قاله صاحب نفح الطيب ٢٤ / ٣ تحقيق احسان عباس

٧ - فهرسة ابن خبير ج ٣٥٣ .

ويظهر أن الكتاب أسبق من الأماي في التأليف ، فقد نقل عنه في أماليه ، وذكره في غير موضع . (١)

أما قيمة الكتاب فقد وصفها مؤلفه في مقدمته بقوله : " لا يستغني عنه العالم المبرز ، ولا الأديب المتقدم ، ولا الكاتب المرسل ، ولا الخطيب المصقع ، ولا الشاعر المثلق " (٢) . وعرف تلاميذ القالي أهميته لهم ، فأقبلوا على قراءته وفهمه ، ونقله عن مؤلفه مباشرة وروايته في حلقات العلم ، قال القفطي : " شهود على كتاب المقصور والمدود للتالي بخل القالي : قرأ جميع المدود والمقصود محمد بن إبراهيم بن معاوية القرشي ومحمد بن أبان بن سيد ، وعبد الوهاب بن أصبغ ، ومحمد بن حسن الزبيدي - أعزهم الله - وأعانوا بانتساخه ونقله من طوابع تخريجي له ، وقابلوا به كتبهم وكثير من تعاليق هذا الكتاب مخرج بخط القرشي منهم . ومتن هذا الديوان بخط عبد الوهاب بن أصبغ منهم . وسمعه سائر أصحابه بقراءة القرشي له علي ، وسمعه خاصة بقراءته لهم . جعله الله علما نافعا مقربا منه " . (٣) وأحمى ابن خير سند رواية الكتاب (٤) ، وهي سلسلة تدل على الاهتمام الكبير بهذا الكتاب .

بدأ القالي كتابه بمقدمة طويلة ، بدأها بالحمد والثناء على الله والملائكة على نبيه وتمجيد الناصر وابنه المستنصر ، وحبهما للعلم ، وإكرامهما للعلماء ، يقول : " أما بعد حمد الله والثناء عليه والملائكة على رسوله - على الله عليه وسلم - فاني لم أزل بالعلم غنيئا وعلى إذاعته شحيحا . . . أن ابته في غير أهله وميانه له أن اودعه غير مستحقه مدة أيامي بالمشرق ومقامي بعراقها ، لانه لم يكن أحد من ولد العباس للعلم طالبا ، ولا في الأدب راغبا ، ولا لأهله مشرفا . . . وكنت الأدب . . . عن من لا يعرف قدره ، ومكنت العلم تعظيما له عن من يجهل حقه ، اذ هو وأنفس الاعلاق عند أولي النهى ، وأفضل الذخاير عند ذوي الحجى

١ - انظر الأماي ١٧٦/٢ .

٢ - المقصور والمدود ص ٣ .

٣ - انباء الرواة ٦٤/٣ .

٤ - فهرسة ابن خير ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

وأسنى ما يكتسبه ذو سناء ، عند كل شخص كمل له ، ورجح حلسه ، وصفا ذبحه . . . (١)

ولعل في قول القالي هذا مبالغة وظلما لبني العباس في هذا المجال وربما كان قومه بذلك ارضاء خلفاء بني امية في الاندلس ومجا طبتهم في هذا الشأن .

ثم يخلص بعد ذلك الى ذكر خطاته في تأليف كتابه ، قائلا : " فوجب أن نمنفه على الامثلة ، أو نولفه على حروف المعجم على ما رسم الحكم - ايده الله - ، ولا يعتمد في ذلك الا على أوائل الكلم ، دون حشوها وأواسطها ، ليكون الادييب والمتأدب والعالم والمتعلم ، اذا أراد طلب كلمة طلبها بمثالها على النسق الذي يأتيه في أول هذا الكتاب ، أو بأول حرف في الكلمة على ما نرتبه في صدر هذا الديوان ، ورأينا أن نذكر أولا ما يعرف من المقصور بالقياس ، ثم نتبعه بثنية المقصور بأن نبدي من الامثلة بالثلاثي ، لأن عليه جمهور الكلام ، والمفتوحة الأوائل لان الفتحة أخف الحركات ، ان لا يتكلف المتكلم بها الا فتح الفم الذي لا بد للناطق منه ، دون استعمال غيره لانها أكثر ، ثم بما حركات أوائلها الكسرات ، لأن الكسرة أخف من النجمة في الثقل ، ان يستعمل فيها عضو واحد ، ثم بما حركات أوائلها النجمات لان النجمة أثقل الحركات ، ان يستعمل فيها عنوان ، وانما عملنا هذا ليكون ابتداء للقارى بالخفيف الذي لا كلفة عليه فيه ثم بما فيه شي من الثقل ، ثم بالثقل وأن نبين ما كان منها اسما لا غير ، وما كان اسما وصفة . . . " (٢) .

أما من حيث ترتيب الكلم ، فاتبع فيها الترتيب الصوتي ، ان يقول : " وأن نستأنف باقصى الحروف مخرجا ، ثم الذي يليه ، ثم الذي يليه على تدرج المخارج السببية أن ننتهي الى الهمزة ، فأقصاها الهمزة ، ثم الهاء ، ثم العين ، ثم الحاء ، ثم الغين ، ثم الخاء ، ثم القاف ، ثم الكاف ، ثم الصاد ، ثم الجيم ، ثم الشين ، ثم اليا ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم النون ، ثم الطاء ، ثم الدال ، ثم التاء ، ثم الصاد ، ثم الزاي ، ثم السين ، ثم الطاء ، ثم الدال ، ثم التاء ، ثم الباء ، ثم الميم ، ثم الواو . ولم نذكر الألف لانه لا تكون كلمة أولها ألف ، من أجل أنه لا يمكن الابتداء بالساكن لاعتياصه على الناطق " . (٣)

١ - المقصور والممدود عن ٢

٢ - المقصور والممدود عن ٣

٣ - المقصور والممدود عن ٥ وهو ترتيب سيبويه .

ويقول أينما : " فاذا ذكرنا حرفاً أوله حمزة على مثال من الأمثلة ثم أتبعناه بما أوله حاء على ذلك المثال ، أو ذكرنا ما أوله خاء ، ثم أتبعناه ما أوله جيم ، فذلك لأنه لم يأت من ذلك المثال ، ما أوله حرف من الحروف التي هي بين ما ذكرناه ، وبين ما تجاوزنا إليه ، أو أتى من بعضه حرف أو حرفان شاذ نادر ، لم يشتمل عليه جمعنا فعذرنا فيه بئس . لأن الاحاطة من أفعال الباري لا من أفعال البرية . وأن نذكر بعد الفراغ ما وصفناه المقصور المهموز ، ثم ما يمد ويقصر . فاذا ذكرنا حرفاً من طريق القياس على مذاهب البصريين ، ثم كررناه على مذاهب الكوفيين ، على ما ذكر شيخنا أبو بكر الأنباري ، وكان أعلم من رأيانه منهم ، فانبأ ذلك ليفرن بين المذهبين ، ويُعلم سبيل الفريقين ، وكيف يتناول منهم حجة ، ويورد علته " (١) . والتزم القالي بخطاته ، وقسم كتابه قسمين ، تحدث في الأول عن المقصور حسبي صفحة (٧٤) ومن أمثلة تناوله للمادة قوله : " وأعلم أن المقصور الذي على ثلاثة أحرف له ثلاثة أمثلة : فَعَل مثل قَتَفَا وَعَصَا ، نظيره ما من الصحيح عَمَل وشبهه ، وفَعَلَ مثل رَمَى وَجِمَى ، نظيره ما من الصحيح شَقَلَ وشبهه ، وفَعَلَ مثل هَدَنَ وَلَقِيَ ، نظيره ما من الصحيح جُرِنَ وعُزِدَ . وأعلم أن الألف في المقصور الذي على ثلاثة أحرف بدل وليست بزيادة كزيادة ألف حبلى وأعلم أنك إذا شئت المقصور الذي هو من بنات الواو أظهرت الواو في التثنية لأنك إذا حركت آخر الحرف للتثنية فلا بد من ياء أو واو . فالذي هو الأصل أولس ، فإن كان المقصور من بنات الواو أظهرت الواو ، مثل : قَتَفَا ، لأنه من قَفَوْتُ الرجل ، وعَصَا ، لأنك تقول : عَمَوْتُ ، فنقول : قَفَوَان ؟ وعَصَوَان ؟ ولا تميل ألفهما . وليس شي من بنات الياء ، إلا يجوز فيه إمالة الألف " (٢) .

١- المقصور والممدود غ ٥

٢- المقصور والممدود غ ٦ .

ويتخذ ث في القسم الثاني من كتابه هذا عن الممدود ، قائلا : ((اعلم أن الممدود خمسة وأربعين مثالا ، منها خمسة وثلاثون أسماء ، وتسعة أسماء وصفات ، وواحد صفة سوى أمثلة المصادر)) (١) . ويستمر القالي في ذكر الأمثلة والأوزان يتخللها أحيانا بعض الشواهد والنوادر حتى أواخر صفحة (٨١) إذ يقول : ((هذا باب ما يعرف من الممدود بالقياس (٢) . ويقول أيضا : ((اعلم أن من الممدود أشياء تعلم بالقياس ، وذلك أن تقع الياء والواو بعد الألف في مصدر استَقَمَلْتُ ، وأَفْعَلْتُ ، وأَفْعَلَيْتُ ، وذلك أنك إذا جئت بمصدر استستيت وهو استفعلت ، قلت : استسقا ، فتقع الياء بعد الألف في المصدر ، كما تقع الياء بعد الألف في الصحيح في مصدر استخرجت إذا قلت : (استخرج) ، وكذلك إذا جئت بمصدر اشتريت ، وهو افتعلت ، قلت : (اشترا))) (٣) . وهكذا يعمد في كلامه حتى يصل إلى صفحة (٨٢) حيث يذكر : (هذا باب تثنية الممدود)) ثم يقول فيه : (اعلم أن كل منصرف من الممدود عند أصابنا فتثنيته بالألف والنون في حالة الرفع ، وبالياء والنون في حالة النصب والجزم ، بمنزلة ما آخره غير محتل من غير الممدود ، وذلك قولك : رداه ، وكساه ، ولباه ، فهذا الأيوه والأكثر في كلام العرب . وناس كثير من العرب يقولون : لباهان وحرباهان ، شبهوها ودعوها بالممدود الذي لا ينصرف نحو حمراء وصفراء ، لما كان وزنه كوزنه ، وكان آخره زائدا كما أن آخر حمراء زائد)) (٤) .

(١) المقصور والممدود ص ٧٩

(٢) المقصور والممدود ص ٨١

(٣) المقصور والممدود ص ٨٢

(٤) المقصور والممدود ص ٨٢

ويذكر القالي بعض النوادر في أخريات كتابه قائلا : " وهذه أحرف نوادر سمعتها من أبي بكر بن دريد خاصة ، على أمثلة شتى ، وهي شاذة ، فلذلك لم أدخلها فسي تناعيف الكتاب ، وأحرف ذكرها صاحب كتاب العين لم نروها ، فأتينا بها مع هذه الشواذ ، وعزوناها إلى كتاب العين . . . ولتوقينا هذه المواضع لم نودع أبواب الكتاب هذه الحروف . وتحرينا فيه باتيان المشهور الذي لا يشك في صحته ، ونسأل الله عصمة من الزيغ ، وتوفيقا للأبواب ، وهذا آخر ما تأدى إلينا مما اشتغل عليه ذكرنا ، ويجب وزأن يكون جمعنا اشتغل على أكثر من هذا ، لكن أحبنا بما جمعناه في أماكن شتى ، فعدرنا وأخرج أن شاء الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما " . (١) والحق بالكتاب قعيدة لابي علي القالي يمدح بها أمير المؤمنين الناصر ، بلذنت خمسا وثمانين بيتا . (٢)

وبلاحظ الدارس خدائس منهج القالي في كتابه هذا منذ البداية في مقدمته ، وصفوة القول فيه : أنه يذكر المقصور وما يتعلق به (٣) ، ثم يعرض للممدود وما يتصل به (٤) ، وربما تخلل ذلك كله بعض المزج بينهما ، والتزم في كل منهما بذكر الأبواب والأوزان والأمثلة ، وطريقة كتابتها بالألف أو الياء (٥) ، والعلّة في تغيير رسمها في الخط من الياء إلى الألف (٦) .

-
- ١ - المقصور والممدود ص ١٣٦ .
 - ٢ - المقصور والممدود ص ١٣٦ - ١٣٨ .
 - ٣ - المقصور والممدود ص ٣ - ٧٦ .
 - ٤ - المقصور والممدود ص ٧٦ - ١٣٦ .
 - ٥ - المقصور والممدود ص ١٦ يقول : " وكل ما كان على مثال فُعْلَه وفِعْلَه من ذوات الياء والواو ، فجمعهم مقصور كقولك زُبَيَّة وزُبَى وهي حفرة تحتفر للأسد فيصاها بها . . . ورُسُوَّة ورُسَى ، وتكتب هذه الأحرف بالياء " .
 - ٦ - المقصور والممدود ص ١٣ ومنه : " والحبّا : النخيل والخشب ، مقصور يكتب بالألف وهو من الياء ، كراهية الجمع بين يا أين في الخط . . . " .

وينتقل إلى ذكر ثنيتته (١) ، ويتم بفكرة التماس في كليهما (٢) ويذكر أقوال البصريين والكوفيين ، وأسماء من اعتمد عليهم (٣) واستقى مادة كتابه منهم سواء أكانوا مفسرين شيوخه أم غيرهم ،

١- المقصور والممدود : ٨٢ - ٨٣ ومنه : " وإذا ثنيت الممدود الذي مدته اصلية تركتها في التثنية على حالها ، فقلت في ثنية فضاء ، فضاءان . . . وإذا ثنيت الممدود الذي مدته غير اصلية ابدلت منها واوا فقلت في ثنية حمراء ، حمراوان وفي جمعها حمراوات على هذا أكثر كلام العرب ، فان قال قائل : لم جعلت الحرب الهمزة المجهولة واوا قيل له : زعم الفراء أن العرب تجعل الواو بدلا من كل ألف مجهولة فيقولون : نارية ونسوارب فيجعلون الواو في غوارب بدلا من ألف في نارية . . . ومن الحرب من يبدل من المدة الاصلية ياء في التثنية فيقول في ثنية الرداء ، ردأيان . . . والحجة لهم في ذلك أن العرب تبدل من الهمزة ياء فيقولون في قرأت قرئت . . . ومنهم من يشبه المدة الاصلية بالمجهولة فيقولون في ثنية الرداء ، رداوان . . . ومنهم من يشبه الهمزة المجهولة بالاصلية فيقول في ثنية حمراء ، حمراوان . . . ومنهم من يبدل الهمزة المجهولة ياء فيقول في ثنية حمراء ، حمرايان . . . " ٨٢ - ٨٣ .

٢ - ومنه " هذا باب ما جاء من المقصور على مثال فعلى من الاسماء والصفات ، والصفات في هذا الباب تكثر وتنقاس " . ٣٥ ويقول مثلا : " وهذا صحيح في القياس " ١٢ " وهذا صحيح الاشتقاق والقياس " . ٣٥ وغير ذلك كثير في صفحات متفرقة من الكتاب .

٣ = ومنهم : الأحممي ، وأبو زيد الانصاري ، وأبو بكر الانباري ، وابن الاعرابي وأبو عبيدة ، وأبو حاتم السجستاني ، وابن السكيت ، والنضر بن شميل ، وأبو عمرو بن العلاء ، وسيبويه ، والفراء ، والكسائي والرياشي ، وعلي بن سليمان الأخفش ، والمبرد ، وشعيب وغيرهم .

كما أنه يذكر أحيانا بعض المصنفات التي أخذ عنها كتاب العيين للخليل والجمهرة لابن دريد ، وهو قليل ، ويكثر من الاستشهاد بالشعر لشعراء متعددين — والأيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال . ويذكر اشتقاق اللفظة أحيانا ، ويصطفيها عن طريق الوزن أو النص على حركة حروفها . واختلاف اللغويين فسي ذلك . (١) وإذا كانت اللفظة شاذة ونادرة أهميتها . (٢) وإذا كانت اللفظة أعجمية أشار إليها . (٣)

١- ومنه " قال ابن الاعرابي : حُفِي يحْفِي حَفَى والقول الأول أصح في الاشتقاق " ص ١٤ .

وقوله : " دني على فميل ، وداني على فاعل وهو الخبيث الفرج ، الماجن من قوم أدنياً على مثال أفعلاء . . . " ص ٢٦ . وقوله : " قال الفراء : الوري : داء يصيب الرجل والبصير في أجوافها ، مقصور يكتب بالياء . . . وكان أبو عمرو الشيباني والأصمعي يقولان : لا نعرف الوري من الداء بفتح الراء ، وإنما هو الوري بتشكين الراء ، من وراه الداء يريه وريا . . . " ص ٣٤ .

٢- ومنه : " أرْبَعاء ، ونادر ، حكاية اللحياني ، وقد ذكر ابن الاعرابي أفعلاء بفتح العيين فقال يقال مشت الارب الأربعاء ، بفتح الباء . . . وهذا أندر وأكثر شذوذاً مما ذكره اللحياني ، فلذلك أهملناه " ص ٨٠ .

٣- ومنه : " وأما فَعْلِيلِيَاءُ مثل فَرَفِينِيَاءَ - وهي مدينة بين الحراق وديار مصر فأعجمي ليس من أمثلة العرب " ص ٨١ .

وقد يعرّف الى بعض القنمايا النحوية اذا دعت الحاجة الى ذلك . (١)
وللقالي شخصيه العلميه في كتابه هذا ، فلا تدوب في شخصيه شيوعه ، بل
نراه يرجح قولاً على آخر ، بمثل قوله " وه عندى الصحيح " (٢) .
وبالتالي فقد بث القالي كثيراً من آراء البصريين والكوفيين اللغويه في قديمه الاسماء
والصفات الممدودة والمقصورة في اللغة العربيه في الثقافة اللغويه الاندلسيه
من خلال هذا الكتاب .

١ - ومنه في البدل ، قال : " قال سيويه في بدل البعير من الكل : خلق الله الزرافة
يديها أول من رجليها " . ص ٤٢ .
ومنه في الجمع : " ابن آوى ، قال أبو حاتم : وللاثنين ابنا آوى ، ولجميع بنات آوى
ويجمعون كل جماعة من غير الانس على بنات ، كما قالوا بنات نعش لهذه الكواكب التي
في وسط السماء ، ولم يقولوا بنو نعش ، فان اضطار شاعر قاله مستكرها . . وكل جمع من
غير الانس والجن والشياطين ، والملائكة ، فيقال فيه : بنات " ص ٤٧ .
ومنه في القلب : " أدأوى جمع إداوة ، وهي فمالة وفمايل ، مثل رسالة ورسايل ،
وذلك أنك لما جمعتها همزت الألف التي كانت في الواحد ، كما فعلت ذلك في رسايل ،
وقلبت الواوياء لانكسار ما قبلها ، فصارت أدأوى على مثال أدأعي ، ثم فتحت الهمزة
لتخف ، فلما انفتحت ، قلبت الياء ألفاً لانفتاح ما قبلها . . . فصارت أدأوى ، على
مثال أدأعي ، فلما وقعت الهمزة بين العين واللام . . . صارت كأنها ثلاث ألفات
متواليات أو همزتان متواليتان ، فأبدلت منها واو لأن الواو الذي كان فيه في الافراد
كان في هذا الموضع ، فصارت أدأوى ، وانما ذكرنا هذا الشرح لئلا يجهل علينا من
لم ينتشف في النحو فينسبنا الى الخطأ عن غير علم ، ويثبت أن أدأوى وما أشبهها
فمالي " ص ٤٢ .

٢ - ومنه : " والوأي : الطويل من الخيل والوأي : حمار الوحش . . . وسمعت أبا
بكر بن دريد يقول : الرأى : الصليب الشديد ، وهو عندى الصحيح ، لان الحمار انما
سمي رأى لشدة وملايته . . " ص ٣٤ . ومنه ايضاً : " وقال بعض اللغويين كـ فـر
النبات اذا كثر ، قال أبو علي : والصواب عندنا ما قال الأصمعي ، لان سيويه قال :
دقرن اسم ، وكان أبو بكر بن دريد يقول مثل قول الأصمعي " ص ٤١ .

المفقود

ذكرت المصادر عدة مؤلفات للقاللي لكنها نضاعت ولم تذكر لنا سبب نضاعها وفقدانها ، ومنها : كتاب فعلت وأفعلت (١) ، وكتاب الإبل وفتاحها وجميع أحوالها فسي خمسة أجزاء . (٢) وكتاب مقاتل الفرسان ، (٣) وسماء السيوطي " مقاتل العرب " (٤) وكتاب حلي الانسان ، (٥) وكتاب في تفسير القمائد المتعلقة وتفسير اعرابها ومعانيها (٦) وسماء ياقوت : " كتاب تفسير السبع الطوال " (٧) وشرح شعر معن بن أوس المزني . (٨) وكتاب الخيل وشمياتها (٩) . وكتاب افعل من كذا قال فيه ابن خنير : " كتاب افعل من كذا لا بي علي البغدادي ، حدثني به أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي - رحمه الله - عن الوزير أبي مروان عبد الملك بن سراج عن أبي سهل يونس بن أحمد الحراني عن أبي الحجاج يوسف بن فضالة النحوي عن أبي علي البغدادي مؤلفه " (١٠) . وهو كتاب في الامثال .

١- فهرسة ابن خنير ن ٣٥٢ ، طبقات الزبيدي ن ٢٠٣ ، رواه عنه أبو الحجاج يوسف بن فضالة النحوي ، ولعله ترسم خطي استأذنه الزجاج في هذا المؤلف ، قيل انه وعمله لا مير المؤمنين حتى - عمله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج وذكره صاحب كشف الظنون

١٤٤٧/٤٠

- ٢ - فهرسة ابن خنير ن ٣٥٥ ، كشف الظنون ١٣٨٣/٤٠
- ٣ - فهرسة ابن خنير ن ٣٥٥ ، طبقات الزبيدي ن ٢٠٣ ، كشف الظنون ١٧٧٨/٤٠
- ٤ - بغية الوعاة ن ١٩٨
- ٥ - فهرسة ابن خنير ن ٣٥٥ ، طبقات الزبيدي ن ٢٠٣
- ٦ - فهرسة ابن خنير ن ٣٥٥ ، طبقات الزبيدي ن ٢٠٣ ، كشف الظنون ١٧٤٠/٤٠
- ٧ - معجم الادباء ٢٩/٧
- ٨ - أبو علي القالي ن ١٤٥
- ٩ - فهرسة ابن خنير ن ٣٥٥ ، طبقات الزبيدي ن ٢٠٣
- ١٠ - فهرسة ابن خنير ن ٣٥٣

واختلف بعض الدارسين المحدثين الذين تناولوا القالي في نسبة الكتاب الى القالي فمنهم من أثبتته دون شك ومنهم من شك في نسبته للقالي ، ونسبه لحمزة الأصفهاني . (١) ويمكن اثباته للقالي لان ابن خير حريص على التدقيق والتحقيق لرواياته ، وأن سلسلة رواة الكتاب ممن يوثق بهم في حلقة الرواة عن القالي ، وربما يكون الكتاب الذي ذكره ابن خير ونسبه الى القالي غير النسخة المنسوبة للقالي في دار الكتب المصرية ، وربما تكون نسبة هذه النسخة للقالي خطأ وقع فيه النساخ ، ومصدره الخلط بين الكتابين : كتاب القالي والاصفهاني لشيبهما في المادة والموضوع ، فكلاهما يبحث في الأمثال ، وثقافة مؤلفيهما الثقافة المشرقية المتداخلة الاصول والمناهج . ويبقى هذا القول رأياً غير ملزم ، وقابلاً للتعديل والتصويب .

١- أكد . ألبير مطلق نسبة الكتاب للقالي دون ادنى شك (انظر الحركة اللغوية ص ٢٠٩) اما الدكتور هاشم ياغي والدكتور عبد الحميد عابدين فيريان ان الجزء المنسوب للقالي الموجود بدار الكتب المصرية انما هو من كتاب الأمثال لحمزة الأصفهاني معتمدين في ذلك على اختلاف مقدمته عن مقدمتي الأمالي والمقصود والممدود وترتيب حروفه يختلف عن منهج القالي وترتيبه . انظر (ابو علي القالي ص ١٥٢) .

تلاميذ القالبي

كانت مؤلفات القالبي ، معد صيته ، وثقة روايته ، وغزارة علمه ، وتواضعه ، وجمهرة المشاهير من شيوخه ، والثقة المطابقة التي منحها إياها الخليفة الحكم المستنصر ، من الأسباب التي أدت إلى كثرة تلاميذه كثرة تفصح عن مدى إسهامه في تنشيط الحركة الثقافية ، وتحريك المقول ، وترسيخ المنهج المشرقي عند الأندلسيين .

جلس القالبي في المسجد الجامع بقرطبة ، وأقبل عليه علماء الأندلس وناشئتها ، ينهلون من نبعه ، وينصرفون من بحره ، و "سمع الناس منه ، وقرأوا عليه كتب اللغة والأدب ، والأدب ، وعظمت استفادتهم منه " (١)

وأصبح تلاميذ القالبي بعده - وفي حياته - المرجح الذي يرجع إليه الأندلسيون في كثير من المسائل اللغوية والنحوية والأدبية عامة ، وعدّوهم الذابطين للناس لغتهم ومعشر أهل الإعراب واللغة والآداب . (٢)

واحتلوا مكانة عالية في نفوس أبناء الأندلس وحكامها . وصاروا أصحاب القول في تقويم بعض العلماء القاديين من المشرق ، إذ كان بعض الحكام يجمع بينهم وبين بعض المشائرة يتناظرون في مسائل من اللغة والنحو . (٣)

وزاد عدد تلاميذه حتى نيف على ثلاثة وثلاثين تلميذا . (٤) أصبحوا هم علماء النحو واللغة في القرن الرابع الهجري .

وسنكتفي في هذا الفصل بذكر أسمائهم ، ونفصل القول عنهم في الفصول القادمة .

١- تاريخ العلماء ٨٤ / ١

٢- جذوة المقتبس ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

٣- نفع الطيب ٧٧ / ٣ تحقيق احسان عباس .

٤- انظر مقدمة البارع ص ٣٩ - ٤٥ تحقيق هاشم الطعان .

- ومن أشهرهم : محمد بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت ٣٦٧) (١) .
 ومحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن معاوية القرشي المعروف بالمصنوع (ت ٣٧٣ هـ) (٢)
 وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي (ت ٣٧٧ هـ) (٣)
 وخلف بن سليمان بن عمرو بن الهزاز (ت ٣٧٨ هـ) (٤) . وأبو بكر محمد بن الحسن
 الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) (٥) . وأبو عبد الله محمد بن عاصم (ت ٣٨٢ هـ) (٦) .
 وأحمد بن ابان بن سيّد (ت ٣٨٢ هـ) (٧) . وأبو عبد الله محمد بن أفلح البجلي
 (ت ٣٨٥ هـ) (٨) . وأبو مروان عبيد الله بن فرج الطواطقي (ت ٣٨٦) (٩)
 وعبد الله بن شعيب بن أبي شمسيب (ت ٣٨٩ هـ) (١٠) . وأحمد بن سعيد
 ابن ابراهيم الهمداني (ت ٣٩٩ هـ) (١١) . وأحمد بن ربيع الأميحي (٣١٢ -
 ٣٩٩ وقيل ٤٠٠ هـ) (١٢) . ويوسف بن فضالة النحوي (١٣) .

-
- ١- تاريخ العلماء ٧٨/٢ - ٧٩ .
 - ٢- تاريخ العلماء ٨٧/٢ - ٨٨ .
 - ٣- الصلة ٤٧٧/٢ وقد رون عن الرباعي أيضا .
 - ٤- تاريخ العلماء ١٦٣/١ .
 - ٥- فهرسة ابن خير عن ٣٢٣ ٤٢٣ .
 - ٦- الصلة ٤٧٨/٢ ، وانظر خبره في جذوة المقتبس عن ٧٩ - ٨٠ .
 - ٧- الصلة ١٤/١ ، فهرسة ابن خير عن ٣١١ .
 - ٨- تاريخ العلماء ١٠١/٢ .
 - ٩- الصلة ٢٨٩/١ .
 - ١٠- تاريخ العلماء ٢٨٧/١ .
 - ١١- الصلة ١٩/١ - ٢٠ .
 - ١٢- الصلة ٢١/١ .
 - ١٣- الصلة ٦٧٦/٢ .

ومحمد بن الحسين الفهرى (١) ومحمد بن غراب الأزدي النحوي (٢) وإبراهيم
ابن عبدالرحمن التنسي (ت ٣٨٧ هـ) (٣) وأبو القاسم محمد بن أحمد بن معارك
العقيلي (ت ٤٠٠ هـ) (٤) وأبو عثمان سعيد بن عثمان بن أبي سعيد اللخوني
(ت ٤٠٠ هـ) (٥) وأبو عمر أحمد بن عبدالعزیز بن الفرج بن أبي الحباب
(ت ٤٠٠ هـ) (٦) وأبو نصر هارون بن موسى بن جندل (ت ٤٠١ هـ) (٧)
وعبدالوهاب بن أصبغ النحوي (٨) وعبدالله بن حسين بن إبراهيم بن عامر (ت ٤٠٣ هـ) (٩)
ويوسف بن هارون الرمادي الشاعر (ت ٤٠٣ هـ) (١٠) وحبيب بن أحمد بن محمد
المعروف بالشطجيري (١١) والقاضي أبو أيوب سلمان بن خلف عمرون ، المعروف بابن
نخيل (٣٣٤ - ٤٠٨ هـ) (١٢) وعبدالله بن الربيع بن عبدالله التميمي (ت ٤١٥ هـ) (١٣)
ومحمد بن عبدالله بن محمد (٣٣٠ - ٤٢٠ هـ) (١٤) .

١- التكملة ٣٧١/١

٢- التكملة ٣٧٧/١

٣- تاريخ العلماء ٢٨/١ ، فهرسة ابن خبير ٣٢٣ - ٣٢٥ .

٤- الصلة ٤٨٥/٢ .

٥- الصلة ٢٠٤/١

٦- الصلة ٢٥/١

٧- الصلة ٦٥٦/٢

٨- انباه الرواة ٢١٨/٢

٩- التكملة ٧٩١/٢ - ٧٩٢

١٠- الصلة ٦٧٤/٢

١١- الصلة ١٥٢/١

١٢- فهرسة ابن خبير ٣٤٠ ، ٣٧٢

١٣- معجم الادباء ٢١/٧

١٤- الصلة ٥١٧/٢ .

وأبو العاصم حكيم بن منذر بن سعيد البلوطي (ت. ٤٢٠ هـ) (١) وأبو عمر أحمد بن عبد القادر بن سعيد الأموي (ت. ٤٢٠ هـ) (٢) والحسن أيوب بن محمد الأنصاري ويمرّف بالحداد (ت. ٤٢٥ هـ) (٣). ويلاحظ من تراجم هؤلاء الأعلام أن القالي لم يكن وحده الذي نعى الدراسات اللغوية والنحوية بل شاركه بعض علماء الأندلس ومنهم الرياحي .

دوره النحوي

أما من حيث دور القالي النحوي فإن الباحث في كتبه التي وصلت إلينا يخرج بتقرير مسألة - ربما كانت صائبة - مؤداها أن نشاط القالي في التأليف يغلب عليه الطابع اللغوي المتأثر بالمنهج المشرقي في التحصيل ، والتنسيق . وأنه اهتم باللغة والأدب أكثر من النحو ، وأن وصفه بالعالم اللغوي أدق من وصفه بالعالم النحوي . غير أن الدارس يجابه بالروايات الخارجية - مما نقله أصحاب التراجم عن القالي - التي تؤكد اهتمامه بالنحو ، وأخذه عن كبار شيوخ النحويين بغداد . وملازمته لهم مدة تقارب ثلاثا وعشرين سنة ثم مدارسته النحوم مع تلاميذه في قرطبة .

قرأ القالي «على ابن درستويه كتاب سيبويه أجمع ، واستفسره جميعه ، وناظر فيه ، ودقق النظر ، وكتب عنه تفسيره ، وعلل الملة ، وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل مذهب البصريين على الكوفيين ، ونصر مذهب (سيبويه) على من خالفه من البصريين أيضا» (٤) . وقال فيه تلميذه الزبيدي : " وكان أحفظ أهل زمانه للغة وأرواهم للشعر الجاهلي ، وأحفظهم له ، وأعلمهم بعلم النحو على مذهب البصريين وأكثرهم تدقيقا فيه " (٥) .

١- فهرسة ابن خبير ص ٣٢٣ - ٣٢٥

٢ - الصلة ١/ ٤٤

٣ - الصلة ١/ ١٣٥ .

٤ - انباه الرواة ١/ ٢٠٥ ، وكان استاذة هذا " شديد الانتصار لمذهب البصريين في اللغة والنحو " انظر بنية الوعاة ص ٢٧٦ ، انباه الرواة ٢/ ١١٣ .

٥ - طبقات الزبيدي ص ٢٠٢ .

وتحتاج هذه الروايات الى ما يؤيدها ويؤكد صحتها ، ولم أجد في مؤلفاته التي وصلت اليها ما يؤكد مثل هذه الروايات ، فشرعت أبحث في بعض المؤلفات النحوية . التي دأبت على ذكر آراء النحاة في عرض المادة النحوية ، (١) فلم أعثر له على وجهة نظر نحوية أو ذكر له ، سوى إشارة عابرة في كتاب " الممتع في التصريف " لابن عصفور من قبيل الاستشهاد بشطربيت من الشعر نسبة الى رواية القالي في أماليه (٢) . وربما نستطيع التوفيق بين الروايات الخارجية ، والانتاج التأليفي للقالي بمدة أمور منها :

١ - أن انتاج القالي لم يحصل ^{بالتفصيل} كله ، بل ضاع قسم منه ، وخاصة كتابه الذي يتعلق بشرح السبع الطوال ، وتفسير اعرابها ، ولعله لو ^{وُجِدَ} لوجدنا فيه بعض جوانب نشاطه النحوي .

٢ - اعتماد القالي في تأليفه وعلمه على الرواية أكثر من الدراية ، وصرح هو بذلك حسب رواية ابن بسام - قائلا : " ان علي علم رواية ، وليس بعلم دراية " (٣) . وهو ما يلاحظه الدارس في مؤلفاته ، ان يجده يعرض بعض المسائل النحوية في حلقاته عن طريق الرواية عن شيوخه .

٣ - أن القالي لم يصنف كتابا نحويا متخصما أو مستقلا ، وربما لم يتفرد برأى نحوي خاص به ، يحفظ عنه ، ويتناقله النحاة بعده . ومن المحتمل أنهم تجاوزوا روايته المروية عن شيوخه ، ونسبوها الى اصحابها رأسا ، وخاصة اذا علمنا أن أغلب كتب شيوخه النحوية وغيرها كانت في متناول أيدي النحاة الاندلسيين ، ولعل هذا كله يجعلنا نقبل قول الزبيدي السابق في استناذه القالي أنه أعلم أهل زمانه " بعمل النحو على مذهب البصريين ، وأكثرهم تدقيقا فيه " (٤) . فربما كان يطرح القضايا النحوية في حلقاته ويأخذها عنه تلاميذه مما جعل الزبيدي يتول فيه قوله السابق .

١- ومنها : مغني اللبيب لابن هشام ، والاشباه والنظائر للسيوطي ، والممتع في التصريف والمقرب لابن عصفور .

٢ - الممتع ٢/٦٤٧

٣ - الذخيرة ١/١/٤٠ ، نفح الطيب ٣/١٥٥ تحقيق احسان عباس .

٤ - طبقات الزبيدي ج ٢٠٢ .

وأما ما يتعلق بالمادة النحوية في مؤلفاته التي وصلت إلينا فقليل إذا قيس
بالمادة اللغوية . ويمكن تقسيم المادة النحوية والصرفية - على قلتها - في مؤلفات
الغالي الى قسمين :

- ١ - الاول مسائل نحوية مختلفة يأثرها عن شيوخه في : الجمع (١) ، والتذكير
والتأنيث (٢) ، والبدل (٣) ، والتصغير (٤) ، والنائب عن الفاعل (٥) ، والادغام (٦)
والمقصود والممدود (٧) ، والنعت (٨) ، والحكاية (٩) ، والتصريف (١٠)
والنسب (١١) ، والمفعول به (١٢) ، والظرف (١٣) ، والحذف والتقدير (١٤) ،
والاببدال (١٥) ، وفيما تستون فيه صيغة فاعيل للمذكر والمؤنث ، وفيما يغلب فيه
التذكير على التأنيث اذا اجتمعا (١٦) .

١ - البارع ص ٥٢ ، ٨٧ ، ١٢١ ، ذيل الامالي ص ٦ .

٢ - البارع ص ١٥ .

٣ - البارع ص ٦٦ ، ذيل الامالي ص ٤ .

٤ - البارع ص ٣ ، ٥ .

٥ - البارع ص ٦٠ .

٦ - البارع ص ٦٣ .

٧ - البارع ص ٦٤ .

٨ - البارع ص ٧٠ .

٩ - البارع ص ٧٣ .

١٠ - البارع ص ٧٦ ، الامالي ٢١٦ / ٢

١١ - الامالي ٢١٦ / ٢

١٢ - ذيل الامالي ص ٤

١٣ - ذيل الامالي ص ٥

١٤ - الامالي ٢٧٠ / ١

١٥ - البارع ص ١٠٩

١٦ - البارع ص ١٢٠ .

ويشير الى الخلاف بين البصريين والكوفيين في بعض أوجه التذكير والتأنيث ، والتعليل لهما (١) ، والاستثناء (٢) وغيرها . ومن أمثلة هذا القسم قوله : " قال العكلي : (٣) رجلٌ غَيُّورٌ من قومٍ غَيَّرَ بكسر الغين على مثالٍ غَيْرٍ ، وقال الكلابيون : غَيَّرَ على مثال كُتِبَ ، وقد غَارِغَارٌ مثل نام ينام غَيْرُهُ بفتح الغين وسكون ، ويقال : فلان لا يتغَيَّرُ على امرأته ، أي لا يغار عليها ، قال سيويه : وأما غَيْرُ فبدل ، وقال الخليل : وَغَيَّرَ يكون استثناءً مثل قولك : هذا درهم غير دنانير ، معناه إلا دنانير ، ويكون اسماً تقول : مررت بغيري ، وهذا غيرك ، وتكون نعتاً كقولك : هذا درهم تام غير دينار أي ليس بدينار " (٤) . ولعل اهتمامه بالرواية اللغوية ، ودقته في نقل المادة المروية ، مما اللذان جعلاه يتناول مثل هذه المسائل النحوية بجانب ما يرويه من لغة وشعر وأخبار وربما كانت مثل هذه المسائل - أيضاً - أجوبة عن أسئلة كانت تلقى عليه أو يلقيها على تلاميذه في حلقات الدرس ، فيجيب عنها بآراء شيوخه وغير شيوخه من البصريين والكوفيين ، وهو ينقل عن البصريين أكثر من الكوفيين ، وخاصة عن أبي الحسن الأخفش مما أدى الى زيادة الاهتمام بالمذهب البصري وانتشاره .

٢ - مسائل نحوية لا يأثرها عن شيوخه في الجمع (٥) ، والتصغير (٦) والفعل اللازم (٧)

١ - نوادر القالي ص ١٥٨

٢ - البار ص ٦٦

٣ - والسيح بن حاتم العكلي ، كان من علماء البصرة ومن الذين يحضرون جلسات مريدها ، ونقل عنه أبو بكر محمد بن يمي الصولي سنة ٢٨٠ هـ " طبقات الزبيدي ص ٥٤٥ .

٤ - الامالي ١ / ٦٠

٥ - البار ص ٦٦

٦ - البار ص ٣

٧ - البار ص ٤

والقياس والنادر والشاذ ، (١) والعلة والاحتجاج النحوى (٢) ، والميزان الصرفي (٣) ومصادر الأفعال (٤) ، والابدال وقد افرد له القالي عنوانا في أماليه وهو " أحرف الابدال " تحدث فيه عن الابدال والحروف التي يقع فيها قائلا " وأما حروف البدل فيجب معها قولنا : (طال يوم انجده) ، وهذا أنا عملته " (٥) .

ويتحدث عن بمعنى الحروف التي يقع فيها القلب قائلا : " الكلام على قلب آخر الضاعف الى الياء مثل تظانيت ، وإنما هو تظننت " (٦) .

ومن أمثلة هذا القسم كلامه على العلة النحوية ، ومخالفة آراء الكوفيين ، إذ عقد القالي مجلسا ، تحدث فيه عن " لا جرم " وعنوانه بقوله : " مجلس في لا جرم ، وتغييرها والوجه فيها " . وفي ذلك يقول أبو علي : " حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم ، قال : ذهب بعضهم الى أن لا جرم أصله تبرئة ونفي بمنزلة لا بد ولا محالة ثم نقل عن التبرئة الى القسم ، كما قالوا : لا قومن حقا يقينا ، ثم قدموا حقا فجعلوه قسما ، فقالوا : حقا لا زورك ، وجرم : اسم منصوب بلا على التبرئة ، ولا خبرها هاهنا للتبرئة ، إذا لم يقصد لها ، وإنما قصد للأقسام والحلف ، وإلى هذا القول ذهب الفراء وأصحابه ، وفيه جواب آخر وهو أن أصله فعل ماضٍ ، فحوّل عن طريق الفعل ومنع التصرف ، فلم يكن له مستقبل ولا دائم (٧) ، ولا مصدر ، وجعل مع لا قسما ، وتركت الميم على فتحها الذي كان لها في معنى المضى

١- الأمالي ٥٦/١ .

٢- الأمالي ٢٧٠/١ ، التنبيه على أوهام أبي علي ص ٨٥ .

٣- الأمالي ٢٤٠/٢ - ٢٤١ .

٤- الأمالي ١٨٦/٢ .

٥- الأمالي ١٨٦/٢ .

٦- الأمالي ١٧١/٢ .

٧- " قال ثعلب: كلمت ذات يوم محمد بن يزيد البصري ، فقال : كان الفراء يناقش ، ويقول : قائم : فعل ، وهو اسم لدخول التنوين عليه ، فإن كان فعلا لم يكن اسما ، وإن كان اسما ، فلا ينبغي أن نسميه فعلا . فقلت : الفراء يقول : قائم : فعل دائم ، لفظه لفظ الاسماء ، لدخول دلائل الاسماء عليه ، ومعناه معنى الفعل ، لأنه ينصب ، فيقال قائم قياما ، وضارب زيدا ، فالجبهة التي هو فيها اسم ليس هو فيها فعلا ، والجبهة التي فيها فعل ، ليس هو فيها اسما " فهو يريد بدائم اسم الفاعل وهو مصالح كوفي انظر مدرسة الكوفة ص ٢٣١ .

وان كان الحرف منقولاً الى الإداة ، كما نقلوا حاشي وهو فعل ما غر ، مستقبلة يحاشي ودائمه محاشي ، ومصدره محاشاة - من باب الأفعال الى باب الادوات ، لما أزالوه عن التصرف ، فقالوا : قام التوم حاشي عبدالله ، فخفضوا ، ولو كان فعلاً ما عمل خفضاً ، وأبقوا عليه لفظ الفعل الماضي ، وكما نقلوا ليس ، وأصلها الفعل الماضي ، عن أصلها على سبيل الادوات ، لما أزالوها عن التصرف . . . فان قيل : كيف تكون لا جرم قسماً وليس فيه معظم يقسم به ؟ قيل : إن الاقسام عند العرب على ضربين : أحدهما يقع الاقسام فيه بمن يجعل قدره ، وتعلو منزلته ، وهو الذي تسبق اليه الافهام ، ويستعمل في أكثر الكلام . . . والضرب الثاني : أن يعتقد الحالف اليمين والحلف بالمظيم عندهم ، الكبير في نفسه ، ثم يأتي بيدل منه ، فيقول : حلفاً صادقاً لأزورك ، فجعل حلفاً صادقاً مكثف به عن المحلوف به عند وضوح المعنى ، ولو أظهر اليمين ، ولم يبن على الاكتفاء والاختصار ، لقال : أحلف بالله حلفاً صادقاً ، ولهذه الحلة أقسموا بالحق ، فقالوا : حقاً لأفعلن ذلك ، ان جعلوه عوضاً من اليمين ، وحملوا على الحق الفاظاً ، مماندس فيها كمنهائه ، فقالوا : كلا لأبأيمنك ، يعنون حقاً وقالت الفصحاء : جَيْرُ لأفعلن ، وَعَوْزُ لأجلسن ، يعنون بيمينك اللفظين حقاً ، فاحتملت لا جرم من معنى الاقسام ، مثل الذي احتملت كلا وجير وعوز " (١)

ويلاحظ مما سبق أن هذه المسائل النحوية كانت قليلة ، ولا تعرض لأبواب نحوية مستقلة ويغلب عليها طابع التدريس والمناقشة في حلقات الدرس ، والرد على التساؤلات ان يرد عليها أو ينقل القالي رأي بعض شيوخه من البصريين والكوفيين وهو الى البصريين أميل ، ومذهبهم أعلق - ويثبها بين تيار الثقافة الاندلسية فيتلقيها عنه تلاميذه ، ويمدون فيها ، ويطلبون الاستزادة من الثقافة النحوية والعلم بما كان عليه أهل هذه الصناعة في المشرق من خلال مؤلفاتهم النحوية . فكان تلاميذه من بعده عاملاً من عوامل تقدم الدرس النحوي في الاندلس .

العوامل الداخلية

تعاقب على حكم الدولة الأموية في القرن الرابع الهجري في بلاد الأندلس ثلاثة حكام هم : عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) والمنصور بن أبي عامر (٣٦٦ - ٣٩٢ هـ) ولغت الأندلس في عصرهم ذروة مجدها السياسي والاقتصادي ، ونشأت الحركة الأدبية والعلمية نشاطاً لموسماً (١) ، وعرف هذا القرن في الأندلس "بالعصر الذهبي" . ولم تكن الوفاة المشرقية من علماء ومؤلفات إلى بلاد الأندلس هي العوامل الوحيدة التي أدت إلى تطور الدرس النحوي في قرطبة في هذا القرن ، بل وجدت عوامل داخلية أخرى أسهمت اسهاماً فعالاً في تنشيط هذا التطور ، والميل إلى التخصص في النحو من حيث التأليف والتعليم ويمكن تقسيم هذه العوامل قسمين : عوامل جديدة وعوامل تقليدية .

أ - العوامل الجديدة

١ - الاستقرار السياسي .

ليس قصدنا أن نصور الحياة السياسية في هذا القرن وإنما هدفنا إلى إيجاز القول في الواقع السياسي في قرطبة ، ذلك الواقع الذي كان له أثره في الحياة العلمية عامة في هذا القرن . أجمع المؤرخون على أن هذا العصر كان عصر استقرار سياسي ، وهيبة واتساع سلطان ، فقد كان عبد الرحمن الناصر رجل سياسة ودهاء ، وتسمى بأمير المؤمنين بعد سنين من خلافته ، وكان أعظم بني أمية بالمغرب سلطاناً ، وافخمهم في القديم والحديث شأنًا ، وأما ولهم في الخلافة مدة وزمانا . " وظهر لأول ولايته من يمن طائرته ، وسعادة جده واتساع ملكه ، وقوة سلطانه ، وإقبال دولته ، وخمود نار الفتنة ، وانقياد العصاة لطاعته ، ما تعجز عن تصويره إلا وهام ، وتكل في تحييره الأقلام . وقيض له من ابنه وولي عهده الحكم المستنصر بالله ، المدعو بأمير المؤمنين بعده من زان ملكه وزاد في إبهته وقام بأمره أحسن قيام فكمل جلاله ، وجل كماله " (٢) .

١- انظر ترجمة الناصر والمستنصر في الحلة السراء ١/١٧ - ١/١٩ ، ١٤/٢٠٠ - ٢٠٥ .

٢ - الحلة السراء ١/١٨ - ١/١٩ .

وبعد وفاة الحكم المستنصر (ت ٣٦٦ هـ) تولى الحكمُ ابنه هشامُ المؤيد ، وكان صغيراً ، لا يقدر على تحمل أعباء الدولة ، فخافت أمه (عُبَيْح) الاضطراب ، فضمن لها المنصور بن أبي عامر - وكان وكيلها زمن المستنصر - الحال «وزوال الخوف واستقرار الملك لابنها» ، وكان المنصور قوي النفس ، ساعدته المقادير ، وأمدته المرأة بالأموال ، واستمال المساكر ، وجرت أحوال علت فيها قدمه ، حتى صار صاحب التدبير والمتقلب على الأمور ، وحجب هشاماً المؤيد ، وتلقب بالمنصور ، ودانت له بلاد الأندلس كلها لعظم هيئته وسياسته (١) .

وامتدت هيبة الدولة الأموية في هذا القرن خارج حدود الأندلس ، و " لم تكن أمة سمعت به (أي الناصر) من ملوك الروم والفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ، ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظيمي ، فإنه هاداه ورغب في موادعته ، وكان وصول أرساله في صفر سنة ٣٣٨ هـ " (٢) وتكررت مثل هذه الوفود في عهد الحكم المستنصر (٣) ولم تقل هيبة الدولة الخارجية في عهد المنصور عنها في عهد سابقه . ومقت الأندلس تتمتع باستقرار سياسي حتى بداية الفتنة سنة (٤٠٠ هـ) تقريباً .

وساعد هذا الاستقرار السياسي على تنشيط الحركة الثقافية وتطورها ، عن طريق منح العلماء الوقت المناسب للاشتغال بها ، واعتناء الحكام بها ورعايتها ، وكان لعلم النحو نصيب من هذا الاهتمام ، كما سنراه فيما بعد .

٢ - الرخاء الاقتصادي

كان القرن الرابع الهجري عصر رخاء اقتصادي في ربوع الأندلس ، فقد " خلف الناصر في بيوت الأموال خمسة آلاف ألف ثلاث مرات " (٤) ومن فضول القول أن نورد الروايات التاريخية الكثيرة التي تدل على هذا الرخاء الاقتصادي ، فالنهضة العمرانية في قرطبة تدل على هذا الرخاء وقد وصلت إلى أقصى ما وصلت إليه في هذا العصر ، فبنى الناصر الزاهرة ، وشاد المنصور الزهراء ، وقد كلفتا مبالغ عظيمة .

١- جذوة المقتبس ص ٧٨ ، وانظر الحلة السراء ١/ ٢٦١ .

٢- نفح الطيب ١/ ٣٦٦ تحقيق احسان عباس .

٣- نفح الطيب ١/ ٣٨٥ تحقيق احسان عباس .

٤- نفح الطيب ٣/ ٢١١ (ط الحلبي) .

ولم يقف هذا الرخاء على رجال الدولة بل عمّ أكثر الناس . فانعكس هذا الرخاء على الحركة العلمية من ناحيتين : . اقتناء المكتبات في البيوت وأكرام المؤيدين ، وحفزهم على التأديب كما سنراه بعد قليل .

٣ - استقام حكم العصر بالحركة الثقافية

تعلق حكم الدولة الأموية في هذا العصر بالعلم ، وزاد ولمهم به ، فأقاموا أسواق الأدب ، ورفضوا معالم العلم ، وذلك منافسة منهم لحكام بغداد لأن الحكم في الاندلس جاء استمراراً وتعويضاً عن حكم الأمويين في المشرق ، فأثروا اقتفاءً لأجدادهم في الشام (١) وكان الحكم المستنصر محبا للعلماء ، وقد "أفاء على العلم ، ونسّوه بأهله ، ورغب الناس في طلبه ، ووصلت عداياه وصلاته إلى فقهاء الأسمار النائية عنه " (٢) .

وكان المنصور بن أبي عامر محبا للعلم (٣) ، و "كان له مجلس في كل أسبوع يجتمع فيه أهل العلم للمناظرة بحضرته ، ما كان مقيما بقرطبة " (٤) ومن النحاة الذين كانوا يحضرون مجلسه أبو بكر الزبيدي وأبو عبد الله الماصي ، وابن المريف وغيرهم (٥) .

١- نظرات في اللغة والنحو . قال طه الراوي : كان "لطوك تلك الدولة ولوع عظيم في رفع معالم العلم وإقامة أسواق الأدب ، اقتفاءً لآثار أوليهم في شامهم ، وأحياء لما أثر عنهم في زهو أيامهم ، ومباراة لابناء عمهم في بغداد هم ، فكان همهم الحدب على أبناء الأدب ، والحرص على تكريمهم ، وتبجيلهم ، وإدراجهم في النعم لهم حافلة فأقبل الناس على الآداب ، يردون حياتهم ، ويرتادون رياضها ، فكان من أثر ذلك أن أنجبت تلك المملكة نخبة من الأعلام " .

٢- الحلة السيرة ٢٠١/١ .

٣- جذوة المقتبس ص ٧٨ ، وانظر بغية الملتزم ص ١١٦ ، المعجب ص ٧٥ .

٤- المعجب ص ٨٣ .

٥- الذخيرة ٦/١/٤ - ٧ وانظر نفح الطيب ٧٦/٤ - ٧٧ .

وكان الحكم المستنصر أعظم الثلاثة اهتماما بالعلم ، وحرصا على نشر الثقافة بمختلف فروعها ، شهد له بذلك أغلب المؤرخين العرب (١) ، الذين ترجموا له . وأشاد بجهده أيضا بعض مؤرخي الاسبان ، ومنهم المؤرخ (موديستولا فونتي) ، متجاوزا حساسية بالغة آراء الاشارة بأحد المسلمين بقوله : " وكانت دولة الحكم الثاني دولة الآداب والحضارة ، كما كانت دولة أبيه دولة المظمة والبهاء ، وان الرواية العربية لتحبو الحكم بكثير من جميل الذكر ، فهل نغضي نحن عن تسجيل اعجابنا بما لهذا الأموي المستنير من الصفات الباهرة ، لانه كان مسلما ، ولم يكن نصرانيا . . . (٢) ويرى (لا فونتي) أن بلاط قرطبة في عهده قد تحول " الى نوع من الأكاديمية العظيمة وأغدق على ثمرات العبقورية فين الاغداق ، والكرم الرائع ، ونستطيع أن نقدر مدى التضحيات العظيمة ، ومدى الصبر والمثابرة ، والنفقات التي أمكن أن يتحقق بها إنشاء تلك المجموعة المدهشة ، من أربعمائة ألف إلى ستماية ألف مخطوط ، هي محتويات مكتبة قصر بني مروان " (٣) . وتتلو رواهتمام الحكام بالحركة العلمية في هذا القرن بمدة اتجاهات منها :

أ - الحرية الفكرية والتسامح العلمي

رحب الناصر وابنه الحكم المستنصر بالعلماء عامة ، ولم يكن الحكم يفضل علما على آخر ، ولذلك امتلأت خزانته بكتب الحكمة والفلسفة والمنطق والطب ، وأقبل الناس على قراءة علوم الأرائل . (٤)

- ١ - انظر الحلة السيرة ٢٠٢ / ١ نفح الطيب ٣٨٦ / ١ شذرات الذهب ٥٥ / ٣ ، طبقات الزبيدي ص ١٠
- ٢ - دولة الاسلام ص ٤٥٩
- ٣ - المصدر نفسه ص ٤٥٩
- ٤ - طبقات الأمم ٦٥ وما بعدها ، ويتضح هذا التسامح عند عدد من علماء هذا القرن الذين اهتموا بالمنطق والفلسفة ، أمثال ملحان " الذي كان ذا نظري في حد المنطق كثير المطالعة لكتب الفلسفة " طبقات الزبيدي ص ٣٢٧ ، وادريس بن ميثم " وكان بصيرا بحد المنطق ، كثير المطالعة لكتب الأرائل " طبقات الزبيدي ص ٣٣٢ ، والراحي ، وقد تولى أمر مقابلة الكتب عند الحكم " وكان قد طالع كتب أهل الكلام وتفنن فيها ، ونظر في المنطقيات فأحكمها " طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ .

غير أن هذه الحرية الفكرية ، وهذا التسامح العلمي قد تعثرت خطاه ، وأصابه الركود في عهد المنصور بن أبي عامر ، فقد كان " أشد الناس في التغير على من علم عنده شيء من الفلسفة ، والجدل في الاعتقاد ، والتكلم في شيء من قضايا النجوم وأدلتها والاستخفاف بشيء من علوم الشريعة ، وأحرق ما كان في خزائن الحكم مسن كتب الدهرية ، والفلاسفة بمحضر كبار العلماء ، منهم : الأصيلي ، وابن زكوان ، والزبيدي وغيرهم " . (١)

ورغم موقف المنصور هذا ، وتشدداه على المشتغلين بالفلسفة وعلم الكلام والتنجيم ، فقد وصلت كتب الفلسفة والمنطق المشرقية إلى الاندلس ، وتداولها العلماء فترة من الزمن ربما بلغت ستا وستين سنة ، وهي فترة حكم الناصر وابنه المستنصر ، ولكنها كانت تواجه معارضة أخرى غير معارضة المنصور ، وهي معارضة الفقهاء لها ، فربما أجبروا المنصور على حرق المؤلفات الفلسفية ، وإخراجها من مكتبة المستنصر ، وعلى أي حال فقد اطلع بعض علماء هذا القرن على كتب الفلسفة والجدل ، وكانت من الموائل التي ساعدت على اتساع أفق النظر النحوي ، ونقله من السطحية إلى النظر المتعمق المستقضي وأصبح في مقدور نخاة هذا القرن فهم ما استغلط عليهم فهمه من أبواب كتب النحو العربي ، وخاصة الكتب ذات الطابع الفلسفي ، وهو ما سنراه عند الرباعي فيما بعد .

ب - حفز الهمم إلى التأليف

وكان ذلك عن طريق اغداق المطباء على المؤلفين وإكرام العلماء وتقديرهم . (٢)

فكان الحكم " راغبا في جمع العلوم الشرعية من الفقه والحديث ، وفنون الطب فباحثا عن الأنساب ، وحرصا على تأليف قبائل العرب ، والحق من درس نسيه بقبيلته التي هو منها ، مستجلبا للعلماء ، ورواة الحديث من جميع الآفاق ، يشاهد مجالس العلماء ، ويسمع منهم ، ويروي عنهم " (٣)

١ - البيان المغرب ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٣ .

٢ - الحلة السيرة ١ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، نفح الطيب ٣ / ٧٤ تحقيق احسان عباس .

٣ - الحلة السيرة ١ / ٢٠١ .

وهذه الرغبة تتطلب من صاحبها أن يجتهد ما يستطيع تجنيده ، ويكرس جهده ، ليضع رغبته هذه موضع التنفيذ ، فكان أن طلب من علماء عصره أن يصنفوا التواليف كل في مجال اختصاصه ، فألفت له عدة مؤلفات ، أبان مؤلفوها في مقدماتها أنها صنفت بناءً على رغبة أمير المؤمنين الحكم المستنصر ، وما يتصل ببحثنا منها : كتاب (طبقات النحويين واللغويين) لأبي بكر الزبيدي ، وهو أهم مرجع لدراسة نحويّ الاندلس ولغوييها حتى سنة ٣٥٨ هـ . ويظهر من مقدمة الزبيدي في كتابه هذا ، أن الحكم كان يولي العناية واللغويين اهتماماً لا يقل عن غيرهم من العلماء ، إذ يقول الزبيدي : " ان أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله ، لما اختصه الله به ، ومنحه الفضيلة فيه من العناية بضروب العلوم ، والاهاطة بصنوف الفنون ، أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الاسلام ، ثم من تلاهم . . . الى زماننا (زمن الزبيدي) هذا " . (١)

ولم يقف الأمر بهذا الخليفة العالم أن يحفز الهمم للتأليف ، بل كان - أحياناً - يرسم للعلماء منهج التأليف فيما يألون ، وفي هذا يقول الزبيدي في مقدمة طبقاته : " وأقمته على الشكل الذي حدّه (الحكم) وأمدني بمنايته وعلمه ، وأوسعني من روايته وحفظه " . (٢)

وأغلب مؤلفات القالي كانت بأمر من الحكم المستنصر . (٣) ولم يقف الأمر عند الحكم بل سار المنصور بن أبي عامر على مثل هذا النهج ، فقد ألف أبو القاسم بن الصريف كتاب شرح كتاب الجمل بأمر منه إذ يقول في مقدمته : " . . . وأضفت الى ذلك ما ورد في معاني الابيات من الحاجات والاخبار والكنايات للملك العالي المنصور بن أبي عامر أدام الله أيامه وقرن بالسعادة أعلامه ، وجمع استار العلم ، ورفع به منازل الحلم " (٤) .

١ - طبقات الزبيدي ص ٩

٢ - طبقات الزبيدي ص ١٠

٣ - انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث ص ٤٤ ، ٤٧

٤ - مقدمة شرح الجمل لابن الصريف ص ١ .

وكان موقف المنصور بن أبي عامر قريبا من موقف الحكم - باستثناء موقفه من علوم الفلسفة - في حب العلم وحفز الهمم على التأليف فقد أكثر العلماء ذكر مناقبه ، ومنفوا لسه تصانيف كثيرة " . (١)

ولعلنا لو أتيج لنا الاطلاع على مؤلفات هذا القرن المفقودة في النحو ، لرأينا أن لحكامه فضلا كبيرا على حفز الهمم لتأليفها .

ولا شك أن هذا الاهتمام قد ساعد على زيادة الكتب النحوية ، والاهتمام بها ، مما كان له أثره في تطوير الدرس النحوي ورفعته الى الامام في هذا القرن .
ح - انشاء المكتبات

أدى اهتمام حكام العصر بالعلم ، وشغفهم به الى انشاء مركز يجمع نتاج القرائح ويحفظ اصول المعرفة ، فأمر الحكم بانشاء مكتبة عامة في القصر الأموي ، وجمع " في قصره الحذاق في النسخ ، والمهرة في الضبط ، والمجيد في لفن تجليد الكتب ، فاجتمعت له في قصره بقرطبة خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ، ولا من بعده الا ما ذكر عن الناصر العباسي بن المستضي بالله " (٢) . وشاركت المرأة الاندلسية في عملية النسخ هذه ، فكان " في الربيع الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي " . ولم يقتصر الحكم على النساخ من الاندلسيين ، بل ندب لهذا العمل وراقين آخرين من غير الاندلسيين ، يعملون في بلدانهم ، ويرسلون ما ينسخون الى قرطبة ، فقد كان له " وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ورجال يوجههم الى الآفاق ، ومن وفاقه ببغداد محمد بن طرخان ، ومن أهل المشرق والانديلس جماعة " (٣) . وكان الحكم (يبعث في شراء الكتب الى الاقطار ورجالا من التجار ، ويرسل اليهم الاموال لشراؤها ، حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يمهده) (٤)

١- ابن الاثير ٦٦/١

٢ - المصنف ع ٥٩ ، نفح الطيب ٣٨٦/١ ، ٢٤١/٣ (ط الحلبي) .

٣ - الحلة السيرة ٢٠٢/١

٤ - نفح الطيب ٢٣٩/٣ - ٢٤٠ (ط الحلبي) .

واحتوت مكتبة الحكم هذه على عدد ضخم من المؤلفات ، قيل فيها : " إن عدة الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة (١) ليس فيها الا ذكر الدواوين فقط " (٢) وثبتت هذه المكتبة تؤدي دورها حتى وقعت الفتنة الكبرى عام ٤٠٠ هـ (حيث أخرجت كتبها ، وبيعت خلال حصار قرطبة . (٣) واهتم المنصور بن أبي عامر ايضا بالوراقين ، وجمع الكتب في مكتبته . (٤) ولم يقف الشغف بجمع الكتب واقتنائها عند الحكام ، بل تعداه الى كبراء العصر وعلمائه ، فانشأوا مكتبات خاصة لهم . (٥)

وربما ساعدت هذه المكتبات بما احتوته من مؤلفات في مختلف العلوم والفنون على تنشيط الحركة العلمية عامة . ولعل للمؤلفات النحوية نصيبا لا يستهان به في هذه المؤلفات . ويعمق احساسنا بذلك العدد الكبير من المؤلفات النحوية المشرقية التي دخلت الاندلس في هذا القرن وقبله ، فلا بد أن تكون نسخها الاصل قد حفظت في المكتبة الأموية في قرطبة . كما احتوت أيضا المؤلفات النحوية الاندلسية التي صنفت في هذا القرن . (٦) فأمدت هذه المكتبات بما احتوته من كنوز المصرفة - الدراسة النحوية في قرطبة ، وساعدت على استمرارها والاهتمام بها .

١- الحلة السيرا ٢٠٣/١

٢- الحلة السيرا ٢٠٣/١ ونجح الطيب ٢٣٦/٣ (ط الحلبي) و" جمع فيها من الكتب ما لا يحصى ولا يوصف كثرة ونفاة حتى قيل : إنها أربعمائة ألف مجلد ، وانهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها " نجح الطيب ٢٦٣/٣ (ط الحلبي) .

٣- قال المقرئ : " ولم تزل هذه الكتب الى أن بيع أكثرها في حصار البربر ، وأمر باخراجها وبيعها الحاجب (واضح) مولى من موالى المنصور بن أبي عامر ونهب ما بقي منها عند دخول البربر قرطبة واقتحامهم اياها عنوة " . نجح الطيب ٢٤٢/٣ (ط الحلبي)

٤- التكملة ٣٨٤/١

٥- حيث كانت قواعد الاندلس الأخرى عدا مكتبة قرطبة المظيمة زهاء سبعمائة مكتبة أخرى " دولة الاسلام ص ٤٦٠ .

٦- انظر فيما يأتي من سياق هذا البحث

د - التدقيق العلمي ، ومقابلة النسخ

كان الحكم المستنصر وغيره من حكام هذا القرن حريصين على أن تكون المؤلفات التي جمعوها أمهات كل علم ، وإخالية من الأخطاء ، والتصحيح ، فكان " محمد بن أبي الحسين الاندلسي ، رئيساً جليلاً ، عالماً باللغة والأدب ، وكان في أيام الحكم المستنصر أثيراً في العلم عنده .

وتقدم إليه الحكم المستنصر بمقابلة " كتاب العين " للخليل بن أحمد مع أبي علي القالي وابني سيد ، (١) في دار الملك التي بقصر قرطبة ، وأحضر من الكتاب نسخاً كثيرة في جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ) التي رواها بمصر عن ابن ولاد . وسألهم يوماً الحكم عن النسخ ، فقالوا : إن نسخة القاضي منذر أشد النسخ تصحيحاً وخطأً وتديلاً ، فسألنا تبيين ذلك له ، فأنشده أبياتاً مكسورة ، وأسموه ألفاظاً مصحفة ، فسأل أبا علي القالي عن حقيقتها فأخبره على قول الجماعة (٢) . وكان الرياحي يقوم بمقابلة الدواوين والنظر فيها للحكم المستنصر . (٣) واتخذ المنصور ابن أبي عامر محمد بن عبد الرحمن بن ميمر اللخوي (ت ٤٢٣ هـ) قِيماً للتدقيق ونهبط الكتب ومقابلتها . (٤)

والملاحظ أن من المشتغلين بالتدقيق ومقابلة الكتب في هذا القرن بعض كبار النحاة أمثال الرياحي ، ومحمد بن أبان ، وأحمد بن أبان وغيرهم ، فلعله كان للكتب النحوية نصيب من هذا التدقيق العلمي ، وهذه المقابلة ، مما كان له أثره في تنقية بعض المؤلفات النحوية وتصويبها .

١ - هـ : محمد بن أبان بن سيد (ت ٣٥٤ هـ) وأحمد بن أبان بن سيد (ت ٣٨٢ هـ)

٢ - انباء الرواة ٣ / ٧١ ، انظر مقدمة المقتبس ص ٥١ - ٥٢ .

٣ - طبقات الزيدى ص ٣٤٠ .

٤ - التكملة ١ / ٣٨٤ وكان محمد بن ميمر هذا " من أعلم الناس بالكتب وطلبها ، وألهمهم جمعها ، وأفرزهم لخطوطها ، وأنسبهم لها إلى وراقها " .

ب - الصوامل التقليدية

١ - حلقات التعليم والتدريس

استمرت حركة التأديب في القرن الرابع ، ولكنها اتخذت الطابع الرسمي في هذا القرن نتيجة لتبني الدولة لها ، وخاصة في عهد الحكم المستنصر ، الذي اتخذ المؤدبين أولاد الضعفاء ، وأجرى عليهم المرتبات الشهرية ، وصنى لهم المكاتب (١) . وربما كانت هذه المكاتب نواة لتأسيس المدارس في الأندلس فيما بعد . والفاحص للرواية التي ذكرت اهتمام الحكم بالتأديب (٢) يجد أن الدراسة في هذه المكاتب مركزة على تعليم القرآن ، غير أنها لم تخل من الاهتمام بالنحو ويدل على ذلك ما ذكره ابن حزم في أمر منهج التعليم في الأندلس ، يقول : " . . . فإذا نفذ في الكتابة والقراءة فلينتقل إلى علم النحو واللغة معا ، ومعنى النحو : هو معرفة تنقل هجاء اللفظ ، وتنقل حركاته الذي يدل كل ذلك على اختلاف المعاني كرفع الفاعل ونصب المفعول ، وخفصر المضاف ، وجزم الأمر والنهي ، وكاليا في التثنية ، والجمع في النصب وخفضهما ، وكالألف في رفع التثنية ، والواو في رفع الجمع ، وما أشبه ذلك . فان جهل هذا العلم عسر عليه علم ما يقرأ من العلم " . (٣)

١- البيان المغرب ٢/ ٢٤٠ - ٢٤١

٢ - قال صاحب البيان المغرب : " ومن مستحسنات أفعاله ، وطيبات أعماله ، اتخاذ المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع ، ومكل ريش من أرباع قرطبة ، وأجرى عليهم المرتبات ، وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة ، وواقبها في كل ريش من أرباع المدينة وفي ذلك يقول ابن شخير :
وساحسة المسجد الأعلى مكللة مكاتبها لليتامى من نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلهم نادتك يا خير تاليتها وواعيها

البيان المغرب ٢/ ٢٤٠ - ٢٤١

٣- رسائل ابن حزم ٦٤ .

ولم يقتصر التأديب على جانب واحد من جانب المعرفة بل تعددت موضوعاته ، فكان هناك تأديب بالعلوم الشرعية بمختلف فروعها ، وبالعلوم اللسانية وبعض العلوم التطبيقية . (١) وكان بعض العلماء آنذاك يطالبون النحويين بالاستعانة به على فهم الحديث والفقه ، ثم يغلب عليه علم النحو ، ويؤدب فيه . (٢)

وجانب التأديب الرسمي الذي تبناه الحكم كان هناك لون آخر ، أرفع مستوى منه ، ويمكن تسميته " التأديب القائم على الجهد الفردي " ويقسم قسمين : تأديب عامة ، وتأديب خاصة . ومن مؤدبي القسم الأول : أبو محمد عبد الله بن حرب بن إبراهيم الكلابي (ت ٣٣٤ هـ) ، وكان " من أهل العلم بالنحو ، دقيق النظر فيه صحيح القياس على مسائله ، وكان منجيا في المتأدبين عنده " (٣) . وكان سميد ابن دراك اللخمي (ت ٣٦٧ هـ) " بصيرا بالنحو وأدب به " (٤) . وكان هارون بن موسى بن صالح (ت ٤٠١ هـ) النحوي القرطبي " رجلا صحيح الأدب يختلف إليه الأحداث ، ووجه الناس في طلب العلم ، وله تصنيف في تفسير عيون كتاب سيويه " (٥) . وكان مروان بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب النحوي (ت ٤٠١ هـ) أدبيا نحويا يعلم العربية . (٦) ومن المؤدبين من شهدوا له بحسن الاستاذية والتفهم . (٧)

١ - فقد كان أبو الأصمغ عيسى بن أبي جرثومة الخولاني " يؤدب بالنحو والحساب والمروني والقرآن " طبقات الزبيدي ص ٣١٦ .

٢ - كان " أبو عمرو بن محمد الأعرج (ت ٣٤٥ هـ) قد سمع الحديث ورواه عن العلماء ثم مال إلى النحو فغلب عليه ، وقيل : إنه طالب النحو ليستعين به على علم الحديث والفقه ، فأدركه بمعنى الاختلال عند اتخاذ الميال ، فجعل التأديب عوناً له على ما لزم من مؤنتهم إلى أن توفي وكان مهيباً في تأديبه " طبقات الزبيدي ص ٣٢٤ .

٣ - طبقات الزبيدي ص ٣١٢ .

٤ - تاريخ العلماء ٢٠٣/١ .

٥ - انباه الرواة ٣/٣٦٢ .

٦ - انباه الرواة ٣/٢٦١ .

٧ - أخذ محمد بن عطاء النحوي (ت ٣٦٤ هـ) عن الزبيدي " وكان بصيرا بالنحو

مقدماً فيه ، وهو الغالب عليه وله يد لطيفة في الاستاذية والتفهم " انباه الرواة ٣/١٩٨ .

وكان مكان تأديب العامة في بيت المؤدب ، أو المكاتب أو المساجد ، ومنهم من جمع بين تأديب العامة وتأديب الخاصة . (١)

وقام بعض نحاة هذا القرن بتأديب أولاد الخامة ، فقد ندب الحكم المستنصر العالم النحوي أبا بكر الزبيدي لتأديب ابنه هشام . (٢) وكان محمد بن الخطاب النحوي من الأدباء المشهورين والنحاة المذكورين ، وكان يختلف اليه في علم العربية أولاد الإكابر ، وذوي الجلالة . (٣)

وقام أحمد بن عبد العزيز أبي الحباب (ت ٤٠١ هـ) بتعليم المظفر عبد الملك بن أبي عامر . وكان بصيرا بالعربية حسن اليراد لما يحمله . (٤) واستأدب المنصور أيضا الحسين بن وليد بن نصر بن العريف (ت ٣٩٠ هـ) لابنائيه ، وكان ابن العريف هذا " نحويا عالما بالعربية متقدما فيها " . (٥)

ويلاحظ من حركة التأديب هذه أن عدد المؤدبين في النحو قد تزايد بشكل ملموس مما أدى إلى الاهتمام بالنحو وتدريسه ، والقبال عليه ، وأن المتأدبين أصبحوا على مستوى درجة من الوعي والادراك ، والقدرة على ملاحظة الأخطاء . وكان للمناظرات الشفوية في حلقات المؤدبين أو في قصور الحكام أثرها في تنشيط الدرس النحوي ، غير أنه مما يؤسف له أننا لا نجد في المصادر التي تناقلت أنباء هذه المناظرات صورة متكاملة تكشف عن طبيعة المادة المتناظريتها ، بل إنها تشير إليها إشارة عابرة ، لا تمكن الدارس من تحديد أثرها بشكل دقيق في تطور النحو في هذا القرن .

١- فقد أدب الرباعي في داره ، وأدب غيره في المكاتب التي أنشأها الحكم ، وكان " أصبح بن ناصح المدني من أهل الحدائق بالعربية والعلم بمماني الشعر واستأدبه الناصر لابنه المنيرة ، فأحسن تأديبه " وحكي أنه أدب بمسجد مكرم تأديب عامة
الكلمة ٢٠٥ / ١ .

٢- تاريخ العلماء ٩٢ / ٢ .

٣- جذوة المقتبس ٥٤ .

٤- الصلة ٢٥ / ١ ، انظر انباه الرواة ٣٨ / ١ .

٥- تاريخ العلماء ١٣٤ / ١ - ١٣٥ .

ومن هذه المناظرات الشفوية المناظرة التي كانت بين أبي بكر الزبيدي والوزير جعفر بن عثمان المصحفي ، فقد ناظر الوزير أبا بكر الزبيدي بين يدي الحكم " في غرائب من فنه في النحو واللغة والشعر ، فتباريا في الشأو ، وتسابقا في الإصابة " (١)

ومنها المناظرة التي دعا إليها المنصور بن أبي عامر في مجلسه ، قال المقرئ : " ومن غريب ما جرى لصاعد (بن الحسن اللخوي) أن المنصور جلس يوما ، وعنده أعيان مملكته ودولته من أهل العلم كالزبيدي والحاصمي وابن العريف وغيرهم ، فقال لهم المنصور : هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنه متقدم في هذه العلوم ، وأحب أن يمتحن فوجه إليه ، فلما مثل بين يديه ، والمجلس قد احتفل ، غجل فرفع المنصور محله ، وأقبل عليه ، وسأله عن أبي سعيد السيرافي ، فزعم أنه لقيه ، وقرأ عليه كتاب سيبويه ، فبادره الحاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها ، واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته ، فقال له الزبيدي : فما تحسن أيها الشيخ ؟ فقال : حفظ الغريب قال : فما وزن أولق ، فضحك صاعد ، وقال : أشلي يسأل عن هذا ؟ إنما يسأل عنه صبيان المكتب ، قال الزبيدي : صاحبكم مُخَرَّق . قال له صاعد : إخال الشيخ صناعته الأبنية ، فقال له : أجل ، فقال صاعد : ومضاعتي أنا حفظ الأشعار ، ورواية الأخبار ، وفك المعنى وعلم الموسيقى " (٢)

ومن المناظرات الشفوية ما كانت تظهر فيها بداية المعايمة بالتمارين غير العملية ، فقد كان الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب ، وزير الناصر " بعميرا بالعربية طالع كتاب سيبويه ونظر فيه وكان لا يزال يورد على أصحابه من الوزراء ، مسائل مسنوعة من النحو ، حتى برعوا به " (٣)

١- المقتبس في أخبار الإندلس ع ١٣٤

٢- نفح الطيب ٧٧/٣ تحقيق احسان عباس

٣- الحلة السيرا ١/٢٤١ - ٢٤٢ .

ومن المعاينة والتمجيز في المناظرات الشفوية أيضا ما أنشده بعض الأدباء لمحمد

ابن يحيى القلطا : (١)

يا سائلي عن وزن مُسَحَّنَكَ	من أن أيُّنا وأنسى يأنسى
تقديره من أن " مُؤَنَّس "	ومن أنى قولك " مُؤَنَّسِي "
ثم الكسائي وتصغيره	أسهل شيء أيها الملقى
تصغيره لا شك فيه كُسَّ	يبي فمن في مثل ذا يخطي /
أربع ياءات وأنت امرؤ	نقصته ياء ولم تسدر
وكيف تصغير مطايا اسم انس	ان ، وما الحرف الذن تلقى ؟
وعن خطايا اسم تسمى به	ان كنت تصغيرا له تسدرى
هل ياءه قل بـدَل " لازم "	أنت لها لا بد مستهقي
أم هل تمود الياء مهموزة	فسر لنا تفسير مستقصي
ان كان تصغير مطايا كتصـ	غير خطايا قل ولا تخطي
فان تصب هذا فانت امـ	رو أعلم من خليل النحوي

قال محمد بن حسن (الزبيدي) لم يصنع شيئا في قوله " أن أيُّنا " وفي قوله :
 " مؤنسي " والصواب : " أن يئين أونا " وتقدير " مُسَحَّنَكَ " منه " مُؤَنَّس " لأن
 اشتقاق " يئين " من الأوان . فان قال قائل : كيف يكون " فَعَلَ يَفْعِلُ " من ذوات
 الواو ، وقد حظر ذلك جماعة النحويين ؟ قيل له : إن " يئين " على مثال فَعَلَ
 يَفْعِلُ مثل حَسَبَ يَحْسِبُ ، وكذلك زعم سيويه . (٢)

ب - رحلة العلماء الاندلسيين الى المشرق

استمرت الرحلة الى المشرق عند علماء الاندلس ، وكان العالم منهم يخرج من الاندلس
 ليلقى الشيخ ، ويجالس العلماء ، ويأخذ عنهم مخرجاً في طريقه . في أغلب الأحيان -
 على القيروان ومصر بغداد ، والبصرة ، وغيرها من المراكز الثقافية في المشرق . (٣)

١ ، ٢ - طبقات الزبيدي ص ٣٠٤ .

٣ - نجد تحديدا لخط سير رحلة أغلب العلماء الراحلين في كتب التراجم ، نحو
 يحيى بن مالك بن كيسان (ت ٣٧٥ هـ) " رحل الى المشرق سنة ٣٤٧ هـ ، وسمع
 من علماء مصر بغداد والبصرة والأهواز وغيرها " تاريخ العلماء ٢ / ١٩١ - ١٩٢ .

ومنهم من كانت رحلته تنتهي عند مصر ، (١) فيأخذ عن علمائها ، ويعود الى قرطبة ومنهم من كان لا يعود الى وطنه ، بل يبقى في بعض البلدان الاسلامية التي رحل اليها حتى توافيه منيته . (٢) وكانت رحلة بعضهم تطول ، ويكثر معها أخذه عن العلماء . (٣) ومنهم من رحل مرتين طلبا للعلم . (٤) ومن الرحلات ما كان شخصا ذاتيا ، ومنها ما كان يتسم بالطابع الرسمي . (٥) وهو ما يمكن تسميته بالرحلة الرسمية . أما تكاليف الرحلة فقد كانت تختلف باختلاف الدافع لها ، فإذا كانت شخصية اختلفت باختلاف الحالة المادية للعالم الراحل ، فمنهم من كان يعمل بالتجارة ، ومنهم من كان يكسب بالتدريس ، ومنهم من كان يكسب من عمل يده بالنسخ . (٦)

-
- ١- شرح الحسين بن وليد بن العريف " الى المشرق " ، فأقام بمصر أعواما ثم انصرف الى الاندلس ، وكان نحويا عالما بالعربية ، متقدما فيها ، فاستأذنه المنصور لبنيه ، وقربه من صحبته " تاريخ العلماء " ١٣٤ / ١ - ١٣٥ .
 - ٢ - لقد رحل الحسن بن وليد بن نصر ، أبوبكر المعروف بابن العريف " الى المشرق سنة ٣٦٢ هـ ، فأقام بمصر ورأس فيها ، وتحلق في جامعتها ، وتوفي بها سنة ٣٦٧ هـ . " تاريخ العلماء " ١٣١ / ١ .
 - ٣ - رحل عيسى بن سُذائق الى المشرق ، وتردد فيه " أربعين سنة ، وكان بصيرا بالحنة والنحو " تاريخ العلماء " ٣٧٥ / ١ ورحل محمد بن أحمد بن مفرج (ت ٣٨٥ هـ) الى المشرق سنة ٣٣٧ هـ . بوقدم الاندلس سنة (٣٤٥ هـ) وبلغ عدد الشيوخ الذين لقيهم وروى عنهم في جميع الامصار ، مع من كتب عنه في الاندلس ما في شيخ وشيخا " . تاريخ العلماء " ٩٣ / ٢ - ٩٥ .
 - ٤ - تاريخ العلماء " ٣٨٣ / ١ - ٣٩٥ / ١ .
 - ٥ - كان الحكم المستنصر " يبعث في شراء الكتب الى الاقطار رجالا من التجار ، ويرسل اليهم الأموال لشراؤها حتى جلب منها الى الاندلس ما لم يصده " نفح الطيب ٢٣٩ / ٣ - ٢٤٠ ط الحلبي .
 - ٦ - بغية الملتبس ع ٨٣ .

أما الرحلة الرسمية فقد كانت نفقاتها على حساب مالية الدولة أو مالية الخليفة الخاصه (١) .
وكان العلماء الراحلون حريصين على الاستفادة ، يفشون حلقات العلم بقدر ما يتاح لهم
ممن امكانات . (٢)

ومن علماء النحو الكبار الذين كانوا مقصد علماء الاندلس الراحلين ، أبو جعفر بن النحاس
النحوى (ت ٣٣٨ هـ) فقد كثر ترداد اسمه في تراجم عدد من علماء الاندلس ،
وكثر عدد الآخذين عنه . (٣) ومنهم ابن ولاد (ت ٣٣٢ هـ) (٤) والاخفش
علي بن سليمان (ت ٣١٦ هـ) (٥) وأبو عبد الله نفاويه (ت ٣٢٣ هـ) والزجاج
(ت ٣١٦ هـ) وابن الانباري (ت ٣٢٧ هـ) (٦) وأبو بكر بن خروف (٧) وأبو الخُصيب
الفارسي المكي النحوى . (٨)

-
- ١- كان للحكم " وراقون باقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ورجال يوجههم الى
الآفاق " الحلة السيرة ٢٠٢/١
 - ٢- أجاب أحد العلماء الأندلسيين الراحلين عن سؤال حول طريقة أخذهم عن العلماء
قال : " نعم كنت آخذ من كل علم طرفا ، فان سماع الانسان قوما يتكلمون في علم وهو
لا يدري ما يقولون غمة عظيمة " . جذوة المقتبس ص ٣٧٩ .
 - ٣- ومنهم : محمد بن اسحاق بن منذر . تاريخ العلماء ٨٠/٢ وخطاب بن مسلمة بن
سعيد (ت ٣٧٢ هـ) تاريخ العلماء ١٥٨/١ منذر بن سعيد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ)
جذوة المقتبس ص ٣٤٩ وأبو عبد الله الرباعي (ت ٣٥٨ هـ) انباه الرواة ٢٢٩/٣ .
وحكم بن محمد بن حكم (توفي بعد الاربعائه) السلة ١٤٧/١ ومحمد بن مفرج
المعافري (ت ٣٧١ هـ) روى عنه " تأليفه في اعراب القرآن " تاريخ العلماء ٨٤/٢ .
 - ٤- سمع منه منذر بن سعيد البلوطي بمصر فانظر نفح الطيب ١٦/٢ - ٢٠ تحقيق
احسان عباس ، جذوة المقتبس ص ٣٤٩
 - ٥- سمع منه سعيد بن جابر الكلاعي (ت ٣٢٥ هـ) تاريخ العلماء ١٩٧/١ - ١٩٨
ومحمد بن معاوية المعروف بابن الاحمر (ت ٣٥٨ هـ) " فقد رحل الى المشرق
سنة ٢٩٥ هـ ، وسمع من علماء مصر ، ومنهم علي بن سليمان الاخفش ، صاحب
النحو ، وقدم الاندلس سنة (٣٢٥ هـ) ودا الناس بالقراءة عليه من سنة ست وثلاثين
وثلاثمائة " تاريخ العلماء ٧٠/٢ - ٧١ .
 - ٦- رحل محمد بن أبي علاقة البواب القرطبي (ت ٣٢٥ هـ) الى المشرق " وأخذ
عن أبي اسحق الزجاج ، وأبي بكر بن الانباري ، وأبي الحسن الاخفش ، وأبي عبد الله
نفاويه ، وغيرهم ، وسمع من الاخفش كتاب الكامل للمبرد " نفح الطيب ١٥٠/٢
تحقيق احسان عباس .
- يتبع

وكان بعض العلماء الراحلين يتصفون بالذكاء ، وقوة الملاحظة ، ومن ذلك ما جرى بين مندرين سميد البلوطي وأبي جعفر بن النحاس ، إذ التقى مندر بأبي جعفر النحوي بمصر ، " وحضر مجلسه في الأملاء ، فأملى أبو جعفر في جملة ما أملى قول الشاعر :
 خليلي دل بالشام عيين حزينه تبكي على ليلى (١) لملي أعينها
 قد أسلمها الباكون إلا حمامة ما حوقة باتت مات قرينها
 تجاذبها (٢) أخرى على خيزرانة يكاد يدانيها من الاربعينها
 فقال له مندرين سميد : أيها الشيخ - أعزك الله - باتا يصنعان ماذا ؟ فقال أبو جعفر : فكيف تقول أنت ؟ فقال مندر : باتت هان قرينها ، فاستبان أبو جعفر ما قال ، وقال له : ارفع ، ولم يزل يرفعه حتى أدناه منه ، وكان يعرف له ذلك ويكرمه " (٣)
 وقد ساعد هؤلاء الراحلون على نشر الثقافة النحوية المشرقية في تيار الثقافة الاندلسية عن طريق : الأخذ عين نحاة المشرق ، ونقل المؤلفات النحوية ، وحلقات الدرس في قرطبة بعد عودتهم ، حيث تحلق حولهم الطلبة ، وأخذوا عنهم . ولعل أبا عبد الله الرازي خير نموذج لأولئك الراحلين .

١ - وفي نفح الطيب نجد " انظر ١٩/٢ تحقيق احسان عباس .

٢ - وفي نفح الطيب " تجاهها " ١٩/٢ تحقيق احسان عباس .

٣ - جذوة المقتبس ص ٣٤٩ ، المصجب ص ٥٧ - ٥٨ وذكر المقرن الحادثة ، ولكنه اختلف

عنهما في " وكيف تقول أنت يا أندلسي ؟ فقلت له : باتت هان قرينها ، فسكت وما زال يستثقلني بعد ذلك ، حتى منعتني كتاب المين " نفح الطيب ١٩/٢ - ٢٠ تحقيق احسان عباس .

تابع

٧ - سمع منه محمد بن علي بن الحسن بن أبي الحسين (ت ٣٧٢ هـ) بمصر ، وكان محمد هذا بصيرا بالنحو واللغة (انظر تاريخ العلماء ٨٥/٢)

٨ - سمع منه أبو المطرف عبد الرحمن بن عثمان بن اسماعيل الاسدي (ت ٣٣٥ هـ)

وكان عبد الرحمن هذا " نحويا " لغويا ، فصيح اللسان ، وكانت له رحلة سنة (٣٠٤ هـ)

لقي فيها أبا الخصيب الفارسي النحوي " طبقات الزبيدي ص ٣٣١ ، تاريخ العلماء

محمد بن يحيى بن عبد السلام الرياحي النحوى (ت ٣٥٨ هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي الرياحي . (١) ينتهي إلى
يزيد بن المطهر بن أبي صفرة . أصله من جيان ، وهو منزل جده الداخل إلى
الأندلس ، وجده هذا يكنى أبا العوجاء المنسوب إليه فحضر أبي العوجاء (٢)
في الأندلس ، وانتقل أبوه أو جده إلى قلعة رباح (٣) . فسكنها ونسب إليها
وعرف بالرياحي . (٤)

وكان الرياحي " ذا وقار وسمت وصيانة ، ونزاهة نفس ، وكرم خليقة ، وصحة نية ،
وسلامة باطن ، إلى عفاف وحياء ودين " . (٥)

ولا تسعفنا المصادر على تحديد مجريات حياته منذ صباه ، مما يجعل الفترة الأولى
من حياته غامضة . ولكنها تحدثت عن رحلته إلى المشرق ، فذكرت أنه " رحل إلى المشرق
فلقي أبا جعفر بن النحاس ، فحمل عنه كتاب سيبويه رواية ، ولازم علان (٦) ،
وناظره . . . " (٧) . وأخذ عن أبي العباس بن ولاد . (٨) .

١- انظر ترجمته في طبقات الزبيدي ص ٣٣٥ - ٣٤٠ تاريخ العلماء ٢ / ٧١ ، طبقات ابن
قاضي شهبة ص ٢٧٧ بغية الوعاة ص ١١٣ ، انباه الرواة ٣ / ٢٢٩ ، جذوة المقتبس
ص ٩٨ بغية الملتبس ص ١٣٤ .

٢- يطلن الفحص على مواضع عدة في الأندلس ، قال ياقوت : " سألت أهل الأندلس :
ما تمنون بالفحص ؟ فقالوا : كل موضع يسكن ، سهلاً كان أو جبلاً ، بشرط أن يزرع
فنسميه فحصاً ، ثم صار علماً لعدة مواضع " .

٣- قلعة رباح : مدينة بالأندلس من أعمال الجبلية .

٤- وهم ابن قاضي شهبة والسيوطي فقالا : انه كان يمر بالقلط ، والقلط هو

محمد بن يحيى بن زكريا . انظر طبقات الزبيدي ص ٣٠٥ .

٥- طبقات الزبيدي ص ٣٣٧ .

٦- هو علي بن الحسن (ت ٣٣٧ هـ) انظر طبقات الزبيدي ص ٢٤١ .

٧- طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ .

٨- بغية الوعاة ص ١١٣ ، وانظر أدب مصر الإسلامية ص ٦٩ ، وأثر القرآن ص ١٧٦ .

ولم يكتف في رحلته هذه بالثقافة اللغوية والنحوية ، بل " طالع كتب أهل الكلام ، وتفنن فيها ، ونظر في المنطقيات فأحكمها ، إلا أنه لا يتقلد مذهباً من مذاهب المتكلمين ، ولا يقود أصلاً من أصولهم ، إنما يقول على ما يميل إليه في الوقت ، ويؤثره بالحسرة ، ولو أنه تناول الباطل البحت والجدال المحض لما استطاع صرفه عنه ، ولا قطع فيه ، وربما ناظر أهل الفقه على مذهب الاحتجاج والتعليل ، وأهل الطب والتنجيم في دقائق معانيهم ، ولطائف مسائلهم ، مناظرة من عني الدهر الطويل بعلمهم ، وشغل نفسه بمداينة كتبه ، فيقطعهم ويستشرف عليهم ، وذلك للطف حسه ، وصحة خاطره ، وحذقه بأعمال القياس على أصله " (١) .

وقد أغفلت المصادر الحديث عن تاريخ رحلته ، والشيخ الذين أخذ عنهم علم المنطق وربما كانت رحلته في أوائل القرن الرابع ، وعودته إلى الاندلس قبل سنة (٣٣٧هـ) وذلك لأنه في رحلته ناظر علي بن الحسن المعروف بـملان المتوفى سنة (٣٣٧هـ) (٢) . ولعله طالع كتب أهل الكلام في رحلته التي لم يتجاوز بها مصر ، أو في خزائن الحكم المستنصر حين ولّاه مقابلة الكتب (٣) وقد كان الرياحي ذكياً " يتكل على حفظه ويشغل بالاستنباط الدقيق المعاني .. " (٤) .

وأهمية الرياحي في تطور الدرس النحوي في قرطبة ، تعود إلى عدة أمور منها :

١ - رفع مستوى التأديب بالنحو

بعد عودته إلى قرطبة عمل مؤدياً ، وجمع بين نوعي التأديب : تأديب العامة وتأديب الخاصة . حيث أقبل الطلبة عليه في داره يقرأون عليه كتاب سيبويه ، ويأخذونه عنه رواية . (٥)

١ - طبقات الزبيدي ص ٣٣٦

٢ - طبقات الزبيدي ص ٢٤١

٣ - طبقات الزبيدي ص ٣٤٠ ، تاريخ الملمة ٢ / ٧٢

٤ - انباه الرواة ٣ / ٢٢٩

٥ - طبقات الزبيدي ص ٣٣٦

واستأدبه الناصر لابنه المغيرة ، ثم صار بعدها الى خدمة الحَكَم في مقابلة الكتب ، (١)
 واهتم الرياحي بالنحو وفروعه وأصوله ، وأصبح النحوي به في الاندلس علما قائما
 بذاته له اساتذته ومؤلفوه بدلا من أن ينظر اليه من خلال حاجة العلوم الاخرى
 اليه ، فقد كان " حاذقا بعلم العربية ، دقيق النظر فيها ، لطيف المسلك في
 معانيها ، غاية في الابداع والاستنباط ، ولم يكن ظاهره ينبئ عن كثير علم ، فاذا
 نوقش ونوظر لم يصطل بناؤه ، ولم يشق آخر غباره " (٢) ووصفه ابن الفرغني قائلا
 : " جيد النظر ، دقيق الاستنباط ، حاذقا بالقياس ، نظر الناس عنده بالاعراب " (٣)
 وقال فيه الحميدى : " كان لا يقصر عن أصحاب محمد بن يزيد المبرد " . (٤)
 وأعرب أبو بكر الزبيدي عن دور الرياحي في رفع مستوى التأديب بالنحو بقوله :
 " ولم يكن عند مؤدبي العربية ، ولا عند غيرهم من عني بالنحو علم كبير حتى ورد محمد
 ابن يحيى الرياحي عليهم ، وذلك أن المؤدبين انما كانوا يمانون اقامة الصناعة
 في تلقين تلاميذهم الحواط وما شاكلها ، وتقريب المعاني لهم في ذلك . . . ولم
 يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق العربية وفواضلها ، والاعتلال لمساثلها ، ثم كانوا لا
 ينظرون في امالة ولا ادغام ولا تصريف ولا أبنية ، ولا يجيبون في شي منها حتى
 نهج لهم سبيل (هذا العلم) وأعلمهم بما عليه أهل هذا الشأن في المشرق من
 استقصاء الفن بوجهه واستيفائه على حدوده ، وأنهم بذلك استحقوا اسم الرياسة " (٥)

-
- ١- زاد الحَكَم في اكرامه ، والاحسان اليه . انظر طبقات الزبيدي ص ٣٤٠ ،
 وتاريخ العلماء ٧٢/٢ .
 - ٢- طبقات الزبيدي ص ٣٣٦
 - ٣- تاريخ العلماء ٧٢/٢
 - ٤- جذوة المقتبس ص ٩٨
 - ٥- طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ - ٣٣٧

والى مثل هذا الدور ذهب القفطي بقوله : " ولم يكن عند الناس علم من العربية حتى ورد محمد بن يحيى الرياحي ، فان الأواثل كانوا يفعلون في الافادة مع المنصوص وتفهم الطالب معنى اللفظ وما تحته من المعنى لا غير ، ولم يكن لهم تدقيق نظر ولا استنباط ، فلما ورد محمد بن يحيى (الرياحي) أخذ في التدقيق والاستنباط ، والإعتراف والجواب ، وطارد الفروع الى الأصول . فاستفاد منه المعلمون طريقه ، واعتمدوا على ما سنه من ذلك " (١) .

ولعل ذلك كله يميز الرياحي عن غيره من المؤيدين في هذه المرحلة ، فقد أحكم المنطقيات ، وأطلع على طرائق أهل الكلام ، وحقق أصول الجدل والمناظرة ، وتفنن بالقياس والاستنباط ، وتخبر غوامض المسائل النحوية وعللها ، ووضع بين أيدي الأندلسيين أصول المنهج المشرقي في الدراسة النحوية . وسنّ للمعلمين والمؤيدين في عصره طريقة جديدة - كما لاحظنا سابقا - في التأديب ، اعتمدوها ، وجعلوها شرعة لهم ومنهاجاً . ولعل الرياحي يمثل مرحلة متطورة من النظر النحوي لا نجدها عند من سبقه ممن ندب نفسه للتأديب بالنحو . واستنتاجنا هذا قائم على الروايات الخارجية لعدم توفر شي من إنتاج الرياحي ولا شك أن هذه الروايات - وخاصة ما ذكره أبو بكر المهدي - تمثل مرتبة اليقين لأن الزبيدي من تلاميذ الرياحي ، وهو أهم عالم أندلسي يعتمد عليه في نقل أخبار النحاة في هذا القرن .

٢ - التمكن بالنحو والمناظرة في الكتب

كان الرياحي أهم علماء الأندلس الذين رووا كتاب سيبويه ، وأدخلوه الى الأندلس فقد حمله رواية عن ابن النحاس بمصر ، وبعد عودته الى الأندلس جعل من داره مكاناً لتأديب الطلبة وتدريبهم ، " وقرأ عليه كتاب سيبويه ، وأخذ عنه ، وعقد للمناظرة فيه مجلساً في كل يوم جمعه " . (٢)

١ - انباه الرواة ٣ / ٢٣٠

٢ - طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .

وهذا لا ينأتى إلا عن عالم متمكن في النحو ، عارف بوجوهه المختلفة ، قادر على تحليل كتاب سيويه ، والصير على مداينة أبوابه ، وتذليل وعورته ، وقد كان علماء النحو المشاركة يقولون فيمن تناول كتاب سيويه بالدرس والتحليل " لقد ركب البحر " لصعوبته ووعورة مسلكه ، ولا شك أن موقف الرباعي هذا من كتاب سيويه ساعد على انتشاره ، وسريانه في تيار الثقافة النحوية الأندلسية ، وفتح مجالاً جديداً لتدريس النحو لم يمهده الأندلسيون قبله .

٣ - التلمذة

تتلمذ على الرباعي عدد من التلاميذ ، ممن كان لهم دورهم في استمرار الدرس النحوى في قرطبة ودفعه إلى الأمام . ومن تتلمذ على يديه : أبو عبد الله محمد ابن سعيد القشيري (ت ٣٧٧ هـ) وأبو عبد الله محمد بن عاصم النحوى (ت ٣٨٢ هـ) (٢) ومحمد بن خطاب النحوى (٣) ، وسلمة بن سعد الله النحوى (٤) . ومعاذ بن عبد الله بن طاهر البلوى (٣٤٢ - ٤١٨ هـ) (٥) ، وعبيد الله فرج الطاووقى النحوى (ت ٣٨٦ هـ) (٦) . ومحمد بن عبد الرحمن بن عيسى الحجرى (ت ٤٣٦ هـ) (٧) وغيرهم . فقد أخذوا عنه علمه ، وطريقته في الدرس النحوى ، فاهتموا بالنحو ودقائقه . والرباعي يعتبر حلقة وصل بين المؤيد بين القدامى (١) - في القرن الثالث - والاساتذة الأعلام بالنحو في القرن الرابع .

- ١ - " كان من أهل العلم بصنوف العلوم المختلفة ، كثير الكتب بخطه ، لم يجاره أحد في صحة خطه ، وحسن نقله . حدث عن أبي علي القالي ، وأبي عبد الله الرباحي ، وغيرهما من رؤساء الأدب " الصلة ٤٧٧/٢ .
- ٢ - وكان نحويًا مشهورًا ، وأما في العربية ، لا يقصر عن أكابر أصحاب المبرد ، وكانت الدراية أغلب عليه من الرواية . الصلة ٤٧٨/٢ وانظر جذوة المقتبس ص ٣٩٧ .
- ٣ - (من أهل قرطبة ، روى عن أبيه ، وعن أبي علي البغدادي ، وأبي بكر بن القوطيه وأبي عبد الله الرباحي وغيرهم . وعني بالعربية والآداب واللغات ، فاستقل بمصرفتها ، وتقدم في مناعتها " . التكملة ٣٧٧/١ .
- ٤ - " روى عن أبي العباس الأنطاكي ، وأبي بكر الزبيدي ، ومحمد بن يحيى الرباحي ، ومحمد بن أصبغ النحوى " الصلة ٢٢١/١ .
- ٥ - " كان عالماً باللغة والعربية ، بارعاً في الآداب ، قديم الطالب ، روى عن ابن القوطيه ايضاً " الصلة ٦٢٥/٢ - ٦٢٦ .

يتبع

ويلحظ الدارس أن رحلة العلماء الأندلسيين في هذا القرن أخذت تتناقص ، وأن كبار بعض نحاة هذا العصر لم يفادروا قرطبة إلى المشرق . ولعل مرد ذلك أن الأندلسيين رأوا في القالي والرياحي وغيرهما من العلماء ، وفي أمهات النحو المشرقية الداخلية اليهم خلاصة الثقافة النحوية المشرقية مما أدى إلى عدم الحاجة إليها كثيرا . ولم يكن القالي والرياحي وهدهما في مجال التأديب في هذه المرحلة ، بل انضافت إلى جهودهما جهود اخوان آخرين لهم من نحاة الأندلس ومنهم :

- ١ - أحمد بن اسماعيل بن بشر النحوي المعروف بابن الأغيس (ت ٣٢٦ هـ) (١) .
- ٢ - والحكيم أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٣٣١ هـ) وقال فيه ابن الفرضي : " كان عالما بالنحو والحساب ، دقيق النظر ، شيرا للمماني ، مولدا لها ، لا يتقدم في ذلك . . . وأدب أمير المؤمنين الحكم المستنصر " (٢) وقال فيه ابن القفطي أيضا : " كان دقيق النظر غاية في علم العربية والحساب ، وهد المنطق ، لطيف الاستخراج ، صحيح الخاطر ، ولم يكن أحد من أهل زمانه يتقدمه في علمه ونظره وأنجب على يده جملة من الطلبة والشعراء والكتاب " (٣) .

-
- ١- انظر ترجمته في : طبقات الزبيدي ص ١٩٤ ، وانباه الرواة ٣٣ / ١ ، وغنية الوعاة ص ١٢٩ ، وقال فيه القفطي : " وكان عالما بكتب القرآن من جهة التفسير والعربية . والقراءة ، وكان حافظا للغات العربية " انباه الرواة ٣٣ / ١ .

٢ - تاريخ العلماء ٥٤ / ٢

٣ - انباه الرواة ٦٥ / ٣

تابع

- ٦ - " روى عن أبي علي البغدادي ، وأبي عبد الله الرياحي وابن القوطيه ونظائريهم ، وتحقق بالادب واللغة ومعني بذلك كله ، وكان مولده سنة (٣٢٤ هـ) " . الصلة ٢٨٩ / ١ .
- ٧ - " أخذ عن الرياحي وغيره ، وكان من أهل العلم بالنحو واللغة والشعر " . الصلة ٥٢٦ / ٢ .

- ٣ - محمد بن أرقم ، وكان من أهل العلم بالحربية واللغة ومعاني الشعر ، وقد اشتغل بالتأديب في قرطبة . (١)
- ٤ - يوسف بن محمد بن طريف البلوطي (ت ٣٣٤ هـ) " وكان عالما بالنحو واللغة ، حسن الخط ، جيد الضبط ، ااما في هذا الفن ، أدب وسمع منه " . (٢)
- ٥ - قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) ، وكان " نبيلاً بالنحو والفريق والشعر ، وكانت له رحلة إلى المشرق ، وسمع الناس منه كثيراً " (٣) .
- ٦ - أحمد بن موسى الرازي (ت ٣٤٤ هـ) ، وكان " نحويًا لغويًا كاتبًا بليغًا عزيز الرواية " . (٤)
- ٧ - قاسم بن سعدان أبو محمد (ت ٣٤٧ هـ) وكان " ضابطًا لكتبه ، متقنًا لروايته حسن الخط جيد الضبط ، عالما بالحديث ، بصيرًا بالنحو والفريق والشعر ، ولم يزل في نسخ ومقابلة إلى أن مات سنة ٣٤٧ هـ " . (٥)
- ٨ - سعيد بن قدامة بن عبد الوارث (ت ٣٤٧ هـ) " سمع من قاسم بن أصبغ . . . وغيره . . . وكان مؤدب عربي ، وقد كتب عنه " (٦) وقال فيه أبو بكر الزبيدي : " كان مؤدبًا عالما بالحربية ، وكان يميل إلى مذهب الكوفيين " . (٧)

-
- ١- انظر ترجمته في : طبقات الزبيدي ص ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وصغية الوعاة ص ٩٣ - ٩٤ وانباه الرواة ٦٩/٣ .
- ٢ - تاريخ العلماء ٢٠٥/٢ .
- ٣ - تاريخ العلماء ٤٠٨/١ .
- ٤ - انباه الرواة ١٣٦/١ . وانظر ترجمته أيضا في طبقات الزبيدي ص ٣٢٧ ، وصغية الوعاة ص ١٧٢ .
- ٥ - تاريخ العلماء ٤٠٩/١ .
- ٦ - تاريخ العلماء ٢٠٢/١ .
- ٧ - طبقات الزبيدي ص ٣٢٣ .

- ٩ - أبو محمد عبد الله بن حرب بن إبراهيم (ت ٣٣٤ هـ) وكان " من أهل العلم بالنحو ، دقيق النظر فيه ، صحيح القياس ، على مسائله ، وكان منجها في المتأديين " (١)
- ١٠ - عبد الله بن سليمان بن المنذر المكفوف (ت ٣٢٤ هـ) وكان " له حظ جليل من الصرية . . . واستأذنه أمير المؤمنين الناصر لدين الله لولده " . (٢)
- ١١ - أبو عمر ^{محمد} بن محمد الأعرج (ت ٣٤٥ هـ) بدأ حياته بدراسة الحديث وروايته ثم " مال إلى النحو ، فغلب عليه . وقيل : أنه طالب النحو ليستعين به على علم الحديث والفقه فأدركه بعض الاختلال عند اتخاذه العيال ، فحمل التأديب عونا على ما لزم من مؤنتهم إلى أن توفي . وكان مهيبا في تأديبه . لا يجترى أحد ممن تأدب عنده أن يظهر غير الجدة . . . " . (٣)
- ١٢ - أحمد بن يوسف بن حجاج (ت ٣٣٦ هـ) ، كان " من أعلم الناس بالنحو وأحفظهم لمسائله ، وكان كتاب سيبويه بين يديه لا يني عن مطالعته في حال فراغه وشغله وصحته وسقمه . . . " . (٤)
- ١٣ - طحان بن عبد الله بن طحان (ت ٣٤٠ هـ) كان " له حظ من علم الصرية وكان مؤدبا بها ، واستأذنه أمير المؤمنين لولده " . (٥)
- ١٤ - أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عثمان الأسدي (ت ٣٣٥ هـ) كان " نحريا لغويا فصيح اللسان وكانت له رحلة سنة أربع وثلاثمائة ، لقي فيها أبا الخصيب الفارسي المكي النحوي . . . " (٦) .

١ - طبقات الزبيدي ص ٣١٢

٢ - طبقات الزبيدي ص ٣٢٣

٣ - طبقات الزبيدي ص ٣٢٤

٤ - طبقات الزبيدي ص ٣٢٧

٥ - طبقات الزبيدي ص ٣٢٨

٦ - طبقات الزبيدي ص ٣٣١

١٥ - محمد بن أبان بن سيّد (ت ٣٥٤ هـ) كان " عالما بالعربية واللغة
وكان مكينا عند المستنصر بالله ، وألف الكتب ، وكتب عنه " . (١)

١٦ - محمد بن حسين الفهرى (ت ٣٥٥ هـ) كان من تلاميذ القاضي ، متقدما
في حفظ الآداب واللغات ، وقد أخذ عنه ابن الأفلح . (٢)

١٧ - منذر بن سميّد البلوطي (ت ٣٥٥ هـ) سمع من " ابن ولاد بمصر
كتاب " العين " للخليل ، ولقي أبا جعفر أحمد بن محمد بن النحاس النحوى
بمصر ، وأخذ عنه " . (٣)

١٨ - مطرف بن عيسى بن لبيب (ت ٣٥٧ هـ) كان " متصفا في علم الاعراب والغريب
ورواية الشعر ، وحفظ الأخبار وتأليف الكتب " . (٤)

وقد كان لابي بكر الزيدى وابن القوطية دور لا ينكر في التأديب وسنتحدث عنهما
في الفصل القادم .

وخلاصة القول ان الدارس يلمس في هذه المرحلة - تطورا في الدرس النحوى كما
وكيفا مما جعلنا نعتبرها مرحلة متطورة عما قبلها .

أما من حيث الكم فقد ازداد عدد المؤيدين بالنحو ، وكثر عدد الآخذين عنهم .
وانساب بعض المؤلفات النحوية المشرقية في الثقافة النحوية الأندلسية ، وأدى هذا
كله الى التقليل من رحلة العلماء الأندلسيين الى المشرق ، وخاصة في النصف الثاني
من القرن الرابع الهجرى . وصنف بعض العلماء في جزئيات من النحو كتاب فعلت
وأفعلت وتفسير المعلقات واعرابها للقاسي .

١ - تاريخ العلماء ٦٩/٢

٢ - جذوة المقتبس ص ٥١

٣ - انوار انباه الرواه ٣٢٥/٣

٤ - تاريخ العلماء ١٣٦/٢

ومن حيث الكيف فقد ترسخت دعائم المذهبين : البصرى والكوفي في النحو واللغة (١) ولكنهم اعتمدوا مذهب البصريين في السماع والقياس ، فأخذوا بما لا يتعارض والقياس أما الشاذ النادر فقد احترزوا منه ، ولم يعتمدوا عليه . (٢)

والملاحظ أن تناول المادة النحوية قد أخذ ينفصل عن أحضان تيار الثقافة الدينية في هذه المرحلة ، فقد تفرغ بعض المؤيديين للنحو ، وعقدوا للمناظرة في بعض كتبه مجلسا ، وعللوا الملل ، وعرضوا لأوجه الخلاف بين البصريين والكوفيين .

وهدت ظاهرة التعجيز والممايزة بالتمارين غير العملية في النحو ، فأخذ بعض النحاة يلقي مسائل وأجوبة من عويس النحو ، ولعل هذا يدل على المام نحو متطور فيه استقصاء لدقائق هذا العلم .

وأهمية هذه المرحلة أنها أدت إلى ظهور العالم النحوي المتخصص في النحو فكانت مرحلة التأليف النحوي المتخصص ، وهي المرحلة التي سنتحدث عنها في الفصل القادم .

١- قال القالي في مقدمة كتابه المقصور والممدود : " فإذا ذكرنا حرفا من طريق القياس على مذاهب البصريين ، ثم كررناه على مذاهب الكوفيين ، على ما ذكر شيخنا أبو بكر الأتباري ، وكان أعلم من رأيناه منهم (أى من الكوفيين) فانما ذلك ليفرن بين المذهبين ، ويعلم سبيل الفريقين ، وكيف يتناول منهم حجة ، ويورد علة " المخطوطة عن ه .

٢- وقال القالي عن الشاذ النادر : " . . . وهذه أحرف نوادر سمعتها من أبي بكر بن دريد خاصة على أمثلة شتى ، وهي شاذة ، فلذلك لم أدخلها في تضعيف الكتاب ، وأحرف ذكرها صاحب كتاب العيين لم نروها فأتينا بها مع هذه الشواهد وعزوناها إلى كتاب العيين . . . ولتوقينا هذه المواضع لم نودع أبواب الكتاب هذه الحروف وتحريها فيه باتيان المشهور الذي لا يشك في صحته . . . " المقصور والممدود عن ١٣٦ .

=====

مرحلة التأليف المتخصص
التأليف التعليمي الميسر
التأليف المتأثر بالاتجاه الفلسفي

ظهور الدرس النحوي المتخصص

حاول بعض السابقين من العلماء أن يحددوا المراحل التعليمية ، فالمتعلم يبدأ تعليمه بما يتناسب وقدراته العقلية ، فيدرك في البداية القواعد الأولية والقوانين الأساسية لأي علم من العلوم . وبعد ما يبدأ بالتطلع إلى ما تتحصل إليه هذه القواعد من تفريعات وجزئيات ، وبها تبدأ مرحلة التخصص ألا ولسي والتأليف في الفروع والجزئيات في العلم الواحد ، ثم تتلوها مرحلة التخصص المتكامل والتأليف الشامل المتضمن أبواب العلم الواحد كله ، ويتبعها طور الشرح والاستقصاء والتحقق ، وتقلب المسألة الواحدة على وجوهها المحتملة ، والجنوح في أغلب الأحيان إلى لسان من ألوان الترف الذهني ، وهو الجري وراء الجزئيات الخفية والتعليقات الجدلية التي تهدف إلى المعايضة والتعجيز ، والتغلب على الخصوم من أجل الشهرة ، وبعد الصيت (١)

لقد اتجه النحاة العرب — بقصد أو بخير قصد في كثير من جوانب الدرس النحوي — إلى مثل هذا التصور ، وتدرجوا في التحصيل النحوي ، إذ تقدم أوائل النحاة القواعد الأولية ، ثم جاء تلاميذهم فمدوا الدرس النحوي ، وشمعوا الأصول إلى الفروع ، ووصفت كتب بعضهم بأنها قرآن النحو ودستوره (٢) . ورأى من جاء بعدهم من تلاميذهم أن أساتذتهم أصلوا القواعد النحوية ، واكتمل وضع النحو بهم ، وتمت مسائله ، وما عليهم إلا أن يشرحوا كتب المتقدمين ، ويوضحوا ما استغلق على الناس فهمه منها ، ثم مالوا بعدها إلى الاستقصاء والتحقق والترف الذهني ، فملأوا كتب النحو بخلافاتهم وتأويلاتهم وتعليقاتهم ، مما جعل النحو — في مثل هذه المؤلفات — عبثاً ثقيلاً على المتعلمين .

وأدرك بعض النحاة — في بعض مراحل الدرس النحوي — أن مثل هذه المؤلفات لا تفيد الشادين بالنحو ، ولا تتناسب مع قدراتهم العقلية ، فمالوا إلى وضع مؤلفات نحوية يغلب عليها الطابع التعليمي الميسر ، فوضع ابن السراج كتاب ((الموجز في النحو)) ووضع الزجاجي كتاب ((الجمل)) .

(١) انظر تاريخ ابن خلدون — المقدمة ٥٣٣/١ وما بعدها — دار البيان

(٢) مراتب النحويين ص ٦٥ .

ولحل في حد يثنا السابق اجمالاً لما كان عليه الدرس النعوى في المشرق حتى نهاية القرن الرابع الهجري . فالى أى مدى يتفق هذا وطبيعة الدرس النعوى في الأندلس ؟ .

لاحظنا فيما سبق من كلامنا ، أن نحاة ما قبل القرن الرابع الهجري في الأندلس أغلبهم من المؤيد بين (١) . وأنهم كانوا يدرسون تلاميذهم النحو في جملة الموضوعات التي يتعلمها المتأدبون من تفسير وحديث وفقه وغير ذلك ، قال ابن خلدون : ((وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن ، والكتاب من حيث هو ، وهو الذى يراعونه في التعليم ، فلا يقتصرون على القرآن ، بل يخلطون في تعليمهم للولد ان رواية الشعر والترسل وأخذهم بقوانين العربية ، وتجويد الخط ، ولا تختص عنايتهم بالقرآن دون هذه ، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها (٢) .

ولذا فقد اهتم المؤيدون الأندلسيون في البداية بمحميات النحو وأصوله ، التي تعين المتأدب على القراءة السليمة الخالية من العجمة واللحن ولم يفتتوا جهودهم ، ويشغلوا عقول تلاميذهم بالبحث عن التفرعات النحوية التي تتحلل اليها القاعدة النحوية الواحدة ، ولم يرهقوا أنفسهم بالبحث عن الملل والخلاقات ، وتأويل الظواهر اللغوية التي لا تنسجم مع القاعدة النحوية . ويؤيد ما ذهبنا اليه ما قاله ابن حزم الأندلسي ، تلميذ القرن الرابع الهجري ، واستاذ القرن الخامس الهجري : ((وأما التعرق في علم النحو ففضول لا منفعة بهما ، بل هي مشغلة عن الأوكد ، ومقطعة دون الأوجب والأهم ، وانما هي تكاذيب ، فما وجه الشغل بما هذه صفته ؟ وأما الغرض من هذا العلم فهي المناط طيبة ، وما بالمرء من حاجة اليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط ، فمن يزيد في هذا العلم الى احكام كتاب سيبويه فحسن ، الا أن الاشتغال بغير هذا أولى وأفضل ، لأنه لا منفعة للتزويد على المقدار الذى ذكرنا الا لمن أراد أن يجعله معاشاً ، فهذا وجه فاضل لأنه باب من العلم على كل حال (٣) .

ولحل هذا الموقف يتناسب مع طبيعة أغلب الأندلسيين ، الذين يميلون الى السهولة والتيسير ، ويبتعدون عن العمورة والتعقيد ، والجدل الفلسفي .

- (١) انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث ص ١٥ - ٢٤ .
- (٢) تاريخ ابن خلدون ١ / ٤٧٣ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات
- (٣) نثرات في اللغة عند ابن حزم ص ٣١

ولما كان المشرق أسبق في حضارته من الأندلس اتجه الأندلسيون اليه ، ونهلوا من معين حضارته الإسلامية ، ولما كان النحو الكوفي خاليا من التحقيدات والصعوبات التي نجد ها أحيانا عند البصريين ، مالوا اليه في بداية الأمر ، وحكف بعضهم على شرح كتاب الكسائي ، على الرغم من أخذهم عن البصريين في رحلتهم المبكرة الى المشرق . (١)

واستبعدت في الأندلس بعد ذلك عوامل داخلية وخارجية أدت الى تقدم الثقافة الأندلسية وارتقاءها ، فارتقى معها الدرس النحوي ، وبدأ المؤيدون يؤيدون بالنحو خامسة ، ويمقدون له الحلاقات ، ويتناقشون في مسائله ، ويتناظرون في كتب النحو المشرقية ، وعلى رأسها كتاب سيبويه . (٢) واختاروا نحوهم من البصريين والكوفيين ، ولكنهم مالوا الى البصريين ، واكثروا من الاقتداء بهم ، وانطبع بنحوهم بنحوهم وألغوا في بعض فروع النحو .

وأدت جهود نخبة المرحلة السابقة الى تكوين جيل جديد ، نقل الدرس النحوي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري في الأندلس الى مرحلة جديدة هي مرحلة التأليف النحوي الشامل المنظم المتخصص . وقد اتخذ التأليف في هذه المرحلة سمتين : التأليف التعليمي الميسر ، ويظهر بشكل واضح عند أبي بكر الزبيدي ، وأبي بكر بن القوطية . والتأليف المتأثر بالاتجاه الفلسفي ويظهر بشكل بين عند ابن العربي .

التأليف التعليمي الميسر

مال بعض نخبة الأندلس في القرن الرابع الهجري الى وضع كتب نحوية تعليمية ، تهدف الى تيسير النحو على الشادين ، والتقليل من الزوائد التي علقت في متن الدرس النحوي ، ولا حاجة للمتأدبين اليها ، وهي كما وصفها ابن حزم : ((فضول لا منفعة بها ، بل هي مشغلة عن الأوكد ، ومقطوعة دون الأوجب والأهم ، وانما هي تكاديب . . . (٣) ورأوا أن وظيفة علم النحو الأساسية هي ((المخاطبة ، وما بالمرء من حاجة اليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط . . .)) (٤)

(١) انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث ص ١٠ - ٤٤

(٢) انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث ص ٩٠ - ٩١

(٣) نظرات في اللغة عند ابن حزم ص ٣١

(٤) نظرات في اللغة عند ابن حزم ص ٣١

وقد مال بعض نحاة المشرق في بداية القرن الرابع الهجري الى هذا الاتجاه أيضا فألف ابن السراج (موجزه) وصنف الزجاجي (جملة) على هذا الأساس كما ذكرنا سابقا .

ولعل أبا بكر الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) وأبا بكر القوطيه (ت ٣٦٧ هـ) خير من يمثل هذا الاتجاه التألفي عند نحاة الأندلس في هذا القرن . ويحتمل أن نوبئ القول في انتاجها وأثرهما في ذلك .

أبو بكر الزبيدي (١)

هو ((محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر الداخل بن أبي ضمرة من بني مازن بن ربيعة بن زبيد بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج)) (٢) . وكنيته أبو بكر (٣) . وضبط ابن خلكان كلمة زبيدي بقوله : ((والزبيدي بضم الزاء ، وفتح الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها دال مهملة ، ثم هذه النسبة الى زبيد ، واسمه منه بن صعب بن سعد العشيرة)) (٤) وتذكر بعض المصادر أن أصله من حمص الشام (٥) . ثم هاجر أجداده الى الأندلس ، وقطنوا اشبيلية التي قيل عنها : انها حمص الأندلس .

-
- (١) انظر ترجمته في : جذوة المقتبس ص ٤٣ - ٤٥ ، بغية الملتص ص ٦٦ - ٦٧ تاريخ العلماء ٩٢ / ٢ ، يتيمة الدر ٧٠ / ٢ - ٧١ ، الأنسان للسمعاني ٢٦٥ / ٦ ، وفيات الأعيان ٣٧٢ / ٤ ، معجم الأدباء ١٧٩ / ١٨ - ١٨٤ ، مطمح لأنفس ص ٥٣ - ٥٥ ، الوافي بالوفيات ٣٥١ / ٢ ، بغية الوعاة ص ٣٤ نفع الدليب ٧٢ / ٣ ، ٧٤ ، ٧٥ تحقيق احسان عباس ، الديباج المذهب ٢٦٣ ، شذرات الذهب ٩٤ / ٣ ، طبقات ابن شهبة ص ٨٨
 - (٢) جمهرة أنساب العرب ص ٤١٢
 - (٣) تاريخ العلماء ٩٢ / ٢ ، وأغلب المصادر التي ترجمت له .
 - (٤) وفيات الأعيان ٣٧٤ / ٤ ، وانظر طبقات ابن شهبة ص ٨٨
 - (٥) وفيات الأعيان ٣٧٤ / ٤ ، الوافي بالوفيات ٣٥١ / ٢ ، وتاريخ الادب العربي ٢٨٠ / ٢ .

وأجمعت المصادر التي ترجمت للزبيدي أن اشبيلية مسقط رأسه ، ولكنها أغفلت ذكر تاريخ ولادته ، وذهب بروكلمان الى أنها كانت سنة ٣١٦ هـ (١) .
معتمداً في ذلك على ما جاء في رواية ابن خلكان من أن الزبيدي عاش ثلاثاً وستين سنة (٢) .

وأن تاريخ وفاته كانت في أغلب الروايات ٣٧٩ هـ ، غير أن هذا التاريخ يتعارض مع الرواية التالية : ((وكان الزبيدي حينئذ اماماً في الأدب ، ولكنه عرف فضل أبي علي (القالي) ، فمال اليه ، واختص به ، واستفاد منه ، وأقصر له)) . (٣) وكان القالي قد دخل الأندلس سنة ٣٣٠ هـ ، وحسب هذه الرواية يكون عمر الزبيدي أربع عشرة سنة عند دخول القالي الأندلس ، وهو عمر لا يسمح لصاحبه أن يكون اماماً في الأدب وغيره ، ولذلك رجح بعض الدارسين أن يكون مولده سنة ٣٠٨ هـ (٤) ومنهم من ذهب الى أنه سنة ٣٠٦ هـ (٥) معتمدين في ذلك على رواية أنه لم يسمع من والده ، وقد توفي والده سنة ٣١٨ هـ (٦) .
ورواية أنه كان اماماً في الأدب سنة ٣٣٠ هـ .

والأرجح أن ولادته كانت سنة ٣٠٨ هـ ، لأنه أقرب الى التوفيق بين الروايتين السابقتين ، ولأن ((الهبوط بسنة ميلاده عن (٣٠٨) هـ . يتناقض مع رواية عدم سماعه من أبيه لصفر سنه ، كما أن الارتفاع بها يتناقض مع الرواية التي تقول : انه كان اماماً عند وصول القالي الى الأندلس ، وكلتا الروايتين صحيحة ، لا مجال لطراحها أو تجريحها)) (٧) .

-
- (١) تاريخ الأدب العربي ٢/ ٢٨٠
 - (٢) وفيات الأعيان ٤/ ٣٧٤
 - (٣) جذوة المقتبس ص ١٥٥ - ١٥٦ ، معجم الأدباء ٧/ ٣٠
 - (٤) أبو بكر الزبيدي ص ٦٢
 - (٥) مقدمة محقق مختصر العمين : و
 - (٦) تاريخ الملوك ١/ ١٢٩
 - (٧) أبو بكر الزبيدي ص ٦٢

والصادر تغفل أيضا الحديث عن طُفولته في اشبيلية ، مما جعلها غامضة ، وكل ما نعرفه عنه أنه عاش يتيما ، وأنه قدم قرطبة ليأخذ عن علمائها (١) . ويبدو أنه عاد الى اشبيلية بعد ذلك ، ثم ذاع صيته واشتهر أمره فيما بعد ، مما جعل الحكم المستنصر يستدعيه الى قرطبة . والصادر لا تذكر السنة التي قدم فيها الى قرطبة ، ولعلها قبل وفاته القالي ببضع سنوات ، وهي السنوات التي يكون بمقدوره أن يكون لنفسه شخصية علمية ، تلفت النظر ، لأن ((الحكم المستنصر استدعاه من اشبيلية الى قرطبة لفضله ، والاستفادة منه)) (٢) .

وجعل الحكم من الزبيدي معلما أساسيا لنشر الثقافة النحوية واللغوية في الاندلس ، عن طريق التدريس والتأليف ، فقد صرح الزبيدي في مقدمة بعض كتبه أنه ألفها بناء على طلب الخليفة الحكم — كما سنراه فيما بعد — واتخذ الحكم مرجعا يرجع اليه في حل الخلافات اللغوية ، فحين اختلفت الرواة في عدد كلمات كتاب (الخريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلام ، بين قائل انها مئنة ألف ، وقائل : انها عشرة آلاف ، ندب الحكم الزبيدي ليفتّ الخلاف ، ويحصي كلمات الكتاب ففعل ، قال الزبيدي : ((ولما اختلفت هاتان الروايتان في العدد أمرني أمير المؤمنين رضي الله عنه بامتحان ذلك فعددت ما تضمنه الكتاب من الألفاظ فألفت فيه سبعة عشر ألف حرف ، وتسعمائة وسبعين حرفا)) (٣) .

وبجانب هذه الثقة العلمية فقد نال ثقة الحكم في الشؤون الادارية أيضا ، فقد عينه قاضيا في المواع مع الذي كان يسكنه في قرطبة (٤) واختاره سنة (٣٦٢) هـ مؤدبا لابنه هشام المؤيد ، قال ابن حيان : ((ذكر ادناء الزبيدي النحوي ، سنة ٣٦٢ هـ وفي يوم الأحد للنصف من ذي القعدة منها ، نفذ الصهد الى محمد بن حسن الزبيدي ، ثم الاشبيلي النحوي بالتزام مدينة الزهراء

(١) انظر فيما سيأتي من هذا البحث عند الحديث عن شيخ الزبيدي

(٢) انباء الرواة ٣ / ١٠٩

(٣) طبقات الزبيدي ص ٢٢٠ — ٢٢١

(٤) تاريخ العلماء ٢ / ٩٢

لمجالسة الأمير أبي الوليد هشام بن أمير المؤمنين ، ومفاتيحه والنظار في الحربية
وقد اعتدت لنزوله منها الدار التي يسكنها صاحب الشرطة أحمد بن سعيد الجعفرى
وأجريت الأرزاق الواسعة عليه . . . واستقبل (الزبيدي) هذا اليوم بصفة سنية ،
وخلصة فاشرة على الذى تولاها من اختصاره لكتاب الحين للخليل بن أحمد ، وإقامته
على الترتيب والتصنيف اللذين حدّهما له أمير المؤمنين فيه ، فارتضى عمله فيه عند
تصفحه له ، وأجزل صلته ، وأدنى مكانه ، وأوصله الى نفسه يومه هذا ففاوضه في عمله
الذى برع فيه)) (١) .

وعاش الزبيدي عند الحكم محزوا مكرما . ويبدو أنه من الى مسقط رأسه
اشبيلية في زمن الحكم المستنصر ، فاستأذنه في ذلك فلم يأذن له ، قال المقبرى
عن الفتح بن خاقان ((واستدعاه الحكم المستنصر بالله ، أمير المؤمنين ، فصجل
اليه وأسرع ، فأمر من آماله ما أمر ، فلما طالت نواه ، واستطالت عليه لوعته وبعواه ،
وحسن الى مسكنه باشبيلية ومثواه ، استأذنه بالحقوق بها ، فلومه ولواه ، فكتب
الى من كان يألفه ويهواه (٢) . وتذكر المصادر عدة أبيات للزبيدي قالها
في جارية له باشبيلية (٣) بنى عليها الصفدى حكمه في أن سبب إليه المسودة
الى اشبيلية راجع الى ولعه بهذه الجارية (٤) ولو كان هذا سببا حقيقيا لأعاد
الطالب على الخليفة هشام المؤيد بعد وفاة أبيه الحكم المستنصر ، ولكنه لم يفعل .

(١) المقتبس ص ١٣٣ - ١٣٤

(٢) نفح الديب ٧ / ٤٠ تحقيق احسان عباس

(٣) نفح الديب ٧ / ٤٠ تحقيق احسان عباس ، انظر جذوة المقتبس ص ٥٥
المحمدون من الشعراء ص ٢٠٩

(٤) ويجعلك ياسلم لا تراعي
لا تحسبيني صبرت الا
ما خلق الله من عذاب
الوافي بالوفيات ٢ / ٣٥١

لا بد للبين من زماع
كصبر ميت على النزاع
أشد من وقفة الوداع

وتولى الزبيدي في عهد الخليفة هشام المؤيد خطبة الشرطة (١). وبعد أن تولى المنصور بن أبي عامر مقاليد الحكم في قرطبة ، عاد الزبيدي الى اشبيلية ، وتولى القضاء فيها الى أن توفي سنة (٣٧٩ هـ) . قال ابن فرحون : ((وتوفي الزبيدي رحمه الله تعالى — باشبيلية ، وهو على قضائها في جمادى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وولي بعد وفاته القضاء مكانه ابنه أبو القاسم أحمد ، وابنه الآخر أبو الوليد)) (٢) ورغم سكوت المصادر عن صفات الزبيدي الشخصية ، فاننا نستطيع أن نستخلص قسما منها مما وصلنا من مقطوعاته الشعرية ، وبعض مؤلفاته ، فقد كان متواضعا في علمه ، معافيا متشردا في الدين . ودعاه تشدده هذا ليرد على ابن مسرة بكتاب سماه ((هتك ستور الملحد ين)) (٣) . ويستدل من توليه بعض المناصب الادارية ، كالقضاء والشرطة ، أنه صاحب سلوك مستقيم ، وخلق حسن ، وجرأة على قول الحق ، وعدل للمظلومين (٤) . وكان يتمتع بجاه عريض ، وقدر عظيم ، اذ كان صاحب الشرطة في الأندلس آنذاك ((عظيم القدر عند السلطان)) (٥) . ويستدل من بعض انتاجه العلمي ومقطوعاته الشعرية أنه عالم محب للعلم ، كثير الطلب له (٦) ثقافته

كان المنطلق الثقافي لأي متعلم في بلاد الأندلس الامام بالعلوم الدينية والادبية قبل أن يختار مجال تخصصه ، يقول ابن خلدون : ((وأما أهل الأندلس فقد همهم تعليم القرآن . . . بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر والترسل وأخذهم بقوانين العربية ، وتجويد الخط ، ولا تختص عنايتهم بالقرآن ، دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها)) (٧) .

-
- (١) جذوة المقتبس ص ٤٣
 - (٢) الديباج المذهب ٢٦٤ / ٢
 - (٣) الصلة ٩٠ / ٢
 - (٤) انظر تاريخ قضاة الأندلس ص ٧٨ لتبيان مكانة القضاة عند الأندلسيين
 - (٥) نفح الدليب ٢٠٣ / ١
 - (٦) انظر جذوة المقتبس ص ٤٣ - ٤٥ ، نفح الطيب ٣٩ / ٧ تحقيق احسان عباس
 - (٧) انظر تاريخ ابن خلدون ٤٧٣ / ١ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات

ولعل هذا يفسر لنا في جملة ما ذكرناه سابقاً — مانجده في كتب التراجم الاندلسية ، من تنوع الثقافة ، وتعدد جوانب المعرفة عند علماءهم ، فيكون العالم منهم مثلاً أدبياً وفقهياً ثم متخصصاً يستقصي علماً من العلوم ، فيلهم بدقائقه ، ويصبح بحدها إماماً فيه .

ويصدق هذا القول على ثقافة الزبيدي ، فقد تنوعت ، فكانت دينية ولفوية إذ أكب على علوم الدين من تفسير وفقه وحديث ، ثم اهتم بالعلوم اللغوية ، وتخصص فيها ، وعقد له الإمامة والرياسة في عصره ، قال ابن فرعون فيه : ((كان متفنناً فقيهاً ، أدبياً ، شاعراً ، وكان مع أدبه من أهل الحفاظ للفقهاء والرواية للحديث . . . وغلب عليه الأدب ، وعلم اللسان فشهريه ، وصنف فيه (١) . ونقل المقرئ قول الفتح بن شاقان في وصف الزبيدي ، قال : ((كان امام اللغة ، والاعراب وكعبة الالباب ، أوضح منها كل ابهام ، وفصح دون الجهل بها محلل الأوهام ، وكان أحد ذوي الاعجاز ، وأسمد أهل الاختصار والايجاز ، نجم والأندلس في اقبالها والانفس أول تهممها بالحلم واعتبالها ، فنفتت له عند هم البضاعة ، واتفقت على تفضيله الجماعة ، وأشاد الحكم بذكره ، فأروى بذلك زناد فكره (٢) .

ويظهر أن الزبيدي بجانب تضلعه بعلوم العربية والعلوم الدينية كان ملماً بالسير والأخبار فقد قال فيه ابن خلد كان : ((كان أوحد عصره في علم النحو ، وحفظ اللغة ، وكان أخبر أهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر ، الى ملسم السير والأخبار ، ولم يكن في الاندلس في فنه مثله في زمانه (٣) .

(١) الديباج المذهب ٢٦٣

(٢) نفح الطيب ٣٨ / ٧ تحقيق احسان عباس ، وانظر مطمح الأنفس ص ٥٤

(٣) وفيات الأعيان ٣٧٢ / ٤

ويظهر من تصديده للفلاسفة في عصره ، ورده على بعضهم في كتابه —
 ((عنتك ستور الملحد ين)) أنه مطلع على آراء بعض الفلاسفة والمناطقة في عصره
 ويقوى هذا الاحتمال تسامح الحكم المستنصر تجاه هذه العلوم - كما مر بنا سابقا
 ويلاحظ مما سبق أن الزبيدي قد تثقف ثقافة واسعة ، وأخذ علمه عن
 عدد من الشيوخ ، غير أننا لانعرف منهم الا أولئك الذين أخذ عنهم في قرطبة
 علوم الدين واللغة . ويمكن تقسيمهم قسمين :- وان كان أخذ عنهم متداخلا
 وهما :-

أ . شيوخه في العلوم الدينية .

تلقى الزبيدي علوم الدين عن عدد من الشيوخ في قرطبة وأهمهم :

- ١ . قاسم بن أصبغ (ت ٣٤٠ هـ) وكانت له رحلة الى المشرق سنة (٥٢٧٤ هـ)
 لقي فيها ثعلبا والمبرد وابن قتيبة ، وأخذ عنهم ، وكان قاسم بصيرا بالحدِيث والرجال ،
 والرجال ، نبلا في النحو والفريب والشعر ، وسمع من علماء مكة . . . ومصر .
 والقبور . . . وعاد الى الأندلس بعلم غزير ، فتحلق الناس بعوله ، وأخذوا
 عنه الحديث وكتب الرجال ، ودرسوا عليه كتب ابن قتيبة (١) .
- وقال فيه الحميدي : ((امام من أئمة الحديث ، حافظ مكثر مصنف)) (٢)
- ٢ . أحمد بن سعيد بن حزم الصدي (٢٨٤ - ٣٥٠ هـ) وله رحلة الى
 المشرق سنة (٣١١ هـ) التقى بالعلماء وأخذ عنهم ، وعاد الى الأندلس فحضر
 بالحدِيث ، وصنف فيه (٣) . واعتمد الزبيدي على روايته لبعض الأئمة الذين
 استشهد بها في كتابه لحن الصوام (٤) .
- ٣ . سعيد بن فحلون بن سعيد (٢٥٢ - ٣٤١ هـ) كان يسكن مدينة
 بجاية ، وكان طلابه يلحون به حيث يقيم (٥) وكان (سعيد بن فحلون مدوقا
 فيما روى) (٦)

(١) انظر تاريخ العلماء ١/٤٠٦ - ٤٠٨

(٢) جذوة المقتبس ص ٣١١

(٣) انظر تاريخ العلماء ١/٥٥ ، وجذوة المقتبس ص ١١٧

(٤) انظر لحن الصوام ص ١٤١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٢

(٥) انظر بغية الملتبس ص ٣١١

(٦) تاريخ العلماء ١/٢٠١

- ٠٤ محمد بن العباس (٣٧٦ هـ) كان ((من أهل حلب ، قدم الأندلس على أمير المؤمنين المستنصر ، فكان يجرى عليه النزل . . . كتب عنه محمد بن حسن الزبيدي جزءاً من حديثه وأخباره . . . (١) .
- ٠٥ أحمد بن نصير بن خالد (٢٨٨ - ٣٧٠ هـ) وسمع الزبيدي منه موطأ مطرف بن قيس عن محمد بن عمر بن لبانه ، وقرأه لأmir المؤمنين هشام (٢) .
- ٠٦ عبد الله بن محمد بن علي اللخمي (ت ٣٧٨ هـ) . (٣) .
- ويلاحظ من تراجم هؤلاء الأعلام أنه كان لبعضهم رحلة إلى المشرق ، التقوا فيها بعدد من العلماء المشاركة ، ومنهم علماء في اللغة والنحو ، أمثال المبرد ، وشعيب ، وابن قتيبة ، وبعد أن عادوا إلى الأندلس تحلق حولهم التلاميذ وأخذوا عنهم ، فكانوا شيوخاً لهم بالعلوم الدينية والعلوم اللغوية ، لأنهم لم يفتصلوا بين هذه العلوم في حديثاتهم - كما أشرنا سابقاً - إلا أن علوم الدين كانت عليهم أظهر ، وهم بها أعلق .

(١) تاريخ العلماء ١١٦/٢ - ١١٧

(٢) انظر تاريخ العلماء ٦٣/١

(٣) تاريخ العلماء ٢٨١/١

ب. شيوخه في علوم اللغة .

تلقى الزبيدي طرفاً من علوم اللغة على شيوخه السابقين في علوم الدين ، ولكن الفضل فيما بلغه الزبيدي من مكانة علمية سامقة بين أبناء وطنه في النحو واللغة يعود الى عالين جليلين هما الرباعي والقالي .

وقد تأثر الزبيدي في تفكيره ومنهجه باستاذيه ، أما الرباعي فقد كان له أثره من حيث منهجه الفكري النعوى واللغوي القائم على اعمال الفكر ، وانعام النظر واستخراج الدقائق ، والوقوف على خفايا اللغة وأسرارها وعدم التسليم بكل مشروء أو مسموع ، الا بعد أن يؤكّد بالدليل ، ويقطع صحته بالبرهان (١) . وقد كان هذا منهج الزبيدي فيما وصلنا من مؤلفاته - كما سدرناه فيما بعد - ويؤكد صدق ما ذهبنا اليه اعجاب الزبيدي باستاذيه الرباعي ، وبطريقته في تدريس النحو عند ترجمته له ، ان أنه اشتغل للمؤيديين الأندلسيين طريقة جديدة تختلف عن طريقة من سبقوه في عرض النحو ، والاهتمام بدقائقه (٢) .

أما القالي فكان دوره كبيراً في نهضة الثقافة اللغوية الأندلسية عامة ، ان أعجب به علماء الأندلس ، وعرفوا قدره ، ومنهم تلميذه الزبيدي الذي مال اليه ، واخذ عنه ، وأقر له (٣) . وعند ترجمة الزبيدي له قال فيه : ((كان احفظ أهل زمانه للغة ، أرواهم للشعر الجاهلي ، وأحفظهم له ، وأعلمهم بحلل النحو على مذاهب البصريين ، وأكثرهم تدقيقاً فيه (٤) .

(١) انظر ما تقدم في سياق هذا البحث ص ٨٨

(٢) انظر طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ - ٣٣٧ ، وما تقدم في سياق هذا البحث ص ٨٩

(٣) جذوة المقتبس ص ١٥٥ - ١٥٦ ، نفح الطيب ٣ / ٧٥ ، تحقيق احسان عباس

(٤) طبقات الزبيدي ص ٢٠٢

فساعد القالي والرباحي على تمكين نحو البصرة وانتشاره بين تلاميذهم ، وما أن تصدرا للتدريس في قرطبة حتى أعليا شأن نحاة البصرة ، واهتما بتدريس كتاب سيبويه ، ورد القالي على من خالف سيبويه من البصريين (١) . وأثر ذلك في موقف الزبيدي من كتاب سيبويه . فوافق استاذيه في الاعلاء من شأنه والزراية بكل ما ألف حوله (٢) .

واهتم الزبيدي بكتاب المين كما اهتم قبله استاذاه القالي ، فقام الزبيدي باختصاره وتنقيته وطرح ما دخله من الشوائب والأخطاء التي تسربت اليه عن طريق الرواة والنساخ .

ولذا فقد كان للرباحي والقالي اثر كبير في ثقافة الزبيدي اللغوية والنحوية وفي منهجه وبعد نظره ، وأصالة العلمية ، وعقليته الناضجة المتفتحة ، وتفصيح عن ذلك كله مؤلفاته .

مؤلفاته

يعد الزبيدي من أكبر علماء اللغة والنحو في قرطبة في القرن الرابع الهجري لكثرة مؤلفاته اللغوية والنحوية ، ولتخصصه فيهما ، ونستطيع القول ان الزبيدي يمثل مرحلة جديدة من مراحل الدرس النحوي في هذا القرن في بلده ، وهي مرحلة التأليف الشامل المتخصص في النحو ، وسنفضل القول في هذا عند الحديث عن كتبه فيما بعد . وعرف المؤرخون والعلماء فضله ، فأكثروا من تقييده والشاء عليه ، قال فيه ابن القضي : ((كان واحد عصره في علم النحو وحفظ اللغة)) (٣) . وقال الحميدي : ((من الأئمة في اللغة والمريية)) (٤) .

(١) جذوة المقتبس ص ١٥٦ - انباه الرواة ١ / ٢٠٥

(٢) الاستدراك ص ١

(٣) تاريخ العلماء ٢ / ٩٢

(٤) جذوة المقتبس ص ٤٣

ومر بنا قول ابن خلكان فيه (١) . وقال ياقوت : ((وبلغني أن أهل الغرب يتنافسون في كتبه ، خصوصا كتابه الذي اختصره من كتاب العين ، لأنه أتمه باختصاره ، وأوضح مشكلته ، وزاد فيه ، ما عساه كان مفتقرا اليه ، وله غير ما ذكر من التصنيف من كل نوع من الأدب)) (٢) . وقال الثعالبي : ((أحفظ أهل زمانه للاعراب والفقه واللغة ، والمحماني والنوادر)) (٣) . ومنهم من وازن بينه وبين بعض علماء المشرق المشهورين في هذا القرن ، قال المقرئ - بعد ترجمة طويلة للزبيدي - : ((وبالجملة فهو بالمغرب بمنزلة ابن ريد في المشرق)) (٤) .

وتمود هذه الشهرة ، وبعد الصيت ، وعلو المكانة العلمية إلى مؤلفاته المتعددة في اللغة والنحو ، ويمكن تقسيمها - بحسب وجودها وفقدانها - قسمين الموجودة والمفقودة .

أ - الكتب الموجودة

وصلت إلينا مجموعة صالحة من مؤلفات الزبيدي النحوية واللغوية . وقام بعض الدارسين المحدثين بتحقيقها ، وتسهيل تناولها ، ويمكن تقسيمها ثلاثية اقسام : الكتب اللغوية ، والكتب النحوية ، وتراجم النحاة . وسنوجز القول فسي كتبه اللغوية ثم نتحدث عن اهتمامه بعلم النحو وعلمائه وبعد ما نفصل القول في كتبه النحوية .

١ . الكتب اللغوية

كتاب مختصر العين

لعل حد يثنا عن مختصر العين للزبيدي يدعونا أن نجمل الآراء المتضاربة في مسألة نسبة كتاب العين إلى الخليل ، وهي مسألة كثر الجدل حولها ، وأدلى اللغويون على مر المصور بآرائهم فيها ، وأفرد لها السيوطي فصلا خاصا (٥) وتتلخص هذه الآراء بما يلي :

- (١) انذار فيما تقدم من سياق هذا البحث (٢) معجم الأدباء ١٨١ / ٩٨
- (٢) يتيمة الدهر ٢ / ٧٠ - ٧١ (٤) نفح الطيب ٣ / ٤٧٦ تحقيق احسان عباس
- (٥) المزهر ١ / ٧٩ ، وقد عنوانه بقوله : قدح الناس في كتاب العين

- ١ . من العلماء من استبعد نسبة الكتاب الى الخليل ونسبه لليث بن نصر بن سيار (١)
- ٢ . ومنهم من يرى أن الخليل عمل من كتاب العين قطعة من أوله الى حرف العين وكلمة الليث (ولهذا لا يشبه أوله آخره) (٢)
- ٣ . ومنهم من ذهب الى أن الخليل أوماً الى عمل الكتاب (٣) أو رسم منهج الكتاب ووضع خطة السير فيه ، ولم يحشه فحشاه قوم علماء ، وعملت به يد النساخ عملها في الخلل والتصحييف (٤) .
- ٤ . وطائفة من العلماء أكدت نسبته للخليل ، وأنه هو الذي رسمه وحشاه ، ولم يشركه فيه احد غيره (٥) .

(١) المزهري ٧٧ / ١ ينقل السيوطي قول الأزهري فيه : (كان الليث رجلاً صالحاً عمل كتاب العين ونسبه الى الخليل لينفق باسمه) . ويذكر السيوطي أيضاً : أن أبا حاتم وأصحابه ينكرونه أشد الانكار ، ومرد هذا الانكار عندهم أن الكتاب ورد من خراسان على يد أحد الوراقين ، وصفوه بأنه مجهول الحال غير مشهور في العلم وكان ذلك سنة (٥٠ هـ) انظر المزهري (١ / ٨٤) وقال الزبيدي : (ان الكتاب لا يصح له (للخليل) ولا يثبت عنه) . المزهري ١ / ٨٢ .

(٢) المزهري ٧٧ / ١ ينقل السيوطي قول محمد بن عبد الواحد أبو عمر الزاهد : وكان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده ، وأعجب الليث أن ينفق سوق الخليل ، فصنف باقي الكتاب (. وانظر المزهري ١ / ٧٨ ، وانظر كشف اللذانون ٢ / ١٤٤٢)

(٣) المزهري ١ / ٦٥ ينقل السيوطي رأى ابن جني في الخصائص : (فان كان للخليل فيه عمل ، فلمله أوماً الى عمل هذا الكتاب ، ايما ، ولم يله بنفسه ، ولا قرره ولا حصره) . وانظر وفيات الاعيان ٢ / ٢٤٦

(٤) المزهري ١ / ٧٨ ، ٨٢ ينقل السيوطي قول أبي العباس ثعلب في ذلك ، انما وقع الفلط في كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه . . . وقد حشا الكتاب . . . قوم علماء الا أنه لم يؤخذ عنهم رواية وانما وجد بنقل الوراقين ، فاختل الكتاب لهذه الجهة (وانظر مراتب النعميين ص ٣٠)

(٥) ومنهم المبرد (ت ٢٨٥ هـ) انظر المزهري ١ / ٨٩ ، وأبو بكر بن دريد (ت ٣٢١ هـ) انظر المزهري ١ / ٩٢ ، وابن درستويه (ت ٣٤٧ هـ) انظر المزهري ١ / ٨٩ ، الفهرست ص ٧٠ وفيات الاعيان ٢ / ٢٤٦ .

والزجاجي انظر المزهري ١ / ٨٩ وابن فارس (ت ٣٩٥) انظر معجم مقاييس اللغة ٣ / ١ - ٤ ، ولمزيد من التفاصيل في المسألة انظر مختصر العين وكتاب (ابو بكر الزبيدي) ص ١١١ - ١٢٨ .

واضطرب عدد من القدامى في هذه المسألة ووقعوا في التناقض (١) وقال بعض المحدثين بصحة نسبة الكتاب للخليل (٢) .

وهدفنا من اجمال القول في مسألة نسبة كتاب العين الى الخليل بيان موقف الزبيدي من هذه المسألة .

لقد أنكر الزبيدي نسبة الكتاب للخليل قائلًا : (ان الكتاب لا يصح له ، ولا يثبت عنه) (٣) وهدف الزبيدي من انكاره هذا التجربة الخليل عن نسبة الخلل اليه (٤) وهو يرى أن صنع الخليل في الكتاب لا يتجاوز رسم خطبة الكتاب وأنه لم يحشه بل حشاه من لا يقوم في ذلك مقامه ، فكان ذلك سبب الخلل الواقع فيه ، والخطأ الموجود في ثناياه . يقول : (وأكثر الظن فيه (كتاب العين) ، أن الخليل سبب أصله ، وثقف كلام العرب ، ثم هلك قبل كماله ، فتعاطى اتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه ، فكان ذلك سبب الخلل الواقع فيه والخطأ الموجود فيه) (٥) . ويدلل الزبيدي على صحة رأيه بعدة أدلة منها :

١ . اختلاف نسخ كتاب العين ، واضطراب رواياته ، الى ما وقع فيه من العكاليات عن المتأخرين (٦)

٢ . لم يعرف أصحاب الخليل هذا الكتاب ولم يسمعوا به ، ومنهم النضر بن شميل (٢٠٣ هـ) ومؤرج السدوسي (ت ١٩٥ هـ) وأبو الحسن الأغش (ت ٢١٥ هـ) وبداية ظهور الكتاب (زمان أبي حاتم ، وفي حال رياسته ، وذلك فيما قارب الخمسين والمئتين لأن أبا حاتم توفي سنة خمس وخمسين ومئتين ، فلم ي

(١) انظر (أبو بكر الزبيدي ص ١١٣) (٢) من أراد الاستزادة فليندظر (أبو بكر الزبيدي ص ١١٢ - ١٢٨)

(٣) مختصر العين ص ٨ ، المزهري ١ / ٨٢

(٤) المزهري ١ / ٨٢ (٥) المزهري ١ / ٨٢ مختصر العين ص ٨

(٦) المزهري ١ / ٨٣ ومن ورد ذكره في العين من المتأخرين ، وروى عنه الخليل : المسحري ، والاصمعي ، وأبي عبيد ، وابن الاعرابي ، وانظر احتجاج الزبيدي على ذلك في المزهري ١ / ٨٣ .

فلم يلتفت أحد من العلماء اليه يومئذ ، ولا استجازوا رواية حرف منه ، ولو صح الكتاب عن الخليل لبدر الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) واليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) وابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) واشباههم الى تزيين كتبهم ، وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليل ، والنقل لعلمه ، وكذا لك من بعدهم كأبي حاتم وأبي عبيد ويحيى وغيرهم من المصنفين ، فما علمنا أحدا منهم نقل في كتابه عن الخليل من اللفظة حرفا (١) .

ويلاحظ أن الزبيدي فطن في هذين الدليلين الى المنصر التاريخي ، وهو عنصر مهم في الاحتجاج لرأيه بينما أغفله — فيما نعلم — الناقدون للكتاب في المشرق . ويدل هذان الدليان أيضا على دقة المنهج النقدي الذي نهجه الزبيدي ، ووزن به مادة كتاب المين (٢) .

٣ . اتخذ الزبيدي ما جاء من مصطلحات الكوفيين النحوية في الكتاب دليلا يؤكد استبعاد نسبة الكتاب للخليل ، والخليل يعتبر مؤسسا لنحو البصريين — يقول الزبيدي : ((ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أن جميع ما وقع فيه (المين) من محاني النحو انما هو على مذهب الكوفيين ، وبخلاف مذهب البصريين ، فمن ذلك ما بدى في الكتاب به ، وبني عليه من ذكره خارج الحروف في تقديمها وتأخيرها ، وهو على خلاف ما ذكره سيوطه عن الخليل في كتابه ، وسيوطه حامل علم الخليل . . وكذا لك ما معنى عليه الكتاب كله من ادخال الرباعي المضاعف في باب الثلاثي المضاعف ، وهو مذهب الكوفيين خاصة)) (٣)

(١) المزهر ٨٤ / ١ — ٨٥

(٢) مقدمة مختصر المين : ي

(٣) المزهر ٨٥ / ١

٤٠ ويرى الزبيدي أن الخلط بين صيغ الأفعال في كتاب العين ، لا يصدر عن عقلية الخليل المنظمة المستبصرة ، يقول : ((ولو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكل عليه تثقيف الثنائي الخفيف من الصحيح المعتل ، والثنائي المضاعف من المعتل ، والثلاثي المعتل بعلتين ، ولما جعل ذلك كله في باب سمائه ((اللفيف)) فأدخل بعضه في بعض ، وخلط فيه خلطاً لا ينفصل منه شيء عما هو بخلافه ، ولوضع الثلاثي المعتل على أقسامه الثلاثة ليستبين محتل اليا من محتل الواو والهمزة ، ولما خلط الرباعي والخماسي من أولهما إلى آخرهما)) (١) واختلف المحذون في هذه المسألة اختلاف الأقدمين ، ولم تكن مثل هذه الأدلة السابقة مقنعة عند بعضهم ، فناقشوها وجاءوا بما ينقصها ، أو يضيف من دلائلها ، وأكدوا أن الخليل هو مؤلف كتاب العين (٢) ومنهم من رأى رأي الزبيدي (٣) .

وبلا شك ما سبق أن الزبيدي يقف موقفاً وسطاً بين طرفين متباعدين : الأول رافضٍ نسبته للخليل ، والثاني مثبتها له ، أما ما يرى أن الخليل رسم الكتاب ووضع خطه ، ثم تولى حشوه قوم غير ثقات (٤) .

وعلى الرغم مما قيل في كتاب العين من أقاويل فقد ارتبطت به جمهرة الدراسات اللغوية المبكرة ، وألفت حوله مؤلفات عدة ، منها ما يهدف إلى تنقيح وتقليل شأنه ، ومنها ما يهدف الانتصار له ، والرد على الطاعنين فيه ،

(١) المزهر ١ / ٨٥

(٢) ومنهم مهدي المخزومي ، وعبد الله درويش ، انظر تفصيل ذلك في : عبقري من البصرة ، ص ٦٧ - ٦٩ ، والمعاجم الحربية ، ص ٦٢ - ٦٤ ، والمصمم العربي ١ / ٢٥٤ - ٢٦٢ ، وأبو بكر الزبيدي ص ١١٧ - ١٢٨ .

(٣) ومنهم : يوسف العش ، وحسين نصار ، وبروكلمان . انظر تفصيل ذلك في : المصمم العربي ١ / ٢٦٥ ، (أبو بكر الزبيدي) ص ١٢٨ - ١٢٩ ، وتاريخ الأدب العربي ٢ / ١٣٣ .

(٤) وانظر أيضاً (أبو بكر الزبيدي ص ١٢٩) .

ومنها ما راجح يستدرك عليه ما فاتته من مواد لفوية ، ومنها ما مضى في اختصاره وتهذيبه وتنقيته من الحشو والفضول والخلل (١) . وكان نصيب الزبيدي من هذه الاهتمامات اختصاره والاستدراك عليه ، إذ ألف فيه كتابين : أحدهما : استدراك الخلط الواقع في كتاب العين (٢) والثاني مختصر كتاب العين الذي نحن بصدد الحديث عنه .

وكان كتاب مختصر العين أسبق في التأليف من كتاب (استدراك الخلط الواقع في كتاب العين . .) لأن الزبيدي يعيل في مقدمة الاستدراك على كتاب مختصر العين (٣) . وزمن تأليف كتاب مختصر العين كان سنة ١٢٦٢ هـ . وكمله في نفس السنة (٤) .

وقد خلط بعض القدماء بين الكتابين (٥) وتابعهم بعض المعدّين في هذا الخلط (٦) . والواقع أن كلا منهما مستقل عن الآخر (٧) .

- (١) انظر تفصيل ذلك في (مقدمة مختصر العين : د) وفي (ابوبكر الزبيدي) ص ٤٥٦ — ٤٥٨
- (٢) انظر ما تقدم في سياق هذا البحث ()
- (٣) المزمع ١/٨٢ يقول الزبيدي في مقدمة الاستدراك : (ولو أن الداعن علينا يتصفح صدر كتابنا المختصر من كتاب العين) لعلم أننا نزهنا الغليل عن نسبة المحال اليه . . .)
- (٤) ينقل محقق مختصر العين عن نسخة مخطوطة جامع القرويين قول الزبيدي في ذلك : ((بدأت بتأليف هذا الديوان في ربيع الأول سنة ١٢٦٢ هـ وكمل عمله ونسخه مرة ، ونقله ثانية في شوال في التاريخ المذكور) . انظر مقدمة محقق المختصر العين ، الصفحة الأخيرة وانظر المقتبس ص ١٣٣ وما بعدها .
- (٥) انظر كشف اللثون ٢/١٤٤٢
- (٦) انظر نقه اللفظة لعلي عبد الواحد^{١٩١} ، ومقدمة مختصر العين : د
- (٧) انظر ما تقدم في سياق هذا البحث وسد يشا في هذا الفصل عن كتاب مختصر العين للزبيدي .

اهتمام الأندلسيين بكتاب العين

كان ثابت بن عبد العزيز السرقطلي (ت ٣٠٢ هـ) وابنه قاسم أول من أدخل كتاب العين الأندلسي (١) ونسخه القاضي منذر بن سعيد البلوطي بالقيروان (٢) وقابله بنسخة أبي السباس أحمد بن ولاد (ت ٥٣٢ هـ) بمصر (٣) واهتم به الحكم المستنصر ، وطلب من بعض علماء عصره الأندلسيين ومنهم القاضي - تنقيس الكتاب ، ومقابلة نسخة (٤) .

ولعل الحكم لم يكف بصنيع هؤلاء ، فأمر الزبيدي باختصاره لا عناية منه بالعلم وتهمنا به ورغبة في نشره والانتفاع به (٥) .

ويستدل مما جاء في مقدمة كتاب الواضح لأمين السيد أن الزبيدي اختصر الكتاب مرتين :

الأولى : كبرى تضمنت الشواهد اللغوية التي جاء بها الخليل في كتابه (العين) تلك الشواهد المتضمنة لآيات من القرآن وأحاديث ، وأبيات شعرية ، ومقالات نثرية (٦) ولعل الحكم أرادها أن تكون أكثر اختصارا ، فأشار على الزبيدي أن يختصرها بنسخة أصغر منها وأيسر فكانت النسخة الصغرى (٧) كما أرادها الحكم بأن تؤخذ عيونه ويلخص لفظه ويعذف عشوه ، وتسقط فصول الكلام المتكررة فيه (٨) .

- (١) طبقات الزبيدي ص ٣٠٩ (٢) المزهري ١ / ٨٢ ، تاج الصروس ١ / ١٢
- (٣) بغية الملتصص ص ٤٦٦ ، طبقات الزبيدي ص ٣١٩ ، المزهري ١ / ٨٢
- (٤) جذوة المقتبس ص ٤٧ ، انباه الرواة ٣ / ٧١ ، انبار ما تقدم في سياق هذا البحث ص ٧٧
- (٥) مختصر العين ص ٧ (٦) المزهري ١ / ٨٨
- (٧) انبار المزهري ١ / ٨٨ ، قال أمين السيد : (ومن الكتاب نسختان بدار الكتب المصرية بالقاهرة : أحدهما بالتيمورية تحت رقم ٣٨٦ لغة ، جاء فيها (كمل مختصر العين من نسخة نسخت من النسخة الكبرى من تأليف أبي بكر الزبيدي)
- مقدمة الواضح في علم العربية - تحقيق السيد ص ٣٦ - ٣٧
- (٨) مقدمة مختصر العين : ز

مختصر كتاب العين بين المدح والقدح

لقي كتاب (مختصر كتاب العين) لأبي بكر الزبيدي من الإعجاب به والاقبال عليه ، ما جعل العلماء يلهبون بمدحه ، ويفضلونه على أصله (١) ويتنافسون في الحصول عليه (٢) ويذكرون رواته (٣) ، ويقبلون على انتساخه (٤) . ويفضلونه (على سائر ما ألف على حروف المصحح من كتب اللغة ، مثل جهمرة ابن دريد . . . لأجل صغر حجمه (٥) ووصل بهم الإعجاب إلى أن وضعوه في مقدمة المختصرات الأربعة التي فضلت على الأمهات (٦) وجعلوا مصدر هذا التفضيل (كونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة ، والحروف المصحفة والأبنية المختلفة) (٧) .

ومنهم من جعل عمل الزبيدي هذا نقيسة وصم بها كتابه وأخلالا بكتاب العين ، حيثهم في ذلك أنه حذف منه (شواهد القرآن والحديث ، وصحيح أشعار العرب) (٨) . وحاول أبو غالب تمام بن غالب الأندلسي (ت ٤٣٦ هـ) . ثلاثي ما حذفه الزبيدي فألف حول العين كتابا سماه (فتح العين) وأتى فيه بما في العين من صحيح اللغة الذي لا اختلاف فيه على وجهه ، دون إخلال بشواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب وطرح ما فيه من الشواهد المختلفة . والمعروف المصحفة ، والأبنية المختلفة ثم زاد ابن دريد في الجهمرة ، فصار هذا الديوان محتويا على الكتابين جميعا (٩) .

(١) المزهر ٨٧/١ قال السيوطي : ((لقد لهج الناس كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفعلوه على كتاب العين)) .

(٢) معجم الأدباء ١٨١/١٨ (٣) فهرسة ابن خبير ص ٣٥٠

(٤) السلسلة ٦٦/١ (٥) المزهر ٨٧/١

(٦) المزهر ٨٧/١ ((المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدي ومختصر الزاهر في معاني الكلام للأنباري ، تأليف الزجاجي ومختصر

سيرة ابن إسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة في تجويد الفاتحة لبرهان الدين عمر (ت ٧٣٢ هـ) تأليف الفضل بن سلمه) .

(٧) المزهر ٨٧/١ (٨) المزهر ٨٨/١

(٩) المزهر ٨٨/١ وسمي الكتاب أيضا (الموعب) المزهر ٨٩/١

منهج الزبيدي في مختصره

بين الزبيدي في مقدمة مختصره منهجه الذي سار عليه في اختصار كتاب الصين قائلًا : (هذا كتاب أمر بجمعه وتأليفه أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله ، وندب فيه إلى اختصار الكتاب المعروف بكتاب الصين ، المنسوب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بأن تؤخذ عيونه ، ويلخص لفظه ، ويحذف عشوه ، وتسقط فاسول الكلام المتكررة فيه ، لتقرب بذلك فائدته ، ويسهل حفظه (١) .

وكان الزبيدي وفيما لما ندب إليه ، أنه قام باستقصاء الكتاب ، واستبصار المشكوك فيه ، وحذف الشواهد كلها ، ودارج الكلام الزائد ، حتى وصفه بمحلى من ذكره أنه أسعد التلخيص والایجاز (٢) .

ولم يقف الزبيدي عند حد الاختصار ، بل كان ناقدًا ومدققًا ، ومرتبًا الأصول في أماكنها الصحيحة ، فهو يقول : ((ومن دينا أن نصلح ما ألغيناه مختلفًا في الكتاب ، وأن نوقع كل شيء منه واقعته ، ونضعه في بابه إن شاء الله تعالى (٣) ووافق قولنا في التزام الزبيدي بمنهجه قول نعمة العزاي في (٤) .

ومؤاده أن الزبيدي قام بعمل أربعة أمور لاخراج هذا الكتاب وهي :

أ . تنظيمه : التزام الزبيدي بترتيب حروفه على طريقة ترتيب حروف كتاب الصين للخليل (٥) . وجعل أبوابه سبعة ، وهي بالترتيب : المضاعف الثنائي من الصحيح والثلثي الصحيح ، والمضاعف الثنائي المعتل ، والمضاعف الثلاثي المحتسل ، واللفيف الرباعي ، والخماسي ، فزاد بذلك بابا على أبواب الغدیل الستة في كتابه ، وهو الثنائي المضاعف الذي دمج الخليل في باب اللفيف .

(٢) مختصر الصين : ٧ (٢) مطامح الأنفس ٦٢

(٣) مختصر الصين : ٧ (٤) انظر (أبو بكر الزبيدي ص ٤٦٥ - ٤٨٢)

(٥) ترتيب حروف الصين هو : ع ، ج ، هـ ، خ ، غ ، ق ، ك ، ج ، ش ، ش ،

ص ، س ، ز ، ط ، د ، ت ، ظ ، ن ، ث ، ر ، ل ، ي ، ف ، ب ، م ، و ، هـ ، ي ،

انظر المزهر ٨٧/١ - ٩٠ .

والتزم الزبيدي بهذا الترتيب ، وحاول ألا يضع أى كلمة من مواد ه الا في مكانها المناسب لها في هذه الأبواب ، فتجنب بذلك ما وقع فيه كتاب الخليل من الخلط والاضطراب .

ب . تصحيح المختل والمصحف من مواد ه .

لقد أشار الزبيدي في مقدمة مختصره الى ما وقع في كتاب الخليل من الغلل والخطأ ، وبشأ الخليل من الوقوع بها ، ونسبها الى النساخ الذين تعدوا وروا الكتاب على مر الأزمان ، فكان من الواجب عليه وهو يتدارس الكتاب - أن يصلح ما داخله من أخطاء ، ويصوب ما فسد من مواد ه . وقد عرّف الزبيدي لنوعين من الأخطاء ، وصححهما ، وهما :

١ . خطأ لضوى

ومن هذا القبيل ما جاء في العين : رجل عقيم ، وامرأة عقيم (١) صوّبه الزبيدي ، فقال : ((رجل عقيم وامرأة عقمى)) (٢) .

٢ . خطأ تصحيفي

وقد صحح الزبيدي الألفاظ المصحفة ، ونقلها الى مواضعها الصحيحة قال في مادة (عهب) : (الميهب من الرجال : الضعيف عن طلب وثّره ، وقد حكى بالقيس المصباح) (٣) .

ج . الاختصار وهو على نوعين

١ . الحذف : وتناول فيه حذف المصادر القياسية (٤) والأفعال المضارعة (٥)

(١) العين ص ٢١٠ (٢) مختصر العين ص ٥١

(٣) مختصر العين : مادة عهب (٤)

(٤) قال الزبيدي ((رَقَمَتِ الثوبَ رَقْمًا ، وَرَقَعَتْهُ)) مختصر العين ص ٤١ ، وقال الخليل : ((رَقَمَتِ الثوبَ رَقْمًا وَرَقَعَتْهُ تَرْقِيعًا)) العين ١٧٩

(٥) قال الزبيدي (لِكَيْ الرَّجُلِ لِكَيْمَا) مختصر العين ص ٥٧ وقال الخليل :

(لِكَيْ الرَّجُلِ يَلِكُ لِكَيْمَا) العين ص : ٤٤٩

والصيغ القياسية (١) واسم الفاعل ، والجمع القياسية ، والصفات القياسية وغيرها وحذف الألفاظ المشكوك فيها (٢) والمكررة أو المطولة (٣) وحذف المواد المختلف فيها أو التي لم ترد على صورة واحدة . والاقيسة اللغوية (٤) وحذف الشواهد كلها : ثرية وشعرية ، وآيات قرآنية ، وأحاد يثنبوية إلا ما ندر .

٢ . الأيجاز

عمد الزبيدي إلى الكلام الموجز القليل في تفسير اللفظة فتخلص من العشو

والتكرار (٥)

د . الاستدراك

على الرغم من أن الكتاب يهدف إلى اختصار كتاب العين إلا أن الزبيدي استدرك بعض الألفاظ والمواد المهمة في العين (٦) . وأضاف بعض الألفاظ من معاني لم يذكرها الخليل (٧) . واستدرك عليه بعض ما اعتبره الخليل مهملاً ، فأورد الزبيدي مستحلاً (٨) .

- (١) قال الزبيدي : ((رَجُلٌ عَيْقٌ إذا تطيب بأدنى طيب ، فلم تذهب عنه ريحته أياماً) مختصر العين ص ٤٩ وقال الخليل ((وامرأة عَيْقَةٌ ، ورَجُلٌ عَيْقٌ . . .) العين ص ٢٤٦)
- (٢) حذف الزبيدي من مادة رَقَعَ كلمة الرَّقْع بمعنى الهباء ، وجاء في العين : ((والرَّقْع : الهباء ، يقال رَقَعَهُ رَقْعاً شديداً إذا هبَّاه)) العين ص ١٨٠
- (٣) قال الزبيدي ((شَقَعَ الرجل في الأناة يَشَقُّعٌ إذا شرب وهو مثل النكر)) مختصر العين ص ٣٠ . جاء في العين ((شَقَعَ في الأناة كَرَعَ فيه . ومثله قَبَعَ وقَمَعَ وقَمَعَ وكله من شدة الشرب)) ص ١٤٣
- (٤) انظر العين ص ٢٨٠ ص ١٧٧ ، وما يقابلها في مختصر العين ص ٢٠ ص ٤١
- (٥) إلا مثله على هذا كثيرة انظر العين ص : ١٦٥ ، ٢٥٦ ، ٢١٥ وما يقابلها بالترتيب في مختصر العين ص ٣٦ ، ٦٤ ، ٥٢ .
- (٦) أيضاً الزبيدي إلى مادة (عَكَر) : (الْعِكْرُ : الأُصْل ، والقَكْرَةُ : أصل اللسان والعَكْرُ : اللبن الفليظ) مختصر العين ص ٥٥ ، وانظر ما جاء في العين ص ٢٢٤
- (٧) جاء في العين (الْعَوَكْل : ظهر الكتف) ص ٢٢٨ وفي مختصر العين (الْعَوَكْل : ظهر الكتف ، والعَوَكْل : المرأة الحنقاء) ص ٥٦
- (٨) قال الزبيدي في مادة (عَكَس) : (جاء منه رجل عَكْسٌ ، شَكِس . . وَوَقَفَ وَضَه الأزعكي : الرجل اللثيم) ص ٥٣ ولم يذكر الخليل هذا في مادة (عَكَس) .

كتاب لحن الصوام

معنى اللحن
=====

ذكر الحلماء القدامى أن لكلمة اللحن عدة معان ، فقد جاء في لسان العرب
 ((قال ابن بري وغيره : اللحن ستة معان : الخطأ في الاعراب ، واللغة ، والبناء
 والفتنة ، والتعريض ، والمعنى)) (١) . ورأى ابن دريد أن التعريض والتورية
 هما أصل معنى كلمة ((لَحَنَ)) ثم جاء فيما بعد الخطأ في الاعراب ، قال :
 ((وأصل اللحن أن تريد شيئاً فتتوري عنه بقول آخر . . . فأما اللحن في العربية فهو
 راجع الى هذا لأنك اذا قلت : ضرب عبد الله زيد ، لم تدرك أيهما الضارب ، وأيها
 المضروب فتأنيك قد عدلته عن جهته فاذا أعربت عن معناك فهم منك . .)) (٢)
 أما اللحن بمعنى الخطأ في الكلام أو الاعراب ، فلعل أول من استعملها
 عبد الملك بن مروان في قوله : ((اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب ،
 والجدرى في الوجه)) (٣) وروي عنه قوله : ((الاعراب جمال للوضيح ، واللحن
 حجنة على الشريف)) (٤) .
 والراجح أن اللحن بمعنى الخطأ في الاعراب معنى مولد ، دعت اليه الحاجة
 بعد أن اختلط العرب بشعوبهم من الأمم ، وفسدت ملكة ألسنتهم . قال ابن فارس :
 ((فأما اللحن بسكون الحاء فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية ، يقال :
 لَحَنَ كَعْنًا ، وهذا عندنا من الكلام المولد ، لأن اللحن محدث ، لم يكن في العرب
 العاربة الذين تكلموا بأبائهم السليمة)) (٥) .

(١) لسان العرب ١٣ / ٣٨١

(٢) الملاحن ص ٢٩ وانظر لحن العامة والتطور اللغوي ص ٢٩

(٣) العقد ٢ / ٤٧٨

(٤) العقد ٢ / ٤٧٩

(٥) معجم مقاييس اللغة ٥ / ٢٣٩

وذهب الزبيدي الى أن اللحن نشأ في العربية بعد حركة الفتح الاسلامي
يقول : ((ولم تزل العرب تنطق على سجيته في صدر اسلامها ، وماضي بجاهليتها ،
حتى أظهر الله الاسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجا ، وأقبلوا عليه
أرسالا ، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة . فنشأ الفساد في
اللغة العربية)) (١) .

وعند ما تفشت هذه الظاهرة في جسم اللغة العربية ، خيف من تطورها على
الفصحى فانبرى علماء اللغة العربية ، يدعون هذا الخطر ، منذ أواخر القرن
الأول الهجري ، فصنفوا المصنفات الكثيرة على مرّ العصور التي ألقى عليها كتب لحن
الخاصة .

حاول بعض الدارسين أن يحصي ما ألفه العلماء في هذا الباب في القديم
والحديث . (٢) . وكان أبو بكر الزبيدي أول عالم لتعوي نحوي أندلسي فإن الس
هذا الخطر في بلده الأندلس ، فصنف كتابه (لحن الصوام) ، هدف فيه الى ما هدف
اليه علماء المشرق ، كما سنراه بعد .

- (١) طبقات الزبيدي ص ١ ، وانظر لحن الصوام ص ٤
(٢) أفرد الدكتور رمضان عبد التواب عنوانا لهذه التحلية أطلق عليه ((قوائم كتب
لحن العامة)) جاء فيه على ذكر كثير من قوائم الدارسين المحدثين من عرب
ومستشرقين ، الذين أحصوا فيها كتب لحن العامة ، المفقودة منها والتي وصلت
اليينا . انظر في ذلك لحن العامة والتطور اللغوي ص ٦٦ - ٨٧ ، (أبو بكر
الزبيدي ص ٣٤٥ - ٣٥٠ والمعجم العربي ١ / ٦٦ - ١١٥ .

كتب اللحن والتطور اللغوي =====

هدف علماء اللغة في كتب لحن العامة الى تنقية اللغة وتصفيتها من الشوائب التي علق بها إثر اختلاط العرب بشعوبهم من الأقوام ، ومحاولة الحد من ازدياد الخلل والخطأ في اللغة . وغلب على مؤلفاتهم منهج عام قوامه ، جمع طائفة من الألفاظ التي يخطئ فيها الناس وتصويبها ، والاشارة الى ما أصابها من تغيير في نواحي الاصوات والصيغ والدلالات في تلك الصور السابقة ، وهي دراسة تفيد علم اللغة وتكشف عن بعض جوانب التطور اللغوي لبعض المفردات ، ولذا فقد أسدت هذه الدراسات خيراً كثيراً للدارسين المحدثين في هذا الباب ، رغم أنها وقفت عند حدود اللفظة المفردة ، ولم تعرض لما أصاب الجملة العربية ونظام الكلمات في بنائها (١) . ولم تشر الى الأسباب التي نجم عنها اللحن ، أو العلل التي أدت اليه ، حتى يكون بمقدورنا دراسة التطور اللغوي في لغتنا العربية .

وحدد المستشرق الألماني بريستراسر دور هؤلاء العلماء في هذا التأليف قال : ((والذي منع علماء المشرق - مع بذل الجهد المجيد في درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ، ومن جهة المفردات - عن الاعتراف الكافي بالكشف عن تطور اللغة بعد الاسلام سببان يرتبط أحدهما بالآخر . أولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز في اللغة وفده وعلى المنع عن كثير من العبارات ، وهذا وإن كان واجباً نافعا فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يفحص عما يكون في الحقيقة ، لا عما كان ينبغي أن يكون ، والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة ، فان نسسى هذه النصيحة ، واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويموقها بجازته وغفلت عن تحليله فيتسع اذا الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية وما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك في تاريخ اللغة العربية ، والسبب الثاني : اعتقاد علماء المشرق أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد في الشعر القديم ، وهذا حكم غير علمي)) (٢)

(١) انظر لحن العامة والتطور اللغوي ص ٦٥ (٢) التطور اللغوي ص ١٣٧ - ١٣٨

وبجانب هذا كله فإن لهذه الدراسات دلالاتها الاجتماعية ، فبإمكان الدارس أن يستشف منها بعض جوانب الحياة الاجتماعية في إقليم من الأقاليم ، وفي فترة معينة من حياة الأمة العربية ، قال الدكتور حسين نصار : ((وبجملته القول في كتب لعن العامة والخاصة . . أن أهميتها تقوم على تصويرها الشعب العربي وحياته في جميع الأقاليم تصويراً دقيقاً معكماً لا تحطيناه معاجم اللغة الفصيحة فقد كانت هذه المعاجم يعتمد المتأخر منها على المتقدم ، ويحاول أن يفسر اللفظ بالمعاني التي كان يستعمله فيها الجاهليون والاسلاميون الأول وحدثهم ، بينما عنيت هذه الرسائل باللغات النحوية في الأقاليم ودلالاتها ، فكانت أصدق تصويراً ، بل صورت مع العامة لغة الخاصة بعد أن تسربت إليها الأخطاء (١) وما جاء في كتاب الزبيدي من ظواهر التطور اللغوي ، وأقره علم اللغثة الحديث : التطور الصوتي بقسميه : المماثلة (٢) ، والمخالفة أو التباين (٣) .

(١) المعجم العربي ١١٤ / ١

(٢) ومنه يقولون للذي يجعل تحت الصدغ (مُرْدَغَة) قال محمد (الزبيدي) :

والصواب (مُرْدَغَة) ، وإن شئت قلت مَرْدَغَة ، بالزاي . والزاي تخلف الضاد ، إذا كانت ساكنة وبعد ما الدال لعن الصوام ص ١٤٤ وهذا واضح أيضاً في ابدال التاء طاء كما في اضطرب من اغترب ، وصدال من سطل وذلك لقرب المخارج المديقة وقد تكون السامثلة في انسجام الحركات في الكلمة الواحدة وذلك معاً عند أهل الاندلس في صيغتي اسم الآله (مَفْعَل ومَفْعَلَة) نسيو (مَقَوَد) بدلا من (مَقَوَد) انظر لعن الصوام ص ٢٦ .

(٣) وفي (حدود اختلاف بين الصوتين المقماثلين في الكلمة الواحدة ، ويحدث

ذلك إذا كان في الكلمة صوتان مضعفان ، فيتغير احد هما الى صوت ابيض بلويل (حرف علة) او الى احد الاصوات الشبيهة باصوات اللين ، وهي (اللام والنون والميم

والراء) انظر لعن العامة في ضوء الدراسات اللغوية ص ٢١٣ ، ومنه الزبيدي (كُرْناسة) بدلا من كُرْاسة ، ولعلهم قصدوا بذلك التخلص من التشديد . وقالوا : عَوْش بدلا من عَوْش . فمدوا الحركة . انظر لعن الصوام ص ٣٥ هـ ١٢٢ ، ٢٨٤ -

والقياس الخاطي * (١) والتطور الدلالي (٢) والتقارب بين الأصوات لقرب المخرج (٣) والتخلص من التقاء الساكنين (٤) .

- (١) ويكون بقياس كلمة على أخرى تشبهها في البناء الصرفي . ومن ذلك (قَرِيَّة) ينطقونها (قَرِيَّة) على وزن (قَرِيَّة) ، ويجمعونها على (قَرَايا) كما تجمع قضية على قضايا . انظر لحن المصام ص ١٧٣ ، واقتصروا على اضافة التاء المربوطة بدلا من الألف المقصورة والمدودة ، نحو قولهم في كلمة (رِفْلَى) : (رِفْلَة) . انظر لحن المصام ص ٩٩ وفي (حَلَوًا) : (حَلَوَة) انظر لحن المصام ص ١٣٠ ولحل الميل الى التخلص من الأصوات التي تتطلب جهدا عضليا كبيرا الى أصوات أقبل منها جهدا هو الذي دعاهم لذلك ، كما أن لغة الكلام الحامي تعتمد الى اسقاط الهمز غالبا . ولعل هذا يسمى في التناور اللغوي (قانون السهولة أو التيسير) .
- (٢) ونحو ما يطرأ على معاني بعض الكلمات في مراحل حياة اللغة ، كتخصيم الدلالة وتخصيصها ، وتغيير مجال استعمالها . ومن الأول كلمة ((الاستحمام)) يكون عندنا بالماء العار والبارد ، وليس كذلك إنما الاستحمام بالماء العار خاصة . انظر لحن المصام ص ٢٥٦ ، ومن الثاني كلمة ((اللِّعاف)) للخطايا الذي يكون على الأسرة خاصة . قال أبو بكر الزبيدي : واللِّعاف والمِلْحَقَة : كل ما التُحِفَ به من ثوب أو ردء أو كساء في حالة قيام أو قعود ، أو اضطرار . انظر لحن المصام ص ٢٤٦ ومن الثالث (القلادة) : للسزام . قال محمد (الزبيدي) : والقلادة العقد الذي يوضع في العنق . . . لحن المصام ص ٢١٣ .
- (٣) وفي ظاهرة شائعة في العربية . قال ابن فارس : ((ومن سنن العرب إبدال الحروف ، وإقامة بعضها مقام بعض . ويقولون : مَدَحَهُ وَمَدَّ بِهِ ، وفَرَسَ رِفْلٌ وَرَفَنَ وهو كثير مشهور ، قد أُلِفَ فيه العلماء)) الصاحبي ص ١٧٤ ، وأقر الزبيدي هذا واعترف بأن النون تبدل من اللام لقرب مخرجيهما . انظر لحن المصام ص ٨٨ - ٨٩ غير أنه أنكر ذلك على العامة قولهم : (في الداحام زوال) بدلا من (زوان) . انظر لحن المصام ص ١٦٨ .
- (٤) قال الزبيدي : ويقولون فيما كان علي فَعُلَ مسكنا اذا وقفوا عليه (فَعُلَ) بتعريك وسداه بالفتح نحو أمر وقَصُر . . وما أشبه ذلك ، وكذا لك يفعلون في فَعُلَ -- نحو نَكِر ، وفَرَّس . . . لحن المصام ص ٢٠٣ .

معنى كلمة العامة عند الزبيدي

اختلف المحدثون في تحديد مدلول كلمة (العامة) عند الزبيدي في كتابه (لسان الصوامع) فمنهم من ذهب الى أنه قصد فيها الدماء وعامة الناس ثم الخاصة الذين تأثروا بلحن عامة الشعب ، يقول الدكتور عبد العزيز مدار : ((ليس ما جاء في كتاب الزبيدي هو لحن المثقفين ، وقد تسرب اليهم من العامة بالاضافة الى القليل من لحن العامة بالمعنى الواسع ، بل الذي حدث في الكتاب هو العكس تماما . . . أورد الزبيدي ما اختاره من لحن عامة الشعب وبعض اللحن الذي تسرب منهم الى الخاصة ، ويؤيد ذلك أن الزبيدي ينبه اذا كان الخطأ قد تسرب الى الخاصة بقوله : ((وقد غلط في هذا أحد الخطباء أو أحد الكتاب أو رجل من عليقة الخدمة . . .)) (١) وتابسه نعمة الغزالي هذا الرأي (٢) .

أما الفريق الثاني ، فيرى بعضهم أن الزبيدي : ((لا يقصد بكلمة الصوامع الدماء وسقاط الناس ، وإنما يقصد طبقة المثقفين الذين تتزلق ألسنتهم في اللحن بمتابعة أولئك الدماء (٣) .

ونذهب بعضهم الى أن (عامة الناس وصوامعهم غير الخاصة من الناس وهذا المفهوم العام للكلمة لم يكن مقصودا في كتاب الزبيدي (٣) ولا ضرورة الى مثل هذا الاختلاف فالزبيدي يصرح في مقدمة كتابه بتسريحها واضحا عن معنى العامة عنده ، وما هدف اليه في كتابه يقول : ((ثم نأرت في المستعمل من الكلام في زماننا هذا وبأفقتنا غالفيت جملا لم يذكرها أبو حاتم (السجستاني) ولا غيره من اللغويين فيما نبهوا اليه ودلوا عليه مما افسدته العامة عندنا ، فأسالوا لفظه ، أو وضعوه غير موضعه ، وتابصهم على ذلك الكثرة من الخاصة حتى ضمنتهم الشحراء أشعارهم واستعمله جلة الكتاب ، وعليه الخدمة في رسائلهم وتلاقوا به في محافلهم ، فرأيت أن أنبه عليه ، وأبين وجه الصواب فيه وأن أفرد لما يعرضني منه

(١) لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ص ٣٧

(٢) أبو بكر الزبيدي ص ٣٥٧ (٣) الحركة اللغوية ص ١٥٠

يحضرني منه كتابا أحصره به ، وأجمعه فيه ، وأدع اجتلاب ما أفسده
د هماؤهم وسقاطهم ما عسى أن لا يعزب عن تمسك بطرق من الفهم ، إذ لو
استوعبنا ذلك لملأ الكتاب به ، وإنما نذكر فيه ما يتوقع الغلط من الخاصصة
فيه)) (١)

والملاحظ أن كلمة العامة والخاصة محدودة الدلالة في النص عند الزبيدي
فالعامة يقصد بها عامة الشعب والسقاط ، أما الخاصة فالمقصود بها الشخصرا
وكبار الكتاب ، وعليه رجال الدولة . وما ذكره في كتابه هو لحسن الخاصة الذي تابعوا
به العامة .

دواعي تأليف الكتاب

لحل الزبيدي كان مدفوعا بدافعين لتأليف هذا الكتاب : دافع نفسي
هدفه الشهرة والمناوأة وبعد الصيت ، والاعتراف بالجميل الذي أساطه به الحكم
المستنصر ، والآثر دافع الفيرة وعب اللغة الفصحى والحفاظ عليها ، وإيجادها
عن الابتدال ، وعدم وجود مؤلفات أندلسية عرضت لهذا الموضوع على غرار ما قام
به علماء المشرق ، يقول الزبيدي : ((وكان الذي قد دعانا الى تأليف هذا الكتاب
ما أملناه في الثقة التي أسندها الى المؤلف الامام الفاضل ، والخليفة المبادل ،
الذي لا امام في الأرض غيره ، ولا خليفة لله على الخلق سواه ، الحكم المستنصر
بالله ، أمير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، سعي العلم وراعيه ، والراسخ في
فنون ، الموفى على دقيقه وجليله ، المشرق له ولحامليه (٢) .

أما الدافع الثاني - كما ذكرنا - فهو الحفاظ على اللغة الفصحى في
الأندلس ، وابقاؤها نقية وهذا يحتاج الى كتاب يبين للناس أخطائهم ، ويهدى بهم
الى الصواب فيها ،

(١) لحسن الصوام ص ٧ - ٨

(٢) لحسن الصوام ص ٩

وكان قد اطلع على بعض كتب العلماء المشاركة في هذا الباب ، فتأثر بمصرفتهم وما بذلوه من جهد في اصلاح المُفسد من كلام الناس هناك ، فقد ذكر الزبيدي أنه اطلع على كتاب لحن العامة لأبي حاتم السجستاني ، يقول : ((واني لما تصفحت كتابه هذا ، رأيته مشتملا على ما تشتمل عليه سائر الكتب الموضوعة في اللغة ، ورأيت الفن الذي قصده ، والضرب الذي اعتمد به ، ووسم الكتاب به ، نزرا فيما ضمنه من تفسير الفريب ، وتصريف الأفعال ، وتوبييحه اللغات ، فكان الكتاب مؤلفا لغير ما نسب اليه ، وعرف به)) (١) .

ورأى الزبيدي أن المؤلفات المشرقية في اللحن لا تفي بحاجة أهل الاندلس لأن الصاميتين المشرقية والأندلسية تختلفان في بعض جوانبهما ، فندب الزبيدي نفسه لتخطيئة هذه الثغرة في الثقافة اللغوية الأندلسية . ان يقول : ((ورأيت كثيرا من اللحن الذي نسبته (ابو حاتم) الى أهل المشرق قد سلمت عامتنا من موافقته ، وندأقت بوجه الصواب فيه كقولهم : ود ، وطفّر ، وعُتّق ، وعدّ وثقة ، وعود مسّوي ، وقربوس ، وفلفل ، وذهب الى المكاريين ، وفلان يُوزن بكذا أي يُزن به . ثم نذر في المستعمل من كلام زماننا وبأفئنا ، فألخيت جملا لم يذكرها أبو حاتم ولا غيره من اللغويين فيما نبهوا اليه ودلوا عليه ، مما أفسد تسه العامة عندنا فرأيت أن أنبه عليه ، وأن أبين وجه الصواب فيه ، وأن أفرد لما يحضرني منه كتابا أحصره فيه)) (٢) .

(١) لحن الصوام ص ٥ - ٦

(٢) لحن الصوام ص ٦ - ٨

منهج الزبيدي في لحن العوام

قسم الدكتور رمضان عبد الثواب الكتاب الى ثلاثة أقسام :

- ١ . ما أفسدته العامة ، وما وضعوه في غير موضعه (١)
 - ٢ . ما وضعته العامة في غير موضعه (٢)
 - ٣ . ما يوقصونه على الشئ^١ وقد يشركه فيه غيره (٣)
- والزبيدي يذكر الكلمة التي يشاء^٢ فيها عامة أهل الأندلس وخاصة منهم
مصدرة دائما بعبارة (ويقولون) ، أما الصواب ، فيصدره بقوله : ((قال محمد)
أو (قال أبو بكر) . والعبارة الاولى أكثر شيوعا في الكتاب .

(١) انذار لحن العوام ص ١١ - ٢٠٥ ، وقال الزبيدي في مقدمة الكتاب :
((مما أفسدته العامة عندنا ، فأحالوا لفظه ، أو وضعوه في غير موضعه)) لحن العوام
ص ٧ ومن أمثلته : ((ويقولون للنبت الكثير الشوكة المنبسط بالأرض : حُرْشُف ،
قال محمد : والصواب حَرَشَف) لحن العوام ص ٣٧ .

(٢) لحن العوام ص ٢٠٦ - ٢٣٩ والعامة لا تغير الألفاظ في هذا الباب
وانما تغير من معانيها ودلالاتها ، ومثاله : ((ويقولون : درهم وافق ، اذا كان
يزيد في وزنه . قال محمد : والوافي الذي لازيادة فيه ولا نقص . وهو الذي وفق
بزنته)) لحن العوام ص ٢١٠

(٣) لحن العوام ص ٢٤٠ - ٢٤٧ ويبحث في ثمانى مواد حسية ، ومثاله :
((قولهم : الوادى للنهر خاصة - قال أبو بكر : والوادي كل بلد من بلدان مدامن
من الأرض ، وربما استقر فيه الماء)) لحن العوام ص ٢٤٠ .

وعرغى الزبيدي في هذه الأقسام الثلاثة لأنواع مختلفة من الخطأ ، ومنه :
خطأً تجاوزي (١) أى الخطأ الذى يتجاوزون فيه بعض الحدود اللغوية للمفردات ،
وكتابي (٢) ، وصوتي (٣) ، وخطأً زيادة (٤) ، وخطأً حذف (٥) ، وخطأً وصفى (٧)

- (١) ومثاله قول الزبيدي : ((وكذا قولهم فيه تبارك وتعالى : هذه صفة ذاته ،
وهو مبين بالذات . قال محمد : ولا يجوز أن يلحق الألف واللام ذو ، ولا (ذات)
في حال افراد ولا تشبيه ولا جمع ، ولا تضاف الى المضمرات ، وإنما تقع أبداً مضافة
الى النامى لا ترى أنك لا تقول : الذو ، ولا الذوان ، ولا الذون ، ولا الذوات ،
ولا ذوك ، ولا ذوه ، ولا ذوهما ، ولا ذوهن ، ولا ذواتها ، ولا تقول : حشرت
بذاته ، ولا بذاتك . وقد غلط في ذلك أهل الكلام ، وأكثر المحدثين من الشعراء
والكتاب والفقهاء)) لحن العوام ص ١٢ .
- (٢) ومنه : ((ويقولون لضرب من الشجر : دُقْلَه ، قال محمد : والصواب دُقْلَى
على مثال فُقْلَى والألف للتأنيث)) . لحن العوام ص ٩٩
- (٣) ((ويقولون لما بيع من المتاع : سَلَمَته . قال محمد : والصواب سَلَمَته بكسر
أوله)) لحن العوام ص ٤٩ ، ولعل هذا من باب اختلاف اللهجات العربية . والملاحظ
أنه تخيير صوتي ينتج عن تخيير في حركة أحد أحرف الكلمة .
- (٤) ويكون بزيادة حرف أو أكثر على الأحرف الأصلية للكلمة . ومنه : ((ويقولون :
سممنا الأذان . قال محمد : والصواب الأذان على وزن فَعَال)) . لحن العوام ص ٤٩
ولعل هذا أقرب أن يكون مداً للهمز أكثر منه زيادة .
- (٥) ومثاله : ((ويقولون لبعض الغُورس التي يقدح بها الخشب شقور بالشين .
قال محمد : والصواب صاقور ، والجمع الصواقير)) . لحن العوام ص ٩٧ .
- (٦) ومثاله : ((ويقولون : لما طحن من البر وغيره غليظاً : د شيش . قال محمد :
والصواب دجشيش بالميم ، يقال : جششت البر أجشسه جشاً فهو مجشوش وجشيش ،
وهو طحن كالهرس)) لحن العوام ص ٢٠ - ٢١ ولعل ذلك راجع الى قرب المخارج الصوتية
- (٧) ومثاله : ((قولهم : هو الله الأزلي قبل خلقه ، ولم يزل واحداً في أزليته ، وكان
هذا في الأزل . قال محمد : وذلك كله خطأ ، لا أصل له في كلام العرب ، وإنما
يريدون المعنى الذى في قولهم : لم يزل عالماً . ولا يصح ذلك في اشتقاق ولا تصريح
وقد أولج بالخطأ في هذا أهل الكلام والمدعون لحدود المنطق ، حتى غرر ذلك جماعة
من الخطباء فأدخلوه في خطابهم ولا يجوز لأحد أن يصف الله عز وجل بغير ما وصف به
نفسه في حكم كتابه وحيا أو ما ثبت به الخبر عن رسوله ولو صحت الكلمة في الاشتقاق ،
وتمكنت في التصريف)) لحن العوام ص ١١

ودأب الزبيدي على ذكر الخطأ وتصويبه ، وأحيانا كثيرة يذكر مرادفات الكلمة التي يصوبها (١) ووزن اللفظة (٢) . ولعله في ذلك يتوخى الدقة والاعتدال في الألفاظ عن التحريف والتضعيف . وإذا ما وقعت بين يديه كلمة محرفة نبه اليها ، وجاء على معناها بعد التحريف (٣) . كما أنه دأب على شرح كثير من الألفاظ الغريبة التي جاءت في شواهد (٤) . وأهمل شرح بعضها . وإذا كان للكلمة أكثر من معنى أشار إلى ذلك عند شرحها (٥) وأحيانا لا يفعل بجمع المفردة عند حديثه عنها (٦) .

-
- (١) ومثاله : ((ويقال للصومعة : الدُرْبَال أيضا)) لحن العوام ص ١٧١ - ١٧٢
- (٢) ومثاله : ((ويقولون للشجر الذي يحصر منه الزيت صنوبر . وقال محمد : والصواب صنوبر على مثال فعول)) . لحن العوام ص ١٣٢ وكلمة صنوبر ليست عربية ولكنه اخضعها لأوزان العربية .
- (٣) ومثاله : ((ويقولون : أما ب فلان رُمِدَ إذا رُمِدَت عينه ، قال محمد :
- والصواب رُمِدَ وهو وجع يصيب العين . . . فأما الرمد ، باسكان الميم فهو الموت يقال : رُمِدَت الغنم إذا هلكت من برد أو سقيع)) لحن العوام ص ٣٩ - ٤٠
- (٤) ومنه : ((هُمُ السَّنُّ بالسَّنَوَات لا أَلَسَ فيهم // وهم ينعسون ببارهم أن يُقَرُّوا
- والسنوت : الكمون . والألس : الشيانة . ويقال السنوت : العسل)) لحن العوام ص ١٨٢
- (٥) ومنه : ((ويقولون لجمع الكرم : كَرَمَات . والصواب : كَرُوم . والكروم : القلائد أيضا)) لحن العوام ص ٢٨٩ . ومنه أيضا ((بعينه هُدَيْدُ . والصواب هُدَيْدُ . قال الأصمعي : الهُدَيْدُ : عمن يكون في العين . والهَدَيْدُ أيضا اللبن الخاثر ، والاصل فيه هُدَايدُ ، فحذفت الألف . لحن العوام ص ٢٩٩
- (٦) ومنه ((ويقولون : امرأة عَرُوسَة فيلحقون البهاء . قال محمد : والصواب عَرُوس والجمع عروسات وعرائس . وأما جمع المذكر فمروسون وأعراس عن الأصمعي)) لحن العوام ص ١٩٣ . وجاء في اللسان : ((المَرُوسُ نعت يستوى فيه الرجل والمرأة . وفي الصحاح : ما دام في أعراسهما . يقال : رجل عَرُوس في رِبَال أعراس وعَرُوسَ امرأة عَرُوس في نسوة عرائس وجمع المَرُوس التي هي المرأة والذي هو الرجل أعراس ، والمذكر والأنثى عَرُوسان . . . والجمع أعراس وعَرُوسات . . .)) ص ٧٣٢ - ٧٣٣ فالصواب في جمع عروس عرسان في الأعم ، أما أعراس فلصحبها جمع عرس . انظر اللسان ٢ / ٧٣٣ .

وهو يتكرر من ذكر اللهجات ، ويدعو الى الأخذ بأنقامها وأكثرها فصاحة (١) ، والتزم في منهجه بذكر اشتقاق الكلمة ، وإذا أحس بخراطة اشتقاقها التمس له ما يؤكد به ويسوّفه (٢) . وينبه أعياننا الى ما في عامة أهل المشرق وأهل الأندلس من تقارب أو تشابه أو اختلاف (٣) .

(١) ومنه : ((ويقولون : قَلْسُوَة . قال محمد : والصواب قَلْنَسُوَة وَقَلْنَسَاء . وفيها لغات ، يقال : قَلْنَسُوَة ، وَقَلْنَسِيَة ، وَقَلْنَسَاء . وذكر الطائي^ع أبي عمرو : قَلْسُوَة وروى أبو عبيد عن أبي زيد والأصمعي : قَلْنَسُوَة ، وَقَلْنَسَاء ، والجمع قَلَانِس . وَقَلْنَسِيَة وجمعها قَلَانِسِي . قال محمد : لا يجوز أن يكون قَلَانِسِي جمع قَلْنَسِيَة ، كما ذكر الاصمعي وأبو زيد ، لأن قَلْنَسِيَة مصغرة ، ولا يكون جمعها الا قَلْنَسَات ، على التحقير ، فأما قَلَانِسِي فجمع قَلْنَسَاء وَقَلْنَسُوَة . وقد تجمع قَلْنَسُوَة أيضا على قَلْنَسَس وهو من الجمع الذي ليس بينه وبين واحده الا الهاء)) انظر لمن الصوام ص ٢٥ - ٢٧ .

(٢) ومنه : ((ويقولون : أصحاب قَلَانِسَا رُمِدَ اذا رُمِدَت عينه ، قال محمد : والصواب رُمِدَ وهو جمع يصيب العين ، يقال : رُمِدَت عينه ، تَرُمِدُ رُمْدَا فهو رُمِد ، وَمَرْمُودٌ وَأَرْمُودٌ)) لمن الصوام ص ٣٩ - ٤٠ .

(٣) ومنه : ((ويقولون لشوب من ملابس النساء : قَرَقَل بالتشديد . قال محمد : الصواب : قَرَقَل خفيف . و عامة المشرق يقولون : قَرَقَر بالبراء وذلك خطأ)) .
لمن الصوام ص ١٨١

أهمية الكتاب

لا تنحصر أهمية الكتاب في ناحية واحدة ، بل تتمدد جوانبها وتتسع ، فهو أول مصدر أندلسي يتحدث عن هذه الناحية المهمة من نواحي التطور اللغوي السدي طراً على مفردات العربية في المجتمع الأندلسي آنذاك ، وهو المحرك الأول لانظار علماء اللغة في الأندلس للتأليف في هذا الكتاب ، حيث دارت حوله عدة نشاطات تأليفية ، اعتمدت عليه ، واقتبست كثيراً من نصوصه ، ووافقت في بعض الآراء ، وعارضته في بعضها الآخر . (١) ، وحفظنا لكتاب طائفة من أقوال اللغويين وآرائهم في بعض القضايا اللغوية .

أما شخصية الزبيدي فتمتيزة في كتابه ، لم يقف عند حد الرواية ، والنقل عن علماء اللغة السابقين ، بل كانت له آراء وتحليلات وآخذ على بعض علماء اللغة ، فكان يخطئ بعضهم ويعمل خطأهم ، ويقدم في بعض رواياتهم (٢) .

(١) ومن أهمها : كتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي المتوفي سنة ٥٠١ هـ) والمدخل الى تقويم اللسان وتعليم البيان لأحمد بن هشام اللخمي المتوفي سنة ٥٧٠ هـ ، وله كتاب (الرد على الزبيدي في لحن الصوام) وكتاب أغلاط

الضعفاء من الفقهاء لأبي محمد عبد الله بن برى المصري (ت ٥٨٢ هـ) وغيرهما انظر تفصيل ذلك في (ابو بكر الزبيدي ص ٤١٧ - ٤٢٢) ويقول الدكتور محمود فهمي وقد وصلت اليها من المغرب والأندلس وصقلية مجموعة كتب في لحن الصوام والتثقيف اللغوي . وأقدم هذه الكتب (لحن الصوام) لأبي بكر الزبيدي (ت ٥٣٧ هـ) علم اللغة العربية ص ١١٦ .

(٢) ومن ذلك ما ذهب اليه الزبيدي من أن جمع (جَرَّيْة) وهي بيت بينى من العبارة ويجعل على بابه حجر يكون أعلى الباب يضطاد فيه السباع ، تاج الصروس ٥١ / ١ هو (جَرَّارِي) ثم يقول (وذكر ابو زيد أن جمعه (جَرَّائِي) بهمزيين مشفتين ، وقال أبو عاتم : اجتماع الهمزتين في (جَرَّائِي) غير مأخوذ به ولا مفلح . قال مسعود . وهذا عندي غلط من أبي زيد لأن (جَرَّيْة) على وزن فُعَيْلة ، وجمعه (جَرَّاعِيل) ، فلا بد من تضعيف الراء في الجمع على ما ذكرنا ، وكأن أبحاثهم لم ينكر عليه الا اجتماع الهمزتين ، وأغل ما هو أحق وأجدر بالانكار من سقوط الراء ، وذلك لا وجه له ، ولا يجوز ، وقد روى أبو العباس المبرد أن ابن أبي اسحاق كان يجمع بين الهمزتين ويضعفهما في هذا المثال وغيره ويقول : انما هو كسائر الحروف ويجمع خطيئة على خطائي * وكذلك ما أشبهها . . . لحن الصوام ص ٥٢ - ٥٣ وانظر تاج الصروس ٥١ / ١

ويفاضل بين أقوالهم ويختار أصوبها ويحتج له (١) وهذه أمور لا تصدر إلا عن شخصية ناضجة ، غزيرة المعرفة ، واسعة الحصول ، قادرة على الملاحظة ، وتلمس الأخطاء عند الآخرين ، تدرك مواطن الزلل فتنبه اليها وتعي أماكن الصواب فتثني عليها .

وخلصة القول ان هذا الكتاب يشكل كنزا من مدخرات التراث العربي ، نتعسف من خلاله على ما آما ب بعض مفردات اللغة العربية في الاندلس من تغيير وتبدل في الصوت والدلالة والصيغة في القرن الرابع الهجري .

ولعل محاربة المامية ، واستهجائها عند العلماء في الاندلس كانت تهيم على اغلب الأوساط الثقافية آنذاك ، فها هو والد الفقيه أبي محمد بن هزم المتوفى قريبا من الأربعمئة يقول ((اني لأعجب ممن يلحن في مخاطبة أو يجي بلفظة قلقة في مكاتبة)) (٢)

(١) ومنه قول الزبيدي : ((ويقولون للسيف صُمَامَة وجرم صام ، فيكسرون . قال محمد : والصواب صُمَامَة وجرم صام بالفتح فلا يجي إلا مفتوح الأول إلا ان يكون مصدرا فيكسرونه (القُلُقَال) و (الزُّلْزَال) ، وأصل الكوفة يمدون ما جاء من هذا ثلاثيا ، ويشققونه منه ، ويذهبون إلى أن صمصامة من صمم ، ولكنهم كرهوا اجتماع الأمثال ، ففرقوا بينهما بعرف مثل الأول وكذلك كَفَكَّتْ وَصَلَّصَتْ وَحَلَلَّتْ . والبصريون يمدون كل هذا رباعيا . وقول الكوفيين عندي أولى لأن الاشتقاق يحكم بصحته ، والقياس يشهد له)) لعن

العوام ص ١٣٦ - ١٣٧

(٢) بخية الوعاة ص ١٨٢ - ١٨٣

قضايا نحوية في لحن الصوام

على الرغم من ميل علماء القرن الرابع الهجري الى التخصص في العلوم والمصارف ، فلا يعني ذلك أنهم لم يمزجوا بين فروع العلم الواحد في بعض مؤلفاتهم فقد رأيت بعض كتب اللغة على ذكر بعض المسائل النحوية والصرفية ، توضيحاً لبعض الظواهر اللغوية التي يمرحونها . ومن أمثلة ذلك ما نراه في كتاب لحن الصوام للزبيدي ، ومنه :

١ . الاستثناء

ومن أدواته : عدا ، وخلا ، وهما فعلا ن ، ويدخل عليهما ما فتتحين ^{عليها} فعليهما . وقد عرض لهما الزبيدي ، في حديثه عن اللحن بهما : ((ويقولون : جاء القوم (معداً) فلان . قال محمد : والصواب ما عدا فلانا . وعدا ، وخلا فعلا ن يستثنى بهما ، تقول : جاءني عدا زيدا ، وخلا أباك ، ويدخل عليهما ما تقول : ما عدا زيدا وما خلا أباك (١)) .

والملاحظ أنه لا يميل الى ذكر الخلافات في بعض المسائل النحوية التي

اختلف بها الكوفيون والبصريون .

٢ . النداء

ويذكر أوجه النداء في العربية من خلال حديثه عن اللحن في كلمة (أي) . ((ويقولون في النداء : (أي فلان) فيشدون . قال محمد : والصواب أي بالتخفيف والمرب تنادي الاسم غير المندوب على خمسة أوجه ، يقولون : يا زيد ، وأي زيد وأي زيد . وآزيد ، فإن كان متراخياً قالوا : أي زيد وهيا زيد ، وينادون المندوب : وازيد . وقال أبو علي عن ابن الأنباري عن النضر : العرب تنادي على تسع لغات ، يقولون : يارب وهيارب ، وأرب ، وآرب ، وأي رب ، وأيارب ، ووارب ، ورب) (٢)

(١) لحن الصوام ص ١٣٩

(٢) لحن الصوام ص ١٤٦ — ١٤٧

٣. التعجب

ويتحدث عن طريقة التعجب من الصفات التي عليها وزن (أَفْعَل) الدالة على الألوان والعيوب: ((ويقولون في التعجب من الألوان والماهاك : ما أبيض هذا الثوب وما أعور هذا الفرس وذلك غلط ، لأن العرب لم تبين فِعْل التعجب إلا من الفعل الثلاثي ، الذي خصته بذلك لخصته . والغالب على أفعل الألوان والعيوب التي يركبها الحيات ، فإن أردت التعجب من بياض الثوب ، قلت : ما أحسن بياض هذا الثوب وما أقبح عور هذا الفرس (١) .

٤. الجمع ، يتحدث الزبيدي عن بعض صيغ الجمع ، وخاصة جمع التكسير ، ومن ذلك :

أ. فُعْلَةٌ تجمع على فُعَل .

قال الزبيدي في معرني حديثه عن الخطأ في هذه الصيغة : ((ويقولون لجماعة الشُّقَّة شِقَّق . قال محمد : والصواب شَقَّاق ، وشُقَّق . وكل ما كان على فُعْلَةٍ - مضموم الأول - فجمعته يأتي على فُعَل قياسا مطردا . وربما جاء على فِعَالٍ ، نحو بُرَم وبرام . . . وقُبَّة وقُبَّب وقِبَاب . . . فأما (شَقَّق) بالكسر ، فجمع شِقَّة وهو ما شَقَّ من لوح أو خشب أو غيرها . وهو من باب فُعْلَةٍ وفِعَل . (((٢)

ب. أَفْعَلَةٌ لا تكون صيغة جمع

ويقولون للبستان الذي يذخر عليه (جَنَان) ويجمعونه على (أَجْنَنَة) .

قال محمد : وذلك خطأ لأن (أَجْنَنَة) (أَفْعَلَةٌ) و (أَفْعَلَةٌ) لا يكون من أبنية الجمع فأما (أَجْنَنَة) بالكسر ، فجمع جنين . قال الله عز وجل : (وإذا أنتم أجنَّة في بطون أمهاتكم (٣) : الصواب جَنَنَة ، ثم يجمع على جِنَان ، فيل صَبَّة وضَبَاب وليس الجنان بواحد . ولا يجوز أن يكون أَجْنَنَة ، جمع جِنَان ، فيكون جمعا للجمع ، لأن (أَجْنَنَة) (أَفْعَلَةٌ) ، وأفعلة لأدنى العدد ، ولا يكون جمعا للجمع الكثير (٤) .

(١) لعن العوام ص ٢٥٢ (٢) لعن العوام ص ١٢٦

(٣) سورة النجم الآية ٥٣ (٤) لعن العوام ص ١١١ - ١١٢

هـ - اسم الجنس المجمي

ويسميه الزبيدي ((الجمع الذي ليس بينه وبين واحدته الا الهاء)) . ويأخر هذا في حديثه عن اللحن في كلمة (الرَّمَك) : ((ويقولون لاناث الذيل)) (الرَّمَك) فيسكنون . . . والصواب ((الرَّمَك)) واحدته ((رَمَكَة)) وهو من الجمع الذي ليس بينه وبين واحدته الا الهاء . مثل (حَجَلَة) و (حَجَل) و (رَمَكَة) و (رَمَك) (١) .
د . لا يكون أَفْعُلُ جمعا لِفَعَالِ الا لمؤنث
قال الزبيدي : ((ويقولون لجمع اللُّجَم : أَلْجَم . . . وذلك خطأ ، والصواب لُجَم .

قال النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تحت العجاج وخيل تعلق اللجما
ولا يكون أَفْعُلُ جمعا لِفَعَالِ ، وما كان على زنته ، الا أن يكون مؤنثا نحو لسان وألسن ، فمن أنث اللسان ، وعقاب وأعقب . فأما أَفْعِلَةٌ فانما يأتي جمعا في أدنى العدد ، مثل عمار وأعمرة ، وازار ، وآزرة ، ولسان وألسنة فيمن ذكر اللسان . ومن هذا الباب ما لا يأتي له جمع على أدنى العدد ، بمثل (كتاب وكُتِبَ) و (لجام ولُجِمَ) ولم يقولوا : (أَكْتُبِهِ ، ولا أَلِجِمِهِ) ، وذلك القياس لو قيل . وقد روى بعضهم أَلِجِمَةً . . . (٢) .
هـ . صيغة فُعَالٍ

قال الزبيدي : (فُعَالٍ من الأبنية التي تكون جمعا لفاعل ، مثل قَامُوا وقُومُوا ، وصائم وصُومًا ، وضارب وضُرَاب . . .) (٣) .

هـ . لو ، لا يليها الا الفصل

قال الزبيدي : ((لو لا يليها الا الفصل ظاهرا أو ضمرا الا معاً)) (٤)

(١) لحن الصوام ص ٦٦ (٢) لحن الصوام ص ٥٥ - ٥٦

(٣) لحن الصوام ص ٢٢٤ (٤) لحن الصوام ص ٨٢

٦ . اتفاق ، سيفتني اسم الفاعل والمفعول من المزيد المعتل الحين
 ((ويقولون : مَبِياعٌ ومُحْتالٌ ، بكسر أولها ، يحسبونها على مَفْعَالٍ .
 قال محمد : والصواب مَبْتاعٌ ومُحْتالٌ ، بضم أولها ، لأنها على وزن مَفْتَحَلٍ
 من ابتاع واحتال . وليس بين الفاعل والمفعول من هذا النحوفرق ، تقول : ابتاع
 الرجل الشيء ، فالرجل مبتاع ، والشيء مبتاع أيضا ، وذلك لما حدث من انقلاب
 الياء والواو إلى الألف ، ولو كان مبتاع وأخواتها مفعلا - كما حسبوا - لقالوا :
 مَبِياعٌ ومُسْوَالٌ ، ولم يكن للتاء ما هنا موضع)) (١) .

٧ . زيادة النون في الخماسي
 قال الزبيدي : ((ويقولون : قَرْنَفُلٌ ، بضم الراء . . . والصواب قَرْنَفُلٌ
 على مثال فَمَنْسَلٌ وكذلك حكم النون إذا أتت الثالثة في هذا البناء الزيادة .
 وقال امرؤ القيس :

إذا التفتت نحوى تَضَوُّعَ رِيحِهَا نسيم الصَّبَا جاءت بريّا القَرْنَفُلُ
 زعم بعض اللغويين أنه يقال القَرْنَفُلُ . . . ولا أعرف في كلام العرب ما على هذا
 المثال ، اعني فَمَنْسَلُ)) (٢) .

وقال أيضا في كلمة نَرْجِسٍ ((ويقولون نَرْجَسٌ ، بفتح الجيم ، ويسمون به
 قال محمد : والصواب نَرْجِسٌ ، بالكسر ، وزعم أبو عثمان المازني (ت ٢٣٦ هـ)
 أن نَرْجَسًا على مثال نَفْعَلٍ ، وأن النون فيه زائدة ، لأنه ليس في الكلام على
 مثال فَمَنْسَلٍ)) (٣) .

(١) الحسن الصوام ص ١٣٠

(٢) الحسن الصوام ص ٦٤ - ٦٥

(٣) الحسن الصوام ص ١١٠

٨. وزن غيَّحل

أنكر أبو بكر الزبيدي أن يكون شىء من كلام العرب على هذا الوزن في قوله : ((ويقولون : نافق القميص ، ويجمعونه على نوافق . . والصواب نَيْفَق . . وعامة المشرق يقولون : نَيْفَق ، وذلك خطأ ، لأنه لا يكون شىء من كلام العرب على غيَّحل)) (١) .

٩. المضعف من الأسماء على زنة فصلال

ينكر الزبيدي أن يكون هذا مكسور الأول الأ في كلمة واحدة وهي الدِّيداء قال : ((ويقولون : خَلْخال بكسر أوله . . . والصواب خُلْخال ، وكل ما كان من المضاعف على هذا المثال ، فلا يكون الا مفتوح الأول ، مثل الجُجْجَات ، والصُلُصَال ، والجِرْجَار ، وما أشبهه ، الا حرفا واحدا وهو الدِّيداء وهو آخر الشهر . ويقال أيضا الدِّاداء)) (٢) .

وقال في موضع آخر : ((ويقولون للسيف صُمَّامة وصِمَّام ، فيكسرون . . . والصواب صُمَّامة وصُمَّام بالفتح . . . ما كان من المضاعف الرباعي على هذا المثال ، فلا يجوز الا مفتوح الأول ، الا أن يكون مصدرا فيكسر ، نحو القُلْقال والزُلْزال . وأهل الكوفة يعدون ما جاء من نحو هذا ثلاثيا ، ويشتقونه منه ، ويدعون الى أن صُمَّامة من صمم ، ولكنهم كرهوا اجتماع الأمثال ، ففرقوا بينهما بحرف مثل الأول ، وكذلك ككفت ، وصلحت ، وطلعت . والبصريون يعدون هذا كله رباعيا . وقول الكوفيين عندى أولى لأن الاشتقاق يحكم بصحته ، والقياس يشهد له)) (٣) .

(١) لعن الصوام ص ١٢٥ - ١٢٦

(٢) لعن الصوام ص ١١٦

(٣) لعن الصوام ص ١٣٦ - ١٣٧

١٠. الهمزة - التصغير

ويقولون لموقف الدابة صَبِيل ، ويجمعونه على صُبُول . قال محمد :
 (الزبيدي) والصواب اصْطَبِيل . وهو من كلام أهل الشام ، ويجمعه أصَارِب . وزعم
 أبو المباس المبرد : أن الهمزة أصلية ، وقال : إن الهمزة إذا كانت خامسة
 فصاعدا . فحكمها أن تكون أصلا ، إلا في باب اشْهِيَاب واغْدِيدان ونحوهما . قال
 وإنما يقضي عليها بالزيادة إذا كانت أولا رابعة . وتصغير اصطبل على نحو جمعة
 أَصْطِيب . وقال بعض اللغويين : يجمع اصْطَابِل : صَطَابِل ، وتصغيره صُطَيْبِل .
 وقال : أحذف الهمزة كما أحذفها من إبراهيم واسماعيل ، إذا جُمِعت وصُغرت .
 والحجة في حذفها أنها وإن لم تكن زائدة هنا ، فهي من حروف الزوائد ، ألا ترى
 أن بعضهم ينحرف فرزدقا وشمردلا على فريزق ، وشميرل ، ويجمعها على ذلك ،
 لأن الدال قريبة المخرج من التاء ، والتاء من حروف الزوائد ، والهمزة في اصطابل
 أجدر بالحذف من الدال في شمردل ، قال محمد (الزبيدي) : والقول الأول أصب
 التي ، لأن القياس أن يأخذ التصغير والجمع عقبهما ثم يرتدعان ، ويحذف ما بعد
 الحرف الذي ارتدعا عنده ، بل لا يجوز غيره عند سيبويه ، لأنه لا يجوز عنده أن
 يحذف من الخماسي إلا آخره ، وإن كان الرابع من الحروف التي تشبه الزوائد
 ولم يكن زائدا بياز حذفه ، مثل النون في خَمْدَرْتَق ، والدال في فرزدق ، ولا يجوز
 عنده حذف الثالث ألبتة ، مثل الميم في جَحْمَرَم ، وحذفه في ذلك أنه لا يستنكر
 أن يكون بعد الثالث حرف ينتهي إليه في التصغير ، كما كان ذلك في (جحيفر)
 وإنما استجاز أن يحذف الحرف الذي وقع التصغير عنده ، وهو الرابع ، إذا
 أشبه حرف الزوائد . وهمزة اصطبل أخرى ألا تحذف ، إذا كانت أولا . وإنما
 حذفت همزة إبراهيم واسماعيل ، لأنها جاءا على همزة اشْهِيَاب وشماعيمان
 فضارعت الألف الثالثة فيهما الياء في اشْهِيَاب واصْطَبِل على مثال جَرْدُ عُل

(لا زيادة فيه) (١)

وقال الزبيدي في تخذئة أهل مصره في تصغير ضيعة : (ويقولون في تصغير ضيعة ضويعة ، ويجمعونها على ضيغ . . . والصواب ضيعة) وان شئت قلت ضيعة بكسر أوله . وكذلك كل ما كان أصله الياء من هذا المثال ونحوه) (٢) .

والملاحظ أن مثل هذه القضايا السابقة دعت إليها ضرورة الحديث عن كلمة ما فجاءت توضيحاً لبعض المسائل اللغوية ، وحرصاً على صفاء المعنى المفردات من الغلط والصحمة .

ب. كتب التراجم

صنف الزبيدي كتاباً قيماً في هذا المجال ، يعد من أمهات التراجم التي لا غنى عنها لكل دارس لتراجم أعلام اللغة والنحو . وتعددت تسمية الكتاب في المصادر القديمة التي ذكرته ، ومن هذه التسميات : (طبقات النحويين) (٣) و (طبقات النحاة) (٤) . و (أخبار النحويين) (٥) و (أخبار النحاة) (٦) . و (طبقات النحويين واللغويين في الأندلس والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى أبي عبد الله الرباعي) (٧) .

(١) لعن الحوام ص ١٣٤ - ١٣٥ ، قال صاحب اللسان : (صليل : قال ابن بري : لم يذكر الجوهري الصليل لأنه أعجمي ، وقد تكلمت به العرب) ٤٣٧/٢ والمعروف أن الكلمات الأعجمية لا يصح إخضاعها للقياس إلا إذا عريت وقبلت القياس .

(٢) لعن الحوام ص ١٧٤

(٣) انظر ملحق الأنس ص ٥٤ ، والواقعي بالوفيات ٣٥١/٢ وبغية الوفاة ص ٣٤

(٤) انظر روشتات الجنات ٣٣٩/٧ ، كشف الظنون ١١٠٧/٢

(٥) انظر بذوة المقتبس ص ٤٣ ، انباء الرواة ١٠٩/٣

(٦) انظر (المحمدون من الشعراء) ص ٢٠٩

(٧) بيتية الدهر ٧٠/٢ - ٧١ ، وفيات الأعيان ٣٧٢/٤ ، وشذرات الذهب ٩٤/٣

وفهرسة ابن خيبر ص ٣٥١ فقد اقتصر على تسميته ب (طبقات النحويين واللغويين)

ولعل تسميته ب (طبقات النحويين واللغويين) أقرب هذه التسميات ، وأكثرها انسجاما مع مادة الكتاب ، وهي التسمية التي اختارها الاستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، وجعلها عنوانا للكتاب عندما قام بتحقيقه ونشره عام (١٩٥٤ م) ، واعتمد على نسخة مخطوطة من الكتاب بدار الكتب المصرية برقم ٧٨٦ ، منقولة عن نسخة مخطوطة بمكتبة نور عثمانية ، كتبت سنة (٦٥٨ هـ) بالقاهرة (١) .

وكان كرنكو قد اختصر هذا الكتاب ، ونشر هذا المختصر سنة (١٩١٩ م) . (٢)

وقام - أيضا - أبو بكر محمد بن علي الحلبي باختصاره تحت عنوان (مختصر طبقات النحويين واللغويين) (٣) .

لقد ألف الزبيدي كتابه هذا استجابة لرغبة الخليفة الحكم المستنصر ، ليكون سبيلا للنسابة واللغويين ، يقول الزبيدي : ((وان أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله - رضي الله عنه - لما اختصه الله به ، ومنحه الفخيلة فيسسه من العناية بضرور العلوم والاعادة بصنوع الفنون ، أمرني بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الاسلام ، ثم من تلاميهم من بعد الزماننا هذا (٤)) أي زمن الزبيدي .

خطة الكتاب ومنهجه

دأب الزبيدي في أغلب ما وصل إلينا من مؤلفاته على وضع مقدمة فسي أولها ، يذكر فيها منهجه وخطة التي رسمها لتأليف كتابه ، ويظهر من هذه المقدمات أن الزبيدي كان يتمتع بعقلية منهجية منظمة مرتبة في التأليف ، وهو يصرح في مقدمة طبقاته أن الخطة التي اتبعها في هذا الكتاب كانت بايعا من الحكم المستنصر ، يقول :

-
- (١) مقدمة طبقات الزبيدي ص ٤ (٢) مقدمة طبقات الزبيدي ص ٣
 (٣) انظر تاريخ الأدب العربي ٢ / ٢٨١ ، و (أبو بكر الزبيدي ص ١٣٨)
 (٤) طبقات الزبيدي ص ٩

((فألفت هذا الكتاب على الوجه الذي أمرني به أمير المؤمنين رحمه الله ، وأقمته على الشكل الذي حدّده ، وأمدوني رضي الله عنه في ذلك بمدايته وعلمه ، وأوسعني من روايته وحفظه إذ هو البحر الذي لا تحبّر أواذيه ، ولا تدرك سواحله ، ولا ينزع عمره ، ولا تنضب مادته)) (١) .

ورتب الزبيدي علماء النحو واللغة ترتيباً زمنياً ، وسمى علماء كل عيسل طبقة ، وبدأ بالنحاة ثم باللغويين ، فقسم نحاة البصرة إلى عشر طبقات (٢) . وعلل بدءاً بهم قائلاً : ((نبداً بذكر النحويين على طبقاتهم واللغويين بعدهم ونقدم البصريين من كلتا الطبقتين ، لتقدمهم في علم العربية ، وسبقهم السوس (التاليف فيها)) (٣) . وأورد بعدهم نحاة الكوفة في ست طبقات (٤) ، وبعدهم ذلك ذكر اللغويين البصريين وجعلهم سبع طبقات (٥) ، والكوفيين وجعلهم في خمس طبقات (٦) وغلط بين النحويين واللغويين المصريين ، وجعلهم في فصل واحد (٧) ، وجاء بعدهم بالنحويين واللغويين القرويين ، وجعلهم أربع طبقات (٨) . وغتم كتابه بالنحويين واللغويين الأندلسيين . وجعلهم ست طبقات (٩) وتصنيفه هذا قائم على الأقاليم التي عاشوا فيها ، وترتيبهم الزمني . وليس على شهرتهم العلمية .

-
- | | | | |
|-------|---------------------------|-------|---------------------------|
| (١) | طبقات الزبيدي ص ١٠ | (٢) | طبقات الزبيدي ص ١٣ - ١٣٢ |
| (٣) | طبقات الزبيدي ص ١٠ | (٤) | طبقات الزبيدي ص ١٣٥ - ١٧٢ |
| (٥) | طبقات الزبيدي ص ١٧٥ - ٢٠٦ | (٦) | طبقات الزبيدي ص ٢٠٧ - ٢٣٣ |
| (٧) | طبقات الزبيدي ص ٢٣٣ - ٢٤٥ | | |
| (٨) | طبقات الزبيدي ص ٢٤٥ - ٢٧٥ | | |
| (٩) | طبقات الزبيدي ص ٢٧٥ - ٣٤٠ | | |

أما البيعة المادية التي عرضها في ترجمته لكل واحد منهم ، فقد كانت تختلف كمًّا وكيفًا بحسب شهرة العالم الذي يترجم له ، فقد تناول فتيل صفحات (١) ، وقد تقصّر فلا تتجاوز ذكر اسم العالم فحسب (٢) ويهتم بذكر المترجم له ، وزمانه وبلده ، ومذهبه في العلم ، ومولده وعمره ووفاته ، وما يؤثر عنه من منكرات وأخبار تدل على فضله ومرتبته العلمية ، ومذهبه وخلق (٣) . وما يلاحظ على الكتاب أن تراجمه أوفى من تراجم كتاب (أخبار النحويين) للسيرافي ، ومن كتاب (مراتب النحويين) لأبي الطيب اللخوي ، ولحل الزبيدي كان أكثر اهتماما من غيره بالنحاة واللغويين ، فقد أوضح مناهج البحث لدى من ترجم لهم ، وأرقهم في الدرس النحوي واللغوي ، ومواقفهم من الخلاف بين الكوفيين والبصريين ، وهذه ميزة تعللي من قدره ، وتزيد في فائدته ، وتبعده عن أن يكون مجرد كتاب أخباري ، فأبو علي القالي ، (أعلم أهل زمانه بحلل النحوي على مذهب البصريين) (٤) وابن الوزان النحوي (كان يعيل إلى أهل البصرة مع علمه بقول الكوفيين ، وكان يفضل المازني في النحو وابن السكيت في اللغة) (٥)

-
- (١) انظر مثلاً — ترجمة سيويه في طبقات الزبيدي ص ٦٦ — ٧٦
 (٢) انظر مثلاً — ترجمة (أبو عبد الله الحسين بن أحمد الخزازي) فلا يذكر سوى اسمه . طبقات الزبيدي ص ٢٢٩ .
 (٣) لقد أبان الزبيدي عن البيعة المادية التي ذكرها إذاً أغلب من ترجم لهم قائلا : (وأن أطبقهم على أزمانهم وبلادهم بحسب مذهبهم في العلم ومراتبهم وإن ذكر مع ذلك موالدهم وأسمانهم ومدد أعمارهم ، وتاريخ وفاتهم على قدر الامكان في ذلك ، بحسب الادراك له ، وأحلب جملة من نتف أخبارهم وتاريخ وفاتهم والمنكرات المتضمنة لأخبارهم ، المشتتة على محاسنهم . . . ومنكرات يسيرة فيما نسب إلى بعضهم من مذهب نيزبه ، أو خلق عيب عليه) طبقات الزبيدي ص ١٠ .
 (٤) طبقات الزبيدي ص ٢٠٢ (٥) طبقات الزبيدي ص ٢٦٩

وهو ينقد بعض مؤلفات من ترجم لهم ، ويزنها بميزانها العلمي الدقيق ،
فيراها تكرارا لوجوه قيلت ، وحشدا لأقاويل سبق اليها ، يقول في ابن النحاس
((وله كتب في القرآن مفيدة ، منها كتاب معاني القرآن ، وكتاب اعراب القرآن
جلب فيه الأقاويل ، وحشد الوجوه ، ولم يذهب في ذلك مذهب الاختيار والتحليل
(١) . وابن الحصار الاندلسي ((كانت له أوضاع في النحو زل في كثير منها ، وذلك
أنه كان قليل الدراسة لكتب النحويين ، تاركا لمعالجتها ، وكان يحوّل على قياسه
وتحليله فيخطئ في اعتلاله (٢) .

والزبيدي ينقل أحيانا بعض المسائل اللغوية والنحوية المختلفة عليها بين
من يترجم لهم ، كما ضمن كتابه أيضا طائفة صالحة من الألفاظ الغريبة المشروعة
عند ورود ذكرها ، وعزا شرحها الى أصحابها ، وما جاء فيه من المسائل اللغوية
((قال المازني : وحضرت يوما آخر ، واجتمع جماعة نحوي الكوفة ، قال لي الواصل
يامازني هات مسألة ، قلت : ما تقول في قول الله تبارك وتعالى : (وما كانت أمك
بغيا) لم لم يقل بغية ؟ وهي صفة لمؤنث ؟ فأجابوا ببوابات غير مرضية ، فقال
(الواصل) لي (للمازني) هات ، قلت : لو كان بغيا على تقدير فصيل بمعنى فاعل
للحقتها الهاء ، مثل كريمة ، وظريفة ، وإنما تحذف الهاء اذا كانت في معنى مفعولة
في نحو ، امرأة قتيل ، وكف خضيب .

وبغيا هاهنا ليس بفصيل إنما هو فمحل لا تلحقه الهاء في وصف التأنيت
نحو ، امرأة شكور ، وبئر شطون اذا كانت بصيدة الرشاء ، وتقد ير بغيا
بغوي ، قلبت الواريا ، ثم ادغمت الواو في اليا ، فصارت يا ثقيلة .

(١) طبقات الزبيدي ص ٢٣٩

(٢) طبقات الزبيدي ص ٣٣١

نحو سيّد ، وميّت ، فاستحسن الجواب (١) ، وأحيانا لا يكفي بنقل المسألة النحوية أو اللغوية حسب ، بل يخلق عليها ، ويدلي برأيه فيها ، ومن ذلك ما نقله عن استاذة الرياحي قائلًا : ((حدثني محمد بن يحيى الرياحي قال : بلغني أن بعض ملوك مصر جمع بين أبي العباس بن ولاد وبين أبي جعفر ابن النحاس ، وأمرهما بالمناظرة ، فقال ابن النحاس لأبي العباس : كيف تبني مثل (أَفْعَلَوْتُ) من رَمَيْت ؟ فقال له أبو العباس أقول : اَرُمَيْت ، فخطأه أبو جعفر ، وقال : ليس في كلام العرب (أَفْعَلَوْتُ) ولا (أَفْعَلَيْت) ، فقال أبو العباس : انما سألتني أن أمثل لك بناءً ففعلت . قال أبو بكر (الزبيدي) : وأحسن أبو العباس بن ولاد في قياسه عين قلب الواو يا ، وقال في ذلك بالمذرب المعروف ، لأن الواو تتقلب في المضارعة يا ، لوقيل ألا ترى أنك كنت تقول فيه : يرمي ، فلذلك قلت : ارميت ، ولم تقل (ارميت) ، والذي ذكر أبو جعفر أنه لا يقال : (أَفْعَلَيْت) صحيح . فأما (ارميت) و (أَجَاوَيْت) فهو على مثال (أَفْعَلَيْت) مثل : احمررت وانقلبت الواو الثانية يا لا نقلا بها في المضارعة - أعني يرمي - ولم يلزمها الادغام كما لزم احمر لا نقلا بالمثّل الثاني ألفا غسي (ارموي) ((٢) .

وسما جاء فيه من المسائل والقضايا النحوية التي اختلف فيها النحاة : تقدير العامل (٣) .

(١) ابيات الزبيدي ص ٢٤ - ٢٥ ولعل الزبيدي ذهب الى أن أصل الفصل بضم وليس بغي ، مع أن صاحب اللسان ذكر أنه بَغْيٍ وَيَقْوُ قَالَ : ((بغت الأمة تبغي بغيا ، وبغت مباغة وبغاء بالكسر والمد ، وهي بَغْيٍ وَيَقْوُ : عهت وزنت وقيل البغيّ الأمة ، فاجرة كانت أو غير فاجرة ، وقيل البغي أيضا الفاجرة ، حرة كانت أو أمة . وفي التنزيل : [وما كانت أمك بغيا] أي ما كانت فاجرة ، مثل قولهم : ملحفة جديد - ٢٤١ / ١ ، قال صاحب الفصل : ((ويستوى المذكر والمؤنث في فصول ، ومفعال ، ومفعل ، ومفعيل . . . فيقال : رجل صبور وأمرأة صبور ، ومقطار ومطريق . . . ويريج (لكليهما) شرح الفصل ١٠٢ / ٥ ولعل بغي على وزن فمعل وليس على فصول .

(٢) ابيات الزبيدي ص ٢٣٨ - ٢٣٩ (٣) انظر : ابيات الزبيدي ص ٣٦ .

والاستثناء بليس (١) . واختلف البصريين والكوفيين في بعض الحلل (٢) . وما وقع بين سيويوه والكسائي عند يحيى البرمكي (٣) . وباب التعجب والا استفهام (٤)

(١) ومن ذلك ما وقع بين حماد بن سلمة وسيويوه في قول الرسول الكريم : ((ليس من أصعابي الا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء)) . قال سيويوه ((ليس أبو الدرداء)) . وانه اسم ليس . فقال حماد : لعنت ياسيويوه . ليس هذا حيث ذهبت . وانما ليس هاهنا استثناء)) . طبقات الزبيدي ص ٦٦ .

(٢) ومن ذلك : ((قال أبو المباس : قال الخليل : كلا اسم . وقال الغراء : هي بين الأسماء والأفعال ، ولا تنفرد كما ينفرد الاسم ، وأشبهت الفعل لتغيرها في المكى والظاهر . لأنني أقول في الظاهر رأيت كلا الزيدين . ومررت بكلا الزيدين . وكلمني كلا الزيدين . فلا تتخير ، وأقول في المكى : رأيتهما كليهما ومررت بهما كليهما ، وقام إلي كلاهما . فأشبهت الفعل لأنني أقول : قضى زيد ماعليه ، فتظهر الألف مع الظاهر ، ثم أقول : قضيت الحق ، فتصير الألف مع المكى يا)) . طبقات الزبيدي ص ١٤٥ - ١٤٦ .

لقد اثبت النحاة اسمية كلا ، ولم يأتوا كثيرا لقول الغراء ، لأنه في تحليله السابق يخرجهما من الأسماء والأفعال الى أسماء الأفعال ، وهذا لا يجوز . وقال صاحب شرح المفصل في كلا : ((وكلا اسم مفرد عندنا معناه التثنية ، ولا يدل بلفظه على جنس ذلك المثنى فلزمنا اضافته الى جنسه ليعلم نحو : جاءني كلا أخويك رأيت كلا أخويك ، ومررت بكلا أخويك ويكون تأكيد للمثنى نحو : جاءني الرجلان كلاهما ، ورأيت الرجلين كليهما ، ومررت بالرجلين كليهما ، فتلزم انما فتها الى ضمير المؤكد ليعلم أنها تأكيد له)) . شرح الفصل ٢ / ١٣٠ .

(٣) في مسألة ((كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور ، فإذا هو هي ، أو فإذا هو أياها)) . انظر تفصيل ذلك في طبقات الزبيدي ص ٦٩ .

(٤) انظر طبقات الزبيدي ص ١٤ .

والخطأ في الاشتقاق (١) . والاختلاف في القراءة (٢) .
 وغلط الزبيدي أحيانا في المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين . (٣) فتجده
 أحيانا يهملق المصطلح الكوفي وأحيانا أخرى المصطلح البصري فيما اختلفوا فيه
 غير أن هذا الأمر قليل ، وهو أكثر ميلا للبصريين . وذلك لا يحط من قيمة
 الزبيدي العلمية ، ولا يقلل من شأن كتابه . فالكتاب يعد مصدرا أصيلا لتراجم
 النحويين واللفويين والمؤدبين من عهد أبي الأسود الدؤلي حتى ما بعد منتصف
 القرن الرابع الهجري بقليل ، أي حتى عام ٣٥٨ هـ ، وتعود أهميته بالدرجة
 الأولى لا اهتمامه بترجمة عدد كبير من علماء ، النحو واللغة في الاندلس .
 والمصادر التي جاءت بعده عيال عليه في هذا الشأن .

(١) ومنه : ((قال عيسى بن عمر ، خاصم رجل رجلا (الى يحيى بن يعمر)
 فقال : - أصلحك الله - انه باعني غلاما بياقا ، فقال يحيى : لو قلت أبوقا ، قال
 أبوها تم : كذا المصواب ، رجل أبوق وأباق ، وآبق . . . أبق ، يَأْبُقُ . والحامة
 تقول : يَأْبُقُ ، وهو خطأ)) . طبقات الزبيدي ص ٢٣

(٢) ومن ذلك قراءة الحجاج بن يوسف الثقفي لقوله تعالى : (قل ان كان
 آباؤكم . . . أحب اليكم . . . بالرفع ، والوجه أن تقرأ بالنصب على خبر كان
 انظر طبقات الزبيدي ص ٢٢

(٣) ومنه الخفض والكناية عند الكوفيين . ويقابلهما الجر والضمير عند
 البصريين : انظر طبقات الزبيدي ص ٢

كتب النحو والصرف

ألف الزبيدي في هذا الباب كتابين : أحدهما تناول فيه البنية الصرفية للكلمة واتخذ كتاب سيوييه وما جاء فيه من أبنية منطلقه الأساسي . والثاني في النحو سماه ((الواضح)) .
الاستدراك على سيوييه

تعددت تسميات هذا الكتاب عند القدماء ، فمنهم من سماه ((أبنية سيوييه)) (١) ومنهم من سماه ((الأبنية)) (٢) ، وسماه آخرون ((أبنية سيوييه وشرعها والزيادة عليها)) (٣) و ((الأبنية في النحو)) (٤) وذكره مؤلفه الزبيدي في كتابه (طبقات النحويين واللغويين) وسماه ((أبنية الأسماء والأفعال)) (٥) . وقام المستشرق جويدي بنشره تحت عنوان (الاستدراك على سيوييه في كتاب الأبنية ...) (٦) .

وللكتاب عدة نسخ مخطوطة منها : فاتيكان ثالث (٥٢٦) وجاريت (٢٤٥) ومنه مختصر لعمر بن أحمد بن خليفة الحلبي السعدي في المتحف البريطاني ثاني (١٢٨) (٧) .

-
- (١) معجم الأدباء ١٨٠ / ١٨ الوافي بالوفيات ٢ / ٣٥١ بخية الوفاة ٣٤
 - (٢) بذوة المقتبس ص ٤٣ انباه الرواة ٣ / ١٠٨
 - (٣) المحمدون من الشعراء ص ٧٥
 - (٤) يتيمة الدهر ٢ / ٧٠ ، وفيات الأعيان ٤ / ٣٧٢ ، شذرات الذهب ٣ / ٩٤ كشف الظنون ١ / ٥
 - (٥) طبقات الزبيدي ص ٢٣٨ - ٢٣٩
 - (٦) نشرة في روما سنة ١٨٩٠ م
 - (٧) أنصار أبو بكر الزبيدي ص ٢٤٤

كلف الزبيدي بكتاب سيبويه

لعل كلف الزبيدي بكتاب سيبويه ، واهتمامه به أدى به الى دراسته وتعمقه والتعرف على ما فيه من نقص ، فوضع كتابه هذا مستدركا عليه بعض ما فاتته ، فالزبيدي يرى أن كتاب سيبويه قد شارب الضاية في التأليف النحوي ولم يزد العناية عليه شيئا يذكر ، وجهدهم في التأليف النحوي بعده لا يتعدى إعادة تبويبه ، والا طالة في معانيه ((فأملوا الناظرين ، وأتمبوا الطالبين بتكرار معان بيتت ، وركوب أساليب قد نهجت ، فلم يخل أكثرهم من إعادة ما تقدم اليه ، والتكثير فيما سبق إلى القول عليه ، وقد كان ينبغي لمن هم بذلك منهم أن يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المصروف بسيبويه ، فينظر الى مبادئ كتابه ، وعنوانات ابوابه ويرى لطائف معانيه ، ودقائق عجائبه ، الى الا يجاز في قوله ، والا يحاب لمراوده فيزجره ذلك ان كان ذا عجب عن تكلف ما لا حاجة اليه ، ومنعه الاعتناء بمسائل لا مسئول عليه)) (١) . ويظهر أن الاهتمام بكتاب سيبويه كان جليا واضحا عند الزبيدي ، بل انه كان من المولعين به ، المهتمين بنشره وتوضيحه ، واستخراج دقائقه وفهم معانيه ولطائفه ، يقول ((وقد كنت أيام مطالعتي هذا الكتاب (كتاب سيبويه) كلفا بما تضمنه من أبنية الأسماء والأفعال التي هي زمام الكلام ، والصور المضروب دونه ، والحد المنتهي اليه فاستخرجتها يومئذ مختصرة ، منه ليقرب عقلها لمن أثر أن يقف على معرفة البناء العربي من الدخيل ، اما من مصنوع غولط به ، أو أعجمي أقحم فيه)) (٢) .

ولعل كلفه بكتاب سيبويه واهتمامه به أمده باستقما وانبالأبوابه فوجد فيه بعض النواقص ، فأراد جمعها واستقصاءها واستدراكها في مؤلفه هذا

(١) الاستدراك ص ١

(٢) الاستدراك ص ١

ولعله هدف أيضا إلى الرد على بعض الشيوخ الذين كانوا يزعمون أن كتاب سيوييه استوفى جميع أبنية الكلام ما خلا ثلاثة أبنية ، إذ يقول : ((وكان جلّة المشايخ من أهل النحوفيا رويانا عنهم يزعمون أن ما ألفه سيوييه منها يستوفي جميع أبنية الكلام ما خلا ثلاثة أبنية شذت عن جميعه ، فاستقصيت البحث عن ذلك وأنعمت النظار فيه ، فألفت نحو الثمانين بناء لم يذكرها سيوييه في أبنية ، ولا دلّ عليها أحد من النحويين من بعده ، فأردت أن أفرد في الأبنية كتابا أخص ذكرها فيه)) . (١)

التواضع العلمي

حاول أبو بكر أن يدرك عن نفسه شبهة التعالم والتعالي ، وأظهر العلم ، والإدلال بالمعرفة على سيوييه ، فاحتاط لذلك بقوله في مقدمة كتابه : ((ولعل عاقلًا يتوهم أنا ادّعى مدانة سيوييه أو موازاته في نفاذه وفهمه بما زدنا عليه من الأبنية التي أغفل ذكرها ، ولما دلّلنا عليه من تناقض بعضي قوله ، أو بمعارضتنا له في السير من معانيه فبخالنا افكا ، ويثان بنا عجزا ، وأنّى لنا بما توهمه ، وإنما تكلمنا على أصوله ، وعارضنا قوله ببعضه ، وردنا عليه من علمه ، والاحاطة على البشر ممتنعة والعصمة عنهم مرتفعة (٢) .

(١) الاستدراك ص ١ ، ولعل الزبيدي يقصد بالمشايخ من الأندلسيين ، وذلك لأن بعض نحاة المشرق سبقوه إلى مثل هذا الاستدراك ، فقد زاد ابن دريد عددا من الأبنية ، وزاد ابن السراج اثنين وعشرين مثالا (انظر الخصائص ٣ / ١٨٥ ، المزهر ٢ / ٤ ، وكان الجرمي وابن خالويه وابن السراج من الأوائل الذين استبانوا نقص أبنية سيوييه ، فأضافوا إليها ما عداهم إليه البحث والاستقراء (انظر المزهر ٢ / ٤) وبلغ مجموع ما أخصاه النحاة المشرقيون على أبنية سيوييه حسب أخصاص ابن جني ثلاثة وستين بناء واستدرك الزبيدي واحدا وثمانين وزنا ، كان ابن جني قد ذكر خمسا وعشرين منها ضمن الأبنية التي استدركها نحاة المشرق (انظر أبو بكر الزبيدي ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .

(٢) الاستدراك ص ٢ .

فالزبيدي اذن عالم متواضع ، يعسن تقدير السابقين ، ويعتقد لهمهم مكانتهم ، فهو يكبر سيوييه ، ويعترف قدره ، ويجلسه ، ويرى أنه لا يستدليح مداناته أو موازاته في علمه وفهمه ، وما أخذه عليه ، واستدركه على كتابه لا يمد منقصة له ، ولا عيبا في شخصه أو تقصيرا في فهمه ، وانما يعود الى صعوبة الاساطاة بمفردات اللغة العربية وأبنيتها . والاحاطة الشاملة بالمعرفة والعصمة من الخطأ متصتان على البشر (١) .

ولحل البير مطلق لم يكن منصفا في تقويمه لجهد الزبيدي هذا في كتابه حين قال : ((وأعتقد أن الدافع الأول لاستدراك الأبنية التي لم يذكرها سيوييه انما كان اظهار العلم والادلال بالمعرفة . والعقيقة أن لهجة التعامل بادية تماما في الكتاب أجمع)) (٢) .

ومن الغريب أن يتهم رجل كالزبيدي بمثل هذا ، وهو يهدف الى التنبيه الى الخطأ ، واصلاح الخلل ، وكيف يكون هذا العمل لونا من الادلال والتظاهر بالعلم والمعرفة ؟ ، ولم لا نعتبره سعيا أميناً صادقا وراء الحقيقة والمعرفة ؟ ، والزبيدي نفسه قد دفع مثل هذه الشبهات فيما ذكرناه سابقا .

والمنهج العلمي الدقيق الذي انتهجه الزبيدي لم يكن رغبة في المقابلة وابرار النقص كما صوره بعض الدارسين (٣) ، وانما كان هدفه عصر أبنية الكلام بمصيحها كما ذكرها سيوييه ، ثم اضافة ما أغفله سيوييه واظهارها بصورتها المتكاملة متى يحتم النفع ، وتكثر الفائدة .

(١) انظر الاستدراك ص ٢ (٢) الحركة اللغوية ص ١٣٨

(٣) قال البير مطلق في الزبيدي : (وكان حرصا على ذكر ما أورده سيوييه ثم إتباعه بحال يذكره ، مما يشير الى رغبة المقابلة وابرار النقص)) الحركة اللغوية ص ١٣٨ ، وانكر عليه هذا القول أيضا نعمة العزاوي . انظر ابو بكر الزبيدي ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

منهج الكتاب ومادته

تميز الزبيدي في أغلب مؤلفاته بإثبات مقدمة في أول الكتاب ، يشرح فيها مبادئه ومنهجه وهو يلزم نفسه بالخطاة التي يرسمها ، ويطلبها تطبيقاً دقيقاً . وقد حدد معالم خطته ومنهجه في هذا الكتاب بقوله : ((فأردت أن أفرد في الأبنية كتاباً الشخص ذكرها فيه ، وأبدأ بما يجب أن يكون صدرها لها ومدخلها إليها مما يشاكلها ، وينتظم بها ، بل هو أصل لها وهي فرع منسب ، مبنية عليه ، وذلك أن أبتدى* بذكر أقل أصول الأسماء والأفعال والحروف)) وأكثر أصولها غير مزيدة ، وأقصى ما تنتهي إليه بالزيادة ، ونذكر حروف الزيادة والبدل ، ثم نعتب من بعد بأبنية الأسماء والأفعال على حسب ما ذكرها سيوييه بناءً بناءً ، ونعتمد ما نورد منها في كل باب حتى تأتي احاطة العدد على جميع أبنية الأسماء والأفعال ، ونذكر باشر كل باب منها ما أغفله سيوييه من أصول الأبنية فيه ، وما خطر عليه من أمثلة النعوت أو الأسماء* ، ونبدل في خلال ذلك على ما اختلف فيه قوله ، وما نقص به أصله ، ثم نشرح بعد كل باب منه ما وقع فيسه من غريب الأبنية شرحاً مختصراً كافياً ، وإن كان أهل اللغة قد تصاموا شرحها وتفادوا من تفسير غريبها ، وشهدوا لسيوييه بالتقدم في علم اللغة بما أثبتته غسي كتابه منها حين أيقنوا أنه لم يعن بنقلها إلا بعد احاطته بعلمها وتفسير مشكل غريبها . وقد أربأنا منها شرح حروف يسيرة لم ينته إلينا علمها ، فأتينا بها في أواخر الأبواب ، ولم نياس بعد من ادراكها عند استقصاء البحث عنها ان شاء الله (١).

فمادة الكتاب مكونة من شطرين : لفوي وصرفي ، أما اللفوي فيقوم على الشرح المختصر لبعض المفردات الضربية ، وهو مبثوث في أغلب تضاعيف الكتاب . وأما الصرفي فيهدف فيه إلى تلخيص أبنية سيوييه والاستدراان عليها ، فجاء رشيقاً قليلاً ، وبدأه بما يسمى اليوم بالمقدمة أو التمهيد للكتاب ، وضمنه الموضوعات التالية :

باب أقل أصول الأسماء وأكثر أصولها (١) . وباب ذكر أقل أصول الأفعال وأكثر أصولها (٢) . وباب المعروف (٣) . وباب الحروف الزوائد وهي عشرة (٤) . وباب حروف البدل وهي اثنا عشر (٥) .

وكلمة باب عنده عاصمة ، فهو يطلقها على الموضوع الرئيسي والفرعي في آن واحد ، فتراه يذكر ((باب ذكر أبنية الأسماء)) ثم يطلقها على ما يتفرع منه نحو؟ ((باب الحاق الألف)) . (٦) وهو يساير سيبويه في المصطلح والترتيب . وجانب الكتاب الصرفي يقسم قسمين : ابنية الاسماء ، وأبنية الأفعال ، ويتناولها حسب الترتيب التالي :

أولاً - باب ذكر أبنية الأسماء (٧) ويقسمه الى الأبواب التالية :

أ . باب البناء الثلاثي غير المزيد (٨) الثلاثي المزيد ويخرج تحته :

ذكر لحاق الزوائد في البناء الثلاثي (٩) ، باب لحاق الهمزة (١٠) ، باب لحاق الألف (١١) ، باب لحاق الياء (١٢) ، باب لحاق النون (١٣) باب لحاق التاء (١٤) ، باب لحاق الميم (١٥) باب لحاق الواو (١٦) . باب الزيادة من موضع التضعيف في العين واللام (١٧) .

(١)	الاستدراك ص ٢ - ٣	(٢)	الاستدراك ص ٣
(٣)	الاستدراك ص ٤	(٤)	الاستدراك ص ٤ - ٥
(٥)	الاستدراك ص ٥ - ٦	(٦)	الاستدراك ص ١٠ - ١٤
(٧)	الاستدراك ص ٦	(٨)	الاستدراك ص ٦
(٩)	الاستدراك ص ٨	(١٠)	الاستدراك ص ٨ - ١٠
(١١)	الاستدراك ص ١٠ - ١٤	(١٢)	الاستدراك ص ٢٠
(١٣)	الاستدراك ص ٢٢	(١٤)	الاستدراك ص ٢٢
(١٥)	الاستدراك ص ٢٤	(١٦)	الاستدراك ص ٢٤
(١٧)	الاستدراك ص ٢٦		

- باب الزيادة من موضع العين واللام اذا ضوعفتنا (١) . ويختم حديثه عن أبنيمة
الأسماء الثلاثية والمزيدة بإحصائها قائلاً : ((انقضت أبنية الثلاثي وجميعها
مزيدة وغير مزيدة مائتان وثمانية وثلاثون ، للأسماء والصفات ثلاثة وتسعون ، وللأسماء
مئة وسبعة أبنية ، وللصفات ثلاثة وثلاثون ، وللصادر بناءً ان ومثالان ، ان كانا
بهاء التأنيث كانا للاسم والصفة ، وان كانا بلاهاً فهما للاسم خاصة ، ومثال "إن
أردت به الواحد فهو اسم خاصة ، وان أردت للجمع فهو أيضاً صفة)) (٢) .
- ب . باب البناء الرباعي غير المزيد (٣) .
- ج . باب لحاق الزوائد للرباعي (٤) . ويندرج تحته : باب لحاق الواو (٥)
باب لحاق الياء (٦) ، باب لحاق الألف (٧) باب لحاق النون (٨) . باب
التضعيف في الرباعي (٩) .
- ويغتنم كلامه على الرباعي بقوله : ((فجميع أبنية الرباعي المزيدة وغير
المزيدة واحد وستون بناءً ، للأسماء والصفات خمسة وعشرون ، وللأسماء خاصة
اثنان وعشرون ، وللصفات خاصة أربعة عشر ، انقضت أبنية الرباعي (١٠) .
- د . باب أبنية الأسماء والصفات الخماسية (١١) .
- هـ . باب لحاق الزوائد بالشماسي (١٢) .
- و . باب ما أعربت العرب من الأسماء الأعجمية (١٣)

- | | | | |
|--------|---------------------|--------|---------------------|
| (١) | الاستدراك ص ٢٧ | (٢) | الاستدراك ص ٢٧ |
| (٢) | الاستدراك ص ٢٧ — ٢٨ | (٤) | الاستدراك ص ٢٩ |
| (٥) | الاستدراك ص ٢٩ | (٦) | الاستدراك ص ٣١ |
| (٧) | الاستدراك ص ٣٣ | (٨) | الاستدراك ص ٣٤ — ٣٥ |
| (٩) | الاستدراك ص ٣٥ | (١٠) | الاستدراك ص ٣٥ |
| (١١) | الاستدراك ص ٣٦ | (١٢) | الاستدراك ص ٣٧ |
| (١٣) | الاستدراك ص ٣٧ — ٣٨ | | |

ثانيا : أبنية الأفعال

ويقسمه الى الاقسام التالية :

- أ . ذكر أبنية الأفعال (١) ويتحدث فيه عن أبنية الأفعال الثلاثية .
- ب . باب لحاق الزوائد للفعل الثلاثي (٢) .
- باب ما تسكن أوائله من الافعال المزيدة (٣) .
- باب ما لحق من الأفعال الثلاثية بالرباعية (٤) .
- ج . باب الأفعال الرباعية (٥) .
- د . باب لحاق الزوائد بالرباعي (٦) .

وقد أحصى الزبيدي جميع أبنية الأفعال ، أما أبنية الأسماء فقد اعتذر عن إحصائها اسماً دقيقاً لأن الاحاطة فيها ممتنعة ، يقول : ((فجميع أمثلة الأفعال أربعة وثلاثون مثالا ، للثلاثي منها ثلاثون ، وللرباعي أربعة ، فهذه ا جميع أبنية الأفعال ، وقد تقدمت أبنية الأسماء خمسة ، ان أن الاحاطة ممتنعة فيها ، فأما الأفعال فمحصور جميعها إن شاء الله)) (٧) .

ومنهجه في عرض هذه الأبواب واضح جلي ، قد أبان عنه في مقدمة كتابه بقوله ج ((وانذا أتينا على تلخيص أصول الأسماء والأفعال والحروف ، وذكر حروف الزيادة وحروف البدل ، فلنذكر الآن أبنية الأسماء على شرطنا في عدّها ، والحق ما أغفله سييويه منها ، ولنتزم في ذلك الحكاية عنه على الاختصار ولا يعاب ان شاء الله)) (٨) . وقد اتبع في عرض مادته الخبايا التالية :

(١)	الاستدراك ص ٣٨	(٢)	الاستدراك ص ٣٨
(٣)	الاستدراك ص ٣٩	(٤)	الاستدراك ص ٣٩
(٥)	الاستدراك ص ٤٠	(٦)	الاستدراك ص ٤٠
(٧)	الاستدراك ص ٤٠	(٨)	الاستدراك ص ٦٠

- ١ . ذكر جميع الأبنية التي ذكرها سيبويه في الباب الواحد ، مع التنبيه على مواطن الخطأ والتناقض ان وجد .
- ٢ . الزيادة التي يضيفها الى أبنية الباب الواحد ، ويعنونها بمثل قوله ((الزيادة)) وهي تختلف في كثرتها وقلتها حسب ما يستدركه على سيبويه في الباب الواحد .
- ٣ . شرح ما ورد في الباب الواحد من ألفاظ غريبة ، ويمنونه بمثل قوله ((تفسير غريب الباب)) .
- والزبيدي ، يميل الى الاختصار في شوايده ، فيذكر أحيانا بيت الشعر كاملا (١) ، وأحيانا اخرى يكتفي بذكر شطره المتضمن للفظة المقصودة (٢) . وهو لا يلتزم في كل شوايده بنسبتها الى قائلها (٣) غير أنه لا ينقل الا عن لفويين ثقات (٤) أو شعراء أجاز علماء اللغة الاستشهاد بشعرهم (٥) ومما يلاحظ على شوايده أنها تخلو من الآيات القرآنية والنثر العربي ، والاعاد يث سوى حديث واحد (٦) .

-
- (١) بلغ عدد ما سبعة وأربعين بيتا موزعة على أبواب الكتاب .
 - (٢) بلغ مجموع الا شطر التي استشهد بها سبعة وعشرين شطرا موزعة على أبواب الكتاب .
 - (٣) بلغ مجموع الآيات التي لم ينسب لها قائل ثمانية وثلاثين شاعدا موزعة على ابواب الكتاب .
 - (٤) ومنهم أبو عمر بن العلاء ، والأصمعي وابن دريد ، وقد أجاز علماء اللغة الاستشهاد بمثل هذه الآيات اذا تأكدت ثقة الراوي وصحته في الرواية (انظر الاقتراح ص ٢٦ خزنة الأدب ١ / ٨ - ٩)
 - (٥) من الشعراء الجاهل بين والمخضرمين والاسلاميين ، ولم يستشهد بشعر المحدثين او المولدين الذين حظوا علماء اللغة الاستشهاد بشعرهم ومن الشعراء الذين استشهد بشعرهم : سحيم بن وثيل ، ووزن الرمة ، وابن أعرم الباهلي ، والفرماح ، وزيد النيلي ، وأبو النجم الصجلي ، وروبة والحارث بن حلزة ، وساعدة بن جوية وغيرهم
 - (٦) ورد في الاستدراك ص ١٠

ومما يؤخذ عليه أنه يغفل أسماء الكتب التي اعتمد عليها ، وربما أغفل أحيانا اسم اللخوي الذي ينقل عنه (١) . وهو يعتمد الرواة الثقات من البصريين والكوفيين (٢) . ولكنه يكثر من الاعتماد على البصريين في رواياته ، مما يؤكد أنه كان يميل اليهم ، ويبتغى الى ما يحنون اليه .

والزبيدي في كتابه هذا عالم مرتب الفكر ، صاحب منهج علمي دقيق متحكم (٣) ولا وجه لقبول قول ألبير مطلق فيه : ((ومن هذا التبسيط لمواد الكتاب بلاحت أن هناك بعض الاضطراب في المنهج فباب ((ما أعربت العرب من الأسماء الأعجمية لا يختص بأبنية الاسم الخماسي ، وأن الزبيدي ألحقه بهذا الباب)) (٤) .

ولعل أفضل رد على هذا الكلام ما جاء على لسان الزبيدي نفسه في مقدمته ، إذ يقول : ((وانما ذكرنا هذا الباب بأثر أبنية الأسماء ليستدل به على ما غُيِّرَ من الأعجمي وألحق بأبنيتهم أو غُيِّرَ ولم يلحق أو ترك على حاله لكلا يجب أن يد شيئا من الأعجمية ، فيثبت أنه قد أغفل ذكره في الكلام العربي)) (٥) .

فالزبيدي أدرك مثل هذا الاعتراض ، وبين السبب الذي دعاه الى ذلك وهو سبب صغيح ، وورود هذا الباب على هذه الشائكة وبمثل هذا الهدف لا يغفل بترتيب الكتاب ، ولا يضطرب به منهجه .

(١) انظر الاستدراك مثلا ص ١٥ ، ١٦ ، ٢٠

(٢) ومن علماء البصرة : أبو زيد ، وأبو عمر بن الحلاء ، والأصمعي ، وابن دريد وأبو حاتم ، وأبو عبيدة ، والقالبي ، ومن الكوفيين : يعقوب بن السكيت ، وابن الاعرابي والكسائي ، والنحوي ، وثلعب ، وابن الانباري وغيرهم ، وقد رتبناهم حسب كثرة اعتماد الزبيدي عليهم ونقله عنهم .

(٣) قال فيه الدكتور امين السيد : ((مرتب الفكر ، عميق البحث ، عنايم الأناة لا تمنعه مكانته وإقامته ، وتصدره من أن يقول عن معنى الكلمة انه لا يصحها

وقد يرجع اليها فيما بعد ، وانه لم ييأس بعد من ادراكها عند استقصاء البحث عنها)) ،

(٤) المعركة اللخوية ص ١٤ (٥) الاستدراك ص ٣٨ مقدمة الواضح ص ٥

استدراكات الزبيدي على سيويه

يمكن تصنيف استدراكات الزبيدي على سيويه في هذا الكتاب على عدة

أنواع منها :

١ . استدراك منهجي ،

وهو ما يتعلق بترتيب الأبواب وانتظامها ، فقد نبّه الزبيدي الى ما وقع في كتاب سيويه من اضطراب في الترتيب ، فلاحظ عليه أنه يذكر أبنية المصادر والأسماء المشتقة مع أبنية الأسماء والصفات حيناً ، ويغفلها حيناً آخر ، فعاب عليه هذا ، وتأن على سيويه أن يلتزم إضافة بعضها الى بعض ، أو يعد المصادر والأسماء المشتقة أبنية أتت على أفعالها فلا وجه لذكرها . يقول الزبيدي :

((ذكر سيويه في أبنية الأسماء والصفات ضارب وخابس ومضروب ومجاشد ومسافر وذكر إعلاء وإسلام فإن كان هذا لازماً ذكره في الأبنية ، فقد كان ينبغي أن يذكر في باب لعاق النون : منطلق ونحوه ، وفي باب التاء معترف ومتكلم ، وفي كسر الافتعال . والانفعال والاستفعال كالاتماع ، والانطلاق والاستغراج ، كما ذكر الاسلام والإعلاء ، وإن كان هذا لا يلزم ذكره لأنها أبنية من الصفات والمصادر أتت على أفعالها فلا وجه لذكرها)) (١) .

ويرى الزبيدي أن سيويه أخطأ في وضع وزن تفعيل في باب لعاق التاء من الثلاثي ، والأصح أن يضعه في باب زيادة اليا : يقول ((وعلى تفعيل الاسم التمتين والتنبيت ، قال أبو بكر كان ينبغي أن يقع التمتين والتنبيت في باب اليا كما وقع عزويت وعُفريت)) (٢) .

(١) الاستدراك ص ١١

(٢) الاستدراك ص ٢٣

٢ . استدراك لغوي

ألزم الزبيدي نفسه في كتابه بشرح المفردات الخريبة التي ترد في كل باب من أبوابه ، وعاب على اللغويين ثقتهم المذلة بكل ما جاء به سيبويه من معان وتفاصيل ، لأنه لا عصمة لمخلوق من الخطأ والنسيان ، يقول الزبيدي : ((ثم نشرح بعد كل باب منه ما وقع من غريب الأبنية شرحا مختصرا نافيا ، وإن كان أهل اللغة قد تحاموا شرحها ، وتغادوا من تفسير غريبها ، وشهدوا لسيبويه بالتقدم في علم اللغة بما أثبت في كتابه منها ، حين أيقنوا أنه لم يسن بنقلها إلا بعد إعاءاته بعلمها ، وتفسير مشكل غريبها (١) .

وكان الزبيدي أمينا دقيقا في شرح المفردات ينسب الأقوال لأصحابها ، وإذا أعياه معنى لفظه اعترف بتقصيره ، يقول : ((وقد أرجأنا منها شرح عروف يسيرة لم ينته اليها علمها ، فأتينا بها في أواخر الأبواب ، ولم نبدأ بعد من ادراكها عند استقصاء البحث عنها ان شاء الله)) (٢) .

وحاول أن يتوصل إلى معاني الكلمات التي لم يصل إليه معناها عن طريق المقابلة بين حروفها وحروف غيرها من الألفاظ التي تشركها في معان الحروف (٣) . وشروحه منها كان مختصرا يقتصر على معنى المفردة دون الشواهد (٤) . ومنها ما كان مطولا ، يستقصى فيه معاني الكلمة ويذكر شواهد (٥) . وهو في شرحه هذا صاحب شخصية واضحة فكثيرا ما يرفض تفسير بعض اللغويين ، ويؤاه عما غامضا لا يعطي المعنى الدقيق للكلمة (٦) .

(١) الاستدراك ص ٢ (٢) الاستدراك ص ٢

(٣) الاستدراك ص ١٠ ، يقول الزبيدي : ((ولا نعلم أرفلة ، وقد روى العرف بعض اللغويين عن سيبويه أرفته بالنون ، وهو اسم رجل والألم قريبة من النون وقالوا ثوب رفن ، ورفل ولعلك ولعلك ، فان كانت الروايتان صعيحتين فهي لفظة يارفتة وأرفلة)) .

(٤) انظر الاستدراك ص ١٥ (٥) انظر الاستدراك ص ١٥

(٦) انظر الاستدراك ص ٦ ، يقول الزبيدي ((أما الهيروان ، فذكر ابن دريد أنه اسم وهذا غير مقنع لأنه لم يزد على ما قاله سيبويه من أنه اسم))

٣ . استدراك يتعلق بالنكار بعض الشواهد

استدرك الزبيدي على سيبويه إيراد بعض الشواهد ، وقطع باستدالتها ومن ذلك ما استدركه الزبيدي على سيبويه في باب ما لحق من الأفعال الثلاثية بالرباعية - وهذا النوع من الاستدراك قليل جدا - إذ ينقل الزبيدي قول سيبويه ويعقب عليه ، يقول : ((وقد تكون الزيادة أيضا ياء فتكون على أفعَلَيْتِ مثل اسْلَنْعَيْتِ وأَعْرَنْبَيْتِ ألحق بأَعْرَنْبَيْتِ ، ولا يتعدى الفاعل كما لا يتعدى ما ألحق به . قد جعل النعاسُ يَغْرُنْدُ بني أدْفَعُهُ عني وَيَسْرُنْدُ بني وهذا عندي محال وأحسب البيتين مصنوعين)) . (١)

٤ . استدراك تحليلي

ينكر الزبيدي على سيبويه قوله أن الياء في مُسْلِمِينَ بدل من الألف في (مُسْلِمَانِ) والياء في (مُسْلِمِينَ) بدل من الواو في (مسلمون) . قال الزبيدي في معرض حديثه عن شرط ابدال حرف من حرف ، ((لو أن قائلًا قال يا ابن شريطة البذل أن يكون الحرف أصلا ، ثم يبدل منه حرف آخر داخل عليه ، ليس بأصل ، إما لحلة تضطر إلى ذلك فيطرده كَقِيلَ وميزان ورمى ونحو ذلك ، وإما لخير علسة فيحفظ ولا يقاس كَقَمٍّ وأَصْلِيلٍ ، وليست الياء في (مُسْلِمِينَ) بدل من ألف (مُسْلِمَانِ) ولا ياء (مُسْلِمِينَ) بدل من واو (مسلمون) كما زعم سيبويه ، لأنه ليس منها شيء بأصل لازم لاسم ذو أولى به من غيره ، وإنما هي أدلة على إعراب الاسم ، لكان قد ذهب في ذلك مذموبا)) . (٢)

٥ . استدراك صرفي أو بناغي

وهو أوسع أنواع الاستدراكات عنده ، فقد دأب الزبيدي - في آخر كل باب من أبواب البنية الصرفية التي عرضها سيبويه - على ذكر بعض الأوزان التي يستدركها على سيبويه ومنه :

أ. نفى سيبويه مجيء بعض الصفات للواحد على وزن الأسماء ، فيستدرك عليه الزبيدي ويأتي بصفة على الوزن نفسه ، ومنه ما استدركه الزبيدي في وزن فُعَالِي ، يقول سيبويه : ولم يأت وصفا الا في الجمع نحو كُسَالِي وسُدَارِي (١) وقال أبو بكر الزبيدي : ((قد جاء صفة للواحد ، قالوا : يَمَلُّ عُلَاوِي (٢) . ومنه قال سيبويه : ((وعلى تَفَاعِيل فالاسم التماثيل والتجافيف ، ولم يأت وصفا قال أبو بكر : قد جاء رجل تَلْقَامه ، ورجل تَقْوَاله عن الكسائي ، وتبذره : يبذّر ماله عن أبي زيد ، وترعابه وتلقامه ، فلا يمتنع ذاك أن يجمع على تفاعيل فيكون على ترايعيب وتلاقيم ونحوه)) (٣) .

ب. الخلط بين الأسماء والصفات في البنية الصرفية وفي هذا يذهب سيبويه الى أن الكلمة من الأسماء ، فيخالفه الزبيدي ويضعها في الصفات ، ومنه ((والأدبر الذي لا يرجع الى موعظة أحد ، وذكره سيبويه في الأسماء)) (٤) . وقد يورد سيبويه الكلمة على أنها من الصفات فيخالفها الزبيدي ، ويرى أنها من الأسماء . ومنه ((فالخَنُومِي هو ولد الخنزير ، وقد جاء به سيبويه في الصفات)) (٥) .

ج. نفى مجيء الاسم على زنة بعض الصفات يذهب سيبويه في بعض الأبنية أنها مختصة بالصفات ، ولم يأت منها اسم فيعارضه الزبيدي ، ويذكر أنها من أبنية الأسماء أيضا ، قال سيبويه : ((وعلى تَفْعِلَة فالصفة تَحْلِبَة)) (٦) وقال أبو بكر : ((قد جاء تَفْعَل اسما ، قالوا تَتَفَعَّل لولد الثعلب)) (٧) .

-
- | | |
|---|---------------------------------------|
| (١) الاستدراك ص ١٢ | (٢) الاستدراك ص ١٢ |
| (٣) الاستدراك ص ١١ | (٤) الاستدراك ص ١٨ وانظر ص ١٩ ، ١٩٠ |
| (٥) الاستدراك ص ٢٥ ، وانظر ص ٢٢ ، ٣٠ ، ٣١ | (٦) الاستدراك ص ٢٣ |
| (٧) الاستدراك ص ٢٤ | |

د . لزوم اتصال هاء التأنيث المربوطة ببعض الأبنية
 ذهب سيويه الى أن الهاء لازمة لوزن فعالية ، ويخالفه الزبيدي ويأتي
 بالبناء مستعملاً بها وبدونها ، ومنه ((وعلى فعالية فلا سم الكرادمية والرفاءية
 والصفة عباقية وحزابية ، والهاء لازمة لفعالية ، قال أبو بكر : قد جاء رَجُلٌ
 حَزَابٌ وَحَزَابِيَّةٌ ، وَزَوَارٌ وَزَوَارِيَّةٌ ، بالهاء وحذفها وهو القصير الخليلي)) . (١)
 هـ . شيئاً في الوزن

قد يشغى سيويه في وزن كلمة ، فيستدركها عليه الزبيدي ، ومن ذلك
 ما ذكره سيويه في باب مضعف العين واللام قائلا : ((وعلى فَعَلٌ فلا سم يَدٌ
 وَصَجٌ . قال أبو بكر : مَجَنٌّ هَفَعَلٌ من الجَنَّةِ وليس هَفَعَلٌ)) . (٢)
 و . انكار ورود البنية في العربية

ينكر سيويه أحيانا ورود بنية معينة في العربية ، ويروي الزبيدي ما يشبه
 مجيئها على تلك الصورة ، ومن ذلك ((وليس في الكلام فَعْلَمٌ ولا فَعْلُمٌ ...
 قال أبو بكر : قد جاء فَعْلَمٌ ، قالوا : كَذَبٌ ، وَفَعْلُمٌ ، قالوا : كَذِبٌ)) ٣
 ز . نون فَعْلَان بدل من الهمز

يرى سيويه أن نون (فَعْلَان) في نحو غضبان وعطشان بدل من الهمزة
 فيخالفه الزبيدي قائلا : ((ليست النون هاءنا ببدل من همزة ، ولا هذا بموضع
 همز ، وقد ذكر في باب ما يجرى وما لا يجرى أن نون غضبان وعطشان شبهت
 بهمزة حمراء لأنها بازائها في الوزن ، وهي زائدة كما هي زائدة ، قال :
 جعلوها (يحني النون) حيث جاءت بعد ألف كألف حمراء لأنها على مثالها في
 عدة الحروف والتحريك والسكون ، ولذلك امتنع غضبان من الصرف في النكرة ،
 وهذا قوله وهو يدل على أنها ليست ببدل من همزة مع أن الهمزة لم تكن مصهودة
 هناك ولا متوهمة فتكون النون بدلا منها . ولكن النون تكون بدلا من الهمزة في
 ضمعا وبهرا ، اذا نسبت اليهما فقلت ضمعا)) . (٤)

(١) الاستدراك ص ١٢ (٢) الاستدراك ص ٢٦

(٣) الاستدراك ص ٢٧ (٤) الاستدراك ص ٢٦

ط . تكرار الكلمة في الثلاثي المزيد والرباعي من الأفعال
لاحت الزبيدي أن سيويه قد خلط بين بعض أبنية الثلاثي المزيد
والرباعي المجرد ، فذكر بعض الألفاظ في باب الثلاثي المزيد ، وكررها في باب
الرباعي المجرد بزنة مختلفة ، وفي ذلك قال الزبيدي : ((قد قال سيويه))
في باب زيادة الميم في الثلاثة أن دَلِمًا فَعَلِمَ ، والميم زائدة ، وجعلها هاءنا
(في الرباعي غير المزيد) أصلاً على فَعَلِلَ)) (١) .

ي . الزيادة على سيويه

وهو كثير ، إذ دأب الزبيدي على زيادة أبنية صرفية استدركها على
سيويه ، وذكرها في آخر كل باب ، وقد كانت هذه الزيادة تقصر أو تطول حسب
الباب ، وأبنيتها الصرفية التي عرض لها سيويه ، ومن ذلك — على سبيل المثال —
ما استدركه في باب لحاق النون للثلاثي المزيد ، فقد استدرك على سيويه
الأبنية التالية :

- ١ . فَعَلَّنَ : ((قالوا : امرأة سَمْعَنَ ، نَحْرَنَ للكثيرة النار والاستماع)) . (٢)
- ٢ . فَعَلَّنَ : ((قالوا : سَمْعَنَ ، نَحْرَنَ)) . (٣)
- ٣ . فَنَعُول : ((قالوا : غَنَطُوب لضرب من الجراد)) . (٤)
- ٤ . فَعَنُول : ((قالوا : دُرْنُوح)) . (٥)
- ٥ . نَفْعِل : ((قالوا نَرَجِس)) . (٦)
- ٦ . فَعَلُون : ((قالوا : زَيْتُون)) . (٧)
- ٧ . نَفْعِل : ((جَمَرُوا نَحْشُورَ إِذَا خَرَجَ وَخَدَشَ)) . (٨)
- ٨ . نَفْعِل : ((قالوا : نَفْرَج الذي ينكشف فريسه ، ونَفْرَجَة أيضا عمن
أبي زيد)) . (٩)
- ٩ . فَعَنَل : ((قالوا : رجل زَوْنَك للقصير)) . (١٠)
- ١٠ . فَنَعُولَة : ((قالوا : حَنْدُورَة للحدقة)) . (١١)
- ١١ . فَنَعُولَة : ((قالوا : عَنَزْهَوَة للفرساة الذي لا يلهو)) . (١٢)

٦ . استدراك تصحيفي أو تحريفي

أدرك الزبيدي أن بعض النساخ حَرَّف في بعض الأبنية وصَحَّف ، ولا ذنب لسيبويه في ذلك ، وإنما يَنْصَبُّ استدراكه على ما دخل الكتاب من تصحيف على يد نساخه ، ومن التصحيف في الحروف المعجمة وغير المعجمة ، قول الزبيدي : ((ووقع في الرواية صُنْعُ بالفين المعجمة ، ولا أعرف إلا الصَّنْعَ بالعين فيسر المعجمة وكذا لك رواية اسماعيل (١) بالعين غير المعجمة . قال الأصمعي : يقال رجل صُنْعُ اليدين وأنشد : ((صُنْعُ اليدين بحيث يُكْوَى الأُصَيْد)) قال : فإذا أفردوا قالوا : رجل صَنَعَ محركا مفتوح الصاد)) (٢) . ومنه أيضا تكرار بناء مَفْعَلِي في باب الحاق الألف في الثلاثي من الأسماء والصفات ، وتكررت الكلمة (مَرْعَزَى) مثلاً عليه أيضا قال الزبيدي : ((وعلى مَفْعَلِي فلا سم مرعزي ، وهو قول سيبويه - ، قال أبو بكر : هكذا وقع هذا الحرف ، وأنا أحسبه مَرْعَزَاءَ ، على مثال مَفْعِلَاءَ ، لأن مرعزي ، قد تكرر في هذا الباب ، وقد أثبت ذكر مرعزاء في باب ما يجعله زائدا)) (٣) .

وفي مقابل موجة الاستدراك على سيبويه ، انتصر له بعض مؤيديه من النحاة ، ومنهم على سبيل المثال : ابن جنى وابن عصفور ، فقد عقد ابن جنى في كتابه (الخصائص) باباً سماه ((باب القول على فوائت الكتاب)) (٤) أسهب فيه ثلاثة وستين بناءً ، ودافع في مقدمة الباب عن سيبويه ، وحاجم الذين عابوه ، ويظهر من قوله أنه صنف هذه الأبنية المستدركة على سيبويه إلى أنواع ، يقول : ((وعلى البلمة فإن هذه الفوائت عند أكثر الناس ، إذا فحس عن حالها وتوصلت عن تأملها ، فأنها — إلا ما لا بال به — ساقطة عن صاحب الكتاب ، وذلك أنها على ضرب : فمنها ما ليس قائله فصيحاً عنده ز ، ومنها ما لم يسمع إلا في الشعر ،

(١) هو اسماعيل بن القاسم أبو علي القالي شيخ الزبيدي المتوفى في قرطبة سنة ٣٥٦ هـ
(٢) الاستدراك ص ٧ (٣) الاستدراك ص ١٤ ، وانظر ص ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤

(٤) الخصائص ٣ / ١٨٥ — ٢١٨

والشعر موضع اضطراب ، وموقف اعتذار ، وكثيرا ما يحرف فيه اللفظ عن أبيته ، وتحال فيه المُثُل عن أوضاع صيغها لأجله . . . ومنها ما هو لازم له ، وعلى أننا قد قلنا في ذلك ، ودلنا به ، على أنه من مناقب هذا الرجل ومعاسنه أن يستدرك عليه من هذه اللغة الفاضلة السائرة المنتشرة ما هذا قدره ، وهذه حال محصولة (((١) .

أما ابن عصفور فقد صنف في التصريف كتابا سماه ((الممتع)) عرّف في بعض أبوابه البر ما استدركه العلماء على سيويه ، ودافع عنه بعمارة ، والتزم أبيته كما أورد ها .

ومن أمثلة دفاعه رده على الزبيدي ما استدركه على سيويه من حيث لزوم الهاء في وزن فعالية في الاسماء والصفات ، فقال الزبيدي بأثبتها وحذفها وضرب على ذلك مثالا في قوله : ((جاء رجل حزاب وحزابية ، وزوار وزوارية بالهاء وحذفها . . .)) (٢) وأكد سيويه لزومها ، وتبعه ابن عصفور ، ودافع عن رأي سيويه قائلا : ((فأما قولهم حزاب فيمكن أن يكون جمع حزابية ، ويكون من الجمع الذي بينه وبين واحده حذف الهاء نحو شجرة وشجر ووصف به المفرد تحظيما له ، كما قالوا ضبح خضاجر (٣) ، وإنما تلزم الهاء المفرد)) (٤) .

واعتقد ابن عصفور أن الأبنية التي ذكرها سيويه تمثل أغلب الكلمات العربية ولم يغفل شيئا منها الا بعض أبنية يسيرة . وراح يلتمس الأدلة على صدق ما ذهب اليه ، (ومضى يجادل فيما وضع اشتقاقه ، وبانت أصوله من زوائده ، وقد استند في جده الى أن الكلمة اذا وجدت فيها حرف من حروف الزيادة ، وأدى القول بزيادته الى ارتكاب وزن غير موجود ، حكم بأصالة ذلك الحرف)) (٥) .

(١) الخصائص ٣ / ١٨٨ - ٢٨٩ (٢) الاستدراك ص ١٢

(٣) جمع خضاجر : وهو العذائم الملبان (٤) الممتع ١ / ١٠٥

(٥) أبو بكر الزبيدي ص ٣٢٥

ويلاحظ الدارس أن الزبيدي كان أدق ملاحظة وأصح قياساً من ابن عصفور فقد اعتمد على الاشتقاق في كل ما استدركه على سيبويه ، والاشتقاق في العربية هو المعول عليه للكشف عن البنية الصحيحة للكلمة في العربية (١) لأن الاطاحة التامة بمفردات العربية متعذرة ، ووهم ابن عصفور في بعض أبنية الكلمات الأصلية فاعتبر الزائد أصلياً على شاكلة ما . اعتبرها سيبويه ، ومن ذلك كلمة مجسن فمسي على وزن فمسل عند ابن عصفور يقول : ((وعلى فمسل . . . فالاسم نحو جندب ، ومجن (٢))) وهو ما ذهب اليه سيبويه ، والاشتقاق لا يؤيد ذلك ، بل يؤيد ما ذهب اليه الزبيدي وهو أن ميم مجسن زائدة وليست من الحروف الأصلية للكلمة فتكون على وزن فمسل . من الجئة وليس بفمسل (٣) .

وغلاصة القول أن كتاب سيبويه كان محط أنظار النحاة في المشرق والأندلس وغيرهما فعظمي عندهم بمنزلة لم ينافسه فيه غيره ، وثقوا بمادته ، واعتبروه المرجع الذي اليه يرجعون والنبع الصافي الذي منه ينهلون ، وكتاب هذه منزلته في نفوس القوم ليس من السهل الكشف عما فيه من سقطات ، ولا يتأتى ذلك إلا لعالم متبحر في علم العربية ، محيط بمحتنها وغريبها ، مدرك لبنائها واشتقاقها ، فكان الزبيدي أول عالم أندلسي يتصدى لكتاب سيبويه بالنقد والتحصيل ، ويقارعه الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، ويستدرك عليه ما استدركه .

(١) قال الرضي : ((وإنما قدّم الاشتقاق المحقق على (الغلبة) و) عدم التأخير) و (كون الأصل) أصالة الحروف (لأن المراد بالاشتقاق — كما ذكرنا — اتصال إحدى الكلمتين بالأخرى كضارب بالضرب أو اتصالهما بأصل كضارب ومضروب بالضرب ، وهذا الاتصال أمر معنوي محقق ، لا محيد عنه بخلاف الخروج عن الأوزان . فانه ربما تخرج الكلمة عن الأوزان بنظر جماعة من المستقرئين ، ولا تخرج في نفس الأمر ، اذا ربما لم يصل اليهم معنى الأوزان ، ويتقدّر الخروج عن جميع الأوزان لا يجوز أن تكون الكلمة شاذة الوزن) . (شرح الرضي على الشافية ٣٥٦/٢)

(٢) (٣) الاستدراك ص ٢٦

(٢) المستع ٨٦/١

وعرف العلماء قيمة استدراكه ، وما سده من فراغ في كتاب سيبويه ، فقال فيسه بعضهم : ((هذا الكتاب من نواذر الدهر)) . (١) و ((ليس لأحد مثله)) . (٢) ويبدو لنا الزبيدي ، في عمله هذا شخصية علمية فذة ، استطاع أن يجاري العلماء المشاركة بل يتغلب على بعضهم ، مما يجعلنا نقول ان الاندلس في هذا القرن شبت عن الطوق واشتد ساعدشا ، ونضجت عقليتها ، ولم تعد مجرد مقلدة ومتلقية عن المشرق ، بل شاركت في تطور الدرس النحوي بشقيه الصرفي والاعرابي واللغوي أيضا .

واتخذت الدراسة الصرفية في الاندلس نصيبا بينا مستقلا عن حركات الأواخر ويمرر هذا القول ما سدره فيما بعد عند ابن القوطية في كتاب (الافعال) . ومن الانصاف القول : ان الزبيدي انصف في كتابه هذا بخلق علمي رفيع ، فلم يتعمد ولم يدل باستدراكه على اكبر علماء النحو العربي ، ولم ترد عنه عبارة توسعي بطعن على سيبويه أو انتقاص لقدرة وعلمه بل نوه بعلمه وفضله وعلو شأنه . وكان في استدراكه حرّ الرأي ، مستقل التفكير ، لا يقلد غيره من اللغويين ، ولا يأخذ الأمر مسلما به الا بعد أن يقلبه على وجوهه المختلفة فيقتنع بصحته والآن نقد قائله واعتري عليه . ولا نخالي اذا قلنا ان الزبيدي يمثل مرحلة جديدة من مراحل التطور النحوي بشقيه الصرفي والاعرابي في الاندلس - وهي مرحلة التأليف المتكامل المنظم ، والاستقصاء الدقيق ، والاستدراك على السابقين . وستكتمل صورته النحوية عند عرضنا لكتابه الواضح في النحو .

(١) كشف الظنون ٥ / ١

(٢) بتيمة الدهر ٢ / ٧٠ ، وانظار وفيات الاعيان ٤ / ٣٧٢

الواضح

تسميته

اختلفت المصادر في تسميته ، فمنها ما ذكره بعنوان ((الواضح)) (١) و
 ((الواضح في العربية)) (٢) ، و ((الموضح)) (٣) ، و ((الواضح في النحو)) (٤)
 ((الواضح في علم العربية)) (٥) . واختلف المحدثون اختلاف القدامى في هذه
 التسمية ، فمنهم من اختار عنوان ((الواضح)) (٦) ومنهم من رجع ((الواضح
 في علم العربية)) (٧) . ومنهم من سماه ((الواضح في النحو)) (٨) .
 ولعل تسميته ((الواضح)) هي الأساس ثم تزيد الاقدمون فأضافوا (في النحو)
 أو (في علم العربية) . وإذا كانت للزيادة ضرورة فتكون ((في النحو)) لأنها
 تتناسب ومادة الكتاب ، فالمادة النحوية هي الغالبة على أبوابه ، ومتجاوز فيسه
 النحوي قليل إذا قيس بما احتواه من النحو .

وعلى أي حال فليس هذا مجال خلاف يغير من نظرة التقدير والاهتمام بالكتاب
 فكثيرا ما نجد المؤرخين السابقين يصفون بعض علماء النحو بمثل قولهم : كان بارعا
 في النحو أو في العربية) ، وهم يعنون بذلك النحو بمفهومه الواسع . (٩)

(١) جذوة المقتبس ص ٤٣ ، معجم الأدباء ١٨٠ / ١٨ ، انظر مقدمة تحقيق
 الواضح في علم العربية) للدكتور أمين السيد ص ٤٢ .

(٢) وفيات الاعيان ٣٧٢ / ٤ ، شذرات الذهب ٩٤ / ٣

(٣) الوافي بالوفيات ٣٥١ / ٢

(٤) مصورة نثر الكتب المصرية . (انظر ابو بكر الزبيدي ص ١٤٨) فهرسة ابن خيبر ص ٣١١

(٥) نسخة الاسكوريال (انظر مقدمة الدكتور أمين السيد لكتاب الواضح ص ٤٣)

(٦) اختاره الدكتور عبد الكريم غديفه عند تحقيقه الكتاب اعتمادا على ما جاء
 في مخطوطة صناعه .

(٧) اختاره الدكتور أمين السيد عند تحقيق الكتاب

(٨) انظر (أبو بكر الزبيدي ص ١٤٧) والحركة اللغوية ص ١٣٣

(٩) انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث

أما دواعي تأليفه فلا يذكر لنا الزبيدي عنها شيئاً ، على غير عادته ، فقد
 دأب في مؤلفاته الأخرى على وضع مقدمة يذكر فيها هدفه وخطته ودوافعه للقيام
 بتأليفه ، ولعل أهم دواعي تأليف هذا الكتاب عند الزبيدي :

أ . اختيار الحكم المستنصر للزبيدي ليقوم بتأديب ابنه هشام المؤيد ، فدعاه
 هذا الى وضع مؤلف في النحو ، سهل التناول ، قريب المأخذ ، ليسر لمتأدب به
 سبيل المعرفة في النحو . ومن ثم أصبح الكتاب في متناول الناشئين والطلاب النحو
 عامة ، فتخلصوا آنذاك من التعقيد والتطويل والاضطراب في كثير من الكتب النحوية
 المشرقية الداخلة الى الأندلس .

ب . افتقار البيئات التعليمية الأندلسية الى مؤلف نحوي أندلسي ميسر ، ينم
 أبواب النحو كلها ، ويمالجها بسهولة ووضوح وإيجاز .

مادة الكتاب ومنهجه

ضمّن الزبيدي كتابه جميع أبواب النحو والصرف ، وأضاف اليهما مباحث أخرى
 عن مخارج السروف والوقف والانشاد ، والأصلا^١ . ورغم أنه موفقاً في تبويب
 كتابه ، إلا أنه لم يدقق في حصر موضوعات الباب الواحد ، وإنما يخرج
 من الباب ما كان داخلاً فيه ، ويمود لمعالجته مرة ثانية ، علماً بأن التقسيم
 المنهجي الدقيق يحتم بحثه ومعالجته في ذلك الباب ، ولا ضرورة لافراجه
 عنه ، ومن ذلك أنه أهمل الصناديق المرغم عندما بحث النداء^٢ ، وعاد اليه
 ثانية فعالجه منفصلاً (١) . والترتيب المنطقي ، والتيسير التعليمي التربوي
 يقضي ببحثه مجتمعاً في باب النداء^٣ ، وهذا قليل في الكتاب وما يذكر لسه
 مقابل ذلك أنه خالف النحاة في ترتيب بعض موضوعات الباب الواحد ، وضمها الى
 بابها الذي ينتأماها ، ومن ذلك أنه أخرج من باب الاشتغال الاسم الذي يتلو

(١) انظر (كتاب الواضح) تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفه ، باب النداء ص ٨ .

وحاد الزبيدي فذكر الترقيم في النداء ص ١٨٤ .

إذا الفجائية وليتما ، فبحثه في باب الحروف التي ترفع الأسماء والأخبار (١) لأن الاسم بعد هذين الحرفين مرفوع على الابتداء ، ولا مبرر لأن يذكره النحاة في باب الاشتغال (٢) . والزبيدي في مثل هذه المواقف الترتيبية لأبواب النحو قد يسر على طالبه ، وأبعد عن أبواب النحو بعض ما يجعلها وعرة المسلك ، معقدة الترتيب ، وهذا اتجاه تنادي به المؤسسات التعليمية لتعليم قواعد اللغة العربية في الوقت الحاضر .

والكتاب خال من الاغراق في الخلاف أو التعليل ، ولذا لا يجد فيه الدارس ما يجده في الكتب النحوية الأخرى التي حرصت على تضمين مادتها النحويية الخلافات النحوية بين النحاة الأوائل . أما مادة الكتاب فقد قسمها الى ابواب تنظمها ، وجعل لكل موضوع يتألف من عدة عناصر بابا خاصا به ، وقسم الباب الواحد الى فصول ، ولكنه لم يلتزم بتسمية فروع الباب فصولا ، بل سماها أحيانا (باب منه آخر) (٣) فكان من النحاة الذين جمعوا اللبس الى لفقه ، وألحقوا الفرع بأصله وجمعوا شتات الموضوع في مكان واحد .

-
- (١) الواضح - تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفه ، ص ٦٥ ، وتحقيق السيد ص ٤٠ ومنها (انما ، كأنما ، ولعلما ، وليتما ، وبينما ، وان ، وإذا ، وكيف ومتى وأين ، وهل ، وهل ، وحيث ، وإن ، وكأن ، ولكن الخفيفة النون ، فهذه الحروف يرتفع ما بعدها من الأسماء بالا ابتداء والخبر)
- (٢) الواضح - تحقيق خليفه ص ١٧٢ ، وأكد الأشموني ما ذهب اليه الزبيدي في هذا الباب دون أن يشير الى رأى الزبيدي (انظار الأشموني ١ / ١٨٨)
- (٣) لا ضرورة للتمثيل ، فهو يلتزم ذلك في أغلب أبواب الكتاب انظار مثلا :
الواضح ص ٤٥ ، ٤٧ - تحقيق خليفه .

وهي طريقة علمية منهجية مافتى* المؤلفون ينتهجونها حتى اليوم .
ولعل جهل بعض المحدثين بكتاب الواضح للزبيدي قبل تحقيقه ونشره جعلهم
يخطونه حققة ، ولا ينسبون اليه فضله ، وتحيفوه فنسبوا بعض آرائه الى غيره
من النحاة المتأخرين عنه (١) .

ويغلب على اسلوب الكتاب الاجاز ، فلم يشغل الزبيدي نفسه بالتعليلات
النحوية ، والخلافات الطهنية كثيرا . (٢) ولعل باعته الى تأليف الكتاب دعا الى
ذلك .

(١) ذكر محمد كامل بركات بأن ابن مالك (نظم رؤوس المسائل في أبواب ، وفروعها
في فصول ما يعد من أحدث مفاهيم التفسير في التأليف) تسهيل الفوائد ص ٤٤
وقال الدكتور محمود فهمي (عرف القرن الرابع الهجري اتجاهها جديدا لتأليف
كتب تعليمية في النحو ، وأول كتاب في هذه المجموعة هو كتاب الجمل للزجاجي
(ت ٣٣٧ هـ) وقد ضم الزجاجي في كتابه (الجمل) كل ابواب النحو والصرف بأسلوب
سهل موجز . وألف ابن السراج (ت ٣١٦ هـ) كتابا تعليميا بعنوان (الموجز في
النحو) . ثم ألف ابو علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) كتابين تعليميين هما : (الايضاح
في النحو ، و (التكملة) في الصرف ، وألف ابن جني (ت ٣٩١ هـ) كتابا تعليميا هو
(اللمع) وتختلف هذه الكتب مجتمعة عن الكتب النحوية السابقة عليها ، فالكاتب
التعليمية كتب موجزة واضحة الشواهد شاملة لكل الأبواب في عرض سهل وبعبارة واضحة
ولذا دارت حولها دروس تعليم النحو عدة قرون . . . وقد اهتم الاندلسيون بكتاب
الجمل للزجاجي فألفوا عليه أكثر من عشرين شرحا . علم اللغة العربية ص ٩١
والملاحظ أنه لم يذكر كتاب الزبيدي ، وهو من كتب القرن الرابع الهجري النحوية
التعليمية . بل لعله أسرا أسلوبا ومنهجاً مما ذكر الدكتور فهمي .

(٢) قد يرد مختصرا - ولكنه قليل ، ومن ذلك قوله في اعراب المستثنى بالإلا المسبوق
بالنفي (فإن كان الاسم الذي قبل الا منفيا أعرب الاسم الذي بعده باعراب الاسم
الذي قبلها ، وجعلت الآخر بدلا من الاول . . . وان شئت نصبت ما بعد الا في هذه
المسائل وأشباهها على الاستثنا . . . والوجه الاول احسن . اعني البديل لما قبل الا) .
الواضح ص ٧٣ - ٧٤ ، وانظر ص ٧٧ - ٧٨ . ص ٨٦

فقد هدف من كتابه هذا تعليم الناشئة أوليات المسائل والاحكام الضرورية في النحو والصرف ، ولذلك اهتم الزبيدي عما يجعل كتابه صعبا ، وعمر المسلك فجاءت أغلب أبواب الكتاب مختصرة سواء في عرض مادة الباب (١) ، أو ضرب الأمثلة عليه (٢) . ودأب الزبيدي على اعراب الأمثلة التي يمثّل بها على القاعدة النحوية ، غير أنه لا يفصل في الاعراب (٣) . ولا يعرض لوجوهه المحتملة في بعض الأبواب الا نادرا (٤) . وإذا كان قد تحدث عن باب سابق ، وتأثّر له ماله علاقة به في الأبواب اللاحقة أحال القارئ الى كلامه السابق (٥) .

(١) انظر باب الحال ص ٥٧ ، وإذا قسّمته بما جاء في كتب النحاة تجد الفرق في جميع مادة الباب . وجميع المذكر السالم ص ٦ ، ولكنه توسع في باب النسب فقد جاء عند سيويوه في سبعة ابواب على حين أن الزبيدي جعله في خمسة وعشرين بابا . ص ٢٦١ — ٢٦٨ .

(٢) ومن ذلك قوله : ((الاعراب يقع في أواخر الأسماء أو الأفعال المصرية . وهو على أربعة أضرب : على الرفع والنصب والخفض والجزم . فصفة الرفع قولك : رجل وثوب ، وزيد . . الواضح ص ٤ . فاكثف في ذكر الكلمة مرفوعة أو منصوبة أو مجزومة أو مجزومة ، فمثلا قوله : رجل ، يعني : هذا رجل . .

(٣) ومن ذلك اعراب قوله : ((ظنه أبوه مقبلا : ظن : فعل ماض ، والثانية مفصول بها . وأبوك : فاعل . ومقبلا : مفعول ثان)) . الواضح ص ١٥ غلّم يعرب كاف الخطاب ، بينما نجده يعربها في موضع آخر نحو (مررت بخلامك : مررت : فعل وفاعل . بالخلام : خفي بالباء الزائدة) مع أنها ليست زائدة) ، والكاف في موضع خفي بالاضافة ، انضفت الغلام اليها) الواضح ص ٢٣ .

ويقول في اعراب (سيقوم زيد) : فعل مستقبل ، وزيد : فاعل لأنه هو الذي سيقوم . الواضح ص ٩ ، فلا يذكر السين وحدها والفعل وحده ، ولا يشرح أثر السين في زمن الفعل ، ولا يعرض للفرق بينها وبين سوف .

(٤) ومن ذلك قوله : ((ان زينا منطلق العاقل اللبيب : تنصب العاقل اللبيب على النعت لزيد . وان شئت نصبته على اضمار فعل كأنك قلت : أعني العاقل . وان شئت رفعت على البدل من ضمير الذي في منطلق . وان شئت كان الرفع على غير ابتداء مضمّر ، كأنك قلت : هو العاقل اللبيب . وكذلك تفعل في أخوات ان) . الواضح ص ٢٠٢ - ٢٠٣ وانظر ص ٦٥ .

(٥) ومن ذلك قوله : (اعلم ان المعرفة خمسة أصناف : فالصنف الاول ضمائر المتكلمين والمخاطبين والخائبين : المتصلة والمنفصلة على حسب ما تقدم من ذكرها في الباب الذي قبل هذا الباب) . الواضح ص ١١٢ .

ويوازن الزبيدي أحيانا - بين بعض اللهجات ، ويرجح احدهما على الأخرى ويصفها بالقبح (١) ، وإذا كان هناك تغيير في تركيب الجملة أشار إليه (٢) . والزبيدي لا يكثر في كتابه من اللغة ، عكس أكثر النحاة الذين مزجوا اللغة بالنحو ، فشرحوا بعض الألفاظ الغريبة الواردة فيما يستشهدون به ، غير أنه لم يخل كتابه من مثل هذا (٣) ولا هل ذلك يعود إلى أن الزبيدي لم يعتمد الشاهد القرآني أو الحديث أو الشعر كما نجده في كتب النحو العربي ، بل اعتمد الأمثلة الممنوعة الخفيفة الدالة على القاعدة النحوية . وقد يذكر أحيانا الكلمة التي يجوز فيها التذكير والتأنيث غير أنه يرجح أحدهما على الآخر ، ويراه أحسن (٤) . والزبيدي يربط بين الدلالة المنحوية للكلمة والمصطلح النحوي ، فقد تتعاقب الكلمة بين التذكير والتأنيث بحسب المعنى المراد منها (٥) . والزبيدي لا يهتم بذكر مصادره في كتابه فلا نجد فيه ذكرا

(١) ومنه : ((ومن العرب من يكسر أول ما كان ثانياً الياء إذا تنفّر ، فيقول في سَنَيرَ سَنَيرَ ، وفي بَيْتٍ بَيْتٍ ، وفي بَيْضَةٍ بَيْضَةٍ ، وذلك قبيح ، والضم أحسن))
الواضح ص ٢٢٨ .

(٢) ومنه : ((إذا أردت أن تعرف العدد فيما بين الثلاثة إلى العشرة أدخلت الألف واللام في المعدود تقول : ((هذه ثلاثة الأبواب . . . وان شئت قلت : هذه الأبواب الثلاثة . . . يجعل العدد نعتاً للمعدود وقد أجاز قوم : مررت بالثلاثة الرجال . . . أضافوا الثلاثة إلى الرجال . . . وذلك قبيح)) . الواضح ص ٩٢ .
(٣) نحو : (الحَقَب . وهو مؤخر القدم) ص ٢٤٩ ، وانظر ص ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٧١ .

(٤) نحو قوله : ((باب ما يؤنث ويذكر ، والتأنيث أحسن : الذَّ راع والخَدَّ ، والسَّلَم ، والسوق . . . التأنيث فيها أحسن)) . الواضح ص ٢٤٨ ، ويقول : ((باب ما يذكّر ويؤنث ، والتذكير أحسن : الروح والحُنُق ، والضُّرس والطريق . . .)) .
الواضح ص ٢٤٨ .

(٥) يقول الزبيدي : ((باب ما يذكّر فإن أردت غير ذلك المعنى أنثت : البَطْن ، فإن أردت به القبيلة أنثت . والفردوس : خضرة الأعناب ، فإن أردت الجنة أنثت . . . الواضح ص ٢٥٢ ، ويقول أيضاً : ((باب ما يؤنث فإن أردت به غير ذلك المعنى ذكرت : السماء التي تظل الأرض وهي المطر أيضاً ، فإن أردت السقف ذكرت)) . الواضح ص ٢٥٢ .

لكتاب نحوي اعتمده ، ولا رواية عن نحوي أو لغوي ، وإنما كان يورد أراءه وأحكامه دون نسبتها إلى أصحابها . ولذلك خلا الكتاب من الخلافات وتعدّد الوجوه في المسألة الواحدة . وإن كان هذا يقلل من قيمة الكتاب من جهة ، فإنه يعطي فائدة للمبتدئين ، وييسر أمر تدريس النحو على الشادين . ولم يكن عزوف الزبيدي عن ذكر ذلك تقصيرا به أو جهلا بالخلافات النحوية ، بل لعله يمسود إلى أن النحو الذي هدف إلى نشره وتعليمه هو ((نحو الجمهور ، وليس نحوا خلافا كثيرا فيه الجدل ، وانقسم حوله النحاة ، كما أنه تناول في كل موضوع أوليات مسائله ، والضرورة من أحكامه ولم يتعمق البحث في معضلاته ، والدقيق المويخ من فروعه ، فلم يجد داعيا إلى ذكر آراء النحاة ، وحشد أقاويلهم ، مادام لم يعرض في كتابه إلا أكثر حوله الجدل ، واحترت فيه الآراء (١) .

أما عبارة الكتاب فرصينة سهلة المأخذ ، لا تعقيد فيها ولا غموض ، يستطيع القارئ فهمه ، ولا انتفاع به مهما أوتي من حظ في علم النحو ، وحرص الزبيدي في كل باب من أبوابه على تبسيط قواعده ، وإيضاحها ، فتراه يبدأ بوصف أوليات المسائل والأحكام ثم يأتي بمثل واضح عليها ، ويمر به أعرابا موجزا ، لا لبس فيسه ولا تعقيد (٢) .

ورغم أن الزبيدي يخلب نحو البصريين على غيره ، ويعلي شأنهم ، ويتشدد في اللغة ويخلب بجانب القياس على السماع — كما لاحظناه في حديثنا عن ترجمته — لا ستانده : القالي والرباجي ، وفي عرش كتابه لعن المعلم — فإنه مال في كتابه الواضح إلى طريقة التيسير والتسهيل على المبتدئين ، فلم يتعصب للبصريين على الكوفيين ، بل اختار من آراء كليهما ما رآه أقرب . إلى توضيح القاعدة :

(١) أبو بكر الزبيدي ص ١٦٢ . وقد قام نعمة العزاوي بدراسة جيدة لأبي بكر الزبيدي استفدت منه كثيرا .

(٢) وفي خصيصه غالبه على أبواب الكتاب ، ومن ذلك مثلا — كلامه على فاء السببية (باب أبواب بالفاء : أعلم أن الفاء إذا كانت جوابا للأمر والنهي والعرش والتمني والجحود فإنها تنصب ما يتصل بها من الأفعال التي في أوائلها الزوائد الأربع تقول أريد في الدار فأتيت الفاء : جواب الاستفهام ونأتيه : نصب على جواب الاستفهام بالفاء ومثله هل عندك ماء فنشربه وتقول في العرش ألا تأتينا فنحد لك ألا تعقد معنا فنكلمك ؟ نصب نحد لك ونكلمك على جواب العرش بالفاء) . الواضح ص ٩٩

ولمصرى أنه أسلوب أيسر من أسلوب بعض الكتب النحوية المدروسة الحديثة .

وأيسر تناولا على طلاب النحو ، غير أنه أُميل إلى البصريين من الكوفيين . ومن
مظاهر التيسير عند الزبيدي أنه اعتبر ما يخفى ثلاثة أشياء ، هي الحروف
والظروف ، والأسماء التي تلازم الإضافة ، ولم يجهد الطالب بما في الباب من تفصيلات .
(١) ومن التيسير على المبتدئين أنه اعتبر الفاظ التوكيد المعنوي نحوتا ، وقسمها
إلى نعموت احاطة ، ونعموت تخصيص (٢) . وربما كان لهذا الاعتبار قيمته ووزنه
لأنه يجعل التوابح أقل عددا ، فيخفف على الطالب عدد أبواب النحو . واعتبر
أيضا (ني) - وهي نون الوصلية مع يا المتكلم - ضمير المتكلم أو كناية على سبيل
تعبيره ، فقلل بذلك تفريعات الأعراب (٣) . ومثلا يميل إلى تقدير المحذوف
في كثير من الأحيان . (٤)

- (١) يقول : (باب الخفي ، وهو عروف وظروف وأسماء . . .) الواضح ص ١٨
(٢) نعموت الاحاطة عنده هي : (أجمع وجمعا ، وأكتع وكتما ، وأجمعون
وأكتعون ، وأبضمون وأتبمون ، وجمع وكنع وكلهم ، وكلهن ، وكلاهما ، وكلتاها ،
وهي تكون نعموتا للأسماء المضرة والمظهرة المرفهة) . الواضح ص ٢٦ ونعموت
التخصيص هي : (نفسه ونفسها ، وأنفسهما وأنفسهم وأنفسهن وهي تكون
نعموتا للأسماء المعرفة) . الواضح ص ٢٧
(٣) قال الزبيدي : (فان كان فعل الفاعل واقعا عليك وصلت كناية المنصوبة
بالفعل وهي (ني) فقلت : ضربني زيد ، ضرب . فعل ماض ، والكناية : مفعول
بهاء إلا أن النصب لا يظهر فيها ، وزيد فاعل لأنه الذي ضرب) . الواضح ص ٢٠
(٤) عندما عرني باب الحروف التي تنصب الأفعال اعتبر (حتى واللام)
ناصبين للفعل الواقع بعدهما ولم يعرض لا ضمارة أن بعدهما ،
انظر الواضح ص ٥٠

✓

أما المصطلح النحوي فقد استعمل بعض المصطلحات الكوفية ، ولكنه غلب المصطلح البصري عليها ، ومن مصطلحات الكوفيين التي مال إليها الزبيدي — اختيارها في كتابه : أنه سَمَّى الضمير الكناية ، ولكنه لا يلتزم به فقد تكرر عنده لفظ الضمير مرات عديدة ربما فاق لفظ الكناية (١) . ووافق الكوفيون في تقسيم الأفعال الزماني ، فقد جعلها ثلاثة أضرب : أفعالا ماضية ، وأفعالا مستقبلة لم تقع بعد ، وأفعالا في الوقت الذي أنت فيه لم تنقضى ولا انقضت بعد كقولك : يصلي ، ويأكل ويتكلم ، وما أشبه ذلك ، وهذه الأفعال تسمى الدائمة (٢) . وكذلك يرى رأى الكوفيين في اعتبار حركة الآخر من فعل الأمر مجزما لا بناء على السكون ، لا تفاق آخره مع آخر المضارع المجزوم (٣) . وقارن ألف التثنية وواو الجماعة من حيث اتصالهما بالفعل بعلامة التأنيث (التاء) عند اتصالها بالفعل (٤)

(١) وتسمية الضمير كناية ومكنيا تسمية كوفية (انظر مجالس ثعلب (٤٣ / ١)

قال الزبيدي : (فان اخبرت عن نفسك أنك فعلت فاسكن آخر الفعل الماضي ، وادخل كناية المتكلم ، وهي تاء مضمومة لا صقة بالفعل) . الواضح ص ١٠ . ويستعمل كلمة ضمير وهي تسمية البصريين كثيرا . انظر ص ٤٥ ، وعند حديثه عن الضمائر قال فيها : باب ضمائر الاسماء ، وباب الضمائر المنفصلة . انظر الواضح ص ١٠٨ ص ١١٠ .

(٢) الواضح ص ٧ — ٨ والدائم : مصطلح كوفي يدل على اسم الفاعل . انظر فيما تقدم أسياق هذا البحث ص ٦٨

(٣) يقول في اعراب : اقض بالحق (اقض . جزم بالأمر) ويقصد أن اقض فعل أمر يكون مبنيا على السكون ، ولكنه عامله / المعرب من الأفعال .

(٤) قال حديثه عن (أللوني البراغيث) : (اعلم أن من الحرب من يقول : قاتلوا قومك ، وقاتلوا المرأة ، فتلحق الفعل المقدم علامة للتأنيث والجميع كما الحقوا علامة التأنيث حين قالوا قامت المرأة ولا حظ لهذه العلامات في اعراب على ما قدمت ذكره ، وذلك قليل في كلامهم) .

ويستعمل كلمة الخفض بدلا من الجر ، والخفي مصطلح كوفي ، والجرمة مصطلح بصرى (١) . ويسمى التمييز (التفسير) ، والتفسير مصطلح كوفي (٢) والتمييز مصطلح بصرى، ويسمى الزبيدي لا النافية للجنس لا التبرئة (٣) ، والتبرئة من مصطلحات الكوفيين (٤) . وذهب الف تسمية نائب الفاعل بالمفعول الذي لم يسم فاعله ، وسمى الكوفيون الفعل المبني للمجهول ((مالم يسم ، فاعله)) (٥) . وغير ذلك .

ومما وافق فيه الكوفيين من الأحكام النحوية : أن أى الموصولة محربة وليست مبنية (٦) ، وقال سيوييه بنائها ، وقال الزجاج في ذلك : ((ما تبين لي أن سيوييه غلط الا في موضعين ، هذا أحدهما ، فانه يسلم أنها (أى الموصولة) تعرب اذا أفردت فكيف يقول بنائها اذا أضيفت؟ (٧) .

(١) قال : ((الا عراب يقع في آواخر الأسماء أو الأفعال المعربة . وهو عطف أربعة أضرب : على الرفع والنصب والخفي والجزم)) . الأفعال ص ٤ ، ولكنه لا يلغى احتمال الجر أيضا ، يقول : ((واعلم أن الجر لا يدخل الأفعال ، كما أن الجزم لا يدخل الأسماء)) . الواضح ص ٤٤

(٢) قال الزبيدي في اعراب كلمة رجل في ((هؤلاء أحد عشر رجلا)) و نصبت رجلا على التفسير)) الواضح ص ٨٨ . وقال الفراء (والمرب تقول كم بيع لك جارية ؟ فاذا قالوا : كم جارية بيعت لك أنثوا . . . الا أن الفعل لما أتى بعد الجارية ذهب به الى التأنيث ، ولو ذكر لكان جوابا لأن الجارية مفسرة ليس الفعل لها)) . معاني القرآن ٣٤١ / ٢

(٣) انظر الواضح للزبيدي ص ٨٠

(٤) انظر الانصاف في مسائل الخلاف ٢٢٥ / ١ ، ومجالس شملب ١٣١ / ١

(٥) الواضح ص ١٦

(٦) قال الزبيدي في أي الموصولة : ((فأما أي فهي معرفة يظهر فيها النصب والرفع والخفض) . الواضح ص ١٢٦

(٧) مفتي اللبيب ٧٧ / ١

وذهب الى عدم اعمال أن المخفضة من الثقلة بشرط أن يلزم لام التوكيد خبرها
 (١) . ورجح الزبيدي رأى الكوفيين على البصريين في أن (حاشا) في الاستثناء
 فعل (٢) ، بينما هي عند سيويه وأكثر البصريين حرف (٣) . وذهب الزبيدي الى
 أن الحروف : (حتى ، والفاء ، ولام التعليل ، ولام الجحود) تنصب الأفعال
 بنفسها (٤) ، وهو رأى الكوفيين بينما ذهب البصريون الى أن الفعل بعد هذا
 منصوب بتقدير أن . (٥) وقال بذهب الكسائي في صرف كلمة (أشياء) (٦) .
 ووافق الكوفيين على أن أصل الأفعال الرباعية المضعفة هو الثلاثي المضعف (٧)
 وذهب البصريون الى أنها من الرباعي المجرد ووزنها (فعلل) . (٨)

-
- (١) الواضح ص ٢٥٩ ، والكوفيون كانوا يقولون بالفائها انظر الانصاف ١/٢٢٣
 (٢) الواضح ص ٧٥ (٣) الأشموني ١/٢٣٩
 (٤) الواضح ص ٥٠ - ٥١ (٥) الأشموني ٣/٦٥
 (٦) قال الزبيدي : ((الا أن العرب تركت صرف حرف واحد من هذا الباب ،
 وهو أشياء توهمت ألفه ألف تأنيث فلم تصرفه ، تقول : بعثت بأشياء حسان ،
 ورأيت منك أشياء أعجبتني ، وكان حق هذا أن ينصرف لأن أشياء أفعال ، وهي
 جمع شيء ، مثل : أحياء ، جمع حي ، وأفياء جمع فئ . وقد قال قوم :
 ان ألفها ألف التأنيث ، واعتلوا في ذلك بعطل ذكروها) . الواضح ص ١٥٤
 وانظر في اختلاف النحاة (بأشياء) في كل من (الانصاف - المسألة ١١٨)
 والمنصف ٢/٩٤ والمنتع ٢/٥١٣ - ٥١٤
 (٧) انظر الاستدراك ص ٤٠ ، ولحن الصوام ص ١٣٧
 (٨) الاستدراك ص ٤٠

واختار الزبيدي رأى الكوفيين في كلمة (أَيْئُن) وهو أنها جمع يمين. (١)
وذبح البصريون الى أنها مفردة مشتقة من (أَيْئُن) .
تلك أغلب المسائل التي وافق الزبيدي الكوفيين ، وهي قليلة اذا ما قيست
بما جاء على نهج البصريين .

ومما انفرد به الزبيدي عن جمهور النحاة أنه أورد (دام) يدوم مجردة من
ما (٢) . وجمهور النحاة يرون أن دام لا تكون فعلا ناقصا الا اذا سبقته (ما)
المصدرية الظرفية . واعتبر (اذا ما) ظرفا في باب الشرط (٣) ، ولم يحتسبها
حرفا كما ذهب الى هذا جمهور البصريين . وفرق الزبيدي بين منذ و—
في الاستعمال ، فذكر (أن منذ تخفض ما بعدها امرأ لأزمة لأنها بمنزلة (من)
تقول : لم أره منذ يومين ، ولم يأتني منذ يوم الجمعة ، فتخفض بها تخفض بمن ،
وأما منذ فترفع بها من الأزمنة ما مضى ، تقول : لم أره منذ يومان ، ولم ألقه
منذ يوم الجمعة ، فمنذ : اسم مرفوع بالا بتداه ، الا أنه لا يظهر فيه الرفع
لأنه غير مضرب ، ويوم الجمعة خبر الا بتداه (٤) .

-
- (١) الواضح ص ١٧٤ ، وانظر رأى البصريين والكوفيين فيها في :
(الانصاف المسألة ٥٩)
(٢) الواضح ص ٣٨
(٣) الواضح ص ٩٥
(٤) الواضح ص ٢٦٠

تأثر الزبيدي بكتاب سيويه

كان الزبيدي من علماء الأندلس المولعين بكتاب سيويه المصنوعين بأرائيسه النحوية الحاكين على دراسة أبوابه. (١) وكان يجعل سيويه ويحلي قسده ، ويرى أن النحاة عيال على كتابه ، فقد تأثروا بمبادئه وعنوانات أبوابه ، ولطائف معانيه ، ودقائق حجابه (٢) . وعالم مثل الزبيدي صاحب عقل منظم ، يحسن الاختيار ، ويدقق النظر فيما يسمعه ويقرأه ، كان طبيعياً أن يتأثر بكتاب سيويه ولكن تأثره ظل محدوداً لأن الزبيدي هدف في كتابه الواضح تسهيل النحو وتيسيره على المتعلمين ، فجاءت عبارته أسهل من عبارة كتاب سيويه ، وخلا كتابه من التفريعات والخلافات النحوية ، وتمدد الوجوه في المسألة الواحدة ، والمسلل والتأويلات ، وجاءت أمثله عادية بسيطة ، عكس ما ورد في كتاب سيويه . ولعل الزبيدي تأثر بسيويه في ناحيتين :

أ . التبويب : سار الزبيدي في عرض بعض الأبواب وتقسيمها إلى فصول على طريقة سيويه (٣) ، وربما اتفقت الأبواب في كتابيهما (٤) .

(١) انظر فيما تقدم من هذا البحث ص ١٥٤-١٥٥

(٢) قال الزبيدي : ((أما بعد فاني رأيت علماء النحو في زماننا هذا ، وما قاربه قد اكثروا التأليف فيه وأطالوا القول على معانيه ، فأملوا الناظرين ، واتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بينت وقد كان ينبغي لمن هم بذلك منهزم أن يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيويه ، فينظر إلى مبادئ كتابه وعنوانات أبوابه ، ولطائف معانيه ، ودقائق حجابه ، إلى الإيجاز في قوله والا يصاب لمراده ، فيزجره ذلك أن كان ذا حجة ، عن تكلف مالا حاجة إليه ويعنسه الاعتناء بما لا معمول عليه)) . الاستدراك ص ١

(٣) انظر الواضح في أبواب : النداء ص ٥٩ ، المنوع من الصرف ص ١٤٩

الادغام ص ٢٨١

(٤) انظر في الواضح مثلاً : باب (حتى) ص ١٢٦ ، وباب (أم وأو) ص ١٧٦ ، وباب (الفاء) ص ٩٩ ، وباب ويح وويل وويس) ص ١٩٩ . وباب الحكاية (ص ٢٠١ ، ١٣٥

ب. كثرة اعتماده على آراء سيوييه وجمهور البصريين ، فقد ذهب الزبيدي
مذاهب كثير منهم ، وما فيه من نحو الكوفيين قليل بالقياس لنحو البصريين ، ولذا
فالكتاب في جملة يمثل نحو البصريين ، والذي يتتبع بعض الأبواب في كتاب
الزبيدي وسيوييه — نحو باب الاستثناء ، وافعال الشك والمنوع من الصرف والنداء
(١) وغيرهما — يدرك تأثر الزبيدي بكتاب سيوييه سواء في تنظيم الموضوع وتقسيمه
الى عناصره أم في ترجيح الآراء النحوية فيه .

ولعل الزبيدي أدرك صعوبة كتاب سيوييه على الشادين بقواعد المربيه
فأراد أن ينسج كتابه هذا لتذليل صواب الكتاب ، وتقريبه من المتعلمين ، وبسط
أبوابه ، وحذف ما لا فائدة فيه ، فقلب على كتابه الطابع التعليمي السهل
الميسر عكس ما نجده عند سيوييه .

قيمة كتاب الواضح

للكتاب قيمتان : احدهما تاريخية ، والأخرى منهجية . أما من الناحية
التاريخية فيعد الكتاب أقدم مؤلف نحوي أندلسي يصل إلينا ، وهو يمثل مرحلة
تاريخية من مراحل تطور الدر من النحوي ، والتأليف فيه ، وهي مرحلة يمكن تسميتها
بمرحلة التأليف المنظم الشامل المختصر لأبواب النحو والصرف — كما ذكرنا سابقا —
أما أهميته المنهجية فتكمن في المنهج العلمي الذي اتبعه الزبيدي في
كتابه ، ان يعتمد عن كل ما يثقل على الشادين بالنحو ، فخلا كتابه من التعليقات
والخلاقات والتأويلات التي لا تخدم المبتدئين في تعلم النحو . ومن ميزات المنهجية
كما لاحظنا سابقا — أنه جاء مختصرا سهلا ، رصين العبارة ، ملبيا لغايات المتأدبين
ولم يتعصب فيه صاحبه للبصريين أو الكوفيين ، ولكنه مال الى الاختيار من كليهما
غير أن ميله للبصريين أكثر ، ومارجح فيه رأى الكوفيين قليل اذا قيس بما تابعه —
جمهور البصريين .

(١) انظر الواضح ص ٧٢ ، ص ٢٥٥ ، ص ١٤٩ ، ص ٥٩

((وبذل لك طبع النحو الأندلسي بطابع واضح ، ظل متوارثا ، يسود مؤلفات القوم هناك حتى عصر ابن مالك ، وأبي حيان من بعده ، وهما اللذان وضح عند هما هذا الاتجاه الذي ينزع الى الاختيار من المدرستين)) (١) .

ويظهر أن الأندلسيين في عصر الزبيدي وبعدة قد اهتموا بالكتاب ، وأدركوا فائدته ، وعرفوا قدره ، وأقروه لطلابهم ، وذلك لأنهم وجدوا فيسه ما يحتاجون إليه علم النحو . ولهذا نصح ابن حزم الأندلسي معاصريه ومن يأتي بعدهم باتخاذها أساسا لدراسة النحو في بلده ، قال : ((وأقل ما يجزى من النحو كتاب الواضح للزبيدي)) (٢) .

وأشاد المؤرخون القدماء بالكتاب وفائدته ، فقال فيه ابن خلكان : ((وكتاب الواضح في الصرية وهو مفيد جدا)) (٣) . ومن جملة اهتمامهم به أنهم حاولوا شرحه ، إذ قام عبد الله بن محمد بن عيسى بن وليد النحوي الأندلسي (ت ٤١٠ هـ) ، بشرح الكتاب ((فبلغ منه النصف ، ومات قبل اكماله)) (٤) واهتم بعض الدارسين المعدئين بالكتاب ، وتوافر على تحقيقه واخراجه ثلاثة ، وهم : منى الياس ، وقد نالت بتحقيقه درجة الدكتوراه بجامعة عين شمس صيف عام ١٩٧٣ م (٥) . والدكتور أمين السيد ، صدر تحقيقه بمصر سنة ١٩٧٥ م . والدكتور عبد الكريم خليفه صدر تحقيقه في منشورات الجامعة الاردنية أواخر عام ١٣٩٧ / ١٩٧٧ م . وقام الدكتور نهاد الموسى باستدراك على بعض طبعاته ، صدر عام ١٩٧٨ م (٦) .

(١) أبو بكر الزبيدي ص ٢١١ (٢) رسائل ابن حزم ص ٦٤ - ٦٥

(٣) وفيات الأعيان ٣٧٢ / ٤

(٤) انباه الرواة ١٢٨ / ٢

(٥) رتبهم حسب زمن بدايتهم بتحقيق الكتاب ونشره . والرسالة لم تنشر - فيما أعتقد .

وأشاد كل من عرض للكتاب بماله من أهمية وقيمة ، فقال الدكتور أمين السيد فيه : ((هذا كتاب الواضح في علم العربية للزبيدي ، عرضته بين يدي القارئ في سرعة وإيجاز ، لأنه أقدم مؤلف نحوي عثرت عليه من مؤلفات نحاة الأندلس ، وقد جمع الكتاب أبواب النحو والصرف ، وهو - بعد جد يسر بأن يبذل الجهد لتحقيقه ، والانتفاع به لأن فيه مزايا وخصائص تيسر على الدارسين ادراك ما يحتاجون اليه في علم العربية ، وتقويم اللسان)) . (١) وقال الدكتور خليفه : ((ان قيمة هذا الكتاب تكمن في هذا المنهج العلمي الذي يتبناه الزبيدي في معالجة قضايا النحو لغايات تعليمية من أجل تيسيره وتسهيل قواعده وجعلها سائفة أمام المتعلم . فعرض على عدم الفصل بين النحو واللغة ، ونظر الى قواعد اللغة من حيث ارتباطها بالمعنى)) . (٢) وقال الدكتور نهاد الموسى : ((وكتاب الواضح للزبيدي في الأندلس هو صنو كتاب الجمل للزجاجي في المشرق من جهة أنهما كتابان في النحور شيقان جامعان ، قريبا المأخذ . وهما أشبه بكتابين مدرسين في النحو ، وضعهما نحويان جليلان من المتقدمين وكلاهما من أدل القرن الرابع توفي الزجاجي سنة ٣٣٧ هـ ، والزبيدي سنة ٣٧٩ هـ وعندني أن الجمل والواضح يصلح كل منهما أن يكون الأصل النحوي ، الذي يبدأ به طلبة قسم اللغة في أول درسه للنحو ، وأول عهدهم بنصوصه الأولى خاصة في مثل هذه الحال من تطلع الطلبة ، حتى على مستوى الجامعة - الى سدد ثغرات التحصيل النحوي عند واذن يكون أحد هذين الكتابين حلا وسدلا مناسباً له مستوى ، فضلاً عن أنه يمثل مدخلا الى التمرس بالنصوص النحوية الأصول)) . (٣) .



- (١) الواضح مقدمة تحقيق السيد ص ٣٩
- (٢) الواضح مقدمة تحقيق خليفه ص ١٨
- (٣) مستدرج على كتاب الواضح ص ٦

ويستخلص مما سبق أن شخصية الزبيدي العلمية لا تقل مستوى عن كبار شخصيات المشرق في هذا القرن ، وهم على حق حين شبهوه بأبن دريد المشرق من حيث التخصص وكثرة التأليف في النحو واللغة . وقوة الشخصية والقدرة على التمييز والنقد ، واستقلال الرأي ، والمنهج الذي سنّه لمن جاء بعده من علماء عصره وقد شارك الزبيدي هذا الجهد صنوه ومعاصره ابن القوطية ، وإن كان أقل تأليفاً من الزبيدي فهو لا يقل مكانة في نفوس الأندلسيين عنه ، وهو ما سنوضحه فيما بعد .

مؤلفاته المفقودة

ذكرت المصادر عدداً من كتب الزبيدي التي فقدت ، ولم يصل إلينا إلا ذكرها ومنها :

- ١ . كتاب (الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين) (١) . ولعل الزبيدي ألّف كتابه هذا ردّاً على من تصدى لنقد كتابه (مختصر العين) .
- ٢ . رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين (٢) . ولعل عنوان هذه الرسالة يتناقض مع ما جاء في مقدمة استدراكه على كتاب العين ، حين قال : (ولم نحك فيه عن الخليل شرفاً ، ولا نسبنا ما وقع في الكتاب عنه ، توخيّا للصدق ، وقصدنا إلى الصدق ، وأناذاً ذكر الان من الخدائاً الواقع في كتاب العين فلا يذهب على من شدا شيئاً من النحو ، أو طالع باباً من الاشتقاق والتصريف ^{ليقوم} لنا المصدر فيما نزهنا الخليل عنه) (٣) .

(١) المصححون من الشعراء ص ٢٠٩

(٢) انباه الرفواء ^ب وسماه ابن خير (رسالة التقيظ) فهرسة ابن خير ص ٣٥١

(٣) المزهر ١ / ٨٦

وانا صحت نسبة هذه الرسالة الى الزبيدي فلملها لا تعد والمقالة التي أودعها الزبيدي مقدمة استدراكه على كتاب العين ، أظهر فيها مكانة الخليل العلمية ونزجه عما وقع في الكتاب من الخطأ الذي لا يغرب عن الشادين بعلم العربية ، ثم اقتطعت تلك المقالة من المقدمة ، وسميت انتصارا للخليل .

٣ . استدراك الغلط الواقع في كتاب العين .

ذكره السيوطي (١) وغلط حاجي خليفة بينه وبين كتاب مختصر العين للزبيدي . (٢) ومال بعض المحدثين الى انكار نسبه الى الزبيدي ، واتهام رواية السيوطي بالخطأ والزيادة ((شأن غيرها من الروايات التي تذكر من وقت لا خسر في المزمردون تحقيق أو تمحيص)) ، (٣) وهو شك لا مبرر له ، لأن السيوطي نقل قدرا صالحا من منهج الكتاب ، وهدف صاحبه من تأليفه ، وهذا القدر يصلح أن يعدلي صورة واضحة عن الكتاب - وكان الزبيدي من كبار الأندلسيين المهتمين بكتاب العين ودراسته ، فقد طلب منه الخليفة الحكم المستنصر أن ينزع مختصرا لكتاب العين ففضل . ولعل اهتمام الحكم بكتاب العين (٤) ، ومدارسة الزبيدي له ، وما عثر عليه من الخلل فيه قد دفع الزبيدي للاستدراك عليه ، وتنقيته من الشوائب في مؤلف آخر غير المختصر ، هو هذا المؤلف ، كما فعل بكتاب سيبويه أيضا . وربما ينسجم هذا مع منهج الزبيدي وطبيعته ، فهو لا يقبل الأمور مسلما بها ، بل يحمل فيها عقله ، ويكتد ذهنه حتى يصل الى الصواب ، ولو كانت برواية كبار علماء اللغة والنحو ، الموثوق بروايتهم ، والمقارن بأصالتهم وسبقهم . والزبيدي لم يكن يهدف الى التنقص من الخليل ، والخط من منزلته العلمية في نفوس الناس ، بل كان - كما قال - : (يربأ بالخليل عن نسبه هذا الخلل اليه أو التحرض للمقاومة له ، والرد عليه (٥) .

-
- (١) المؤخر ٧٩/١ وسماه ابن فرحون (غلط صاحب العين) الديباج المذهب ٢٦٤
 (٢) كشف الظنون ١٤٤٢/٢ ، (٣) المعاجم العربية ص ٦٣
 (٤) انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث ص ١٩٠ - ١٢٠
 (٥) مختصر العين ص ٨

ويورد الزبيدي على من اتهمه بتخطئة الخليل والاعتراض عليه قائلا : ((أوليس من الحجب الضيق ، والنادر الفريب أن يتوهم علينا مَنْ به مُسْكَةٌ من نادر ، أو رفق من فهم ، تخطئة الخليل في شيء من نظره ، والاعتراض عليه فيما دق أو جَلَّ من مذهبه ، والخليل بن أحمد ، أو حد العصر ، وقريح الدهر ، وجهبذ الأمة ، واستاذ أهل الفطنة ، الذي لم ير نظيره ، ولا عرف في الدنيا عديله)) (١) .

ومما يلاحظ من هذا القول أن الزبيدي كان عالما جليلا متواضعا ، مقدرا لجهود السابقين ، معليا لمكانة النابيين . ويمثل الزبيدي سبب موقف المتحاملين عليه في هذا الكتاب وتسرعهم بالحكم عليه ، فيعزوه الى أحد أمرين :

أ . قصر نظرهم ، وقلة قراءتهم ، قال : ((... تخلفهم في النظر ، وقلة مطالعتهم للكتب ، وجهلهم بحدود الأدب)) (٢) .

ب . الحسد ، قال : ((ان العلة الموجبة لمقاتلتهم ، والباعثة لتسرعهم على الحسد ، الذي لا يداوى سقمه ، ولا يؤسى جرحه)) (٣) . ولعله يقصد بذلك أن ما وصل اليه من مكانة ، وما اكتسبه من ثقة عند الخليفة الحكم المستنصر جلبا اليه حسد الحساد .

٤ . كتاب (المستدرك من الزيادة في كتاب البار لأبي علي البغدادي على كتاب العين للخليل بن احمد) (٤) .

ذكر محقق كتاب مختصر العين للزبيدي أنه يوجد في مكتبة بهامس القرويين تحت رقم (٦٤) كتاب عنوانه ((المستدرك في اللغة على مختصر العين وما لم يقع في كتابه استدرك هنا ، واستخرج من كتاب البار ومن كتاب العين))

-
- | | | | |
|-------|---|-------|---------------|
| (١) | المزهر ١ / ٨٠ | (٢) | المزهر ١ / ٨٠ |
| (٣) | المزهر ١ / ٨٠ | | |
| (٤) | فهرسة ابن خير ص ٣٥٠ ، وسماه ابن فرحون (زيادة كتاب العين) الديباج المذهب ٢٦٤ | | |
| (٥) | مقدم محقق مختصر العين للزبيدي | | |

ومفاد هذا القول أن الكتاب مادة لفوية مختارة من كتاب البار للقالبي ، ومختصر العين للزبيدي ، ولكنه لا يوجد في هذه المخطوطة اسم المؤلف ، غير أنه جاء في المخطوطة : ((المستدرك في اللغة ، أمر بجمعه وتأليفه الحكم المستنصر - عبده محمد بن الحسن الزبيدي ، فاستخرجه من كتاب أبي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي الموسوم بكتاب البار ، وضمن هذا الكتاب الزيادة التي في البار ، مما لم يقع في كتاب العين خاصة)) . (١) ويستنتج المحقق من نسبة هذا الكتاب إلى الزبيدي أمرين : أحدهما أن الزبيدي صنف كتابا استدرك فيه على القالبي زياداته في بارعه ، ولكنه غير المخطوطة الموجودة في مكتبة جامع القرويين .

وثانيهما : أن نسخة القرويين ليست مستدرك الزبيدي ، ولكنها مختصر ومنه ، وليس من السهل معرفة مؤلفها . وقد حافظ الكتاب على صيغ الزبيدي وتحقيقاته وملاحظاته على كلام صاحب العين والبار ، فأورد ما من غير أن يتصرف فيها ، وجاءت دائما مصدره بصراحة : (قال محمد) وأضاف أحيانا ملاحظاته الخاصة ، ومثال ذلك : ((قال محمد : ذكر اسماعيل : كلمة اخترعها المولدون ، وليست تصح عن العرب) (وعلق عليها هذا المختصر) ولم يذكر محمد ما هذه الكلمة) (٢) . ولعل الزبيدي عمد إلى ما استدركه صاحب البار على كتاب العين فاستقصاها وضمنها كتابا آخر سماه ((المستدرك من الزيادة في كتاب البار . . .) فجاء بمده من اختصر هذا الكتاب .

٥ . كتاب مختصر لحن العامة

قال ابن خبير : ((كتاب لحن العامة لأبي بكر الزبيدي في جزء واحد ، حدثني به أيضا من تقدم ذكره من الشيوخ المتقدم ذكرهم بالاسانيد المتقدمة الا أنني لم أقرأه عليهم ولا سمعته ، وأنا أعلمه عنهم اجازة في جملة ما أجازوه لي رحمهم الله)) (٣)

(١) بتصرف عن مقدمة محقق (مختصر العين للزبيدي) و (أبو بكر الزبيدي) ص ١٣٤ - ١٣٥

(٢) مقدمة محقق مختصر العين ، وأبو بكر الزبيدي ص ١٣٤ - ١٣٥

(٣) فهرسة ابن خبير ص ٣٤٧ - ٣٤٨

- ٦ . كتاب رشتك ستور الملحد بين
وموضوعه يدور حول الرد على ابن مسرة وأهل مقالته من أهل الفلسفة
وعلم الكلام. (١)
- ٧ . أخبار الفقهاء المتأخرين من أهل قرطبة. (٢)
- ٨ . كتاب الغاية في المروغ (٣) .

-
- (١) انظر وفيات الأعيان ٣٧٢/٤ ، وما بعدها ، شذرات الذهب ٩٤/٣
وانظر الديباج المذهب ٢٦٤
- (٢) هدية العارفين ٥١/٢
- (٣) مجمع المؤلفين ١٩٩/٩

أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عيسى بن مزاحم، المعروف بابن التوطية، والقوطية لقب لأحدى جداته، وهى بن أصل أسباني، وكانت أم إبراهيم بن عيسى بن مزاحم جد أبي بكر بن التوطية، ولها قصة رواها أكثر من تحدثوا عن ابن التوطية، وهو الخال "هى سارة بنت أئند أكبر أولاد غيطشة، وخلف أئند ابنته سارة المعروفة بالقوطية، وابنين صغيرين، فبسط أرطاش (عهم) يده على نضياهم السى نضياهم — وذلك فى خلافة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك — فأنشأت سارة مركبا باشبيلية حينما كان المدة هركبت فيه مع أخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بمسقطن بن ساجلها، ثم قصدت باب الخليفة هشام بداره د شق، فأنهت خبرها، وشكت ظلامتها، بن عمها، وتصد به طيبها، واحتجت بالشهد المنقذ لأبيها وأخوته على الخليفة الوليد بن عبد الملك، فأرسلها هشام إلى نفسه، وأعجب به صبرتها وحزمها، وكتب إلى حنظلة بن صفوان عامله بإفريقيا سنة (١٢٠) بانصافها من عمها أرطاش وأعضائها وأخويها على سنة اليراث، فيها كان فى يد والدها فاسم به أخوته، فأنفذ لها الكتاب بذلك إلى عامله بالأندلس، أبى الخطار بن عمه، فتم لها ذلك، وأنكدها الخليفة هشام ابن عيسى بن مزاحم، فابتنى بها بالشام، ثم تقدم بها إلى الأندلس، وولد له منها ولداه إبراهيم وإسحاق، فأزكا الشرف الوئيل والرياسة باشبيلية وشهرا (١) . وغلب اسمها على ذريتها، وعرفوا بها (٢) .

-
- جاء أنظر ترجمته فى : تاريخ الملوك ٢/ ٧٨-٧٩، جذوة النقب من ٧١، والديباج
الذهب من ٢٦٢، أنباء الرواة ٣/ ١٧٨، وفيات الأعيان ٤/ ٣٦٨، يتيمة الدهر ١/ ١٠٠
٢/ ٧٣، بنية الوفاة من ٨٤، معجم الأدباء ١٨/ ٢٧٢، بنية الملتص من ٢٢٣، جذوة
طبقات ابن شبيب من ٢١٨، نفع الطيب ٣/ ٧٤، خيرة أعيان عباس
١- نفع الطيب ٢/ ٢٠٢ - ٢٠٨ (ط - الحلبي) وأنظر خبرها فى تاريخ افتتاح
الأندلس من ٢٨ - ٣٢ .
٢- الديباج الذهب من ٢٦٢، وفيات الأعيان ٤/ ٣٧٠ - ٣٧١ .

ويظهر أن أسرتها كانت تنتمي بمنزلة كبيرة في اشبيلية فكان والد أبي بكر بن القوطية قاضيا على اشبيلية للناصر (١).

وعلى الرغم من شهرة ابن القوطية العلمية فاننا لا نعرف شيئا ذا بال عن صباه ولحمه ولد في اشبيلية وتلقى فيها تعليمه على بعض شيوخه هناك أمثال : محمد بن عبد الله بن القون ، وحسن بن عبد الله الزبيدي ، وسعيد بن جابر عتلى بن أبي سبي شيعة ، وسيد بن أبي الزاهد وغيرهم (٢).

وسبق بقرطبة بن طاهر بن عبد العزيز ، وابن أبي الوليد الأعرج ، ومحمد بن عبد الوهاب بن عفيث ، ومحمد بن عمر بن لبانة ، وعمر بن حفص بن أبي تمام ، وأسلم بن محمد الحزير ، وأحمد بن خالد ، ومحمد بن مسور ، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن ، وعبد الله بن يونس ، وأحمد بن بشر بن الأغبر ، وقاسم بن أصبغ (٣) ، وأبي علي القالي (٤) وغيرهم من نظرائهم . والملاحظ أن ابن القوطية قد لقي أكثر مشايخ عصره بالاندلس ، فأخذ عنهم وأكثر النقل من فوائدهم (٥) ، ولم يأخذ بطول عصره ، وتعاقب بعلم السرية ، فكان عالما بالنحو ، حافظا للغة متقدما فيها على أهل عصره ، لا يشق غبارها ولا يلحق شأوه . وله في هذا الفن مؤلفات حسان منها : كتاب تصاريف الأفعال ، وكتاب المغصير والمهدود وغير ذلك . وكان حافظا لأخبار الاندلس ، مليا برواية سير أمرائها وأحوال نقائسها ومصراتها ، يملئ ذلك عن ظهر قلبه (٦) :

١- الديباج المذهب ص ٢٦٢ ، وفيات الأعيان ٤ / ٣٧٠ - ٣٧١ .

٢- تاريخ السلا ٢ / ٧٩ .

٣- تاريخ السلا ٢ / ٧٩ .

٤- قال القسطنطين : " صاحب أبي علي القالي بالاندلس وتلد له " انباه الرداء ٢ / ١٧٢ .

٥- تاريخ السلا ٢ / ٧٩ وانظر طبقات ابن شبيب ص ٢١٨ .

٦- تاريخ السلا ٢ / ٧٩ .

وعرف أشمل الأندلس فضلته وتضلعه في علوم العربية ، فأقبلوا على حلقاته ، ووثقوا برأيته ، فكانت ((كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه ، وتؤخذ عنه)) (١) . قال ابن الفرضي : ((اختلفت إليه أيام نظري في العربية في سماع (الكامل لسعيد بن يزيد البرد))) وكان يروي عن سعيد بن جابر ، فشهدت منه مجلس (٢) . وشهد له أبو علي : ((التالي ، وهو من كبار علماء اللغة في الأندلس آنذاك ، فعندما سأل الحكم المستنصر أبا علي التالي ، عن أنبل من مرآه في الأندلس من علماء اللغة قال : محمد بن القوطية (٣) . وكان أبو بكر بن القوطية ينظم الشعر ، ولأنه لم يكن مكثراً ، ولا رطباً ، من شعره لا ينسجس مع الرواية القائلة إنه بلغ في الشعر : ((حد الاجادة مع الاحسان في المطالع والمطالع ، وتخير اللفاظ الرشيق ، والسماني الشريف)) (٤) .

ويستنجح مما مر أن ابن القوطية كان نحويًا لغويًا مؤرخًا محدثًا نقيهاً ، شاعراً ، ولكن علم النحو واللغة هو الغالب عليه . وكان ثقة فيهما ، ولكن المؤرخين طعنوا بروايته ففسى علوم الحديث والفقه ، وعدّه بعضهم مدلساً ، فقالوا فيه : ((لم يكن بالضابط لروايته ففسى الحديث والفقه ، ولا كانت له أصول يرجع اليها ، وكان ما يسمع عليه من ذلك إنما يحبل علوم السني لا على اللفظ)) (٥) .

وطال عمر ابن القوطية ((فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة ، وروى عنه جماعة من الشيخ والكهول من روى القضاء ، وتقدم الى الشورى ، وتصرف في الخطط من أبناء الطوك وغيرهم (٦) . وكانت وفاته يوم الثلاثاء في ربيع الأول سنة سبع وستين وثلاثمائة (٧) . وأنجب هو والزبيدي عددًا من التلاميذ ممن كان لهم أبعد الأثر في دفع الدرس النحوي واللغوي وتطورهما كما سنراه في الفصل التالي في بلاد الأندلس .

١- تاريخ الملوك ٢/ ٧٩٠

٢- تاريخ الملوك ٢/ ٧٩٠

٣- رفيات الأعيان ٤/ ٣٦٩ ، معجم الأدباء ١٨/ ٢٧٤ ، وانظر يتيبة الدهر ٢/ ٧٢٣

٤- معجم الأدباء ١٨/ ٢٧٤ ، ونفح الطيب ٣/ ٧٢ ، وانظر الديباج الذهب ص ٢٦٦

٥- رفيات الأعيان ٤/ ٣٦٨ ، وانظر الديباج الذهب ص ٢٦٣ ، وشيعة الوعاة ص ٨٤

٦- تاريخ الملوك ٢/ ٧٩٠

٧- تاريخ الملوك ٢/ ٧٩٠

أهم مؤلفاته :

الفأبو بكر بن القوطية مؤلفات حسان في اللغة والنحو ، ومنها ما لم يصل إلينا ، ومنها ما جادت به الأيام محلينا ، وتام بعض المجلدات بتدقيقه ونشره .
تسمين : المفقودة والمطبوعة .

المقدمة :

- ١- شرح رسالة أدب الكتاب : وسماه ابن خير (كتاب شرح صدر أدب الكتاب)
ولعله يقصد به أدب الكاتب لابن قتيبة (١) .
- ٢- المتصور والممدود : قال فيه بعض مترجميه : (جمع فيه ما لا يحد ولا يوصف ،
ولقد أعجز عن يأتي بعده مفااتي من شدة) (٢) . ومن الغريب أن ابن خير لم
يذكره في فهرسته .

الملاحقة :

- ١- كتاب تاريخ افتتاح الأندلس وهو كتاب تاريخي يتحدث فيه ابن القوطية عن
الأندلس وافتتاحها بن لدن الفتح حتى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد
المتوفى سنة ٢٩٩ هـ . ولا ضرورة للمدعيث عنه هنا لأن مجال البحث لا يسمح
بذلك .
 - ٢- كتاب الأفعال (٣) .
- ان اللغة العربية بن أكثر اللغات اشتقاقا ، وقد تنوعت أبحاثها ، واعتنى علماء وفنا
بهذه الأبيئة ودلالاتها وتصرفاتها منذ وقت مبكر . وألغوا فيها مؤلفات عديدة ، وسارت هذه
المؤلفات في مجريين : مجرى الأسماء ، ومجري الأفعال (٤) ، ومنهم من جمع بينها (٥) .

- ١- فهرسة ابن خير ، ص ٣٤٤ .
- ٢- وثيات الأعيان ٣٦٩ / ٤ ، معجم الأدباء ٢٧٥ / ١٨ .
- ٣- فهرسة ابن خير ، ص ٣٥٥ .
- ٤- أنظر المعجم العربي ص ١٥٥ - ١٩٣ .
- ٥- وذلك كما وجدناه عند أبي بكر الزبيدي في كتابه (الاستدراك على سيبويه)
أنار ما تقدم في سياق هذا البحث ص ١٥ - ١٧٢ .

ولعل مؤلفاهم في الأفعال وما يطرأ على صيغها من تغيير ^{وتبدل} أكثر من مؤلفاتهم في الأسماء، وربما يعود ذلك إلى اعتقاد بعضهم بأسبقية الأفعال على الأسماء، وأن الأفعال هي أصول أبنية الكلام، يتول ابن القوطية: ((اعلم أن الأفعال أصول مباني أكثر الكلام، وبذلك سميتها العلماء الأبنية. والأسماء غير الجادة والأصول كلها مشتقات منها وهي أقدم منها بأزمان، وإن كانت الأسماء أقدم بالترتيب في قول الكوفيين)) (١). وما لا شك فيه أن علم اللغة الحديث لا يؤيد هذا القول، ولا يتول بأسبقية الأفعال على الأسماء أو الأسماء على الأفعال. ولكن لهذا القول مدلولان: الأول هو أن لفهوي العرب قد اهتموا بالفعل كثيرا، واتجهت دراساتهم في هذا المجال ثلاثة اتجاهات: أولها يعالج الأفعال من جهة عامة (٢)، والثاني يعالج صيغة خاصة منها (٣)، والثالث يوجه عنايته إلى المصادر وحدها (٤).

وكتاب الأفعال من الكتب التي عالجت صيغا خاصة من الأفعال وهو أول مؤلف أندلسي يصل إلينا يعرض لثل هذه الصيغ، رغم أن التالي ألف كتابا في (فعلت وأفعلت) غير أنه لم يصل إلينا. وكتاب الأفعال لابن القوطية، وكتاب الاستدراك للزبيدي يشلان الدراسة الصرفية لعلماء النحو الأندلسيين في القرن الرابع، ويضاف إليهما ما جاء في كتاب الواضع للزبيدي — كما ذكرنا سابقا (٥).

١- الأفعال ص ١٠

٢- ومن ألف فيها: أبو عبيد وابن السكيت وابن قتيبة، وابن سيدة، وعبد الملك بن طريف الأندلسي (٤٠٠هـ)، وأبو عثمان سميد بن محمد المصافري (٤٠٠هـ)، وابن القطاع (٥١٥هـ)، وكتابا أبي عثمان وابن القطاع أشمل وأكمل كتابين وصلا إلينا في الأفعال. (انظر المعجم العربي ١٦٢-١٦٨).

٣- ومن ألف فيها: تطرب والقراء، وأبو عبيدة والأصمعي، والزجاج (٣١١هـ)، وابن دريد

(٣٢١هـ)، وأبو بكر بن القوطية (٣٦٢هـ)، وغيرهم (انظر المعجم العربي ١٥٦/١-١٦٢).

٤- ومن ألف فيها: الذسائي ١٨٦هـ، والنهري ٢٠٤هـ، والفراء ٢٠٢هـ، وأبو

زيد البلخي ٢٢٠هـ، ونفطويه ٣٢٣هـ وغيرهم كثير (انظر المعجم العربي ١٥٦/١-١٥٩).

٥- انظر: تقدم في سياق هذا البحث ص ١١٤-١١٥.

مادة بحساب الأفعال ومنهجية

يمكن قسمة مادة الكتاب قسمين : المقدمة والموضوع ، أما المقدمة فلم يتحدث فيها ابن القوطية عن منهجه وخطته التي سار عليها في تأليف كتابه ، ولكنه تحدث فيها عن الأشكال في اللغة العربية ورأيه فيها من حيث : أصلها الاشتقاقي (١) . أبينيتها الأصلية (٢) . وأقسامها (٣) ، وحركات أعرابها (٤) ، وأينها أسبق في

المتأخر ابن القوطية : ((اعلم أن الأفعال أصول مجازي أكثر الكلام ، وبذلك سميتها العلماء (البابية)) . الأفعال من ١ . وبصرفها يمكن معرفة علم القرآن والسنة : ((وبعلمها يستدل على أكثر علم القرآن والسنة ، وهي حركات مقتضيات . . . والأسماء غير الجائدة والأصول كلها مشتقات منها (أي الأفعال) وهي أقدم منها بالزمان ، وإذا كانت الأسماء أقدم في الترتيب في قول الكوفيين ، والجائدة لا يشتق منها . . . والبصريون يقولون : يقدم الأسماء وأن الأفعال مشتقة منها ، ولكل وجه) (الأفعال من ١ .

٢ قال : ((وأقل ما بنيت عليه الأسماء والأفعال ثلاثة أحرف ، فإرأيت ما ناقص عنها فاعلم أن التضييف دخله ، مثل : قرء ورد ، وما زاد على ثلاثة أحرف فبحروف الزوائد الداخلة فيه) ((الأفعال من ١ .

٣ يتحدث عن أقسام الفعل المتعارف عليها ، فيرى - مثلاً - أن الأفعال الثلاثة تنقسم إلى : الضعيف ، وهو ما مفتوح العين أو مكسورهما ، قال : ((فالضعف ضربان : ضرب على فَعَلَ ، مثل : رد . . . وضرب على فَعَلَ ، مثل : عضن . . . والأصل عَضَنَ وَضَنَ ، ولكنه قُتِلَ تحريك المثلين فأسكنوا الأول ، وأدغموه في الثاني فاشتد . ليس فيه غير هذا ، إلا فعل شاذ رواه يونس : لَبَّيْتُ لَبَابَةً وَلَبَّاءُ ، والأعم لَبَّيْتُ تَلَبُّ . والضم يشتغل في الضعف) (. الأفعال من ١ . ومن حيث التسدي واللزوم يقول : ((والأفعال الثلاثية كلها ضربان : ضرب لا يتسدى ، مثل : قام ، وتعد ، وضربٌ متعدٍ ، مثل : ضرب ، وأكل) ((الأفعال من ٦ .

٤ قال : ((وأعراب الفعل بالرفع والنصب والجرم ، ولا يد فله الضعف ، إذ لا يكون إلا بالاضافة ، ولا إضافة إنما تكون إلى الشيء الثابت ، والفعل حركة مقتضية ، وأيضا فإنه دلالة ، فكنتموا أن يجمعوا بين داليتين) ((الأفعال من ٩ .

العربية الفعل المستقبل أم الفعل الماضي ؟ (١) والاعتلال في الأفعال مخالف لبنيتها الأصلية (٢) . واعتلال لام الفعل أشد من اعتلال عينه ، ولا يستل الفصل الثلاثي بوقوع حروف اللين في فائه (٣) ، ولمريقة كتابة مصادر الأفعال المعتلة بالياء والواو (٤) .

١- قال : ((والفعل المستقبل قبل الماضي لأنه لم يكن حاضيا حتى كان مستقبلا ، تقول : (هو يفعل فاذا أَوْتَبَ فِلسَهْ ، قلت : قد فعل . وأيضا فانهم بنوا الماضي من الأفعال المعتلة على المستقبل ، فقالوا : أغريت لنا قالوا : يغري ، ولو كان الماضي قبل لم تكن ضرورة تضم إلى قلب الراوياء)) . الأفعال ص ٦ .

٢- قال : ((الاعتلال في الأفعال من اللغة أصل البنية ، وبنية الفصل فَعَلَ حركا بالفتح ، فلما قالوا : قال ، وباع ، علما بظهور الواو في القول ، والياء في البيع ساكنين معتلتين ، أنهما أصل عاتين الألفين وأنهما وقعتا موقع . حركة ، فقلبتا ألفا لفتح فاء الفصل التي قبلهما ، ألا ترى أن الواو لا سحت في الهوى ، والصور والخول ، وما أشبهها سحت في أفعالها ولم تتقلب)) . الأفعال ص ٦ .

٣- قال : ((والواو والياء في غزاري مثلها في قال وباع ، إذ اعتللتها لامات أشد من اللامات عينات . وليس يعتل الفصل الثلاثي بوقوع حروف اللين في فائه ، فأما علة إيمد وين) وأشبههما ، فإن الكسرة في المستقبل أوجبت سقوط فاء الفصل فيه)) . الأفعال ص ٦ .

٤- قال : ((وما كان من ذوات الياء في لامة فان مصدره يكتب بالياء ، كالمهوى ، والسوى ، والجوى ، إلخ ما كانت الواو ظاهرة في مؤنثه ، فانه يكتب بالألف المشا في السين والعنا في الأنفعا والسنا : كثرة الضمر في الوجه ، لأنك تقول في مؤنثه : عشرا ، وقنوا ، وعشوا . والأفعال الثلاثية من ذوات الياء والواو في لاماتها ومصادرها يكتب فيها ما كان أصله الواو بالألف ، وما كان أصله الياء كتب بالياء ، وما كان بهما كتب بالألف ، وإن استوت اللتان فيه كتبت بها شئت منهما)) . الأفعال ص ٧ .

٥- يقول: ((والصنات في الالهام تأتي أكثر أقسامها الثلاثة على فصل الأقسام، وشبهه
 وشبه، وشبه: فإنها أتت بالضم والكسر، وتتخذ الزيادة في بعضها فتكون على أقصا
 مثل أخضر: أقصا حائز فيها: والصنات بالجران والفتح والصلل والإعراف تأتي
 أنفعاها على فصل الأقسام وعرق: فإنها جاءت بالضم والكسر: والأقسام أكثر أقسامها
 على فصل: مثل أرم وجعل: ومنها ما يكون بمعنى فاعل مثل: علم: ومنها ما يكون
 بمعنى مفعول مثل: سبيع: ومنها ما يكون بمعنى مفعول كقول: (الخ) الأقسام: ٨

وغير الثلاثي (١) . وأوزان الثلاثي^{الصحيح} / نبي الماضي وما يقابلها في المستقبل (٢) ، وخروج بعض التصاريف عما أجمع عليه أغلب جمهور النحاة (٣) .

والنلاحظ في ذلك كله أن ابن القوطية يستهد بهذه المقدمة لتكون مدخلاً سهلاً لدراسة كتابه ، وتبيان قيسته التأليفية ومستواه العلمي ، وما يحتاج التأديب^{الي} من قوانين علم الصرف في السريية ، ويظهر هذا في كلامه الذي ختم به مقدمته ، قال : ((عندا جملة ما يحتاج التأديب اليه في الأفعال ، وما يتصرف فيها)) (٤) .

أما وضع الكتاب فيقوم على معالجة بعض الصيغ الخاصة للأفعال ، ويمكن تسميته الى ثلاثة أقسام : —

- ١ — يقول : ((وما كان على ثلاثة أحرف منها فان الفاعل منها فاعل : كضارب وتقاتل ، والذي ينتج به الفعل مفعول كمضروب ومقتول وما كان رباعياً فالفاعل منه مفعول كسرج ولجم ، والفعل منه على مفعول كسرج ولجم)) الأفعال ص ٨ — ٩ .
- ٢ — ومن ذلك مثلاً : ((الثلاثي الصحيح ثلاثة أضرب : فَعَلَ وفَعَّلَ وفَعَّلَ مثل ضرب ودخل ، فال مستقبل منه يضرب ويدخل (على) يفعل ويفعل ألا ما كان عين الفعل أو لا ، أحده حروف الحلق فانه يأتي على يفعل ألا أفعالاً يسيرة جاءت بالفتح والضم وأفعالاً بالكسر وما كان على فعل مستقبله يفعل لا غير وما كان على فعل مستقبله يفعل إلا فعل الشيء الخ)) الأفعال ص ٢ — ٣ .
- ٣ — يرى أغلب النحاة أن فَعَلَ التمدى يكون مصدره على وزن فَعَلَ ، نحو : ضَرَبَ ضَرْباً ، ويجمع جمعاً ، أما ابن القوطية فيذهب هذا سبب الفراء يقول : ((كن ما كان متحدياً من الأفعال الثلاثية فان الفعل والمفعول جائزان في مصدره ، مثل ضرب يضرب ضرباً وضرباً)) .

الأفعال ص ٢ .

٤ — الأفعال ص ٩ .

- أ - القسم الأول لما فيه فَعَمَلٌ وَأَفْعَلٌ (١) .
 ب - القسم الثاني لما فيه أَفْعَلٌ وَحَدَّثَا (٢) .
 ج - القسم الثالث لما فيه فَعَمَلٌ وَحَدَّثَا (٣) .

ورتب مادة هذه الأقسام الثلاثة حسب الحرف الأول بنيسة الكلمة على النحو التالي : الهمزة ، والهاء ، والميم ، والفيث ، والذال ، والحاء ، والجيم ، والظاء ، والكاف ، والسين ، والشين ، والصاد ، والضاد ، والذال ، والراء ، والنون ، والطاء ، والظاء ، والذال ، والباء ، والتاء ، والباء ، والراء ، والسين ، والفاء ، والواو ، والياء . وهو ترتيب يكتفى به عند الخليل في كتابه العين (٤) ، وما نجده في كتاب سيبويه ، وبارع التالي ، واستدراك الزبيدي . ولعله ارتأى هذا الترتيب على نظام مخارج الحروف مبدأ تراعى له .

ويجسد الناري كتاب الأفعال أن ابن الشوطبينة قسم أبنية أفعاله في القسم الأول إلى قسمين : ما ورد تنفيده السينتان بمعنى مختلف ، وتحدث فيه أيضا عن الأفعال الصحيحة والمهموزة والمضاعفة والمعتلة حسب ما جاءت عليه من صيغ مختلفة في العربية ، وجعل بين المهموزة شيئا قائما بذاته . وفصل في المعتل بين الأجوف والناقصة وبين المعتل الذي سلم حرف علقه ، والبدل حرف الملة ، وبين المعتل بالواو والياء وبين المعتل بحرف واحد ، والمعتل بأكثر من حرف ، أو المعتل المهموز وبين صيغ الأفعال المختلفة في الماضي منه ، كما فصل في الصحيح ، وأورد الألفاظ تحت هذه الأقسام مع براعة الحرف الأول ضحا وحده ، أما الثاني وما بعده فلا أهمية لها عنده . ولما كان

١ - الأفعال ص ٩ - ١٦٢ .

٢ - الأفعال ص ١٦٣ - ١٧٥ .

٣ - الأفعال ص ١٧٦ - ٣٠٤ .

٤ - فترتيب الخليل مثلا كان : ع ه خ غ ق ك ج ش ض ص ز ط ذ ث ر ل ن ف ب م و ي ا . حسب مخارج الحروف ، وإلى قريب من هذا ذهب سيبويه والقالي والزبيدي مع بعض الأتلاف .

الوزن والمختلفة في المعنى (١) وهو قليل .

ويلاحظ على ترتيب أبواب الكتاب عند ابن القوطية أنه لم يكن دقيقاً في منهجه فقد تحدث عن حرف الهاء في القسم الأول ، وبدأها بالثلاثي الصحيح والمهموز والممثل بالياء في عين الفعل ثم عاد يتحدث عن الثلاثي الصحيح من جديد ،

١- قال ابن القوطية : ((الثلاثي المضاعف : فَعَلَ وفَعِلَ : حَسَّ الورق حَسّاً : نفذه . . . وَهَنَّ كَنّاً : بكى . . . الثلاثي الصحيح على فَعَلَ : نجس الأمر بالقلب هَسّاً : وقع فيه . . . وفَعَلَ وفَعِلَ باختلاف معنى ، هَدَلْتُ الشيء هَدلاً : أرسلته الى أسفل . . . وَهَرَدَ اللحم هَرَدّاً : انشوى . . . فَعَلَ وفَعِلَ : هَدَنَ هَدُوناً : سكن . . . وَهَدَنَ فلان عنك : أرضاه اليسير . . . فَعِلَ : هَلَعَ هَلَعاً : اشتد . . . فَعِلَ : هَجَنَ الرجل هَجونه . . . المهموز على فَعَلَ : هَذَأْتُ بالسيف هَذَا : قدامته . . . وعلى فَعَلَ وفَعِلَ : هَنَوْتُ الشيء هَناءً : تيسر بلا مشقة وهَنَأَنِي الطعام هَناءً ، والشيء : ساغاً . . . وعلى فَعَلَ وفَعِلَ : هَمَنِي هَمَاتٌ به وهَمَزْتُ به هَمَزٌ : سخرت منه . . . فَعَلَ وفَعِلَ باختلاف معنى : هَدَأْتُ هَدْؤً : سكنت حركته . . . وَهَدَيْْتُ هَدْياً : مالى منكباه الى مدره . وبالواو والياء في عين الفعل ممتلا : هَاءٌ بَنَفَسَهُ الى الشرف هَوْءٌ : ارتفع ، وهَاءٌ يَهِي هَيْئَةً . . . الممثل بالواو في عينه : هَادَ الى الله عز وجل هُوداً : تاب . . . وبالياء في عينه ممتلا : هَانَى العظيم هَيْضاً : كسره بعد جبره . . . وبالواو في عينه سالماً على فَعِلَ وممتلا على فَعَلَ : هَوَسَتِ الناقة هَوْساً : تكررت عليها التهيبة وهاست الابل هَيْساً : سارت أبى سيركان . . . وبالياء في عينه سالماً على فَعِلَ وفَعِلَ ، وممتلا على فَعَلَ : هَيَمَ البعير هَيْاماً : عطش . وهَيَمَ أَيْمًا هَيْاماً : كالمُحَيٍّ . . . وهَكَمَ هَكَمًا وهَيَمًا : عطش . . . وبالياء والواو في لامه : هَذَأَهُ بالسيف هَذْؤاً : أوحى . . . وَهَذَا هَذَا يَأْنَى : قال لا لا يعقل . . . وبالواو في لامه على فَعَلَ وممتلا : هَجَأَ بالشعر هَجْجُوا وَهَجْجَاءُ : سب . . .) الأفعال ص ١٨٢-١٨٧

وعن المحلل مرة أخرى، وكان المنهج العلمي يقتضيه أن يلمّ بأبنية الصيغة الواحدة في مكان واحد دون بحثتها وتفريقها . . . وهذا - بالإضافة الى اعتماده على الدorf الأول في ترتيبه - جعل العودة الى المفردة في كتابه صعبا .

وابن القوطية يحرص على الاتيان بمصدر الفعل الذي يتحدث عنه وخاصة مصادر الأفعال الثلاثية، وهو يعتمد في ذلك ما اعتمده النحويون من حيث ضبط الصيغة المصدر من خلال علاقتها الشكلية بحين الفعل، وقضية التعدى واللزوم والمعنى الدلالي في كل ويأتي أحيانا بمصدر بمعنى الأفعال على صيغة يتن ادب اما صيغة الثلاثي المتعدي والاخرى صيغة اللزوم على فَعَلَ وفُعِلَ . ولحلّ تعدد صيغ بعض المشتقات في العربية يعود الى تعدد اللهجات وتداخلها (١) واستعمال الفعل في طورين : لازم ومتعد (٢) . واختلاف العلماء في ضبط حركة عين الفعل (٣)

١- ومنه : (عَمَّتْ عن الشيء عَمًّا وَعَمُّوًّا : كَهَفَتْ عَنْهُ بَعْدَ الْمَضِيِّ فِيهِ ، وَالضَّيْفُ وَالْقَرْبُ : تَأَخَّرَ وَأَبْطَأَ ، وَأَعَمَّنَا : صَرْنَا فِي عَمَّةِ اللَّيْلِ) (الأفعال ص ١٧) ، ولحلّ هذا يعود الى () التداخل (في اللهجات) الذي حاول الصرفيون ضبطه دون فائدة . أنظر في تاريخ العربية ص ٣٧ ، ويؤكد الدكتور نهاد هذا القول اعتمادا على مقالة للفراء : () اذا جاءك فَعَلٌ ما لم يسمع مصدره فاجعله فَعَالًا للحجاز وفُجُولًا لنجد) . تاريخ العربية ص ٣٧ وشرح الرضي مقالة الفراء قائلا : ان () قياس أصل نجد أن يقولوا في مصدر ما لم يسمع مصدره من فَعَلَ المفتوح الهين فُعُول ، متعد يا كان أولا زما ، وقياس المجازيين فيه فَعَلَ متعد يا كان أولا . . . () . انظر شرح الرضي على الشافية ١/١٥٧ .

٢- ومنه : (هَبَطَ الشيء هَبْطًا وَهَبُوءًا) (. وهرب رَباً وَرُوبًا) (الأفعال ص ١٢١٢)

٣- ومنه : (سَمَلَ بين القوم سَمْلًا ، وَأَسْمَلَ : أَسْلَحَ وَسَمَلَ الثوب : لَفَّ) (الأفعال ص ٦٨)

وابن القوطية يميل الى ذكر اللهجات في اللفظة الواحدة فير أنه لا ينسبها الى أصحابها (١) دائما . بل يكفي أحيانا بذكر لفظ (لغة) للدلالة على تعدد اللهجات فيها (٢) . وانما كانت اللهجات قد نبتت اليها (٣) . وربما صغر كلمة (لغة) للدلالة على قلة استعمالها وضعفها (٤) . وهو يرجح احدى اللهجات على الاخرى (٥) .

وهو لا يذكر مصادره اللغوية التي اعتمد عليها سواء أكانت كتباً أم روايات إلا نادراً (٦) . وأحيانا يقوم رواية بعض العلماء التي يرويها أو العالم نفسه ومدى ثقته في روايته (٧) . والمصطلح الصرفي عنده أحيانا عائم مما أدى السبى تدخل بعض الأبواب الصرفية ، وصعوبة فصلها ، فعندما يتحدث عن باب من أبواب الصرف يمزجه مع باب آخر ، ومن ذلك حديثه عن المصادر الرباعية واسم المبررة قال : «والأفعال الرباعية التي على أفعل ، اذا كانت صحيحة فليس في مصادرهما اختلاف ، وانما تأتي على الإفعال كالإكرام والإسراج والإلجام ، فاذا أرادوا المرة الواحدة قالوا : إكرامة وإسراجة والجماعة كالضربة والمقدرة في الثلاثي » (٨) . وما يلاحظ أنه جعل أكرم وأسرج وألجم أفعالا رباعية مع أنها ثلاثية مزيدة بالهمزة .

-
- (١) لم يرد عنده إلا طحارث ص ٣٠١ ، وتميم ص ١٥٧
 (٢) ومنه : (غارغورا : أتى الضور وهو منخفض الأرض . وفي الأمور : أدق النظر وأغار لغة) الأفعال ص ٢٦ .
 (٣) قال : (وَحَدَّرَتْ جِسْمَهُ حَدَرًا وَأَحْدَرَتْهُ حَتَّى حَدَرَ حَدُورًا أَي تَوَرَّمَ ، وَالسَفِينَةُ فِي الْمَاءِ وَالشَّيْءُ مِنْ عُلُوٍّ : رَمِيَتْ بِهِمَا ، وَالشُّوبُ : فَتَلَتْ أَطْرَافَهُ دُوبَهُ ، وَالْقِسْرَاءُ أَسْرَعَتْهَا ، فَالْثَلَاثِي الْمَعْرُوفُ فِيهِمَا ، وَالرَّبَاعِي لُغَةٌ رَدِيكَةٌ) الأفعال ص ٣٨
 (٤) قال : (وَجَمَلْتُ الشَّحْمَ أَجْمَلُهُ جَمَلًا أَدْبَتُهُ ، وَأَجْمَلْتُ لُفْيَةً) الأفعال ص ٦٤
 (٥) قال : (سَعَدَهُ اللَّهُ سَعَادَةً لُفَّةً ، وَأَسْمَدَهُ الْأَعْمُ) الأفعال ص ٦٨
 (٦) ذكر كتاب الصين ، ومن العلماء : الأصمعي ، والكسائي ، والفراء ، وأبو عبيدة ، وقطرب .
 (٧) قال : (وَأَنْهَيْتُ الشَّيْءَ جَمَلْتُهُ نَهَبًا يَفَارِعُ عَلَيْهِ - وَنَهَبْتُهُ لُغَةً ذَكَرَهَا قُطْرِبٌ وَهُوَ غَيْرُ ثَقَّةٍ) الأفعال ص ١٠٧
 (٨) الأفعال ص ٥

وابن القوطية معني بذكر مصادر الأفعال ، وإذا كان المصدر شاذاً أو على غير قياس أشار إليه (١) . وإذا لم يفعل لا يتصرف تصرف الأفعال نبه إليه (٢) . وإذا كانت اللفظة من الأتعداد أشار إليها (٣) . وإذا وقع في الكلمة اعلال أو ابدال نبه إليه (٤) . أما الجانب اللغوي في الكتاب فواضح ، فقد دأب على شرح المفردات الغريبة التي يعالجها (٥) وشو لا يقف عند معناها اللغوي بل يذكر أيضاً ما أصبح لها من معني اصطلاحية ومن ذلك : ((ونسقت الشيء * نستا بغيره : ضمته إليه وفي الاعراب : عطفته إليه ، والدَّف : نقره)) (٦) . يقصد بذلك اصطلاح عطف النسق ، ومنه قوله : ((ونسبت الشيء * نسباً : أقمته ، وبالأعراب : حررته حركة النصب)) (٧) وقوله : ((وخفضت الشيء * خفضاً : ضد رفعه ، والحرف بالأعراب : أضجمه عن النصب . ٠٠٠٠)) (٨) . ويطلق على الأفعال المعتلة العين بالواو والياء ((الأفعال الواوية والياوية)) . ويسمى نائب الفاعل بما لم يسم فاعله ((قال : ((هال الأمر هولاً : عظم عليك ، وهيل الرجل : أسابه الهول ، وهلت منه ، وهذا حكم الأفعال الواوية والواوية إذا وقعت على ما لم يسم فاعله (((٩) .

- ١- قال : ((وتما المكان قصوا وغيره : بعد ، والبصير : قطعت أذنه فهو قصو ، والناقعة قصوا * على غير قياس)) . الأفعال ص ٦٣ .
- ٢- قال : ((تَكَرَّت الشيء * وتكرت : ضد عرفته ، إلا أن تَكَرَّت لا يتصرف تصرف الأفعال (٠٠)) الأفعال ص ١٠٧ .
- ٣- قال : " وثام السيف شياً : أغمده ، وسله - من الأتعداد " الأفعال ص ٢٤١ .
- ٤- قال : " وصنع الديك بصوته صقما : صاح ، والرأس باليد غرسته ، والصاتعة : مقلوب عن صَقَّت الصاعقة . ٠٠٠ وصقح الانسان به معنى صق ، ولغة تميم " الأفعال ص ٢٤٣ . ومن الثاني قوله : " دَرَه لقرينه درها : دفع عنهم بلسانه يده ، ويقال : ان الهاء فيها بدلثة من حمزة " الأفعال ص ٢٤٧ .
- ٥- لا ضرورة لضرب مثال عليه ، فهو يشرح معظم ما يريه من كلمات غريبة .
- ٦- الأفعال ص ١١٠ .
- ٧- الأفعال ص ١١٤ .
- ٨- الأفعال ص ٢٠١ .
- ٩- الأفعال ص ١٨٦ .

ويلاحظ أن هذه المصطلحات أغلبها كرفية، غير أنها قليلة، وهذا يبرز ما
 ذهبنا إليه عند الزيدى وهو ميل الأندلسيين إلى منهج الاختيار من الكوفيين
 والبصريين بقصد التسهيل والتيسير مع ترجيح موقف البصريين في الأعم .

ويحلل ابن القواية أحياناً بعض الظواهر اللغوية التي يمرض لها، ومنه
 قوله : () وليس يمتثل الفعل الثلاثي بوقوع حرف اللين في فائه، فأما علة يحد
 ويزن وأشباههما، فإن الكسرة في المستقبل أوجبت سقوط فاء الفعل فيه () . (١)
 أما شواهد اللغوية فكانت من القرآن الكريم (٢) والحدِيث الشريف (٣) ،
 والشعر (٤) والأمثال وكلام البلغاء (٥) ، وهو لا يورد شواهد لغوية كثيرة،
 بل يقتصر على ذكر الشاهد حين تدعو الضرورة إليه وهو قليل .

أما قيمة الكتاب العلمية فتكمن في أنه أقدم المؤلفات الأندلسية التي وصلت إلينا
 في هذا الباب، وهو الأساسي الذي اعتمد عليه من جاء بعد ابن القواية من
 العلماء في الأندلس، إذ تأثروا به ونهجوا نهجه . ومنهم من أضاف عليه أمثال عبد
 الملك بن طريف الأندلسي المتوفي في حدود سنة ٤٠٠ هـ، وعلي بن جعفر السحدي
 المعروف بابن القطاع المتوفي سنة ٥١٥ هـ، وتقتني دار الكتب المصرية نسخة مصورة
 من كتاب السرقسطي تحت رقم ٣٤٣ صرف، وأما كتاب ابن القطاع فمطبوع في الهند (٦)
 وعرف القديماً بأهمية الكتاب فقال ابن قاضي شهبه : () ومنه كتب مفيدة منها :
 كتاب الأفعال، وهو الذي فتح الباب، وجاء بعده ابن طريف وابن القطاع، وأفعاله
 هي أجود ما في هذا الباب (٧) .

وقال القفطي : () وله كتاب في الأفعال، لم يؤلف مثله . . . (٨) . وقال المقرئ
 فيه : () وهو صاحب كتاب الأفعال الذي فتح فيه هذا الباب ففلا به ابن القطاع . . . (٩) .

١- الأفعال ص ٦ ٢- انظر الأفعال ص ١٠٥

٣- انظر الأفعال ص ١٠٥ ٤- انظر الأفعال ص ٣٥

٥- انظر الأفعال ص ٢٢٠، ٢٢١ ٦- انظر المعجم العربي ١/ ١٦٣

٧- طبقات ابن شهبه ص ٢١٨ ٨- انباء الرواة ٣/ ١٢٨

٩- نفع الطبيب ٣/ ٧٤ . قيمة الكتاب

وخلاصة القول ان جهود هذه المرحلة تتلخص في وضع مختصرات للمطلوبات من كتب اللغة والنحو كمختصر الزبيدي لكتاب العين ، والاستدراك على بعض كتب النحاة المشرقيين نحو استدراك الزبيدي على كتاب سيبويه ، وتأليف كتب مستقلة في النحو مثل كتاب الواضح في النحو ، وكتاب الأبنية في الصرف للزبيدي ، وكتاب تصاريح الأفعال أو الأفعال لابن القوطية .

وكان للزبيدي وابن القوطية أثرهما في تطوير الدرس النحوي في هذا القرن ، ان رسخت الدرس النحوي المتكامل في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري في قرطبة خاصة وبلاد الأندلس عامة بما بذلوه من جهد . وانقسم جهدهما قسمين : التأليف - كما مرّ سابقا - فقد وضع المؤلفات في النحو والصرف معتمدة عند طلاب النحو والصرف . والثاني يكمن في نخبة التلاميذ الذين تخرجوا عليهما وعلى القالي والرباعي قبلهما ، فحملوا مسؤولية الاستمرار بالدرس النحوي وتطويره ، وترسموا خطى أساتذتهم في ذلك ، وهم يمثلون مرحلة من مراحل الدرس النحوي في الأندلس آنذاك ، يمكن تسميتها بمرحلة الشروع ، ان عكف بعضهم على المؤلفات النحوية السابقة فشرحها وبسطها ، وتحذوهم في ذلك غاية تعليمية أيضا . وهذا ما سنوضحه في الفصل القادم ان شاء الله .

يمثل القرن الرابع الهجري عصر النضوج الفكري في المشرق ، والتقدم والأزدهار في المغرب ، فقد قُعدت القواعد لكثير من العلوم ، وتنوعت المصارف وأثرت في بعضها أسلوبا وفكرا ، وأخذت علوم الفلسفة والمنطق تستهوي العلماء وخاصة بعض النحاة ، فاقتفوا أساليب الفلاسفة في حجاجهم ، وطرق جدالهم ومصطلحاتهم وكثير لذلك الجدل والخلاف والتعديل في مؤلفات بعضهم ، مما جعل النحو فيها علما وعصر المسالك ، بعيد التناول (١) .

تأثر بعض النحاة الأندلسيين في هذا القرن بالمنهج الفلسفي ، واضطربت مؤلفاتهم بصيغته ، فألفوا كتباً تقوم على المسألة والجواب ، ومنها ((كتاب العالم والمتعلم)) لأحمد بن أبان (٢) . وما يؤسف له أنه لم يصل إلينا منه شيء ولحل أبا القاسم الحسين بن العريف أصدق مثل على هذه الظاهرة في تاريخ النحو العربي في الأندلس في هذا القرن ، وخاصة في كتابه شرح كتاب الجمل .

المعروف بابن العريف الجوي

حسين بن وليد بن نصر (٣)

لم تسعفنا المصادر على رسم صورة واضحة المعالم لحياته وتعليمه ، وإنما اقتضت على ذكر اسمه ، ونسب من أخباره ، فهو (حسين بن الوليد بن نصر من أهل قرطبة ، يكنى أبا القاسم ، ويعرف بابن العريف) (٤) .

(١) قاله سارن مبارك في كتابه (النحو العربي) ص ١١١ : (ولم يأت القرن الرابع حتى كان النحو قد خطا نحو التأثر بالكلام ، والمنطق خطوات واسعة) .

(٢) جذوة المقتبس ص ٤٠٥

(٣) انظر ترجمة في تاريخ العلماء ١٣٤ / ١ - ١٣٥ ، وجذوة المقتبس ص ١٩٤ - ١٩٥ ومجمع الأدباء ١٠ / ١٨٤ - ١٩١ ، وبغية الوعاة ص ٢٣٧ - ٢٣٨

(٤) تاريخ العلماء ١٣٤ / ١

تلقى علوم العربية على أبي بكر محمد بن القوطية (١) ، وكانت له رحلة إلى مصر ، أقام فيها أعواماً ، وسمع بها (من أبي الدلائر القاضي ، والحسن بن رشيق وغيرهما) (٢) .

وعاد بعدها إلى الأندلس فاشتهر أمره ، وعرف فضله ، واستأذ به المنصور بن أبي عامر (لبيته وقرّبه من صحبته) (٣) وكان ابن العريف (نحوياً عالماً بالعربية) متقدماً فيها (٤) شاعراً كثير المديح ، مدح المنصور كثيراً (٥)

وكان له (حذفي علم الكلام إلى أدبه) (٦) ولعل ابن العريف حذفي بمكانة عاليته عند المنصور ، ف بجانب تأديبه لأبناء المنصور ، كان ممن يحضر مجالسه ، وكانت له مباريات مع أبي العلا صاعد بن الحسن البغدادي ، نزيل المنصور بن أبي عامر ، ومنها (جيء بوردة إلى المنصور في مجلس من مجالس ألفه ، أول ظهور الورد ، فقال في الوقت أبو العلا صاعد يخاطب المنصور :

أتتك أبا عامر وردة يحاكي المسك أنفاسها

كعداء أبصرها مبصر فضطت بأكامها رأسها

فاستحسن المنصور ما جاء به ، وتابعه بعض الحاضرين ، فعسده أبو القاسم ابن العريف ، وكان حاضراً ، فقال : هي للمعباس بن الأحنف ، فناكره صاعد فقام ابن العريف إلى منزله ، ووضع أبياتاً وأثبتها في دفتر ، وأتى بها قبل افتراق المجلس وهي :

(١) تاريخ العلماء ١٣٥/١

(٢) تاريخ العلماء ١٣٥/١ ، معجم الأدباء ١٨٤/١٠

(٣) تاريخ العلماء ١٣٥/١

(٤) تاريخ العلماء ١٣٥/١

(٥) تاريخ العلماء ١٣٥/١ ، جذوة المقتبس ص ١٩٤ ، وقال فيه العميد

(كان مقدماً في الشعر) .

(٦) تاريخ العلماء ١٣٥/١ .

وهي :

عشوت الى قصر عباسية وقد بدّل النوم حراسها
فألغيتها وهي في غد رها وقد صرع السكر أناسها
فقلت أسار على هجمة فقلت بلى ، غرمت كاسها
ومدّت اليّ وردة كفها يحاكي لك المسك أنفاسها
كعدّ راها أبصرها مبصر ففعلت بأكامها راسها

قال : فخبيل صاعد ، وحلف ، فلم يقبل ، واغترق المجلس على أنه سرقها (١)

ولا بن الصريف عدة مؤلفات نحوية منها :

- ١ . الرد على أبي جعفر بن النحاس في كتابه الكافي (٢)
 - ٢ . رسالة في اعراب قولهم : (ان الضارب الشاتم والده كان زيدا) (٣)
 - ٣ . شرح كتاب الجمل للزجاجي (٤) .
- وتوفي ابن الصريف بطليطلة في غزاه الصابقة ، وذلك في رجب سنة
تسعين وثلثمائة ، ودفن بها (٥) .

(١) بخية الوعاة ص ٢٣٨ ، وانظر أخباره مع صاعد في معجم الادباء ١٠ / ١٨٦ -

١٨٧ ، وجملة المقتبس ص ١٩٥ .

(٢) معجم الادباء ١٠ / ١٨٣ ، وقال صاحب جملة المقتبس ص ١٩٤ : (وقد رأيته
له كتابا يشتمل على مسائل من النحو ، اذ ترين فيها على أبي جعفر احمد بن محمد
بن النحاس النحوي ، ذكرها أبو جعفر في كتابه المصروف بالكافي) .

(٣) حصلت على نسخة المخطوط الموجود ، بدار الكتب المصرية ، وسنتحدث عنه
فيما بعد .

(٤) حصلت على نسخة المخطوط الموجود بدار الكتب المصرية وسنتحدث عنه
فيما بعد .

(٥) تاريخ العلماء ١ / ١٣٥

شرح كتاب الجمل

لا يزال الكتاب مخطوطا ، ومنه نسخة محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٤٦٤ نسو ، وقد حصلت على نسخة المخطوط مصورة . والمخطوط يقع في (١٥٥) ورقة من المجلد الكبير ، ومكتوب بخط مقروء ، غير أنه مما يؤسف له أن هناك بعض الخرم في صفحاته . ويحسن ان يمكن عليه بعض الدارسين ، لتحقيقه ونشره ، لما في الكتاب من فوائد قيمة .

ونسبة الكتاب لابن المريف واضحة في أول ورقة حيث كتب عليها ((كتاب شرح الجمل لأبي القاسم بن المريف ، عفا الله عنه ، وقرله ، وكرمه ، وفسر لكاتبه ولوالديه ولبن نزار فيه))^(١) وأثنى أبو القاسم بن المريف على كتاب الجمل للزجاجي ثناء يباهر فيه إعجابه بالكتاب وبمناجيه قائلا : ((. . . أما بعد ، فلم أرى كتابا أغنى أمولا ، ولا أفصح فصولا من كتاب هو لأبي القاسم عبد الرحمن بن الزجاجي ، على صغر حجمه)) (٢)

ويباهر أن أبا القاسم بن المريف ، قد ألفه وقدمه ((للملك المنصور محمد بن أبي عامر المؤيد بالله ، أمير المؤمنين ، أدام الله أيامه ، وقرن بالسعادة أعلامه)) (٣) .

أجزاء المخطوط وأبوابه

قسم ابن المريف كتابه الى ستة عشر جزءا ، تضمنت الأبواب النحوية

التالية :

- | | | |
|-------|------------------|---|
| (١) | المخطوط - الورقة | ١ |
| (٢) | المخطوط الورقة | ٢ |
| (٣) | المخطوط الورقة | ٢ |

١٠ الجزء الأول : ص ١ - ١٤ ويتضمن مقدمة الكتاب ، وكلاما على معنى (بسم الله الرحمن الرحيم) ، واشتقاقه ، وإعرابه ، ويعنونه بقوله : ((القول في معنى بسم الله الرحمن الرحيم)) قال أبو القاسم : ((اعلم أن الأجدر أن نقتد تفسيرها عن اللفظ ، وأبعد أن يتقدم عن الأعراب ، وذلك إنما يكون في اللفظ ، فكأن اللفظ الذي هو حاصل الأعراب أجدر بالتقديم من الأعراب ، لأن الأعراب ملية اللفظ ، ثم وجد اللفظ موضوعا على المعاني فكانت المعاني (أولى) بالتقديم منه)) (١) . وهذا رأى جيد في الفرق بين الأعراب بالمعنى والأعراب بالتعريف ويستمر في مد يثنه عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم ، واشتقاقه ، وقراءته ، ويعرض لرأى النحاة الكوفيين والبصريين فيه ، ويخلص إلى ترجيح رأى الكوفيين في معناه ، وأما في اشتقاقه فيرجح رأى البصريين ، قال : ((وقول الكوفيين جيد في المعنى إلا في الاشتقاق ...)) (٢) .

ثم تحدث عن معنى القول ، وتقدم الفعل على الاسم ، قال : ((القول في معنى القول في لسان العرب ، وتقدم الفعل على الاسم ، اعلم أن القول في لسان العرب ، ما كان مسموعا مفهوما غير هادي ... أن الناطق إذا نطق بجزء من أجزاء القول ذهب وتلاشى وعدم ، فلا يوجد بعدها ألبة ، وقدّم الفعل على الاسم الذي هو أصله لتضمنه معنى الفائدة كتضمن المبتدأ من خبره ، لأن المنكور يدل على المعروف ، والمجهول على المعلوم ، كما يدل المبتدأ على الخبر ، والبهوهر ودهمي تدركه حاسة الفكر بتوسط العرض بينه وبينه ، فلما كان العرض داخلا على البهوهر قدّم الدليل على المدلول (٣) .

- | | | |
|-------|----------------|---|
| (١) | المخطوط الورقة | ٢ |
| (٢) | المخطوط الورقة | ٢ |
| (٣) | المخطوط الورقة | ٤ |

وقد دناه عد يشه عن اعراب (بسم الله الرحمن الرحيم) الى الحد يش عن بعض الأبواب النحوية ، وهو عد يش عابر ، أرسياً التثني في حين عرض الباب في مكانه المناسب من الكتاب ، ومن ذلك قوله في الاضافة : ((وشي على خمسة اقسام اضافة جنس ، وضافة نسب ، وضافة تنصيص ، وضافة بعرف جر ، وضافة ملئ)) (١)

وقال في اعراب كلمة ((صراط)) من قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم . .) : ((فالصراط الثاني بدل من الأول وسيأتي ذكره في موضعه ان شاء الله)) (٢) وتحدث عن الأسماء المنفوعة من الصرف ، وعلّة منعه ، وعن اسم الزجاجي ، وعن بدايات النحو ، وأسباب ونحوه ، ثم قسم الكلام ثلاثة أقسام ، موافقاً رأي من سبقوه في ذلك قال : ((وذكر بعضهم أن الكلام ينقسم ثلاثة اقسام : كلام متمكن من جهة ، وممتنع من أخرى نحو قولك : كل ذات انسان وليس كل انسان كاتب ، وكلام ممتنع من جهتين : نحو قولك كل عيوان موات ، وليس كل موات عيوان ، ولم يبق مقام آخر أعيد دمجها وكلام متمكن من جهتين تقولك : كل متفلس عيوان ، وليس كل عيوان متفلسس وذكر الرماني أن الكلام ينقسم على وجهين مفيد وغير مفيد ، والمفيد الاسم مع الاسم والفعل مع الفعل ، والا يفيد على أربعة أوجه : الفعل مع الفعل والحرف مع الحرف ، والحرف مع الاسم ، والفعل مع الحرف (٣) .

وتحدث في هذا المجال عن البوهر ، والعربي ، والقضية ، وتأنك تقرأ لأحد الفلاسفة أو المناطقة ، قال : ((وكذا لك بطل أن يقوم من الاسم والحرف قضية ، وكذا لك الفعل لا يتركب مع نفسه ، فلا تقول : خرج يدخل ، وبطلان هذا من جهتين : احدهما هو الوجه الذي بطل به تأليف الفعل مع نفسه ، وهو أن الفعل لا اسم معه ، أعني ، لا جوهر معه ، لا في القضية يوجد به ، والعرض أبداً انما يوجد مع الجوهر ، والا لم يكن موجوداً البتة ، فقد بطل من هذا الوجه . والوجه الثاني : أن الفعل الذي مع هذه القضية ليس معه شيء آخر ينطأه معه الحرف الناظم)) (٤)

- | | | |
|-------|----------------|---|
| (١) | المخطوط الورقة | ٥ |
| (٢) | المخطوط الورقة | ٥ |
| (٣) | المخطوط الورقة | ٨ |
| (٤) | المخطوط الورقة | ٩ |

ويرى أن تأليف الكلام ونظامه على ((ثلاثة أضرب : أحد هما يستغنم عن
فيه عن الفعل والحرف ، والثاني يستغنى فيه عن الحرف ، والثالث لا يستغنى
فيه عن الحرف)) (١) .

٢ . الجزء الثاني من ١٤ - ٢٠ ، وتناول فيه علامات الاعراب ، وفرق بين
العلامات والاعراب ، قال ((العلامات غير الاعراب ، والاعراب : البيان ، والمخني
أن الدركات الثلاث لما كان يجمعها الاسم الواحد ، وأردنا التثنية والجمع كانت
حروف اللين دالة عليها ، ومأخوذة منها)) (٢) .

وتحدث عن أول من وضع الشكل ، قال : ((وأول من وضع الشكل الضليل
بن أحمد ، وهو مأخوذ من صور الحروف ، فالضمة واو صغيرة ، وهي في أعلى
الحرف ، لئلا يلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء تحت الحرف ، والفتحة ألف
مباعدة فوق الحرف ، وجعل للحرف الساكن صورة الغاء بمعنى حرف خفيف .
وجعل للتشديد صورة الشين ، بمعنى حرف مشدد . وإن كان الحرف منوطاً
أتبعت كل شيء ما ذكرنا ، مثل خطه ، إن كانت نعمة نعمة ، أو فتحة فتحة . . .
والتنوين حرف ساكن ، وإنما لا يجعل له صورة في الخط ، لأنه زائد في الاسم
لا يثبت بدلول الألف واللام ، وأيضاً فإنه لو جعل له صورة في الخط لأشبهه
بالنون الأصلية ، نحو دون حسن وقرن . . . من أجل هذا لم يثبت له صورة
في الخط)) (٣) .

ووضع الحلاقة بين الشكل والمخني والبنية ، قال : ((الشكل ضابط ومحرز
لأوزان الأفعال والأسماء ، وتقييد لمعانيها)) (٤) .

- | | | |
|-------|----------------|----|
| (١) | المخطوط الورقة | ٦ |
| (٢) | المخطوط الورقة | ١٤ |
| (٣) | المخطوط الورقة | ١٥ |
| (٤) | المخطوط الورقة | ١٥ |

وعرض لحروف اللين في العربية ، وشمل هي اعراب أم علامات اعراب ، وذكر اختلاف النحاة في ذلك ، قال : ((وأما سيبويه والجرمي والكسائي ، فقالوا : هي حروف اعراب - أي الموضع الذي يلزم فيه الاعراب - لأن حكمه آخر الاسم ، وآخره ما هنا هي هذه الحروف لأنها تمام التثنية والجمع ، كالدال من زيد . وقال الأخفش والمازني ، وأبو العباس المبرد لا تكون اعرابا ، لأنه لا يكون اعرابا الا في حرف اعراب ، ولا تكون حروف اعراب لأنه لا يعلم الا اعراب بحرف الا اعراب معدا من الا اعراب ، والسامع يحلم بهذه الحروف الرفع من النصب والجر ، فهي دليل اعراب وقالت طائفة من النحويين هي اعراب لتبدلها ، والتبدل للاعراب لا للحرف ، والحبشة عليهم أن كل ما لا يحدته الا اعراب في حرف الا اعراب ، فله نظير يظهر فيه - ا اعراب ، كحبل . . . ورحا ، والتثنية والجمع على حد هما لانظير لهما (١) . ويرى أن الحركات الثلاث مأخوذة من حروف اللين والمد ، قال : ((والدليل على أخذ الحركات الثلاث من حروف اللين والمد ، أن هذه الحروف لها مخارج كمخارج الحروف ، تدل على أنها غير مركبة من شيء ، وأن الحركات مركبة منها ، وأيضا فان كل حركة منها مائلة عند اللفظ بها الى الحرف المأخوذة منه تلك الحركة)) (٢) .

وتحدث عن أيهما أسبق في الوضع : الحركة أم الحرف ، قال : ((واختلف النحويون وأهل النظر في الحركة والحرف ، أيهما قبل الآخر ، أولم يسبق أحدهما الآخر في قوة النطق ، قال جماعة : الحروف قبل الحركات ، واستدلوا على ذلك بعلم ، وقال قوم : الحروف بعد الحركات ، والحركات أول ، وقال قوم : الحروف والحركات لم يسبق أحدهما الآخر في الاستعمال بل استعمالا معا ،

(١) المصنوعة الورقة ١٥

(٢) المصنوعة الورقة ١٦

ونحن نذكر الحجة لكل فريق على وجه الاختصار ، ثم نبين الصحيح من الأقوال بعد استيفاء الحجة . فأما قول من قال : ان الحروف قبل الحركات فاستدل علو ذلك بحلل منها : أن الحروف تسكن ، وتتولد من الحركات ثم تتحرك بعد ذلك ، فصارت الحروف أولا ، ومنها حروف لا تتحرك ، فتستغني عن الحركات مثل حروف المد واللين ، ومنها أن الحركات لا تكون الا على الحروف ، ولا تكون حركة على غير حرف ، فصار الحرف المتحرك أكثر في كلام العرب من الساكن ، كما أن الحركة أكثر من السكون ، وانما كان الحرف المتحرك أكثر من الساكن ، لأنك لا تبدىء بساكن (.....) (١) .

وحلل عدم اعراب الاسم من أوله ووسطه ، قال : ((السلة المانحة أن لا يحرب الاسم من وسطه لانا نجد الاسماء الخمسة الممثلة المضافة (نحوهم ، أخ ، أب . .) التي تقدم القول فيها من حرفين لا وسط لها ، فوجب اعرابها من آخرها ، ان لا وسط لها ، و اعراب سائرهما خطأ عليها ، والمانع من اعراب الاسم من أوله لأن الاسم لا يقوم له معنى من أوله لأن اعرابه باجتماع حروفه وكماله ، وقد يسقط اول الاسم أيضا)) (٢) .

ونقل رأي الخليل في أقل الاضوات : ((قال الخليل : أقل الاضوات من حرفين ، ألا ترى أنك تنقر في الطست نقرة فيسمع طين متحرك وساكن ، فلا يكون صوت أقل من حرفين ، والأصل في (خم) قُوَّة من تفويت ، وجمعه أفواه ، ولمسا لم يجر أن يكون اسم على حرفين أحدهما حرف لين ، أبدلت الميم من الواو ، فاعتلت لام الفعل بسقوط الهاء)) (٣) .

- | | | |
|-------|-----------------|----|
| (١) | المخطوطة الورقة | ١٦ |
| (٢) | المخطوط الورقة | ١٦ |
| (٣) | المخطوطة الورقة | ١٧ |

٣ . الجزء الثالث من الورقة ٢٠ - ٣٣ ، وتحدث فيه عن الافعال ، والمعدّلف والبدل .

٤ . الجزء الرابع من الورقة ٣٣ - ٤٣ تحدث فيه عن المبتدأ والخبر .

٥ . الجزء الخامس من الورقة ٤٣ - ٥٤ عرّف فيه الاشتغال ، والحروف .

٦ . الجزء السادس ٥٤ - ٦٤ ذكر فيه القسم وحروفه .

٧ . الجزء السابع ٦٤ - ٧٣ تناول فيه التعجب ، والمدح والذم .

٨ . الجزء الثامن ٧٣ - ٨٤ تحدث فيه عن التنازع ، والمعدد ، وكم ،

ومنذ ، ومنذ ، وأنّ وأخواتها ، وكان وأخواتها ، والضمائر المتصلة والمنفصلة ،

وقال في ضمير الفعل : ((باب الفصل ويسميه الكوفيون الحما . . . الضرب تجعل

هو وهما وبن وبنم ، وأنت وأنتما وأنتن وأنتم فصلا . ومعنى الفصل عند الخليل

وسيبيويه أنه يفصل بين النعت والخبر ، لأنك لو قلت : كان زيد الطريق ، ووقفت

من غير اعراب لم يحلم السامع (وقوع الظريف) خبر ، وبماز أن يتوهم أنه نعت ، وأن

الخبر متوقع فإذا أجبت بهو ، علم أن الظريف خبر ، إذ ليس من شأن أن تفصل بين

النعت والمنصوت ، وإنما يكون الفصل بين معرفتين أو بين معرفة ونكرة تقارب المعرفة

فإن كانت نكرة محضة لم يجز لأنك لا توهم أن النكرة نعت للمعرفة ولكن ترفع بالا مبتدأ

أو الخبر)) (١)

وتحدث في هذا الجزء عن باب الاضافة ، وباب التاريخ وباب النداء .

٩ . الجزء التاسع الورقة ٨٤ - ٩٨ وتناول فيه باب الاستغاثة وباب الترغيم ،

وباب الندبة ، وباب المعرفة والنكرة وباب الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلية .

وباب الجزاء بالفاء .

- ١٠ - الجزء الحاشر الورقة ٩٨ - ١٠٥ تحدث فيه عن باب أفعال المقاربة
وباب العروف التي تجزم الأفعال المستقبلية ، وباب الأمر والنهي ، وباب ما يعجز
الجوابات ، وباب الجزاء (الشرط) وباب ما ينصرف وما لا ينصرف .
- ١١ - الجزء الحادي عشر الورقة ١٠٥ - ١١٤ ، ويتضمن باب أسماء القبائيل
والأحياء والبلدان ، وباب ما جاء من المعدول على فَعَّال ، وباب الاستثناء ،
وباب النفي بلا ، وباب ألف الاستفهام ، وباب التمييز ، وباب الاغراء .
- ١٢ - الجزء الثاني عشر الورقة ١١٤ - ١٢١ ويتضمن باب التصغير ، وباب
النسب ، وباب ألف الوصل والقطع ، وباب المصرب والمبني ، وباب الصغانية
- ١٣ - الجزء الثالث عشر الورقة ١٢١ - ١٢٩ ويتضمن باب الهجاء ، تحدث فيه
عن املاء بعض المفردات ، وباب أحكام الحمزة ، وباب ذكر المقصور والمدود .
- ١٤ - الجزء الرابع عشر الورقة ١٢٩ - ١٣٨ ، ويتضمن باب المذكر والمؤنث
وباب الأفعال المهموزة ، وباب أمس ، وباب أسماء الشاعلين والمفصولين وباب
الحروف التي ترفع ما بعدها بالابتداء ، وتسمى حروف الرفع ، باب ما ينتصب على
اضمار الفعل المتروك اظهره
- ١٥ - الجزء الخامس عشر الورقة ١٣٨ - ١٤٧ ويتضمن باب الوقف ، وباب مواضع
ما ، وهي تسعة ، وباب القول من الحكاية ، وباب ماذا ، وباب الجواب ، وباب
أم ولو ، وباب نون التوكيد الثقيلة ، والخفيفة ، وباب الصلات ، وباب الجمع
المكسر ، وباب معرفة أبنية أقل العدد ، باب جمع ما كان على أفصل ، باب
تكسير ما كان على فاعل . وباب تكسير ما كان على أربعة أحرف ، وباب بجمع
ما كان على فُصْلَة ، وباب جمع الجمع .
- ١٦ - الجزء السادس عشر الورقة ١٤٧ - ١٥٥ ويحتوي على باب أبنية
المصادر ، وباب اشتقاق أسماء المصادر والمكان ، وباب أبنية الأسماء ، وباب
ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر ، وباب الامالة ، وباب أبنية
الأفعال ، وباب التصريف ، والاعتلال والادغام .

منه

أعرب: أبو القاسم بن العريف عن منهجه في كتابه قال : ((وبينت علله) يقصد كتاب الجمل للزبياني) وقربت بحيد ه ، وألنت شريد ه ، وشرحت بيوت شعره وغريبه وأوضححت اعرابه ومعانيه ، وشاهد كل بيت فيه ، ومن قائله ، وماقبله وما بعده . . . ومعنى الشاهد فيه وتفسيره ، والعلة لدخوله ، بألفظ عبارة ، وأعلى اششارة ، وأضفت الى ذلك ماورد في معاني الأبيات من العجائبات والأخبار والكفايات للملك العالي المنصور محمد بن أبي عامر)) . (١)

والتزم ابن العريق بمنهجه الذي رسمه لنفسه ، حيث رتب أبواب كتابه
حسب ترتيب كتاب الجمل للزجاجي ، واعتنى بشواهد ، ونسبتها الى أصعابها ،
وشرح مفرداتها ومعانيها وذكر بحورها وما جرى فيها من أضرب العروض ، وتفسير
ما أتى عليه الشاهد ، وأعرابه ، واشتقاقه ، وغير ذلك ، ومن أمثلة ذلك قوله
في باب الاستشهاد على بدل النكرة من النكرة ((قال الشاعر وهو كثير عزة :

لقد عزّ صبري حين عزة أزمعت فراقني ، ونفسي يوم ولّت تولّت
وكنّت كذي رِجْلَيْن : رِجْل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وكنّت كذات الظلّ لما تحاملت على ظلّها بعد العثار استقلت
الشعر : من الطويل ، والضرب التام المقبوض ، والشاهد في البيت قوله : رِجْل
صحيحة وتفسير ما أتى عليه شاهد البيت أنه بدل النكرة من النكرة ، وهو بدل
اشتمال . والبدل : البيان ، وهو بدل الشيء بأشهر منه .

القول في المعنى: وذلك أن كثير عزة ضرب المثل لصد عزة ووصلها — ا ،
ووصف حاله معها فقال : أنا من هجرها ووصلها كذي رجلين احداشما صحيحة
والأخرى قد شلت ، ومعنى شلت : يبيست ، وقوله رمى فيها الزمان ، والزمان
حركة الفلك ، وتناهيها والحركة علة الزمان ، والزمان غير الحركة ، أي رمى
فيها بداهية ، والداهية : الأمر العظيم ، ومنه قول الآخر :

وكنت كذاي رَجُلَيْن : رَجُلٌ صَحِيحَةٌ ورَجُلٌ رَمَاهَا صَائِبُ الْعَدْثَانِ
والأصل في شَلَّ شَلَلٌ ، فَاسْتَثْقَلَ الْمُثْلَانِ ، فَأُدْغِمَتِ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ ، فَأَتَتْ
شَلَّ فِي الْمَاضِي ، وَيُشَلُّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، وَشَلَّاً فِي الْمَصْدَرِ ، وَلَا يَجُوزُ بِضَمِّ
الشَّيْنِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ .

القول في الإعراب : وذلك أنه جعل رَجُلًا بدلًا من رجلين ، وهذا بدل النكرة
من النكرة ، وقد يجوز أن يكون الثاني مرفوعاً على التبعية ، والقطع مما قبله على
الابتداء والخبر ، فتقول برجل صحيحة ، ورجل رمى فيها الزمان فشلت ، فيكون
المعنى أحدهما رجل صحيحة ، والأخرى رجل رمى فيها الزمان وكان : ففعل
ماضٍ والتاء رفع بكان ، وكذاي : مجرور ، رجلين : مضاف إليه . رجل : بدل نكرة
من نكرة . صحيحة : نعت ، ورجل : معطوف . رمى : فعل ماضٍ . فيها : مجرور
والزمان : فاعل . فشلت : فعل ماضٍ) (١)

والملاحظ أن الكتاب يغلب عليه الاستطراد ، ومزج النحو باللغة ، فعندما
يعرض لمعنى مفردة في شواهد الكتاب يطيل الحديث عنها ، كما لاحظنا سابقاً
ومنه أيضاً حديثه عن أسماء الخيل عند ما عرضت له كلمة المصلي ، قال : ((المصلي :
الذي يجيئ بعد السابق المتقدم ، لأنه يتلو السابق فتكون فيه عند صلوه ،
والصلوان من الفرس والبعير ما اكتنف الذنب عن يمين وشمال ، ويقال للسابق
الأول من الخيل المجلي ، والثاني المصلي والثالث المسلي ، والرابع التالي ،
والخامس : المرتاح ، والسادس : الحافظ ، والسابع : الخطي ، والثامن : المؤمسل ،
والتاسع : اللطيم ، والعاشر : السكيت) . (٢)

وقد يجره الحديث عن معنى الكلمة إلى التحدث عن أصلها مما يأثره عن
علماء اللغة عن طريق الرواية أو الأخذ عن الكتب ، ومنه حديثه عن ليس قال ((حكى
عن الخليل أن ليس كان أصلها لا أي بمعنى لا موجود ، فحذفت الهمزة من الألف
بين لا وأيس ،

فاجتمع ساكنان : الألف من لا ، والياء من أيس ، فحذفت الألف ، فأتى ليس ، وفعلوا ذلك حين أرادوا جعل الكلمتين كلمة واحدة ، كما قالوا : هلا ، فجعلوا هل ولا كلمة واحدة ، وكما فعلوا بلن لأن أصلها : لا وأن ، فلذلك نصبت الفحل المستقبل ، فحذفت الحمزة استثقالا ، وحذفت الألف من لا لسكونها ، وسكنون النون فبقيت لن (١) .

وابن العريف لا يكتفي بشواهد الزجاجي ، وإنما يُتبع الشاهد أبياتا أخرى من نفس القصيدة ، أو أبياتا أخرى دالة على المسألة النحوية التي جاء عليها الشاهد ، ويستشهد بآيات من القرآن الكريم ، وبعض الأحاديث النبوية وهو قليل (٢) .

ويحيل الى ذكر اللهيات في كتابه ، ومنه قال عن كلمة عشرة : ((وفيه لفتان ، إذا قلت ثلاث عشرة ، فأما بنو تميم فيقولون : عشرة ، فيفتحون الحين ويكسرون الشين من عشرة فيجعلونها بمنزلة كلمة (٠٠٠٠) (٣) . وقد يربط بين المصطلح النحوي ودلالة الصوتية والنفسية كمثال قولسه : ((فالندبة إنما هي تفجع ونوح من حزن وغم يلحق النادب على المندوب عند فقد ه ، فيدعوهم وإن كان يعلم أنه لا يجيب لزالة الشدة التي لعقته لفقد ه ، ولأن المندوب لا يسمع احتيج الى غاية بعد الصوت فألزموا أوله ياء أو واوا ، وآخره الألف لأنه أبعد الأصوات ، وإذا وقفت زدت الهاء لبيان الألف ، فإذا وصلت حذفتها من اللفظ فأمكن المد فوق اسم المندوب بين صوتين (٠٠٠) (٤) .

(١) المخطوط الورقة ٦٨

(٢) المخطوط الورقة ٤٨

(٣) المخطوط الورقة ٧٤

(٤) المخطوط الورقة ٩١

والكتاب يتضمن أخبارا وفلسفة وأدبا بجانب كونه كتابا نحويا بالدرجة الأولى ، وذلك أن القارئ يجدّه يتحدث عن مواضيع لا علاقة لها بالمادة النحوية ويفصل الحد يث فيها ، مما يجعل المادة النحوية أحيانا مقطعة غير مترابطة ومن ذلك حديثه عن وفاة الرسول في باب التأريخ بالعدد ، قال : ((الأصل في التأريخ شهر المحرم ، وكانت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخميس لتسع خلون من ربيع ، وبين الهجرة والمحرم على هذا الوجه شهران وتسعة أيام ، فلو أُرِخ من الهجرة يسقط من العام شهران. فوُرخ من المحرم لأنه أول العام وولد صلوات الله عليه يوم الاثنين لا ثني عشرة ليلة خلون من ربيع الأول عام الفيل مختونا ، مقطوع السرة ، وكان أصحاب الفيل قوما يعبدونه . . . وتوجه أميرهم الى هدم البيت لبينيه باليمن ، ويكون الحج عنده ، فنزلت عليهم طير الأبابيل ومحقتهم ، وفيهم نزل (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . . .)

وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لا ثني عشرة ليلة مضت من ربيع الأول لسنة إحدى عشرة من الهجرة . . . (١) ويستمر في حديثه عن وفاة الرسول ودفنه ، وبعد ذلك يعود الى حديثه عن التأريخ بالعدد قائلا : ((وانما أثبتوا الهاء لأن اليوم مذكر ، والليلة مؤنثة . . .) (٢) .
والكتاب مملوء بما اهتم به نحاة القرن الرابع الهجري ، أصحاب الاتجاه الفلسفي ، من قضايا ومساائل نحوية غريبة عن جسم النحو ، فتجده يتحدث عن العوامل والعلل والتأويل والخلافات النحوية وغير ذلك .

الحاصل

يرى ابن الصريف أن الفعل يعمل في الفاعل الرفع ، وأن الفاعل هو الذي أحدث الفعل ، أما الحرف ، فيعمل فقط ، ولا يُعمل فيه ، قال : ((لأن الاسم وضع ليُعمل فيه لا ليُعمل ، وأن الحرف وضع ليُعمل فيه ، وأن الفعل وضع ليُعمل فيه ، فأن الحرف والاسم طرفان متضادان ، الحرف عامل ، والاسم معمول فيه ، والفعل واسطة بينهما لأنه عامل)) (٣) .

(١) المخطوط الورقة ٧٨ (٢) المخطوط الورقة ٧٨

(٣) المخطوط الورقة ٩

ويقسم العوامل الى قسمين : لفظي ومعنوي ، قال : ((والابتداء ما كان مقطوعاً عما قبله ولم يتصلق به عامل لفظي ، والابتداء غير المبتدأ ، وهو معنى في النفس يرفع المبتدأ. والعامل ينقسم قسمين : عامل لفظي وعامل معنوي ، فالعامل اللفظي نحو ضرب ، وقام والعامل المعنوي هو في النفس كما ذكرنا . . . (١) .
والعوامل في رأيه سبب لحركات الاعراب ، وأدلة على ما يقصده القلب من المعاني ، قال : ((وإضافة الرفع والنصب والخفض الى العامل مجاز واتساع في الكلام ، لأن الرفع لا يخر الكلمة ، والرفع لها هو اللسان في الحقيقة . والعوامل أدلة على ما يقصده القلب من المعاني ، وانما نسبوا اليها الرفع والنصب والخفض لأنها سبب لذلك ، والعرب تحمل الشيء على الشيء اذا كان بسبب منه ، وتسمية الفاعل فاعلاً مجاز بالحركة العرضية في اللسان ، لا بذات الجواهر الى الجواهر وكذلك تسمية المفعول مفعولاً . . . (٢) .

الملحة

لا ينفك ابن العربي عن ذكر الملل النحوية لكثير من النواهل اللغوية التي عرض لها في أبواب كتابه ، فنراه يتحدث عن الملل الأولية (التعليمية) تارة وعن الملل الثانوية والثالثات تارة أخرى ، حديث النحوي الواعي المطالع على كثير من آراء النحويين في هذا المجال ، ومن ذلك حديثه عن علة رفع نائب الفاعل قال : ((رفع ما لم يسم فاعله لأربعة أوجه : أحدها أنه لما صنع له من الفعل ما انمقد به الكلام وتم ، ارتفع . والثاني أنه لما غير فعله ، وأذهب الفاعل ، قام المفعول مقامه ، فارتفع ، وقيل : إنه لما دل عليه اسمين ثقل فأعدي أثقل الحركات وهي النضمة ، فضم لذلك ، وقال سيبويه : انما يقدم الأشراف من الأسماء ، والذي لفائدة فيه ، وانما كان الغرض في الذكر ، المفعول .

(١) المخطوط الورقة ٣٤

(٢) المخطوط الورقة ١١٧

فصار لذلك أشرف من الفاعل ، وأعلم أن المفعول إذا لم يسم فاعله بمنزلة الفاعل
لأنه يرتفع كما يرتفع الفاعل ، ويكنى عنه كما يكنى عن الفاعل . وترفعه بالا بتسند^١
إذا تقدم قبل الفعل ، كما يرتفع الفاعل نحو زيد ضُربَ ، فيرتفع زيد بالا بتسند^١ ،
واسم مالم يسم فاعله مضمرفي ضُربَ كالفاعل ، وإنما كان كالفاعل لأنك تحدث
عنه كما تحدث عن الفاعل ، وليس في كلامهم الخروج من ضمة الي كسرة الا فسي
مالم يسم فاعله من الأفعال نحو ضُربَ . . وهو مستثقل قليل فأفرد به ههنا
البناء^١ (. . .) (١) .

ويلاحظ القارئ^١ للكتاب مدى تأثيره بالمصطلحات الفلسفية واللامية التي
تذهب به أحيانا الى لون من ألوان الصغاليات ، ولا علاقة للنحو بها . قال
ابن العريف : ((والأسماء تنقسم قسمين أوليين : أحدهما المتمكن والآخر غير
المتمكن ، والمتمكن ينقسم قسمين : أحدهما مستوفي التمكين ، ويسمى الأمكن
كما يسميه سيبويه لأنه أمكن من الآخر الذي هو ناقص عن التمكين ، وهو الذي لا ينصرف
فالأمكن هو ما يدخله الرفع والنصب والخفض والتنوين ، والمتمكن هو ما يدخله
الرفع والنصب ولا يدخله خفض ولا تنوين ، ويكون في موضع الخفض مفتوحا ، وذلك أنه
منع الجر لحلة ، والملل المانعة من الصرف تسعة وهي : وزن الفعل ، والصيغة
والتأنيث والتعريف ، والجمع الذي لا مثال له في الواحد ، والعدل والصيغة ، وزيادة
الألف والنون ، واسم من اسمين ، وإنما منعت هذه الملل الصرف لأنها فروع حادثة
دخلت على الاسم ، فأزالت عن الأصل ، والاسم له تمكن فلا يخرج عنه ذلك فرع
واحد حتى يكون به عين فوزن الفعل فرع من الاسم قبل الفعل ، لأنه محدثه
والفعل حادث ، فوزنه حادث والصفة فرع لأن المذكر قبل المؤنث ، ألا ترى أن الشيء
مذكر ، وهو يقع على كل ما يخبر عنه ، وأكثر المؤنث بعلامة والشيء بالزيادة
قبله ،

فالزيادة والتعريف فرع حادث لأن النكرة قبل المعرفة ، لأنه إنما يتصرف بأشياء مختلفة ، والجمع فرع لأن الواحد قبل الجمع ، والواحد أصل العدد ، والجمع مركب منه ، قال اقليدس الحكيم : (والعدد هو الكثرة المركبة من الآحاد) ، وأثقل الجموع الذي لا مثال له في الواحد لبعده عن مثال الأصل ، والعدل فرع لأن عدلك إياه هو إزالته عن الأصل والمجعة فرع داخل في اللغة العربية ، وحادث فيها ودخل عليها ، ولحقوق الزيادة فرع كما ذكرنا ، لأن الشيء بلا زيادة قبيل الزيادة ، وجعل الاسمين واحداً فرع لأنه تركيب والمفرد قبل المركب . وأصل كل اسم أن يكون مفرداً بمسماه . يفصله من غيره ، فهذه الفروع إن دخل فيها اثنان فصاعداً على اسم آخر جاءه عن أصله ، وأصل جميع الأشياء التمكن والانصراف ولذلك يجوز للشاعر صرف ما لا ينصرف لأنه عند الضرورة يردّه إلى أصله ، فلما خرج الاسم عن أصله انحط عن منزلته ، وانخفض إلى منزلة الأفعال فزارعها بحلوله في منزلتها ، فمنع ما يمنع الأفعال وهو الخفض والتنوين . (١) .

ولعل أسباب المنع من الصرف صوتية لا علاقة لها بالأصل والفرع كما رآه

ابن العريف

التأويل

عرض ابن العريف لبعض صور التأويل ، وسنتحدث عنها في معرض حديثنا عن منهجهم في التأويل في الفصل القادم . والملاحظ عليه أنه اهتم بتأويلات النحاة ونقلها في (كتاب شرح الجمل) ، وأخذ ببعضها ورفض الآخر .

وإذا كان التأويل بعيداً غير مستساغ نبيه إليه ، واستبعده ، قال :

((وإذا أجبتم بعد الجواب بفعل مهطوف كان لك فيه ثلاثة أوجه ، قال أبو القاسم : فالجزم مهطوف على الفعل ، والآخر أن يحمل الفعل للأول على معنى الاسم ، بتقدير أن يكون اثبات ، ثم تضم الفعل الآخر ، لأنها تصير الفعل اسماً .

والجزم أحسن إلا أن العطف على اللفظ أحسن منه على المعنى ، وإذا نصبت فهو تأويل بعيد لا تحوج إليه ضرورة ، وهو جائز (١) •

الخلافا النحوى

تضمن الكتاب كثيرا من صور الخلافا النحوى ، ويمكن أن تستخلص الخلافات النحوية منه ، ويصنف بها كتاب خاص يصلح أن يكون عنوانه (الخلافات النحوية) ومن أمثلة ذلك ، قال أبو القاسم بن المريف : ((واختلف النحويون في المصدر ان كان مأخوذا من الفعل ، أو الفعل من المصدر ، فالكوفيون جميعا فيما عرفنا يخالفون البصريين ويقولون : المصدر مأخوذ من الفعل ، ولا يجوز عندهم أن يكون الفعل مأخوذا من المصدر ، واحتج أبو العباس أحمد بن يحيى على البصريين فقال : الدليل على أن المصدر مأخوذ من الفعل أنه يحتل باعتلاله . قال ومن الدليل أيضا أن المصدر يكون توكيدا للفعل ، وقد أجمعنا نحن والبصريون على أن التوكيد بحسب المؤكد وقد وجب وصح أن المصدر بعد الفعل . قال أبو جعفر (به النحاس) وهذا الاحتجاج لا يلزم البصريين شىء منه ، وأما قوله : ان المصدر يحتل باعتلال الفعل ، فانما قالوه تقريبا على المتعلم ، لأن الفعل ينصرف ، والاعتلال فيه بئس (٢) وفي نهاية حديثه عن هذه القضية قال : ((والاختيار عندى قول البصريين : ان الفعل مأخوذ من المصدر ، لأن المصدر على قول الكوفيين ان أخذ من الفعل الماضي ، فكيف يؤخذ من شىء قد ذهب وتقضى وتلاشى ؟ فان أخذ من المستقبل فكيف يؤخذ مما لم يأت ، والحال لا وجود له ؟)) . (٣) •

ويعرض لخلافات النحويين في بعض القراءات ، ومن ذلك الوقوف على التاء الداخلة على كلمة أب في النداء ، قال ابن المريف : ((قال الله عز وجل (ياأبت لاتعبدوا الشيطان) والوقوف عليها عند البصريين بالهاء يائنه ، لأنها علامة تأنيث ، والكوفيون يقفون بالتاء ، لأنها عوى عن اليا ، فيقولون : يائت) . (٤)

السمع والقياس

وموقفه من قضية السماع والقياس هو موقف البصريين ، ويظهر هذا واضحا في كتابه ، فعندما يتعارض المروي المسموع مع القاعدة النعوية ، يشير اليه ، على عادة النحاة السابقين بمثل قوله : ((التعبير عن النسب على ضربين : أحدهما مطرد قياسه ، والآخرا لا يطرد قياسه ، ويأتي شاذا يسمع سماعا)) . (١) وبمثل قوله : ((وهذا شاذ ، والشاذ يعكس ولا يقاس عليه)) (٢) .

وأما مصادره فكانت على ضربين : الرواية ، والكتب فقد اعتمد على جملة علماء المشرق من نحويين ولفويين ، بصريين أمثال الخليل وسيبويه والمبرد ، وأبي الحسن الأخفش ، وكوفيين أمثال الغراء وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب وغيرهم) .

وعلى ابن النحاس من المصري . كما اعتمد في أخباره على الرواية المنقولة عن بعض علماء الحديث والتفسير أمثال مالك وابن مجاهد وعطاء وغيرهم . وابن الصريف يكثر من الاعتماد على كتاب سيبويه ، ويميل الى رأيه في كثير من المسائل النعوية ومنه : ((الجواب بالفاء منصوب في ستة أشياء وهي الأمر والنهي ولا استفهام والجحود والعرض ، والتضيي ، قال أبو القاسم : مذهب سيبويه أن الناصب للجواب أن مضمرة ، ومذهب الجرمي أن الفاء هي الناصبة ، والرد عليه قول سيبويه ، ولو كانت الفاء هي الناصبة لأدخلت عليها الفاء والواو للمطف ، ولكنها كسخت في الأضمار ألا ترى أن واو القسم لما كانت هي الخافضة مكان الباء جاز أن يدخل عليها حروف الخفض ، وهو والله ، ووالله ، ثم والله ، وهذه الأجوبة كلها ، إذا حذف منها الفاء جزمتهامضارة حروف الجزاء فإذا دخلت الفاء على فعل مستقبل ، وكان جوابا لشيء من هذا كان منصوبا تقولك زرنني فأحسن إليك)) . (٣)

(١) المخطوط الورقة ١١٥

(٢) المخطوط الورقة ٤٦

(٣) المخطوط الورقة ٩٤

ومع ذلك لا تدوب شخصية ابن الصريف في آراء من ينقل عنهم ، بل نراه يرجع
بمضى الآراء بمثل قوله : ((وهذا القول هو أحسن عندي)) . (١) وبمثل قولــــه :
((والا اختيار عندي كذا . . .)) . وقوله : ((وإذا كان اسم الفاعل بمعنى الحال أو
الاستقبال ، كان لك فيه وجهان : أحدهما - وهو الأول - أن تتوونه وتنصب ما بعده
(٢) . ومنه قوله في اعراب هذا ومخصوصها : ((فحذا فعل ما غر ، وزيد : رفع بحذا
وزعم قوم أن زيدا ابتداء ، وحذا غيره ، والأول أحسن)) (٣) .

xxxxxxxxxx

مخطوط رسالة في اعراب قولهم : ((ان الضارب الشاتم والده كان زيدا))

=====

ومما يدل على اتساع ثقافة ابن الصريف ، وولعه بتعدد وجوه الاعراب للمسألة
الواحدة ، الرسالة التي وضعها لأبناء المنصور بن أبي عامر عندما كان يؤد بهم وقد
حصلت على نسخة من المخطوطة مصورة في دار الكتب المصرية بعنوان (مسألة غريبة
فيها ثمنثة وخمسة وعشرون وجهاً لأبي القاسم الحسين بن الوليد بن نصر
المصروف بابن الصريف : ((ان الضارب الشاتم والده كان زيدا)) (٤) .

(١) المخطوط الورقة ٢ (٢) المخطوط الورقة ٥٨

(٣) المخطوط الورقة ٦٩

(٤) المخطوط الورقة ١ ، وقد وهم صاحب بغية الوعاة فنسبها الى الحسين
بن الوليد بن نصر قال في ترجمته : ((قلت وضع لولد أبي عامر المنصور مسألة فيها
من العربية مئتا ألف وجه واثان وسبعون ألف وجه ، وثمانية وتسعون وجهاً))
ص ٢٣٠ ، ولحل في هذا الرقم وهما خطأً بينا . وقد توفي الحسن هذا بمصر
سنة ٣٦٧ هـ ، وكان الحسين أكثر ملازمة للمنصور وتأديباً لأبنائه .

ومن وجوه الاعراب التي قال بها ابن العريف في هذه المسألة : ((يجوز
أن تنصب الضارب بأن والشاتم بالضارب ، ووالده بالشافم ، وزيدا خبر كان ، وفي
كان ضمير يعود الى الضارب ، وهو اسم كان ، وكان وما عملت فيه خبر إن .
ويجوز أن ترفع الوالد بالشافم ، كأنك قلت إن الضارب الرجل الذي شتم
والده ، فلك أن تقدر شتم ، وتكون الهاء التي في والده تعود على الألف واللام اللتين
في الشاتم ، والضمير الذي في الشاتم يعود على الألف واللام اللتين في الضارب .
ويجوز أن ترفع الوالد بالا بتداء ، وقولك كان زيدا خبره .
ويجوز أن ترفعه بالا بتداء ، وخبره محذوف ، كأنك قلت : والده هو . ويجوز أن
تنصبه باضمار أعني . فهذه ستة أوجه .
ويجوز مكان كل وجه منها أن تغيّر فتوقع أن على هاء محذوفة ، وترفع الضارب بالا بتداء
ويكون في ما جاء بعده خبره ، وتكون الجملة خبر إن .
ويجوز أيضا مكان كل وجه منها أن تغيّر فتوقع الضارب بالا بتداء ، وما جاء بعده تمام
صلته خبره ، فيكون كان بمعنى أجل لا خبرها .
ويجوز أن ترفع الضارب بأن ، وما بعده كان خبرها في موضع نصب على مذنب المبرد
فهذه ثلاثون وجهاً : ستة : الضارب فيها مرفوع بالا بتداء ، وأن بمعنى (منروم)
وسبعة : الضارب فيها مرفوع بالا بتداء ، وأن واقعة على هاء محذوفة ، وستة الضارب
فيها مرفوع بالا بتداء ، وأن بمعنى (مخروم) . . . وأن تصيّر الشاتم نعتا للضارب
ويجوز مكان كل وجه أن تغيّر فتصيّر الشاتم بدلا من الضارب ، ويجوز مكان كل
وجه أن تنصب الشاتم باضمار أعني ، ويجوز مكان كل وجه أن ترفع الشاتم بالا بتداء
وخبره محذوف . ويجوز مكان كل وجه أن ترفع الشاتم على أنه خبر ابتداء محذوف
كأنك قلت : هو الشاتم ويجوز أن ترفع الشاتم بالضارب ، وتقدر هاء محذوفة . . .) (١)

ويستمر في تقليب المسألة على وجوه الأعراب المحتلطة ، وهو لون من ألوان الترف الذهني في معالجة بعض القضايا أو المسائل النحوية ، ولا حاجة للمتعلمين اليه ، بحيث يقول : ((وفي المكان الذي ترفع فيه الوالد ، وتنصبه باضمار أعني بعده مستان وأربعون وجهها : ثلاثون : الشاتم فيها منصوب بالضارب ، وثلاثون الشاتم فيها خبر لمبتدأ محذوف ، وثلاثون الشاتم فيها مرفوع بالا بتداء ، وخبره فيما بعده من الكلام ٠٠٠)) (١)

ويجوز مكان كل وجه من المثنيتين والأربعين أن تنصب زيدا مكان ، وتوقع كان على ها^١ محذوفة كأنك قلت كان زيد ا . . . ويجوز مكان كل وجه أن تلغي كان فذلك سبعة وعشرون وجهها ، مستان وأربعون : زيد فيها منصوب بكان ، ومثنتان وأربعون زيد فيها مرفوع بكان ، ومثنتان وأربعون ملغاة . ويجوز أن تنصب الضارب بأن ، والشاطم بالضارب ، ووالده بكان وتجعل في كان ضميرا يعود على الضارب ، وهو مرفوع بكان ، والجملة خبر إن ، وزيد بدل من ذلك الضمير ، ويجوز أن تخفضه على البدل من الها^٢ التي في والده . ويجوز أن تنصبه على البدل من الوالد ، ويجوز أن تبدله من الشاتم . . . ويجوز أن تبدله من الضارب ، . . . ويجوز أن تعطفه على الوالد عطاف البيان . ويجوز أن تعطفه على الشاتم ويجوز أن تعطفه على الضارب . ويجوز أن تنصبه باضمار أعني . ويجوز أن ترفعه بالا بتداء ، وخبره محذوف ، وكأنك قلت : زيد هو ، ويجوز أن ترفعه (على) أنه خبر ابتداء محذوف كأنك قلت : هو زيد . ويجوز أن تضمه بلا تنوين فيكون ندا^٣ مقدرا . فهذه اثنا عشر وجهها ٠٠٠ (٢) .

وخلاصة القول أن ابن الحريف نحوي أندلسي ، واسع الاطلاع ، وإذا ما قارنا كتابه (شرح الجمل للزجاجي) بكتاب (الواضح) للزبيدي ، نجد أنه قد اعتمد طريقة مخالفة لاستاذة الزبيدي ،

استمد أسلوبها من نحاة المشرق ، فألم بالمسائل النحوية ، من علل وخلافات نحوية ، وعوامل وتأويلات ، وذكر آراء النحاة فيها ، وقابلها مع بعضها وكانت له مواقف منها ، وهي مواقف في أغلبها مؤيدة لآراء البصريين النحوية ورغم أن كتابه جاء شرحاً لكتاب (الجمل للزجاجي) الذي يغلب عليه الأسلوب التعليمي ، فقد ملأه بقضايا نحوية كثيرة زادت حجم الكتاب وكان بعضها للمفالمات الفلسفية والمنطقية أقرب منه للنحو .

نحواة آخرى

استمر الدرس النحوي في الأندلس يحظى بعناية فائقة نظراً لاهتمام الحكام بتنشيط الحركة الثقافية، ولحاجة القوم إليه، ولتضافر المواصل الداخلية والخارجية الانتفاة الذكر . وأدت جهود علماء النحوي الأندلس، أمثال القالي والرباحي وأبي بكر الزبيدي وابن القوطية وغيرهم إلى تكوين طبقة من التلاميذ يعتبرون حلقة الوصل بين علماء القرن الرابع والخامس الهجريين، ومن هؤلاء التلاميذ من اقتصر جهده على التأديب والتدريس، ومنهم من جرح بين التأديب والتأليف، وأشهرهم : ١- محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن معاوية القرشي المعروف بالمصنوع (ت ٣٧٣هـ) ، وهو من أهل قرطبة، أخذ عن أبي علي القالي وغيره، وكان ثقة، يظلب عليه علم اللغة وقد ساعد في استخراج المقصور والممدود من الرفع والمكسور، وورق تصانيف القالي (١) .

٢- أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي (ت ٣٧٧هـ) من أهل قرطبة، (روى عن أبي علي القالي، وأبني عبد الله الرباحي وغيرهما من رؤساء الأدب، وكان من أهل السلم بعنوف من السلم، كثير الكتب بخطه، لم يجاره أحد في صحة ضبطه، وحسن نقله) (٢) .

٣- خلف بن سليمان بن عمرو البزاز (ت ٣٧٨هـ) كان نحويًا لغويًا شاعرًا، كتب عن القالي، وأبني بكر محمد بن معاوية القرشي (٣) .

٤- أحمد بن أبان بن سيّد (ت ٣٨٢هـ) أخذ عن القالي كبيه، والمؤلفات التي رواها أو جلبها معه، ومنها : كتاب البهسي في النحو للفرّاء (٤) ، وكتاب التذكير والتأنيث لابني بكر بن الانباري وغيرهما .

١- انظر تاريخ العلماء ٨٧/٢ - ٨٨ - السلسلة ٤٧٧/٢

٢- تاريخ العلماء ١٦٣/١ - فهرسة ابن خير ص ٣١١ .

كثير (١) ، وحدث أحمد بن إسمان ((كتاب الكامل عن سديد بن جابر، وكان مقتنيا بالآداب واللغات ورايتها وتصنيفها مقدما في معرفتها واتقانها، وكان مطلق القلم بالتصنيف (٢) ، ومن تصانيفه كتاب "العالم" بفتح اللام في اللغزة، بمئة جلد على الأجناس، وكتاب "العالم والتعلم" في النحو، وكتاب شرح الألفاظ في النحوى (٣) . ولم يعمل إلينا منهما شي .

٦- محمد بن عاصم النحوى، أبو عبد الله (ت ٣٨٨هـ) ((نحوي مشهور، اقام في الصربية، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، وقال : ((كان لا يقصر عن أصحاب محمد بن يزيد المبرد) (٤) .

٧- محمد بن أفلح (ت ٣٨٥هـ) ((سمع بقرطبة من اسماعيل بن القاسم البغدادي، ومحمد بن عمر بن القوطيصة وغيرهما، كان بصيرا بالنحو، حافظا للغة، توفي سنة ٣٨٥هـ وشوا ابن ثمان وأربعين سنة) (٥) .

٨- عبيد الله بن فرج الطوطي، أبو مروان (٣٢٤-٣٨٦هـ)، كان نحويا مشهورا روى عن أبي علي القالي، وأبي عبد الله الرياحي وابن القوطيصة، وتحقق بالآداب واللغة، وتوفي بذلك كله) (٦) .

٩- عبد السلام بن السج الهواري (٣٠٣-٣٨٧هـ) كانت له رحلة إلى المشرق، سمع بمكة من ابن الأعرابي، وبصر من أبي جعفر بن النحاس، وأبي علي الأمدى اللنوي، والعباس بن أحمد الأزدي وجماعة صواعم (٧) . وقال فيسه ابن النرضي : ((قرأت عليه نوادر علي بن عبد العزيز، ولم يكن عند أحد من شيوخنا سواء، وقرأت عليه كتاب لابن أبيات السبيويه، تأليف ابن النحاس، وكتاب الكافي في النحو وغير ذلك كثير) (٨) .

١٠- عبد الله بن شعيب (ت ٣٨٦هـ)، سمع بقرطبة من أبي علي البغدادي، وأبي بكر بن القوطيصة (٩) .

-
- ١- بغية الرعاة ص ١٧٠، أنباء الرواة ١/ ٣٠ - ٣١ .
 - ٢- أنباء الرواة ١/ ٣١ .
 - ٣- جذوة المقتبس ص ٤٠ . أنباء الرواة ١/ ٣١ .
 - ٤- أنباء الرواة ٣/ ١٩٧، الصلة ٢/ ٤٧٨، جذوة المقتبس ص ٧٦- ٨٠ . بغية الرعاة ص ٤٠ .
 - ٥- تاريخ السلا ١١/ ٢ .
 - ٦- أنباء الرواة ٢/ ١٥٣، الصلة ١/ ٣٠٠ .
 - ٧- تاريخ السلا ١/ ٣٣٣ .
 - ٨- تاريخ السلا ١/ ٢٨٧ .
 - ٩- تاريخ السلا ١/ ٢٨٧ .

١١ - محمد بن خطاب، أبو عبد الله النحوي ((كان من الأدباء المشهورين والنحاة المذكورين، وكان يختلف إليه في علم العربية أولاد الأكابر وذوي الحلالة، وكان له شعر مأثور . كان قبل الارتساعة)) (١) .

١٢ - محمد بن عطاء الله النحوي القرطبي أبو عبد الله ((أخذ عن أبي بكر الزبيدي، وكان بصيراً بالنحو، تقدم فيه، وهو الغالب عليه، وله يد لطيفة في الاستاذية والتفهيم . وتوفي رحمه الله في بعض مدائن الثغر في بعض غزوات المظفر عبد الملك بن أبي عامر - وكان غازياً معه فيها - سنة أربع وتسعين وثلاثمائة أو نحوها)) (٢) .

١٣ - أحمد بن عبد العزيز بن الفرج بن أبي الخطاب، أبو عمر (ت ٤٠٠هـ) القرطبي النحوي، ((من أهل العربية والأدب . كان أستاذاً مقدماً لأفادته هذا الشأن، وكان من نحاة الدولة العمارية)) (٣) . أخذ عن القاضي، وكان (آية من آيات ربه متفنناً في غروب علم اللسان ^{إذا} وفاءه في ذلك وجدته يقظاً عالماً وكان شديد الحفظ للغة، بصيراً بالعربية، حسن الأيراد لما يحمله، وكان معلم المظفر عبد الملك بن أبي عامر)) (٤) . وروى عن شيخه القاضي مؤلفات عدة، ذكرنا ابن خير، منها : كتاب فعلت وأفعلت لأبي اسحاق الزجاج، وكتاب المقصور والمدود لأبي علي القاضي (٥) .

١ - انوار بغية الملتبس ص ٧٤، انباه الرواة ٢٤٠/٣، بغية الرواة ص ٤٠، مجذرة المقتبس ص ٥٤

٢ - انباه الرواة ١٦٨/٣

٣ - انباه الرواة ٣٧/١ - ٣٨

٤ - الصلة ١٥٤/١

٥ - فهرسة ابن خير في صفحات متفرقة ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٨٨، ٣٨٩ .

- ١٤- عبد الملك بن طريف، أبو صرمان القرطبي . ((أخذ عن أبي بكر بن القوطيسبة
 وغيره، وكان حسن التصرف في المذنبه أصلاً في تهذيبها . وله كتاب حسن في الأفعال،
 وشو كثير بأيدي الناس، هذب فيه أفعال ابن القوطيسبة شيخه، وتوفي نحو الأربعمائة
 ((١) . وقال فيه الحميدي : ((ابن طريف نحوي مشهور، زاد في كتاب الأفعال
 لمحمد بن عمر بن القوطيسبة زيادات استفيدت منه، وأخذت عنه . ((٢) .
- ١٥- أبو القاسم محمد بن أحمد بن ممالك المقيلي (ت ٤٠٠هـ) ، ((روى عن القالي ،
 وكان مقدماً في علم العربية، والبعر بهاني الشعر، جميل الطريقة، يعلم العربية) .
- ١٦- أبو عثمان سعيد بن عثمان بن أبي سميد اللغوي، يعرف بأبي القزاز (ت ٤٠٠هـ)
 من أهل قرطبة، وروى عن القالي ، ((وكان من أهل الأدب البار، مقدماً فيه لغويًا،
 حافظاً للغة والعربية، حسن القيام بها، ضابطاً لكتبه، متقناً في نقله . . . كان من
 أصحاب أبي علي البغدادي، ومن طريقه سمعت اللغة بالاندلس بعد القالي ، ومن
 طريقته ابن أبي الحباب، وأبي بكر بن الزبيدي) . ((٤) .
- ١٧- محمد بن أصبغ النحوي الضريع . ((من أهل قرطبة يعرف بدريود، تقدم في صناعة
 السريسة، وله شرح في نحو الكسائي في ستة أجزاء، حبل عنه وسبح منه، وكان
 الخليفة بقرطبة قد نقله إلى الزهراء، وأنزل في داره، كان يقدم للسامعين فيها ((٥) .
- ١٨- سعيد بن محمد بن شعيب بن أحمد بن نصر الله، روى عن القالي ، وأبي بكر الزبيدي
 وكان ((شيخاً صالحاً من أئمة أهل القرآن، عالماً بهانيه وقراءاته، عالماً بفنون العربية
 مقدماً في ذلك كله) . ((٦) .
- ١٩- حبيب بن أحمد المعروف بالشطجيري (٣٢٤-٤٠٤هـ) أخذ عن القالي ، وأبي
 بكر بن القوطيسبة وغيرهما ((٧) .

١- انباه الرواة ٢/ ٢٠٨، بغية النواة ص ٣١٣، كشف الظنون ١٣٩٤

٢- جذوة القتبس ص ٤٠٦، وانظر فهرسة ابن خير ص ٣٥٦ .

٣- السلسلة ٢/ ٤٨٥

٤- السلسلة ١/ ٢٠٩- ٢١٠

٥- التكملة ١/ ٣٦٦

٦- السلسلة ١/ ١٥٤

(٢٤٠)

٢٠- هارون بن موسى بن صالح بن جندل الأديب النحوي القرطبي أبو نصر (ت ٤٠١ هـ) (١) . (أصله من مجريط ، سجع بن أبي علي التالي البغدادي وغيره . كان رجلاً صالحاً ، صحيح الأديب ، يختلف اليه الأحداث ووجوه الناس في طلب العلم ، وله تصنيف في تفسير عيون كتاب سيبويه) (٢) .

٢١- القاضي أبو أيوب سليمان بن خلف بن عمرو السروفي بابل نزيل (٣٣٤-٤٠٨ هـ) روى عن التالي مؤلفات عدة منها : كتاب الزاهر لابن الأنباري ، وكتاب المهجز ، وكتاب المصادر ، واللغات والمقتضب وغيره) (٣) .

٢٢- مروان بن أحمد بن عبد العزيز (ت ٤٠١ هـ) (يكنى أبا عبد الملك ، روى عن أبيه ، وكان أديباً نحويًا ، يسلم العربية ، وتوفي في ذي القعدة سنة احدى وأربعمائة ، ذكره أبو حيان مؤرخ الأندلس) (٤) .

٢٣- اسماعيل بن سيدة والد أبي الحسن بن سيدة ((لقي أبا بكر الزبيدي ، وأخذ عنه مختصر الحين ، وكان من النحاة ومن أهل المهرسة والذكاء ، وتوفي بعد الأربعمائة بمدة)) (٥) .

٢٤- سلمة بن سعد اللسه النحوي من أهل ترطبة ، روى عن (أبي الحسن الأنطاكي ، وأبي بكر الزبيدي ، ومحمد بن يحيى السراجي ، ومحمد بن أصبغ النحوي ، وكان مشهوراً بعرفة الأديب ٠٠٠٠) (٦) .

٢٥- عبد الله بن محمد بن وليد النحوي ((كان من أهل العلم بالعربية واللغة ، متحققاً بها ، بارعاً فيها ، مع وقار مجلس ، ونزاهة نفس ، وكان قد شرع في شرح كتاب الواضع للزبيدي ، فبلغ منه نحو النصف ، وتوفي قبل إكماله ، وله كلام على أصول النحو ، ذكر عنه أنه كان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يوماً)) (٧) .

١- انباه الرواة ٣/٣٦٢ - ٣٦٣ ٢- انباه الرواة ٣/٣٦٢

٣- فهرسة ابن خير ص ٣٤١ ، ٣٧١ ، وانظر (أبو علي القالي ص ١٧٥)

٤- انباه الرواة ٣/٢٦١ ٥- الملة ١/١٠٥

٦- الملة ١/٢٢٥-٢٢٦ ٧- الملة ١/٢٦٠

- ٢٦- معاذ بن عبد الله بن طاهر البلوي، أبو عمر النحوي، اللخوي (٣٤٢-٤١٨هـ) أخذ عن أبي بكر بن القوطيصة والرياحي وغيرهما. وكان عالماً باللغة والعربية (١).
- ٢٧- سعيد بن معاوية بن عبد الجبار النحوي (ت ٤٢١هـ) (كان يعلم العربية واللغة والأشعار، ويؤخذ عنه. أخذ كذلك عن ابن السريفة وغيره، وتوفي سنة ٤٢١هـ، وهو ابن أربع وستين سنة) (٢).
- ٢٨- علي بن محمد بن عبد الله (كان من أهل السلم بالقرآن، والفقه، والعربية، وكانت فنون العربية أغلب عليه. توفي سنة ٤٢٢هـ حريصة وولد سنة ٣٦٧هـ) (٣).
- ٢٩- يوسف بن ورز بن خيران، السكوني (ت ٤٢٤هـ)، (كان بارعاً في الآداب والترسل عالماً بالعربية، حسن الخط، أخذ عن أبي بكر الزبيدي، وابن أبي الحباب) (٤).
- ٣٠- أحمد بن عبد الله بن أحمد بن طريف (ت ٤٣٢هـ)، كان (نحويًا، فاضلاً، أديبًا، لغويًا، وله تصنيف في الأفعال، واختلاف الناس في ذلك القطر إليه، واستفادوا منه) (٥).
- ٣١- يونس بن عبد الله بن مغيث، أبو الوليد، يعرف بابن الصغار (٣٣٨-٤٢٩هـ) روى عن مجموعة من العلماء منهم: أبو بكر القوطيصة، وأبو بكر الزبيدي، وكان من أهل السلم بالحديث والفقه، كثير الرواية عن الشيخ، وافر الحظ من علم اللغة والسريسة. (٦).
- ٣٢- سعيد بن عبد الله بن دحيم الأزدي النحوي (ت ٤٢٩هـ)، (كان عالماً بالنحو إماماً في كتاب سيبويه، ذا حظ وافر من علم اللغة، شيوخه في ذلك أبو نصر غارون بن موسى، ومحمد بن عاصم، وابن الحباب وغيرهم) (٧).

١- انباء الرواة ٢٨٨/٣	٢- الصلاة ٢١٧/١
٣- الصلاة ٤١٤/٢	٤- الصلاة ٦٧٥/٢ - ٦٧٦
٥- انباء الرواة ٨٣/١ - ٧٧/١	٦- الصلاة ٦٨٤/٢ - ٦٨٥
٧- الصلاة ٢٢٠/١ - ٢٢١	

٣٣- مسلم بن أحمد بن أفلح النحوي القرطبي، وأبو بكر (٣٤٦-٤٢٣ هـ) (١) كان
((بارعا متقدما في علم العربية واللغة ٠٠٠٠ وكان لتلاميذه كالأب الشفيق)) (٢)
أخذ عن أبي الحباب النحوي (٣)

٣٤- محمد بن إبراهيم بن خلف اللخمي أبو عبد الله المعروف بابن زرقة (٣٦٨-
٤٣٥ هـ) ((أندلسي من أهل النحر والأدب، والمصنفين بأحكامه وجمعه وتحقيقه،
ومن المشهورين فيمنه، والتصويرين لأفادته، ومن يقول الشعر الحسن، وله تأليفات
في الأدب والأخبار، أخذ عن أبي نصر النحوي وأبي الحباب)) (٤).

٣٥- محمد بن عبد الرحمن بن عيسى الحجري، يعرف بابن القيم، توفي سنة (٤٣٦ هـ)
((بن أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الله، أخذ عن الرباعي وغيره، وكان من أهل العلم
بالنحو واللغة والشعر ٠٠٠٠)) (٥).

٣٦- أبو الحسن إسحاق بن الحسن، المعروف بالزيات، (ت ٤٤٠ هـ) ((يروي عن
أبي عثمان سعيد بن محمد المعروف بنافع، وأخذ عنه العربية، وتحقق بها)) (٦).
كان من أهل قرطبة، ثم خرج منها في الفتنة إلى سرقسطة، فأقرأ بها، ((وله شرح
في كتاب الجبل للزجاجي، أحسن فيه وجود، وكتاب في المبنى والمغرب، احتج لذلك
وعلى، ونبه على أخلط وقعت في الكتاب)) (٧) (أى كتاب سيويه).
وذكر ابن الأثير أنه وقف في سنة ٤٤٨ على نسخة من كتاب شرح الجبل، مقروءة على
مؤلفه (٨).

٢- الصلة ٢/٢٦٦

١- انباء الرواة ٣/٢٦٢

٤- انباء الرواة ٣/٢٢

٣- انباء الرواة ٣/٢٦١

٦- التكملة ١/١٩٢

٥- الصلة ٢/٥٢٦-٥٢٧

٨- التكملة ١/١٩٢

٧- التكملة ١/١٩٢

٣٧- ابراهيم بن محمد بن زكريا الزعري، أبو القاسم، المعروف بابن الأفلح (٢٥٦-٤٤١هـ) . روى عن أبي بكر الزبيدي كتاب النوادر للقالبي ((وكان متفهماً يقرئ علم الأدب، ويقرأ عليه، ويختلف فيه إليه، وكان يجلسه بالنحو واللغة يتكلم في معاني الشعر وأقسام البلاغة والنقد لها . وله كتاب شرح فيه معاني شعر المتنبي، وهو كتاب حسن وأن أفلحاً قرية بن قري الشام، وكان هذا النسب اليها . وروى عن أبي عبد بن أبي الحباب، وأبي القاسم أحمد بن أبان وغيرهما، وولي الوزارة للمستكفي بالله بالأندلس . وكان حافظاً للأشعار واللغة قائداً عليهما ((١) .

وختلاصة القول أن النحو العربي في الأنْدَلُس في القرن الرابع الهجري قد خطا خطوات واسعة، إذ انبرى عدد كبير من علمائه إلى تدريس والتأليف فيه، فمنهم من مال إلى التأليف النحوي الميسر، وتوخى فيه أصحابه الاهتمام بالقواعد الأساسية للنحو، وما يحتاجه الطالب من ثقافة نحوية، فقلب على أساليبهم السهولة والوضوح والميسر . وخلت مؤلفاتهم بما كان يثقل الكتب النحوية، ويجعلها صعبة الفهم، وعرة المسلك . ولعلهم تأثروا بكتب بعض نحاة الشرق الذين مالوا إلى هذا الاتجاه النحوي أمثال ابن السراج والزجاجي (٢) . ومنهم من مال إلى الاستدراك على بعض الكتب النحوية القديمة، كمثل أبي بكر الزبيدي في مستدركه . والحسين بن الوليد بن الحارث في استدراكه على كتاب الكافي لأبي جعفر أحمد بن النحاس (٣) . وفي أخريات النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ازدادت ثقافة النحوي الأنْدَلُسي، وترسخت قدومه في علم النحو، وأخذ يبحث عن الجزئيات الصغيرة، والقضايا الفرعية، ويحلل الملل، ويجري وراء الخلافات النحوية، ويستقضي العوامل، ويهتم بأرجح الأعراب المختلفة للقضية الواحدة، وانطبعت بعض مؤلفاتهم بطابع الأسلوب الفلسفي، كما رأيناه عند ابن الصريف سابقاً (٤) . ووضع أحمد بن أبان كتاباً في النحو، سماه ((الحالم والتعلم)) بناءً على السألة الجواب (٥) . ولم يصل إلينا منه شيء . ووضع أبو اسحاق الحسن كتاباً في المبني والمغرب، احتج لذلك وعلمل (٦) .

١- انباه الرأاة ١/ ١٨٣، وانظر بغية النواة ص ١٨٦، حذوة المنتخب ص ١٥١ .

٢- انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث -٣- انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث

٤- انظر فيما تقدم من سياق هذا البحث -٥- حذوة المنتخب ص ٤٠٥

٦- التكملة ١/ ١٩٢

وظهرت عند علم أيضا ظاهرة الفروع والتعليقات حيث أخذوا يتناولون المؤلفات النحوية السابقة بالشرح والتعقيب والزيادة . ان وضع أحمد بن أبان شرحا لكتاب الأخفش في النحو (١) . كما هذب عبد الملك بن طريف كتاب الأتصال لابن القوطية ، وزاد عليه بعض الزيادات (٢) . ولم يصل إلينا منه شيء . وقام أبو عثمان سعيد بن محمد السعافري ببسط كتاب الأتصال لابن القوطية (٣) . وشرح محمد بن أبيصغ كتاب الكسائي (٤) . وشرح أبو نصر شارون بن موسى كتابا حول كتاب سيبويه (٥) . وكان عبد الله بن محمد بن وليد النحوي قد شرع في شرح كتاب الواضع لأبي بكر الزبيدي ، ولكنه لم ينته . وشرح أبو الحسن السعافري كتابا ، شرح فيه كتاب الجمل للزجاجسي . (٦)

ولعل هذا النشاط النحوي في التدريس والتأليف يجعلنا نقول : ((إن هذا القرن في قرطبة يمثل عصر ازدهار فكري ونضوج نحوي . وأن نهضة الأندلس - فيما بعده - مدنيون لنحاته بدأ نشره ، من تحصيل نحوي في بيئة الثقافة الأندلسية ، ان أصبح النحو علما قائما بذاته له علماء ، والمتخصصون به ، والنقطة له ، وله مؤلفاته التي تفي بحاجة الناشئين من المتأدبين ، وتسرّع رغبة النحاة المثقفين ، المتمهدين في علم النحو ، كما يستدل - على سبيل المثال - من عنوان كتاب أحمد بن أبان ، الذي سماه كتاب ((العالم والتعليل)) .

- ١- انباء الرواة ١/ ٣١ ، جزء القتبس ص ٤٠٥
- ٢- انظر فهرسة ابن خيرة ص ٣٥١ ، جزء القتبس ص ٤٠٦
- ٣- الصلة ١/ ٢١٣ ، وانظر تاريخ الادب العربي ٢/ ٢٨١
- ٤- التكملة ١/ ٣٦٦
- ٥- انباء الرواة ٣/ ٣٦٢
- ٦- الصلة ١/ ٢٦٠
- ٧- التكملة ١/ ١٩٢

المسألة الرابعة

منهم جهم النحوي في :
=====

١- السمع والقياس

٢- الملائكة

٣- العامر

٤- التأويل

سنتناول في هذا الفصل منهج النحاة الأندلسيين في القرن الرابع الهجري .
وسيقصر عدائنا على منهجهم في السماع والقياس ، والمعامل ، والحلقة ، والتأويل النحوي ، وهل
كان لهم منهج تشددوا به ، ونسب اليهم ، أم أنهم آثروا مناهج النحاة السابقين ، واقتدوا بهم ؟

السماع والقياس

وهما يشكلان الركيزة الأولى التي نابت عليها أصول القواعد النحوية وأحكامها . فقد
خرج العلماء إلى البادية ، والتقتوا بأبناء ^{القبائل} العربية التي اهتمت عن المؤثرات الأجنبية ،
وعرفت بالفصاحة والبلاغة وأخذوا عنهم اللغة مشافهة ، ودنوا ما أخذوه في كرايسهم . وكانوا
يتوخون في رأيهم ونقلهم الدقة والتحري ، حتى قيل في السماع : هو (النقل الصحيح الخارج
عن حد التلثة إلى حد الكثرة) (١) .

واختلفت مواقف علماء الكوفة والبصرة عن السماع والروى . فالكوفيون كانوا يستندون بالمثل
الواحد ، ويصممون الخلاصة اللغوية الفردية (٢) . وإذا (سمعوا لفظا في شعر أو نادر كاشم
جعلوه بابا) (٣) . وأنهم " لو سمعوا بيتا واحدا فيه جواز شيء ، مخالفا للأصول جعلوه أصلا ،
ويؤيدوا عليه " (٤) . وإن (يذهبهم بيد السماع لا يخفرون له ذمة ، ولا ينتفعون له عهد ، ويهون على
الكوني نفع أصل عن أصوله ، وتسف تاعدة من قواعد ، ولا يهين عليه أطراح السماع) (٥) .

واللاحظ أن الكوفيين احترموا كل ما جاء عن العرب ، واعتدوا به ، وجعلوه أملا من أصولهم
التي يرجعون إليها ، ويقيسون عليها . وأجازوا للناس أن يستعملوا استعمالهم ، حتى لو كان
شاذا لا يتفق والقواعد العامة . وجعلوا من الشاذ أساسا لوضع قاعدة نحوية ، فسمعوا بذلك

١- الاغراب في جدل الأعراب ص ٤٥ والاقتراح ص ٣٤ .

٢- مدرسة الكوفة ص ٣٧٦

٣- فتح المصابيح ١/ ٤٥

٤- الاقتراح ص ٨٤

٥- مدرسة الكوفة ص ٣٧٧

دائرة النقل والرواية والسماع بالقياس لتشمل كل ما صحح روايته عن العرب . ولعل موقف الكوفيين هذا يفيد في الدراسات اللغوية الحديثة لأنه يعطي تصورا حقيقيا للغة العربية من حيث رصد بعض جوانب التطور اللغوي في فترة من فتراتها وحفظ لهاجاتها المختلفة . أما البصريون فقد اتفوا الكوفيين في وقفهم عن السماع إذ انهم " في أخذهم عن العرب لم يكونوا يجمعون كل ما يصادفهم في رحلتهم ، أو يبتذل لهم عن العرب بل كانوا لا يعتمدون الا بما يوافقون اليه ، ويستوثقون منه " (١) . وأدى بهم تسورهم هذا الى ترك بعض النقول والسموع ما تعارض مع قواعدهم ، وقصروا السماع على قبائل معينة كانت مؤهلة في البداية ولم تقصد لسانها البحر والحصارة قال السيوطي : (كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح بين الألسنة وأسهلها على اللسان عند المنطق ، وأحسنها سمواً ، وإبانة عما في النفس . والذين عنهم نقلت اللغة العربية ، وهم اقتدى ، ومنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم : قيسية ، وتميم ، وأسد ، ناهي ، غولاء الذين عنهم أكثر ما أخذ ، ومنهم وطيمهم ، اتكل في الغريب وفي الأعراب والتعريف ، ثم شذيل ، وبعض كنانة ، وبعض الطاميين ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالأجالة فانه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سكان البراري ، من تان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم الذين حولهم) (٢) .

والملحوظ أن البصريين أخذوا بالأغلب السامع من كلام العرب ، وإذا استلزم أصل من أصولهم بسماع غير مشهور ، فزعموا الى التأويل ، ورموا هذا السماع بالشذوذ أو الندور أو التخلط أحيانا . فضيقوا بذلك حدود السماع . ولما اتسعت الثقافة وترجمت كتب الفلسفة والمنطق تأثر النحاة بها وبالمعلوم الشعرية وطبقوا مناهجها في نظريتهم النحوية ، فكان القياس اللغوي . ومن تعاريفه قولهم : ((شعبة عن رد الشيء الى نظيره)) (٣) . أو : عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل وقيل هو إلحاق الفرع بالأصل بجائز ، وقيل هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع ، ولهذا الحدود كلها متقاربة " (٤) . والقياس هو (حمل غير المنقول على المنقول ، إذا كان في معناه ، وهو معظم أدلة النحويين والسموع) في غالب مسائله عليه ، ولهذا قيل في حدة : انه علم

١ - رسالة البصرة ص ٢٢٧

٢ - الاقتراح ص ١٩

٣ - التصريفات علي بن محمد ص ١٥٩ ، وانظر أثر القرآن في الدراسات النحوية ص ٩١ .

٤ - لسان الألسنة ص ٩٣

بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب) (١) .

وفرق أبو حيان التوحيدي بين قياس النحويين ، وقياس الفارسي في أن الأقيسة النحوية لا تخضع لما تخضع له الأقيسة المنطقية ، قال : (سئل بعض العلماء بالنحو واللغة فقيل له : أيسر القياس في جميع ما يذهب إليه في اللفاظ ؟ فقال : لا ، فقال السائل فينكسر القياس في جميع ذلك ؟ فقال : لا ، فقيل له : فما السبب ؟ فقال : لا أدري . ولكن القياس يفرغ إليه في موضع ويفرغ منه في موضع (٢) (٣) أي عند توفر المسبب ، وتبذر الذوق عن القياس . وقال أبو علي مسكويه موضحاً قول التوحيدي السابق : (أما قياس النحويين فليس ينشأ على أوائل ضرورة ، فلذلك لا يستمر ، وإنما أجاب هذا الرجل العالم بالنحو عن القياس الذي يخص صنائعه ، ولم يلزمه إلا ذلك . فأما الفيلسوف فقياساته كلها مستمرة ، لا ينكسر منها شيء ، لا سيما ضرب من القياس وهو المنطقي (برهاناً) (٤) . وقال ابن جني في هذا الصدد : (إذا أدات القياس إلى شيء ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر ، على قياس غيره ، فمدح ما كتبت عليه (٥) (٦) .

وجعل النحاة للقياس أربعة أركان : أصل وهو القياس عليه (٥) ، وفرع وهو القياس (٦) ، وحكم (٧) .

- ١- الاقتراح ص ٣٨ ، وانظر الاغراب في جدول الاغراب ص ٤٥ .
- ٢- أثر القرآن في الدراسات النحوية ص ٩٢-٩٤ نقلاً عن الهوايل الشواعل لأبي حيان وسكوية ص ٩٩٣ .
- ٣- المصدر نفسه ص ٩٤ .
- ٤- الاقتراح للسيوطي ص ٨٦ .
- ٥- قال ابن جني : (إذا تعارض (القياس والسماع) ، نطقت بالمسبوق على ما جاء عليه ، ولم تقسّم في غيره) (الخصائص ١/ ١١٧) ، وانظر القواعد النحوية ص ٢١٨ .
- ٦- قال ابن جني : (ولا تيسر على كلام العرب فهو من كلامهم) (الخصائص ١/ ٣٥٧) .
- ٧- وهو ما سرى على القيس ، وقد تسم العلماء العرب الحكم النحوي إلى واجب ومنوع ، وحسن وتبيح ، وحذف الأولى . وجائز على السواء ، فالواجب مثلاً رفع الفاعل ، ونسب المفعول ، ومنوع خلاف ذلك . وحسن كرفع المضارع الواقع في جواب الشرط الماضي ، وتبيح كرفع المضارع الواقع في جواب شرط إذا كان فعل الشرط مضارعاً . وحذف الأولى تقديم الفاعل في نحو أخبر حديثه حمداً . والجائز على السواء كحذف المبتدأ أو الخبر أو اثباته ، حيث لا مانع من الحذف ولا مقتضى له . الاقتراح ص ١٠ ، وانظر التواعد النحوية ص ٢٢٢ ، وانظر التفكير النحوي ص ١١٩-١٢٠ .

وعلة (١).

ولسلمهم تأثروا في ذلك بانقسام علماء الشريعة الإسلامية إلى أصحاب الرأي، وأصحاب الحديث، وكان لذلك أثره في السماع والقياس عند النحويين. إذ كان أصحاب الرأي يركزون ((على الأشباه والنظائر في الحالات. وكانت المسألة تعطى حكم نظائرها ثم ارتقى الرأي، واتسعت شعبة حتى سمي القياس. وكان له أثره في الوصول إلى كثير من الأحكام)) (٢).

فكان أهل الكوفة يوسعون على أنفسهم في قياسهم، إذ قاسوا على كل ما سمعوا ولو كان المسوع لسنة نادرة، ومقاتلت بها جماعة قليلة، ولعل ذلك راجع إلى أنهم بدأوا أهل تراءات، والقراءة سنة متبعة، وأهل القراءات أهل سماع.

أما البصريون فكانوا يتشددون في قياسهم، فإن يقيسون إلا على المشهور من كلام السرب الكثير النظائر، والوثوق الرواية، فإذا واجهتهم هرويات ثبتت لديهم نقلها، ولم تسأير أقيستهم أولونها، وإذا لم يصح تأويلها وصغرنا بالشذوذ والتدور. وإذا رأوا لغتين أحدهما تسير على القياس، والآخر لا تسير عليه فضلوا التي تسير على القياس، وضعفوا بن تبيعة غيرنا.

ولعل البصريين أرادوا أن يكونوا لغة يسود بها النظام، ويبيتوا أسباب الغوضى بن رواية ضعيفة أو موضوعة أو قول لا يتشبه بن المنطق.

وبعد، هذا الإيجاز والسر في لاء الكوفيين والبصريين، وواقفهم من قضيتي السماع والقياس، يجهل بنا أن نحدد مواقف نحاة الأندلس بن هاتين التفتيتين، في القرن الرابع الهجري.

إن نحاة الأندلس في هذا القرن إلى ترجيح الاستعانة الكثير، وطرح الهرويات القليلة. قال التالي عند حديثه عن الممدود: ((أعلم أن كل منصرف من الممدود عند أصحابنا فتنتيته بالألف والنون في حالة الرفع، وبالياء والنون في حالة النصب والجزم، بمنزلة ما آخره غير معتل بن غير الممدود، وذلك قولك: ردا، وكسا، أن، وتلبا، أن، فهذا الأجود، والأكثر في كلام السرب...)) (٣).

اسموي ما رآه النحويون بن أسباب استحقاق بها القياس حكم القياس عليه. وسنفرد لها حديثا خاصا.

٢ - نظير الاقتراح ص ٤٦ وما بعده، وانظر التواعد النحوية ص ١٦٨.

٣ - مخطوط الجسور والممدود ص ١٣٦.

ونجد الزبيدي في مؤلفاته لا يجفل بكل سجع ولا يستد بكل مؤوي بل يظل الى ترجيع ما سنده الاستعمال الكثير وأيدته الشواهد الكثيرة . ومن واقفه الدالة على ذلك أنه لا يجيز رفع المستثنى القدم وقال : ((واعلم أن المستثنى كلسه اذا كان متدا فهو منصوب وتقول : ما جاءني الا زيدا أحده وما قام الا أباك بشره وما رأيت الا أباك مخلوقا تنصب زيدا بالاستثناء . القدم ولا يجوز البدل لأنه لا يكون البدل قبل البدل منه) (١) . وقد أجاز الرفع جماعة منهم يونس فقد سجع ((مالي الا أباك ناصر)) وسيبويه وقالوا ان ما بعد الا يترك محمولا لما قبلها وما بعده يكون بدلا منه وبدل كل عن كل (٢) .

وغو يرفض الرفع رغم رواية يونس له لأنه قليل غير مطرد في استعمالهم . ومن ذلك رفضه قبول حذف واو العطف في التحذير قال : ((ولا يجوز أن تقول : إياك زيدا ، لأنك لا تحذف واو العطف الا ترى أنك لا تقول : ضربت زيدا عمرا حتى تقول : وعمرا (٣) .

وذكر أن يونس أجاز ذلك وقال ابن سلام : قلت ليونس : إياك زيدا (تجيزها قال : أجاز ابن أبي إسحاق للمفضل بن عبد الرحمن :

إياك إياك المراء فانفسه الى الشر دغساء وللشر جالس (٤) . وكانوا يتسرون في تياسهم وسماهم المشهور الذي لا يشك في صحته قال القاضي : ((وهذه أحرف نوادر سمعتها من أبي بكر بن دريد خاصة على أمثلة شتى وهي شاذة فلذلك لم أدخلها في تضاعيف الكتاب ولتوثيقنا هذه المواضع لم نودع أبواب الكتاب هذه الحروف وتحريتها فيه باتيان المشهور الذي لا يشك في صحته (٥) .

وها نوا ابن العريف يبيني قياسه على الأجود والأكثر في الاستعمال وقال في كسر همزة أن : ((وتكسر أيضا بعد القسم كقولك واللّه أن زيدا قائم ، وتاللّه أن أخاك قائم ، قال اللّه عز وجل : ((والطور وكتاب مسطور)) ثم قال : (ان غدا ربك لواقع) ، وقد أجاز بعض النحويين

١- الواضع ص ٦٣ تحقيق الدكتور خليفة .

٢- أوضح المسالك ٦٦ / ٢ هامش

٣- الواضع ص ١٢٧ تحقيق الدكتور خليفة

٤- طبقات الزبيدي ص ٥٠

٥- مخطوطات المتصور والحمدود ص ١٢٦

فحسبها بعد اليقين واختاره بعضهم على الكسر والكسر أجود وأكثر في لسان العرب، والفتح جائسز قياساً (((١) .

ويظهر في تراجهم أن بعضهم عرف بقياسه وتشده واستنباطه وقالوا في الرأحي : ((كان جيد النظر، دقيق الاستنباط، حاذقاً بالقياس)) (٢) . وإذا كانت الروايات قليلة،

تصل إلى درجة الثقة والكثرة في الاستعمال المملوفاً، ووصفوها بالشذوذ، قال التالي : ((أرْبَعَاءٌ، وهو نادر، حكاه اللحياني . وقد ذكر ابن الأعرابي أنَّه بفتح السين ، فقال : يقال : مشت الأرب الأربعاء بفتح الباء . . . وهذا أندر وأكثر شذوذاً مما ذكره اللحياني ، ولذلك أهملناه)) (٣) .

ولعل ما ورد في تعانيفهم من عبارات تدل على مذنبهم في القياس، وهو مذهب قائم على أن القياس لا يكون إلا على ما أكثر واستفاضت شواهد وأمثله قال التالي : ((هذا باب ما جاء من القصور على مثال فُسلَى من الأسماء والصفات ، والصفات في هذا الباب تكثر وتنقاس)) (٤) . ومثل قوله : ((وهذا صحيح في القياس)) (٥) وهو (صحيح الاشتقاق والقياس) (٦) .

وقال الزبيدي في باب جمع الجمع : ((أعلم أنهم يجمعون الجمع . . . نحو قولهم : وَطَبَّ وَأَوَّطَبَ ثم يجمعون أَوْطَباً، فيقولون : أَوْطَابٌ . وكذلك : سَقَاءٌ، وأسقية وأساق، ونَعَمٌ، وأنسام وأناعم، ونحو ذلك قولهم : أعطيات، وأسقيات، وطرقات، وجمالات، وبيوتات، وليس كل جمع يجمع على هذا، وإنما يحفظ ذلك ولا يقاس عليه)) (٧) . وقوله في باب المسرفة والنكرة : ((فان جمعت بين معرفة ونكرة ثم أتبعتهما شيئاً من صفاتها نسبتها على الحال لأنك تغلب المعرفة على النكرة، تقول : ((جاءني رجل وزيد منطلقين ففعل على هذا ما ورد عليك من نوعه)) (٨) .

- | | |
|--|-------------------------------|
| ١- مخطوط من الجمل الورقة ٤٦ | ٢- جذوة المقتبس ص ٩٨ |
| ٣- مخطوط المقصور والمدود ص ٨٠ | ٤- مخطوط المقصور والمدود ص ٣٥ |
| ٥- مخطوط المقصور والمدود ص ١٢ | ٦- مخطوط المقصور والمدود ص ٣٥ |
| ٧- الواضع ص ٢١٠ - تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة | |
| ٨- الواضع ص ٢٢١ - تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة | |

والسهم الشاذ عندهم لا يأبهون به بل يحفظونه ولا يقيسون عليه، ونحو قول ابن السريفة
: ((وهذا شاذ، والشاذ يحكى ولا يقاس عليه)) (١) . وقوله : ((فمن السهم الذى لا يقاس
عليه قولهم في النسب الى المالقة علوي)) (٢) . وقوله : ((التعبير عن النسب على ضربين :
أحدهما مطرد قياسه، والآخر لا يطرد قياسه، ويأتي ثانياً إذا سمع سماعاً)) (٣) . وقال الزبيدي
: ((ويقولون نحو يطول اليد . . . والصواب يُطْل، من تولى أبطله الله فبطل، إلا أن يكون خرج
مخرج مجنون، ونحوه، وهذا مما يحفظ ولا يقاس عليه)) (٤) . وأورد باباً خاصاً للشاذ عند حديثه
عن التصغير عنوانه بقوله : ((باب ما شذ عن الصغرات)) . قال : ((ومن ذلك قولهم في رجل
روجل، وفي ليلة : ليلية، وفي عشية : عشيية، وفي أصيل : أصيلان، وفي هرب : هيربان .
وكان حق هذا أن يقال فيه رجيل، ولييلة وعشيية، وأصيل ومهيرب، ولكن هذه الأشياء جاءت شاذة
فأما إنسان فتصغيره إنسيان، لأن أصل اشتقاقه من النسيان . ومن النحويين من يجعل هذا شاذاً
ومشتته من أنست أى أبصرت)) (٥) .

أما الوجه الذى يطرد في الاستعمال، فينتونه بالحسن والجودة، ويفضلونه على ما يخالفه،
قال الزبيدي في باب تصدير الاسم الثلاثي الذي ثمانية حروف لين : ((ومن العرب من يكسر أول
ما كان ثانياً الياء إذا صغر، فيقول في سَيْر : سِير، وفي بَيْت : بَيْت، ومَيْتة : مَيْتة، وذلك قبيح،
والضم أحسن)) (٦) . وقال في حديثه عن الاسم المتصل بنعت أو بكلام غيره : ((
إذا وصلت الاسم النند وبنعت، أو بكلام غيره، حذف الألف والهاء . تقول : وازيدُ الظريفُ .
وان شئت قلت : الظريفُ على ما ذكرنا في الاسم النادى . وكذلك تقول : واعبروا انت الفارسُ
البطلُ . تحذف الزوائد على ما أعلمتك . ومن النحويين من يلهق الألف والهاء، فيقول :
وازيدُ الظريفاه، وقال غيره : لو جاز هذا قلت : واعبروا انت الفارسُ البطلاه، والأول أكثر
وأحسن)) (٧) .

- ١- مخطوط شرح الجمل لابن السريفة الورقة ٤٦
- ٢- مخطوط شرح الجمل لابن السريفة الورقة ١١٥
- ٣- مخطوط شرح الجمل لابن السريفة الورقة ١١٥
- ٤- لحن المصراع ص ١٦٩
- ٥- الواضع ص ٢٢٢ - تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة
- ٦- الواضع ص ٢١٢ - تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة
- ٧- الواضع ص ١٨٦-١٨٧ - تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة

وقال في باب الاشتغال : ((فان شغلت الاسم بضمير الاسم المتقدم ، قلت : زيد ضميرته
 ترفع الأسماء بالابتداء ، وخبر الابتداء في الأفعال التي بعد الأسماء .)) وإنما رفعتها
 لأنك شغلت الفعل الدامل فيها بسببها ، فرفعتها بالابتداء . ومن السرب من يقول : زيداً ضميرته .
 وعبروا كلمته . فتنصب الاسم بفعل ضمير كأنه قال : ضميرت زيداً ضميرته ، وكلمت عبروا كلمته . فيحذف
 الفعل الأول من اللفظ وهو ينويه ويضمه . ولا يجوز اظهاره ، لأن الفعل الثاني الواقع على
 ضمير الاسم يدل عليه ، وترجم عنه . (والأول أجود وأكثر) (١) .

ولعل موقف نحاة الأندلس في هذا القرن من بعض القراءات هو موقف البصريين فهم
 لا يجيزون ما ورد في القراءات من أوجه تشدد عن الكثير المطرد ، شأنهم في ذلك شأن
 البصريين الذين تأولوا بعض تلك الأوجه ، ورفضوا بعضها الآخر ، ومن ذلك اختيار الزيدى البدل
 في الستثنى المنفي التام ، قال : ((فان كان الاسم الذي قبل الألفيا . أعربت الاسم الذي بعده
 بأعراب الاسم الذي قبلها ، وجعلت الآخر بدلاً من الأول . تقول : (ما جاءني أحد إلا زيد))
 ما حرف نفي . وجاء : فعل ماضٍ . والكناية مفعول بها . وأحد فاعل . وإلا : إيجاب . وزيد : بدل
 من أحد . كأنه قال : ما جاءني إلا زيد وان ثبت نصبت ما بعده إلا في هذه المسائل . .
 والوجه الأول أحسن ، أعني البدل ما قبل إلا) (٢) . ويستفاد من كلامه أنه يضعف جواز النصب
 فيضعف بالتالي ما اعتمده بعض النحاة في هذه المسألة ، متهماً على قراءة من قرأ (ما فعلوه إلا)
 قليلاً منهم) و (ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك) بالنصب (٣) .

وقاسوا ببعض النسخ والمفردات ما لم تتكلم به العرب على غيرنا ، فتصغير الخماسي
 الصحيح وتكسيره ، مستكران ، قال الرضي : ((وتكسر الخماسي مستكره كـ تصغيره بحذف خامسه
 أقول : إنما استكره تصغير الخماسي وتكسيره لأنك تحتاج فيهما إلى حذف حرفه أصلي منه .

١ - الواضع ص ١٧٢ - ١٧٣ - تحقيق الدكتور خليفة .

٢ - الواضع ص ٨٩ - ٩٠ - تحقيق الدكتور خليفة .

٣ - الأشموني ٢٢٦ / ١

ولا شك في كراشته، فلا تصغره العرب ولا تكسره في سعة كلامهم، لكن إذا سألوا : كيف قياس كذا فكم لو صغرتوه أو كسرتوه ؟ قالوا : كذا وكذا . ولك زيادة يا العوفي كما في التصغير (((١) . ولكن الزبيدي قاس تصغير الخماسي على الرباعي ، وإن لم يبين ذلك على صريح ، قال : ((فان كان الاسم خماسيا صحيحا حذفت آخر حرف منه وصغرت تصغير الرباعي . تقول في فوزق فريزد . وفي سفرجل سفيرج . وفي جمرش جحيمر . وانا حذفت آخر الاسم لان التصغير لا يجاوز أربعة أحرف)) (٢) . ومن أمثلة اعتمادهم على القياس في بناء مفردات وصيغ لم تأت في كلام العرب قياسه جمعا على جمع ، فقد أخذ على سيبويه قوله أن فعمايل ليس من أبنية الأسماء ، وكان قد ذكر في مكان آخر أن عسواد وقرواش اسمان ، وشما على وزن فعوال ، وعندنا يعني ان جمعهما يجب ان يكون عساويد وقرايش على وزن فعمايل ، قياسا على قرواح وجلواح ، ويجمعان على قراويح وجلواويح ، قال الزبيدي ينقل عن سيبويه ويرد عليه : ((قال سيبويه : على فعمايل فالصفة قراويح وجلواويح ولا نعلمه جاء اسما . قال أبو بكر (الزبيدي) : قد ذكر في هذا الباب أن عسواد وقرواش اسمان فيجب أن يجمعا على عساويد وقراويش)) (٣) . ونجد الزبيدي يتخرج بقياسه على الألفاظ بل يبطله أحيانا وإن كان صحيحا ، وذلك إذا كان اللفظ في سفة الله عز وجل ، فقد رفض كلمة (الأزلي) صفة لله سبحانه ، بما ليس به رغم صحتها وتمكنها من الاشتقاق . قال : ((ولا يجوز لأحد أن يصف الله عز وجل بغير ما وصف به نفسه في حاكم كتابه وحيا ، أو بما ثبت به الخبر عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولو صحت الكلمة في الاشتقاق ، وتمكنت من التصريف)) (٤) .

ومخالفة القول في موت الأندلسيين من السماع والقياس في القرن الرابع الهجري ، وأنهم ينهبون نهجا بصريا ، فلم يقبلوا من أوجه القول ، وصور التعبير إلا ما كثر استعماله ، وصحت روايته وأيدته الشواهد الكثيرة ، وقد عن يوثق بحريته ، قال الزبيدي في رده على من أجاز إضافة (ال) الى الضمر في حديث الصلاة (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) : ((أم فزه . مضافا الى ضمير لن يوثق بحريته)) (٥) . فغلبوا بجانب القياس على السماع ، واعتنوا بذكر الحكم الذي يطرد في الكلام ، لم يأبهوا ببناء النحاة على التقليل النادر ، والطرحوا الشاذ . وكانوا يتحرون الدقة في الوجوه المختلفة ، ويصنفون عليها الوجاهة ، ويعفون عنها بالجودة والحسن .

١- انظر (أبو بكر الزبيدي) ص ١٦٨

٢- الواضع ص ٢١٣ تحقيق د . عبد الكريم خليفة

٣- الاستدراك ص ١٢

٤- لحن الصوام ص ١١

٥- لحن الصوام ص ١٥

الملحة

وهي ما رآه النحويون من أسباب استحقاق بها المقيس حكم المقيس عليه . وقد أخذ بها أوائل النحاة ، إذ كان عبد الله بن اسحاق الحضرمي (ت ١٧١ هـ) أول من علل النحو ، ومدّ القياس (١) . ثم جاء بعده نحاة اعتنوا بهذه الصنعة النحويّة أمثال عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن العلاء ، غير أن عللهم كانت معتمدة على ما يفهمونه من سياق الكلام ، وتلمس أساليبه ، وعمل النظم على نظيره ، ومعاكاة العرب فيما قالوه ، وغلل الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) وتلميذه سيويه بالعمل النحويّة خاتمة جديدة ، فوضحوا معالِمها ، وأصبحت عندهم أداة فعالة للتفرقة بين حالات الكلمة المختلفة ، وضروب الأساليب المثبّاة . (٢) قال سيويه في رده على استاذة الخليل في الملحّة : ((وزعم الخليل : أنهم نصبوا المضاف نحو : يا عبد الله ، يا أخانا ، والنكرة حين قالوا : يا رجلاً صالحاً حين طال الكلام ، كما نصبوا هو قبلك ، و ((هو بعدك)) ورفموا المفرد كما رفموا ((قبل وبعد)) ، وموضحهما واحد ، وذلك قولك : يا زيد وباعمر ، وتركوا التنوين في المفرد ، كما تركوه في قبل . قلت : رأييت قولهم : ينازِدُ الطويل ، علام نصبوا الطويل ؟ قال : نصب لأنه صفة لمنسوب . وقال : ان شئت كان نصباً على أعني)) . (٣) فالخليل يرى أن علّة نصب المضاف والنكرة في النسبنداء هي طول الكلام ، ولما كانت الفتحة أخف الحركات كانت أولى بأن تكون علامة اعسراب حتى يمكن التخلص من الثقل الحاصل من طول الكلام وثقل الضمة ، شأنهما في ذلك شأن الظرف المضاف ، وعند طرح الإضافة قصر الكلام ، فكان خفيفاً لا ثقل فيه ، فزالّت علّة الاستثقال ، فعادت الحركة إلى الضمة في الفنادي المفرد ، كما هو الحال في آخر الظرف المجرد عن الإضافة . وما يلاحظ أن نهاية المئة الثانية قد غلبت تحليلاتهم إلى حد ما من الصبغة الفلسفية المتأثرة بالمنهج الفلسفي ، وأن أغلب تحليلاتهم اعتمدت على ما يتطلبه الاستعمال من خفة ، واقتصاد في النطق ، وقيام الشبيهه بشبيهه .

(١) طبقات الزبيدي ص ٢٦ ، وانظر نزهة الالباء ص ٢٧ (٢) انظر مدرسة البصرة ص ٢٦٩
(٣) الكتاب لسيويه ١ / ٣٠٣

وحاولوا تفسير بعض الظواهر اللغوية والنحوية في ضوء ما للصرب من حسن لغوي ، وما تتميز به العربية من نهج في بناء المفردات ، وتأليف التراكيب ، فكانوا يقولون : ان الصرب استثقلت هذا فلم تتكلم به ، ونطقت بذلك لخفته وعذوبة وقعه (١) . وهذا هو الأرجح في تفسير الظواهر الصوتية .

ونظرا للتحول الذي حدث في مجرى الثقافة العربية نتيجة لا تزالها بالفكر الانساني ، وتأثرها بمناهج الفلاسفة ، وللتطور الطبيعي للتمليل ، الذي أصبح في القرن الرابع الهجري تصورا لما يشاء من ظواهر ، ثم بينى عليها ما يريد من قواعد . فقد أصبح تلمس العلة هدفا رئيسا في البحث النحوي . ومعلما من معالم منهجهم في التأليف ، فأصبحت العلة عند بعض النحاة ((رديف العكم النحوي ، لا تفارقه ولا ينبغي في اعتقادهم أن تفارقه)) . (٢) وقد تلمس مثل هذا التأثير عند أبي الحباس المبرد (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه المقتضب .

واختلفت علل النحاة باختلاف ثقافتهم ، وتنوع مصادرهما ، فمنها ما كان قريبا سهلا ومنها ما كان عميقا صعبا ، اذ من الطبيعي أن يتأثر كل منهم بالطابع الذي غلب عليه من فنون العلم ، فيظهر هذا الطابع جليا في علله ، وأسلوب عرضها والحجاج لها . وانقسم النحاة في شأن العلة قسمين : منهم من تعلق بها وعدّها ركنا من أركان علم النحو ، لا يستغني عنها ، ودافع عنها . قال ابن جني : ((اعلم أن علل النحويين — وأعني بذلك هذا اقدم المتقنين ، لا ألافهم المستضعفين — أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقيين ، وذلك أنهم انما يحيلون على الحس ، ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس ، وليس كذلك حديث علل الفقه (٣)) . . .

(١) أبو بكر الزبيدي ص ٢٠٣ — ٢٠٤

(٢) الحلة النحوية ص ٦٧ ، وانظر التفكير النحوي في أمر التغير في منهج التمليل

النحوي ص ١٨٠ — ١٦٠ ،

(٣) الخصائص ١ / ٤٨ ، وانظر الاقتراح ص ٤٦ ،

وقال أيضا : ((ولست تجد شيئا مما علل به القوم وجوه الاعراب الا والنفس تقبله والحسن منها وعلى الاعتراف به، ألا ترى أن عوارض ما يوجد في هذه اللغة شي * سبى وقت الشرع ، وفزع في التحاكم فيه الى بدية الطبع . فجميع علل النحواذن مواطئة للطباع ، وعلل الفقه لا ينقاد جميعها هذا الا نقياد)) . (١)

ودافع السيوطي عن العلل النحوية ، فقال : ((اذا ستقربت أصول هذه الصناعة علمت أنها في غاية الوثاقة ، واذا تأملت عللها عرفت أنها غير مدخولة ولا متسرع فيها ، وأما ما ذهب اليه غلة الصوام من أن علل النحو تكون واهية ومثيرة واستدلوا على ذلك بأنها أبداً تكون هي تابعة للوجود ، لا الوجود تابعا لها ، فبمزيل عن الحق ، وذلك أن هذه الأوضاع والصيغ ، وان كنا نحن نستعملها ، فليس ذلك على سبيل الابتداء والابتداء ، بل على وجه الاقتداء * والاتباع ، ولا بد فيها من التوقيف ، فنحن اذا صادفنا الصيغ المستعملة ، والأوضاع بحال من الأحوال ، و علمنا أنها كلها أو بعضها من وضع واضح حكيم جلّ وعلا ، تطلبنا بها وجه الحكمة المخصصة لتلك الحال من بين أخوانها ، فاذا حصلنا عليه ، فذلك غاية المطلوب)) (٢) .

ولعل ما ذكره السيوطي عن الخليل بن أحمد أدق الاقوال وأقربها الى تصور بداية العلة ، ومفاده أن العرب قد تكلمت بلغتها ، وعرفت مواقع كلامها ، ثم جسا النحاة فالتمسوا لها العلل والأسباب ، ورفضوا بعض ظواهرها وقبلوا بعضها الآخر . قال السيوطي : ((ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد سئل عن العلل التي يحتل بها في النحو ، قيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : ان العرب نطق على سجيتهما وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها . وقامت في عقولها طلبة ، وان لم ينقل ذلك عنها . وعللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه ، فان أكن أصبت العلة فهو الذي التمسست

(١) الخصائص ١ / ٥١

(٢) الاقتراح ص ٤٦

وأن يكن هناك علة غير ما ذكرت فالذى ذكرته محتمل أن يكون علة له . . . فان سنحت
لغيرى علة لما عللته من النحو ، هي أليق مما ذكرت بالمعلول فليأت بها (((١) .
فالخليل قد فتح بهذا القول الباب واسعا أمام النحاة المتأخرين ، فشغلوا -
كما ذكرنا - بحلل النحو . وراحوا يدلون بآرائهم ، وينقضون علل بعضهم ، وصار النحو
الى البحث الفلسفي أقرب منه الى البحث اللغوي . وتبارى النحاة في الفوضى على علل أمتن
من علل الفقهاء .

ولعل هذا أدى الى موقف آخر من العلة ، اذا نجد بعض العلماء قد قلل
من شأنها واعتبرها مضيعة للوقت . قال ابن حزم : ((وأما التحمق في علم النحو
ففضول لا منفعة بها ، بل هي مشغلة عن الأوكد ، ومقطعة دون الأوجب والأهم ،
وانما هي تكاذيب . . . (٢) وقال أيضا : ((وأما علم النحو فالى مقدمات محفوظة
عن العرب الذين تزيد معرفة تفهيمهم للمعاني بلختهم ، وأما العلل فيه ففاسدة جدا))
(٣) . وقال أيضا : ((. . . ومثل هذا ما يستعمله النحويون في علمهم فانها كلها
فاسدة لا يرجع منها شيء الى الحقيقة البتة)) (٤) . وقال ابن الأثير : ((فان قيل
: لو أخذت أقسام النحو بالتقليد من واضعها لما أقيمت الأدلة عليها ، وعلم بقضية
النظر أن الفاعل يكون مرفوعا ، والمفعول منصوبا . فالجواب عن ذلك أنا نقول : هذه
الأدلة واهية لا تثبت على محك الجدال . فان هؤلاء الذين تصدوا لإقامتها سمحوا عن
واضح اللجة رفع الفاعل ، ونصب المفعول من غير دليل أبداه لهم . فاستخرجوا لذلك
أدلة وعلا . والا فمن أين علم هؤلاء أن الحكمة التي دعت الواضع الى رفع الفاعل
ونصب المفعول هي التي ذكرها)) (٥) . وهذا جدل منطقي يقارب رأى المحدثين
حول الأسراب .

(١) الاقتراح ص ٥٧ - ٥٨ (٢) انظر نظرات في اللغة عند ابن حزم ص ٣١

(٣) التقريب لحد المنطق لابن حزم ص ٢٠٢ تحقيق احسان عباس ،

(٤) التقريب لحد المنطق ص ١٦٨

(٥) المثل السائر ١/ ١٢٠

وقسم النحاة العلة ثلاثة أقسام : العلة التعليمية ، والقياسية ، والجدلية
 التخارية (١) ، العلة التعليمية : وهي الملل التي يتوصل بها الى تعليم كلام العرب
 لأننا لم نسمع كل كلامها منها لفظاً ، وإنما سمعنا بعضها فقسنا عليه نظيره . فهي تعتمد
 أفن على محاكاة (القياس) كلام العرب ، والنسج على منواله ، والاقتصار على وصفه
 كأن نقول في (جاء الحق) : إن كلمة الحق دلت على من وقع منه الفعل ، وكل كلمة دلت
 على ذلك فهي فاعل ، فكلمة الحق فاعل . فالعلة هنا هي أن الكلمة دلت على من وقع
 منه الفعل ، وهي التي من أجلها حكمنا بالحكم النحوي . ثم نقول : ان كلمة الحق
 فاعل . وكل فاعل مرفوع ، فالحق مرفوعة ، والعلة في رفعها أنها فاعل .
 والعلة القياسية ، أشبه بتمس سبب للأمر الواقع ، ومحاولة قياس بعض الصيغ
 والتراكيب على غيرها ، وقسمها السيوطي عدة أنواع منها (٢) : علة السماع (٣) ،
 والعشبية (٤) ، والاستثقال (٥) ، والتمويين (٦) والحمل على المعنى (٧) ،
 والمشاكلة (٨) ، والمجاورة (٩) ، والتخليب (١٠) والاختصار (١١) والأصل (١٢) .

- (١) الاقتراح ص ٥٦ - ٥٨ (٢) أنظر الاقتراح ص ٤٨ ، وأنظر القواعد النحوية ص ٢٢
- (٣) مثل امرأة ثياب ولا يقال رجل أذى ، وليس لذلك علة سوى السماع الاقتراح ص ٤٨
- (٤) مثل اعراب المضارع لمشابهة الاسم ، وبناء بعض الاسماء لمشابهة الحروف
 الاقتراح ص ٤٨
- (٥) كاستثقالهم الواو في (يعد) لوقوعها بين ياء وكسر . الاقتراح ص ٤٨
- (٦) مثل تمويضهم الميم في اللهم من حرف النداء . الاقتراح ص ٤٨
- (٧) مثل (فمن جازة موعنة من ربه) ذكر الفعل المسند الكلمة الموعنة وهي مؤنثة حملا
 لها على المعنى وهو الوعد . الاقتراح ص ٤٨
- (٨) مثل (سلا سلا وأغلا) فتوين (سلا سلا) مع أن الكلمة ممنوعة من الصرف للمشاكلة
 الاقتراح ص ٤٨
- (٩) مثل ضم لام لله في الحمد لله لمجاورتها الدال . الاقتراح ص ٤٨
- (١٠) مثل وكانت من القانتين . الاقتراح ص ٤٩
- (١١) مثل الحذف في باب الترخيم ، وحذف نون المضارع من كان في الجزم في لم يك
 الاقتراح ص ٤٩
- (١٢) مثل استحوذ ، ويؤكرم . الاقتراح ص ٤٩

ومن أمثلتها قولهم في ((أن زيدا قائم)) بـم نصبتم زيدا ؟ قلنا : بان لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر ، لأنها كذلك علمناه ، فهذه ضرب من العلة التعليمية ولكنهم تجاوزوا ذلك إلى سؤالهم : لم نصب (زيد) بان ؟ ولم يجب أن تنصب ان الاسم ؟ والجواب في ذلك لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي إلى مفعول ، فعملت عليه وأعملت أعماله لما ضارعت ، فالمنصوب بها مشبه بالمفعول لفظاً ، فهي تشبه من الأفعال ما تقدم مفعوله على فاعله . (١)

ولم يكتف النحاة بهذه التحليل التعليمية والقياسية بل راحوا يفحصون وراء علل أبعد ، وأكثر تمقيداً متأثرين في ذلك بالعلوم العقلية التي ذاعت في ذلك العصر فسلكوا بالعلة مسلكاً فلسفياً ، بحثوا فيه عن علة العلة ، وقد أطلق عليها العلماء العلة الجدلية النظرية ، فيقولون في مثل ((ان الحق واضح)) : لماذا نصبت كلمة الحق بان ؟ والجواب هو لمشابتها هي وأخواتها الفعل المتعدي إلى المفعول ، ويكون المنصوب بها مشبهاً بالمفعول ، ولا يقفون عند هذا الحد ، بل يسوقون أسئلة أخرى وهي : من أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال ؟ وبأي الأفعال شابهت ؟ أم بالماضي أم بالمستقبل أم الحال ؟ إلى غير ذلك مما يدخل في البحث الجدلي (٢) .

وقد أجمل الزجاجي القول في أنواع التحليل ، فرآها علة تقف عند الواقع اللغوي لا تتجاوزه ، وهي العلة (التعليمية) وعلة تبدأ من الواقع فتجاوزه فسي محاولة طرد الأحكام (وهي العلة القياسية) وعلة تبدأ من التحليل لتدل على صحتها ، وتحاول أن تسبغ علاقاتها بالاتساق ، وهي العلة الجدلية (٣) وإذا أدركنا حال العلة في البحث النحوي ، وأقبال أغلب النحاة عليها ، واهتمامهم بها في مؤلفاتهم فإلى أي مدى كان هذا الأمر واضحاً جلياً عند النحاة الأندلسيين في القرن الرابع الهجري ؟

-
- (١) انظر مدرسة البصرة ص ٢٦٢ - ٢٦٨
 (٢) انظر الاقتراح ص ٥٧ ، وانظر القواعد النحوية ص ٢٢٥
 (٣) الايضاح في علل النحوص ٦٤ - ٦٥ تحقيق مازن مبارك

أن الناظر في نتائج هذا القرن النحوي يدرك أن نحاة الأندلس قد وقتنوا من العلة
موقفين الأول لم يخرج في تحليلاته عن طبيعة العلة النحوية التعليمية الا قليلاً ، ومنهم
من تأثر بالتحليل القائم على المنهج الفلسفي .

ولعل أبا بكر الزبيدي أصدق مثل على النوع الأول وقد تحد في كتابه الواجح الثقيل
من تحليل الأسماء والاحتجاج لها ، وذلك لأنه صنفه خدمة للمبتدئين ، فقدم الى السهولة
والاختصار . وأغلب علله قائمة على تفسير الأحكام النحوية في ضوء ما للحرب من حسن لغوي
وعلى حمل التأثير على نظائره ، والتشبيه على شبيهه وعلى مراعاة ما يتألبه الاستعمال من
خفة واختصار في النطاق ومن ذلك تحليله حذف حرف العلة من الأفعال المحذرة نحو ؟ قال
وعاد ، وباع ونحوها ، قال : ((وقد يلحقه (الفعل) الحذف عن **علة** صادرة فيكون حرف
حرفين وذلك قولك : **قُلْ وَقَدْ** ، **وَبِعْ** ، فإذا ارتفعت العلة عنه عاد الى أصله وقد يلحقه
أيضا الحذف فيكون على حرف واحد محذوفاً ، لزمه الاتصال أو إلحاق الزيادة عند الوقف
وذلك قولك : **عِ كَلَامِي** ، **وَشِ ثَوْبَكَ** ، فإذا وقفت قلت : **عِ وَشِ** . وذلك لما قد ذكرنا
أنها من أن الحركة والسكون لا يقمان في حرف واحد معا ، فإذا زالت العلة الموهبة
للحذف عاد الفعل إلى أصله)) (١) .

وهو يرى أن علة منع مجيء الألف زائدة في أول الكلمة هي علة الاستثقال ، قال :
(١) والألف لا تلحق أولاً لسكونها ، وتلحق ثانية في قاتل ، وقاثلت . . . (٢) .
وأوضح من ذلك قوله في ترك الصرف في بعض الأسماء الأعجمية لعلة الاستثقال :
(٢) فان زادت الأسماء على ثلاثة أحرف لم تنصرف في المعرفة وذلك لعدم
إسماعيل وإبراهيم وإسحاق ، ويعقوب وموسى وهارون وما أشبهها من الأسماء
الأعجمية ، تقول : مررت بإسحاق بن يعقوب ، ورأيت إسماعيل ، وقرأت سورة إبراهيم
وجاءني هارون بن يونس ، تركت صرف هذه الأسماء لأنها أسماء أعجمية فثقل صرفها
في كلام الحرب)) (٣) وقال أيضا : فإذا وصفت الاسم العلم بالابن والابنة ، شسم
أصفت الابن الى اسم أبيه المعروف ، أو اسم أمه أسقطت التنوين من الاسم الموصوف .

(١) الاستدراك للزبيدي ص ٤٠ (٢) الاستدراك للزبيدي ص ٤٠ - ٤١

(٣) الواضح ص ١٥٨ - تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفه ،

استخفافا ، تقول : هذا زيدُ بنُ خالدٍ . . . ومررت بهنظف: ابنة عبد الله . وكذلك
إن أضقت الابن الى صفة مشهورة مثل الأمير القاضي ، وصاحب المدينة ، حذف
التونين تقول : هذا زيدُ بنُ القاضي . . . ومن العرب من ينون هذا كله فيقول :
هذا زيدُ بن خالد — والأول أفصح (((١) .

ومن علل المجاورة ، وكره الخروج من كسر الى ضم قوله : ((وما كان من هذه الأفعال
(المبدعة بهمزة الوصل) على ما لم يسم فاعله ، فانك تضم فيها ألف الوصل التي كانت
مكسورة ، تقول : أنطلق بزيد . . . وانما ضمت الألف من أجل ضمة الحرف الثالث من
الفعل لأنهم كرهوا أن يخرجوا من كسرة الى ضم كما فعل ذلك في قولك ، أدخل
وأخرج ، ضمت الألف ، وحق ألفات الوصل أن تكون مكسورة أبدا متى يمنع من ذلك
مانع)) (٢) . ومن علل المجاورة أيضا حذف السكون الاولي عند التقاء الساكنين قال :
((فاذا لقي المجزوم حرفا ساكنا جررت الفعل لئلا يجتمع ساكنان ، تقول : اضرب الرجل
كسرت الباء من اضرب لسكونها وسكون الراء الاولي من الرجل)) (٣) .

وعلل بالرجوع الى الأصل ، وهو ما يسمى بحلة الاصل ، ومنه قوله امتناع مجي صيغة
التعجب (ما أفعل) من الأفعال الدالة على الألوان والمعانيات ، قال : (وانما امتنع
هذا من الألوان والمعانيات لأن أفعالها تنجي على أكثر من ثلاثة أحرف مثل : احضر
وابيخ ، واخضر (وما جاء ثلاثيا مثل عمي وعرج وحول فأصله أن يكون على أكثر من ثلاثة
أحرف ، فلذلك امتنع منه ما أفعله)) (٤) .

وتحدث عن علة نفع اللبس ، قال في باب الاستفاعة : ((اذا ناديت مستن
تستفيث به ألحقت أول اسمه اللام المفتوحة ، تقول : يا يزيد ، ويا للناس ، ويا للمسلمين
وذلك اذا كنت تدعوهم ، وتستفيث بهم . فان دعوت الى شيء كسرت اللام ، تقول :
يا للمعجب ، ويا للبهية . تريد يا قوم ادعوك للمعجب والبهية ،

(١) الواضح ص ٢٣١ - ٢٣٢ ، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفه

(٢) المصدر نفسه ص ١١٣ (٣) المصدر نفسه ص ٧٣

(٤) المصدر نفسه ص ٨٥

وانما ألزمت هذه اللام الكسر ، واللام الأولى الفتح لتفرق بين المدعو ، والمدعو اليه
وانما هي لام الجر ، أعني اللام الزائدة . وأصل هذه اللام في الكلام الفتح . ألا ترى
أنها في المكبات مفتوحة اذا قلت : له مال ، ولك أهل (((١) .

ومن علل الاختصار عنده قوله : ((وتقول في الاثنين والجميع : هذان الضاربان زيداً .
وهؤلاء القاتلون عمرو . ويجوز أن تقول : هذان الضاربا زيداً ، والقاتلو عمرو . تحذف
النون وأنت تريد ها . ولكنك حذفها لطول الاسم . وتقول : هذان الضاربا زيد
والقاتلو عمرو . وتضيف الضاربان ، والقاتلون ، وتحذف النون للاضافة)) (٢) . وتحدث
عن علة الفصل بين الحروف المتتالية في الكلمة الواحدة ، قال في زيادة الألف بين نون
النسوة ونون التوكيد في أمر جماعة النسوة : ((وللنسوة : اضربنَّ وكان الأصل : اضربنَّ .
فكرهوا اجتماع النونا ، فصلوا بينها اها لألف ، وكسروا النون الآخرة لأنها أتت بعد
ألف ، فأشبهت نون التشية)) (٣) . . .

وقد نجده يحلل بالتسكين في حديثه عن علة منع توكيد فعل الاثنين وجماعة الاناث
بنون التوكيد الخفيفة قال : ((وكل موضع تدخله الثقيلة . فالخفيفة تدخله الا في التشية
وفعل جماعة المؤنث . فان الخفيفة لا تدخلها لسكونهما وسكون الألف قبلها . ألا ترى
أنك لو قلت : اضربان ، واضربنَّ ، لجمعت بين ساكنين ، وذلك لا يكون . وانما
يجتمع الساكتان اذا كان أحدهما حرف لين والثاني مدغم ، كقولك : دابة ، واحسار
واضربان ، وما أشبه ذلك)) (٤) .

-
- (١) الواضح ص ١٨٧ ، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة
(٢) الواضح ص ١٧٨ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة ، وعرض سيبويه لهذه المسألة
في كتابه ٢/٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، قال فيها : (فأذا شئت أو جمعت فاشتت النون ، قلت
هذان الضاربان زيداً ، وهم الضاربون الرجل ، لا يكون فيه غير هذا لأن النون ثابتة
وان كفت النون جررت ، وذلك قولك : هما الضاربا زيد والضاربو عمرو) وانظر حاشية
الواضح ص ١٨٧ تحقيق الدكتور أمين السيد .
(٣) الواضح ص ١٩١ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة (٤) المصدر نفسه ص ١٩١

وقد يحلل بالقياس أو كثرة المسموع ، قال : ((فان شغلت الفعل بضمير الاسم المتقدم ، قلت : زيد ضربته . وعمرولقيته . وأخوك شتمته . ترفع الأسماء بالابتداء . وخبر الابتداء في الأفعال التي بعد الأسماء . وانما رفعتها لأنك شغلت الفعل الحامل فيها بسببها ، فرفعت بالابتداء . ومن العرب من يقول : زيداً ضربته . وعمرراً كلمته . . . والأول أجود وأكثر)) (١) .

وبجانب هذه الحلل القرينة السهلة ، القائمة على تحكيم الذوق في استغفاف لفظة أو أسلوب ، واستثقال سواهما ، ولأن الكثير المسموع ، والقياس المتقارن هو الذي ألقى هذا الوجه ، ودعا إلى ترك غيره ، يجد الباحث عند الزبدي بعض الحلل المنبذة بالفلسفة ولكنها قليلة من ناحية ، وليست مؤهلة في ذلك أو بالخسة شأن الحلل التي ركز فيها أصحابها على العلة الجدلية النظرية من ناحية أخرى .

ومن هذه الحلل علة ترك صرف الاسم المعدول عن أصله قال : ((فأما جُمِعَ وَكُتِبَ فإنهما معدولتان عن جُمِعَ وَكُتِبَ كما جمعت حمراء على حُمِرَ وخضراء على خُضِرَ فلما عدلت عن هذا الوجه صارت في بابها كَمُمِرَ وَزَفِرَ حين عدلا عن عامر وزافر ، تقول مررت بالنسوة جُمِعَ كُتِبَ ، وكل ما ذكرنا من هذا الباب اذا كان نكرة فهو معدول تقول : مررت بعمرو وعمر آخر ، وكذلك ان صغرت هذه الأسماء صرفتها تقول مررت بجمير ، وجاءني زغير ، لأنك لما صغرتها زالت علة المعدول عنها . فأما أُخِرَ جُمِعَ أُخِرَ فلا تصرف في النكرة تقول : مررت بجوارك آخر ، وذلك لأنها خافت أعرافها مثل الصُفَر والكُبَر ، وما أشبهها من بابهما لا يكون الا محرفة وأما أُخِرَ فقد تكون معرفة ونكرة فأشبهت المعدول لخروجها عن أصلها)) (٢) .

ومنه حد يثبه عن تنازع فطلين على فاعل واحد ، ويسميه باب جمع الفاعلين والمفعولين قال : ((واعلم أنه لا يجوز أن تقول : ضربته وضربني زيد ، لأنه لا ينبغي لك أن تضمر شيئاً حتى تذكره فان قال قائل : لم قلت : ضربني وضربت زيدا ،

(١) الواضع ص ١٢٢ — ١٢٣ ، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة .

(٢) الواضع ص ١٦٠ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة .

فأضمرت في ضربي ضمير زيد ، وأنت لم تذكره ؟ فانما ذلك لأن ما بعده ما يفسره ،
ولأن الفعل لا بد له من فاعل مضمراً أو مظهراً لا يستغني عنه ، وقد يستغني عن المفعول .
ألا ترى أنك تقول : ضربت وقتلت ، أي كان منك ضَرْبٌ ، وَقَتْلٌ ، ولا يستغني عن الفاعل
لأن الفعل لا بد له من فاعل)) (١) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب الواضح لا يعطينا صورة واضحة عن مدى احاطة
الزبيدي بالعلل النحوية ، وذلك لأن الزبيدي غير معني بالعلل في هذا الكتاب
غير أنه من الانصاف القول أن الزبيدي كان على جانب من المعرفة بها ، وذلك أنه
ذكر في كتابه الواضح ما يشعر بالامامة بها فقد قال في حديثه عن منع كلمة أشياء ممن
الصرف : ((وقد قال قوم إن ألفها ألف التأنيث ، واعتلوا في ذلك بعلل ذكروها)) .
(٢) وقد أخذ عن استاذة القالي ، وقال في ترجمته له : ((وأعلمهم بعلل النحو على
مذهب البصريين ، وأكثرهم تدقيقاً فيه)) . (٣) وعن الرباعي الذي عرف بدقته ، وقد
وضح الزبيدي دوره الرباعي النحوي في قوله : ((ولم يأخذوا (يقصد المؤبدلين)
أنفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها والاعتلال لمسائلها حتى نهج لهم
(الرباعي) سبيل هذا العلم (٤)

وإذا ما انتقلنا إلى ابن العريف في كتابه شرح الجمل نجد عنده اعتقاداتاً كبيراً
بذكر العلل ، وهو لا يكتفي بذكر العلل الأولية بل يوغل فيها ، ويستقصي ما ذكره
النحاة في هذا الشأن . فمنذ ما تحدث عن علة بناء قبل وبعد على الضم قال :
وأما قبل وبعد فبنيت على الضم لثلاث علل : ((احداً من أنهما غابتان فأعطيتا غاية
الحركة وهو الضم ، والأخرى أنهما ظرفان ، والظرف لا يدخله (. . .) في حالة السلامة .

-
- (١) الواضح ص ١٩٢ ، تحقيق الدكتور أمين السيد
(٢) الواضح ص ١٥٢ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة (٣) انظر طبقات الزبيدي ص ٢٠٢
(٤) طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ — ٣٣٧

والحلة الثالثة أنهما لما كانتا غائبتين ، لا شيء بعد هما أشبهتا النداء المجرد ، وهذا احتجاج البصريين . والكوفيون يقولون : لو فتحتا لأشبهتا المضاف الى المضاف له ولو كسرتا لأشبهتا المضاف الى المتكلم . وأما حيث فإنها أشبهت قبل وبعد . وعيشت مكان . وأنها ظرف ، كما أنهما ظرفان . واعلم أن قبل وبعد إنما بنيتا على النسم لأن قبل وبعد بنيتا على الإضافة نحو قولك : بعدك وقبلك ، وقد لك عيشك . فلما حذفنا عن الإضافة بقي كل واحد منهما اسماً ناقصاً ، والاسم الناقص لا يحرب ، نحو ، ما والذي ، وأي ، وحيث لما دخلت على اسمين ثقلت فبنيت على أثقل الحركات (((١)) وتحدث عن علة الأصل ، ويظهر التأثير جلياً بمنهج الفلاسفة ومصطلحاتهم ، فنجد أنه يستعمل الجوهر والعرض ، والحامل والمحمول . قال في علة تقديم المبتدأ على الخبر : ((القول في تقديم المبتدأ على خبره ، قدم الاسم المبتدأ على خبره لأنه أصل له ، والخبر فرع محمول عليه ، وعرض من أعراضه . ولو كان الخبر مصرفة لما قام له معنى غير تعريف الصمد في قولك : زيد الخارج . وإنما جعل نكرة لأن الاسم يكون منه غير ذلك الفعل ، فستخبر به عنه . ولم يكن الاسم نكرة ، والخبر مصرفة لأن المترغسة لا تكون نعتاً لنكرة ، إذاً النكرات لا يثبت لها عين ولا يقوم لها معنى ، في قولك : رجل المذلق ، ولا رجل الخارج . . . في أن رجلاً ابتداءً والخارج خبره ، ونعت له والنكرة لا تنعت بالمصرفة . ورفع المبتدأ لأنه اسم الجوهر الأول . ورفع خبره لأنه من جهة أن العرض إذا ثبت جزءً وكيفية ، وارتبط بحامله دونه ، وقام باعتباره ضميراً . كانت نسبته أقوى للأعراض بالتجسيم أقوى مع الجوهر ، وأعطى حركاته ، وارتفع بالمبتدأ . والا بتداء لا بد له من خبر)) (٢) .

وقد جمع في حديثه عن علة رفع نائب الفاعل بين علة الأصل والتشبيه ، والحصل على المعنى والاستثقال قال : ((رفع ما لم يسم فاعله لأربعة أوجه : أحدها أنه لما صدق له من الفعل ما انعقد به الكلام وتم ، ارتفع .

(١) مخطوط شرح الجمل الورقة ٣٢

(٢) المصدر نفسه الورقة ٣٤

والثاني أنه لما غير فعله ، وأذهب الفاعل ، قام المفعول مقامه فارتفع . وقيل
 انه لما دل عليه اسمان ثقل ، فأعطي أثقل الحركات ، وهي الضمة ، فغلب ذلك .
 وقال سيبويه : انما يقدم الاشرف من الأسماء ، والذي لفائدة فيه . وانما كان الخوض
 في الذكر المفعول ، فصار لذلك أشرف من الفاعل . واعلم أن المفعول اذا لم يسم فاعله
 بمنزلة الفاعل ، لأنه يرتفع كما يرتفع الفاعل ، ويكنى عنه كما يكنى عن الفاعل . وترفعه
 بالابتداء اذا تقدم قبل الفعل ، كما يرتفع الفاعل ، نحو (زيد ضرب) فيرتفع زيد
 بالابتداء . واسم مالم يسم فاعله مضمرب في ضرب كالفاعل . وانما كان كالفاعل لأنك
 تحدث عنه كما تحدث عن الفاعل . وليس في كلامهم الخروج من ضمة الواو كسرة الالف في
 مالم يسم فاعله من الأفعال : نحو ضرب . . . وهو مستثقل قليل ، فأفرد به هذا البناء .
 وانما أشخلت الاسم بالباء رفعت ما بعده على مالم يسم فاعله ، ونصبت الثاني على
 أصله ، فتقول : سير يزيد يومان فرسخين . رفعت (اليومان) كما ذكرنا . ونصبت
 الفرسخين على الذارف . وان شئت على التشبيه بالمفعول به ، وان شئت قلت :
 سير يزيد يومين فرسخين ، تنصبهما جميعا على الذارف والتشبيه بالمفعول . وفي
 المجرور ضمير مالم يسم فاعله ، التقدير : سير يزيد ، فيكون مخفوضا في اللفظ
 مرفوعا في التأويل . كما قال هاجيائي من أحد . فأحد فاعل مخفوض في اللفظ مرفوع في
 التأويل . كما قرأت القراء : (مالكم من اله غيره) بالرفع نصبا للاله على الموضع .
 ويقول : ضرب يزيد ضرب شديد . وفعت الضرب لما خفضت زيدا ، وأقمته مقام مالم
 يسم فاعله ، فإن قلت : ضرب يزيد ضرباً شديداً ، على أن يقوم (زيد) مقام مالم يسم
 فاعله كان ذلك جائزا . والتقدير : ضرب يزيد ضرباً شديداً ، ولكن الرفع في المصدر
 اذا نعت أحسن ، لأنه يقرب من الاسم . والنصب جائز . قال الله عز وجل :
 (فان نفخ في الصور نفخة واحدة) أقمت نفخة مقام مالم يسم فاعله . وواحدة نصبت
 لها . وانما لم ينعت المصدر كان النصب الوجه ، وقبح الرفع . قال الأخفش : ولا يجوز
 النصب في نفخة لأن في الصور مجرورا ، ولا يقوم المجرور مقام مالم يسم فاعله)

وتحدث عن علة دفع اللبس قال : ((وسيبويه يسمى باب النسب باب الازافة ،

ولذلك زادوا الياء في آخره ، كما تزداد في الازافة . وانما كانت مشددة ، ولم تخفف
لثلاثا يلتبس بالازافة ، التي هي اسم المتكلم ، في قولك : غلامي . . . فأرادوا أن يفرقوا
بينهما لا بختلاف معناهما ، وذلك أن المضاف الى المتكلم معرفة بالازافة اليه ، وأما
النسب فيخرج الأسماء من حد التصريف الى حد التكثير)) (١) .

وعلل بكثرة المسموع وقلته ، قال : ((وعرفوا الاستقبال في الافعال مفتوحة
كلها إلا في الرباعي والملحق به من الثلاثي ، وانما فتحت لكثرة الاستعمال لأن الثلاثي
في كلامهم والمزيد أكثر من الرباعي ، ولذلك ضموا حروف الاستقبال في الرباعي لقلته
فأعطوه أثقل الحركات ، وفتحوا في الثلاثي لكثرتهم)) (٢) .

وعلل بالمشاكلة والمضاربة ، فقال في علة منع صرف الأسماء التي جاءت على صيغة
الفعل : ((وانما لم تنصرف لأنها جاءت على بناء الفعل الذي لا يقع إلا للأفعال . فمنعت
ما تمنع الأفعال ، فاجتمع فيها علتان : التعريف ومثال الفعل . . .) (٣) وقال في علة
نصب التمييز : ((وانما نصب التمييز لمضارعة الحال ، لأن فيه من التبيين ما في الحال . .
(٤) وقال في علة نصب بأن : ((وانما نصبوا بأن لانهم شبهوها بالأفعال .

فشبهوا المنصوب بالمفعول به ، والخبر بالفاعل . وجعلوا اسمها معرفة ، وخبرها
نكرة ، على حسب الابتداء والخبر ، لأنها داخلية على الابتداء والخبر ، والمبتدأ اسم
لجوهري جامد من أسماء الجواهر . . .) (٥) . وقال في علة بناء ان وأخواتها : ((
فبنيت هذه كلها على الفتح لثقلها بالتشديد الذي لحقها ، ولأنها تضارع الأفعال
الماضية لاتصال الضمائر المنصوبة بها ، قال البصريون دخلت أن على الابتداء والخبر
فغيرت المبتدأ ولم تغير الخبر ، وقال الكوفيون : لم تغير شيئاً من الإسمين ، لأن
الابتداء معنى في النفس ، وهو النية غير مغير (٦) .

(١) مخطوط شرح الجمل الورقة ١١٥ (٢) المصدر نفسه الورقة ١١٧

(٣) المصدر نفسه الورقة ١٠٥ (٤) المصدر نفسه الورقة ١٠٦

(٥) المصدر نفسه الورقة ٤٥ (٦) المصدر نفسه الورقة ٤٤

وخلل بالتمويض وابدال حرف بدل حرف نظرا لا اجتماع حرفين من مخرج واحد
 قال : ((حكى عن الخليل أنه قال : مهما أصلها ما ثم زيد عليها ما أخرى للتوكيد ، كما
 يزيدونها في حيث ، فكدروا اجتماع حرفين من لفظ واحد ، فأبدلوا من الألف دسا ،
 لأنهما من مخرج واحد ، من الصدر . والنحويون يقولون : أصلها : سه : زجر . وما
 شرط)) (١) .

ومن العلل الجدلية الفلسفية ، الموضلة في التعليل والبصيرة عن طبيعة اللغسة
 تعليلها : العمل المانعة من الصرف قال : ((والأسماء تنقسم قسمين أوليين : أحدهما
 المتمكن ، والآخر غير المتمكن . والمتمكن ينقسم قسمين : أحدهما مستوفي التمكن ،
 ويسمى الأمكن كما يسميه سيبويه ، لأنه أمكن من الآخر الذي هو ناقص التمكن ، وهو
 الذي لا ينصرف . فالأمكن هو ما يدخله الرفع والنصب والجرم والتنوين ، والمتمكن هو ما
 يدخله الرفع والنصب ، ولا يدخله خفض ولا تنوين ، ويكون في موضع الخفض مفعولا
 وذلك أن مفعول المجرم لعله . والعلل المانعة من الصرف تسعة هي : وزن الفعل ،
 والصفة ، والتأنيث والتعريف ، والجمع الذي لا مثال له في الواحد ، والعدل ، والجمعة
 وزيادة الألف والنون ، واسم من اسمين . وانما منعت هذه العلل الصرف لأنها فروع
 حادثات على الاسم فأزالته عن الأصل ، والاسم له تمكن فلا يخرج عنه ذلك فروع
 حتى يكون به عين ، فوزن الفعل فرع من الاسم . والاسم قبل الفعل ، لأنه معد ثمة
 والفعل حادث ، فوزنه حادث . والصفة فرع والتأنيث فرع من المذكر ، لأن المذكر
 قبل المؤنث . ألا ترى أن الشيء مذكر ، وهو يقع على كل ما يخبر عنه وأكثر المؤنث
 بحالمة ، والشيء بلا زيادة قبله . فالزيادة والتعريف فرع حادث لأن النكرة قبل
 الموصولة ، لأنه إنما يتعرف بأشياء مختلفة والجمع فرع لأن الواحد قبل الجمع ، والواحد
 أصل العدد ، والجمع مركب منه . قال اقليدس الحكيم : (والعدد هو الكثرة الرئيسية
 من الآحاد) ، وأثقل الجموع الذي لا مثال له في الواحد ، لبعده عن مثال الأصل .

والمدل فرع من عدلك اياه ، وهو ازالته عن الأصل ، والصيغة فرع داخل في
 اللغة العربية ، وحادث فيها ودخل عليها . ولحق الزيادة فرع كما ذكرنا ، لأن
 الشيء بلا زيادة قبله بالزيادة . وجعل الاسمين اسما واحدا فرع ، لأنه تركيب ، والمفرد
 قبل المركب . وأصل كل اسم أن يكون مفردا ، بمسماه يفصله من غيره . فهذه الفروع ان
 دخل فيها اثنان فصاعدا على اسم أخرجاه عن أصله . وأصل جميع الأشياء التمكن
 والانصراف ، ولذلك يجوز للشاعر صرف ما لا ينصرف لأنه عند الضرورة يرد الى أصله
 فلما خرج الاسم عن أصله انحط عن منزلته ، وانخفض الى منزلة الأفعال فصار معها
 يعملولة في منزلها ، فمنع ما يمنع الأفعال ، وهو الخفي والتنوين . . . (١)
 ولا شك أن هذا تناول بحيد ، واستقصاء لا حاجة للنحو ، وتعميل متأثر
 بالنهج الفلسفي ، ومقحم على الذواجر اللغوية والنحوية ، وأين هو من أسلوب الزبيدي
 السهل الواضح ، فقد عرض الزبيدي للمضوع من الصرف ، قال : (اعلم أن حق الأسماء
 أن تكون محربة بالرفع والنصب والخفي ، وأن يلحقها التنوين علامة لها . الا أن من
 الأسماء أسماء لحقتها علل فمنعتها من أن تنصرف . فلا يدخلها خفي ولا تنوين .
 فرفعها رفع بلا تنوين ، ونصبها ونصب بلا تنوين . وسأبين ذلك وأذكر أبوابه . .
 اعلم أن ما كان على أفضل من النحوت ، مثل : أحمر (٣) . . وما كان من الأسماء
 والصفات ، آخره ألف التانيث المقصورة ، لم ينصرف في مصرفة ولا نكرة ، واحدا كان أو
 جمعا . وذلك نحو : بشرى . . وسكاري . . . (٤)
 ودعتهم الرغبة في تلصص الملة أن يبحثوا في علل " تتصل بحلم الالفاظ " .
 في اللغة ، فها هو ابن الصريف يتحدث لنا عن سبب تسمية الأشهر القمرية
 أسمائها المصروفة ، قال : ((وسموا الجمادين ، لأن الوقت الذي سميا فيه كان الماء
 جيامدا . فان قال قائل : لم قالوا : شهر ربيع الأول ، وشهر ربيع الآخر ، وجمادى
 الأولى وجمادى الآخرة ؟ فالجواب أنه يقال الثاني لماله ثالث ، فلما لم يكن لهذا
 ثالث ولا ثالث ، قيل فيهما الآخر والآخرة ، كما قيل في الدنيا والآخرة . . . (٥)

(١) مخطوط شرح الجمل الورقة ١٠٣ (٢) الواضح للزبيدي ص ١٤٨ تحقيق الدكتور خليفة

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٩ (٤) المصدر نفسه ص ١٥٠

(٥) مخطوط شرح الجمل الورقة ٢٩

ومن علامته حد يث من المصرفة والنكرة : ((النكرة اسم شائع في جنسه لا يخص به واحد دون آخر ، نحو : رجل وغرس ، وثوب وغلام . (وأنكر النكرات شئ^١ ثم جواهر ، ثم جسم . ثم حيوان ، ثم انسان ثم رجل في مذهب النحاة . وشئ^٢ يقع على الجواهر والعرض جميعا ، لأنه لا يقال للعرض جواهر على انفراد ، ثم جواهر لأنه لا يقال للعرض جواهر ويقال له شئ^٣ ، ثم جسم لأن الجسم يدخل تحته العرض والجواهر معا ، لا يقال لأحد منهما على انفراد جسم ، ثم حيوان لأنه لا يقال للجواهر حيوان . ثم انسان لأن الشمار حيوان وليس بانسان ثم رجل لأنه يقال للمرأة انسان ويقال للرجل انسان ، ولا يقال لها رجل وبهذا ذهب أهل الكلام أن أنكر النكرات ما كان معلوما بالقوة ، ثم شئ^٤ مخرج الى الكون ثم جواهر فحيار جزئية يعني الدلول والعرض ، ثم جسم بالتركيب ثم حيوان بالاطلاق ، ثم انسان بالتكليف ، ثم رجل بالتجنيس) . . . (١) .

وأما حد يث من معاني (الى)^(١) تقسيمات فلسفية لا حاجة لطالب اللغة اليها قال : ((فأما الى فتكون بمعنى الانتهاء والغاية ، فقولك : هذا الكتاب من زيد المسمى عمرو ، كقوله عز وجل : (فاعسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق) ، فهذه بمعنى الغاية فإذا كان هذا ، ولم يكن داخل فيه ، بل خارج عنه ، هذا ما لم يكن الحد من جنس المحدود ، وأما اذا كان من جنسه فهو داخل فيه ، وغير خارج عنه . والحد فسي المرافق من جنس المحدود ، ولذلك قال بعض الناس : ان ذلك داخل فيه وغير خارج عنه . فأما ما كان من غير جنس المحدود فقولك عز وجل : (وأتموا الصيام الى الليل) فالليل من غير جنس النهار ، فلذلك كانت هاهنا الى بمعنى الغاية ، ولم يدغم الحد في المحدود . والزيادة في الحد نقصان من المحدود ، كما أن النقصان من الحد زيادة في المحدود ويقال نقص الشئ^٢ في نفسه ، ونقصه غيره . وذلك أن الحد المساوي هو الذي ينعكس على محدوده كقولك في حد الانسان : انه حي ناطق ميت . فان زدت في هذا الحد ، فقلت : حي ناطق ميت دليبي ، نقصت من المحدود فكان من كان دليبي لم يكن انسانا ، وكذلك ان نقصت من الحد المساوي فقلت : حي ميت زدت في المحدود . فكان البهائم والطيور وغيرها من الميتة ناسا . ان هي مية ميتة وهذا الحد الزائد والناقص لا ينعكس على محدوده كانهكاس المتساوي فاعتبر ما ذكرنا)) (٢) .

ومجمل القول أن نحاة الأندلس في هذا القرن ساروا في تعليمهم باتجاهين الأول تعليمي سهل ، بعيد عن التكلف ، والجري وراء الملة ، وعلّة الملة ، والوقوف عند الملة الأولى حسب ما يتوافق مع طبيعة اللغة ، فلا حدانا أن الزبيدي لم يتجاوز هذه الملة إلا في مواطن نادرة وضرورية في كتابة النحوي المسمى بالواضح ، عرّض بالحلل الثواني والثالث بعيداً فجاء كتابه نقياً من الشوائب ، سهلاً ييسر الرغبة في دراسة النحو والاقبال عليه .

ولعل دعوة ابن مضاه القرطبي في التخلي عن الملل الثواني والثالث (١) فيما بعد ، قد انبثقت من مواقف العالم النحوي أبي بكر الزبيدي في القرن الرابع نان كان ابن مضاه قد طالب النحاة بتركها ، فقد كان أبو بكر الزبيدي قد طبقها وخلص النحو من التكلف ، وما يذهب رونقة ، ويجفف موره . أما الثاني فقد نهجوا فيه نهجاً ^{بعض} نحاة المشرق ، فمالوا إلى التكلف في بعض الملل وفلسفوها ، واعتمدوا فيها النهج الفلسفي والافتراض العقلي ، فأصبحت غير مقبولة ولا مستساغة ، بعد أن ابتعدت عن البساطة ، وحملت القواعد النوعية من الملل فوق ما تشتمل ، وأسرفوا في التماسها والبحث عنها ، وقادهم موقفهم هذا إلى أن يملأوا مؤلفاتهم بكلام لا يخدم طالبي النحو ، ولا الشاديين به ، فجاءت بحجة وعرة المسالك ، وذلك واضح في شرح كتاب الجمل لابن العريف السبزي عند ثنا عنه سابقاً .

(١) انظر الرد على النحاة ص ١٥١

المستخلص

لحل النحاة مدفوا من العامل في بحثهم النحوي الى ادراك الاواخر اللغوية المتعلقة
ببنية الكلمات ، أو تأليف الجمل ، ومعرفة حركات أواخر النظم .

كان هذا التصور منذ عهد الخليل بن أحمد والفراء ، فقد استطاع الخليل بعقليته
الفذة ، وحسه اللغوي المرمق ان يدرك ما بين حروف اللغمة من تقارب وتباعد وتناظر وانسجام
موسيقي . وقد نفذ النحاة الاوائل الى () فكرة العامل من ملاحظة الاواخر اللغوية
التي ترجع الى ما بين الالهوات من تألف وتناظر ، وتأثير بعض الحروف في بعض وملاحظة
أثر الاستعمال في كثير من الابنية والنظم . . وأن فكرة العامل بناتهم من ملاحظة ذلك
التفاعل بين الحركات والحروف والكلمات . . . (١) .

وكانت العوامل اللغوية محور بحثهم من العامل في البداية وقسموها الى لغوية
وصحفية . ونظرا لانتشار المذاهب الكلامية والفلسفية في أوساط الثقافة الاسلمية آنذاك ،
وتطور العلوم وتأثيرها ببعضها ، فقد تأثر النحاة بها ، وفتاوا العامل تناولا فلسفيا ،
وأصبح العامل محور جدل بين النحاة ، وكثرت بينهم الخلافات ، وراح كل فريق يلتصق
ما يمكنه من دعم آرائه وتوثيقها ، فظهر لديهم ما يمكن ان نسميه العامل الفلسفي ، وذلك
لأنهم لم " يقتضروا على تحليل التراكيب العربية ، وايفاج مقانة الدلائل منها ، وما يستتبعه
ومعهم في التراكيب من اواخر نحوية ، بل تعمقوا فيه ، ووسعوا مجال بحثهم ، ومزجوا
قواعده بمناظر فلسفية ، واسترسلوا غير البحث عن الأسباب ، وربطوا بها النتائج ، واستغلوا
فكرة ان كل مدد لا بد له من محدث ، وكل اثر لا بد له من مؤثر ، فطبعوها على الكلمات
ونبطها في شتى أوضاعها " (٢) . ويؤيد هذا قولهم : () العامل مع الممول كالحلة
الصلبية مع الممول . والحلة لا يفصل بينها وبين ممولها ، فموجب ان يكون العامل مع
الممول كذلك ، الا في مواضع قد استثنيت على خلاف هذا الاصلي للخليل راجع (٣) .

١- انظر مدرسة الكوفة ص ٢٧٤

٢- القواعد النحوية ص ٢٣٤

٣- الاشياء والنظائر ٢٥٦/١

وكثرة تداخل المنطق والنحو العربي في القرن الرابع الهجري، دعت أبا علي الفارسي يقول
بعد قراءة كتب علي بن عيسى الرماني : ((ان كان النحو ما يتولاه أبو الحسن فليس معنا منه
شيء، وان كان النحو ما نتولاه فليس معه شيء)) (١) . وأدى ذلك كله الى ما انتهت
اليه دراسة العامل من بدل واغراب، كما انتهى النحو الى ما انتهى اليه من جذب وجمود .

ولعل هذه المواقف المؤجلة في الفلسفة في النحو العربي آنذاك وما بعدها أدت الى
ثورة بمعنى النحاة المتأخرين في وجه هذا كله، فطالب بعضهم بالفاء السوالم التي افترضوها
النحاة ليحل محلها العامل التوقيفي، وكان ابن خنيساء القرطبي من أوائل من نادوا بذلك
قال : ((أما يذهب أهل الحسنى، فان يذهبوا هذه الأصوات إنما شيء من فعل الله تعالى،
وانما تنسب الى الانسيان كما ينسب اليه سائر أفعاله الاختيارية)) (٢) .

ولعل هذا التصور قد يسم، إذ كان الأوائل يرون أن اللغة من عند الله (٣)
والله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعلها منذ بدايتها كاملة في إعرابها ونائها، وأن تؤدي
وظيفتها على أكمل وجه وأحسنه، فكل ما لها من خصائص وأحوال إنما شيء من فعل الخالق
وارادته . والخوض فيها وفي إعرابها يجب أن يكون في ضوء هذا التصور القائم على أن اللغة
توقيفية . قال ابن خنيساء : ((من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ، ومقتضى هذا الخبر
النهي، وما نهى عنه فهو حرام، إلا أن يدل عليه^{يس} (يعني من الكتاب والسنة)، والرأي ما لم
يستند الى دليل فهو حرام . ومن بنى الزيادة في القرآن بلفظاً ومبنى على ظن باطل فقد
تبين بطلانه، فقد قال في القرآن بخير عليم، وتوجب^{يس} الوعيد اليه .) . ويدل على أنه حرام
الاجماع على أنه لا يزداد في القرآن لفظ غير المجمع على اثباته، وزيادة المبنى كزيادة اللفظ، بل
هي أخرى لان المساني هي المقصودة، والالفاظ دلالة عليها، ومن أجلها)) (٤) .

فابن خنيساء ينكر تلك النحاة وتأويلاتهم وافتراساتهم للظواهر اللغوية حسب المنهج
الفلسفي النظري الذي اتبعه، لأن ذلك في رأيه لا يتفق لهم، لأن اللغة من عند الله
وقد ثبت ذلك بالنص، ولا يحتاج فيه الى استنباط علة . وإذا كان النحاة قد وسسوا بحشهم في
العامل، وما يترتب عليه فقد التزم ابن خنيساء بمنهجاً فقهياً ظاهرياً في نظريته الى البحث النحوي .
ودأب النحاة على تقسيم السوالم - كما ذكرنا - تسعين : عوامل لفظية، وعوامل معنوية .

١- نزعة الألباء ص ٣٩٩ - ٢- الرد على النحاة ص ٨٧ تحقيق الدكتور شوقي ضيف

٣- الرد على النحاة ص ٧ - ٤- الرد على النحاة ص ٦٣- ٩٧

واللفظية تكون أفعالا وأسماء وأدوات • وأشوى الموامل اللفظية عند البصريين الأفعال •
 فهي تعمل عند هم متقدمة ومتأخرة في الفاعل والفاعل، والحال والتمييز، والظروف والمجرورات •
 ومجال عملها منحصر في الأسماء، ولا تعمل الأفعال في بعضها بعضا • والفعل والفاعل عند هم
 كالشيء الواحد، ولا بد لكل فعل من فاعل، مضرا كان أم ظاهرا، وسواء أكان المضر بارزا أم مستترا •
 وأعملوا الأسماء والأدوات التي تتضمن معناه لقبته ماذ أعملوا المندر وأسماء الفاعلين والمفعولين
 والصفة المستنبهة وأسماء التفضيل، وأسماء الأفعال، وأن وأخواتها لتضمنها جميعا ممنسى
 النمل (١) •

وقال الكوفيون بعمل الأفعال متقدمة ومتأخرة، وقدرة وظاهرة، وغير ان الكوفيين لم
 يمنحوها ما منحها البصريون من الملل الفلسفية، إلا اذا اضطرتهم الحاجة لمجادلة البصريين
 ولم يعتبروها هي والفاعل بمنزلة الشيء الواحد، ولذلك جاز عند هم خلو الفعل من الفاعل واجتماع
 فصلين على فاعل واحد نحو قولنا: قعد وكب خالد، فخاله فاعل للفعلين جميعا (٢) •

أما الأسماء فتعمل عند البصريين والكوفيين جامدة ومشتقة • فالجادة كما في الحال
 في مثل قولهم: هو جارى بيت بيت، وفي التمييز في مثل قولهم: لي عشرون دينارا •
 والمشتقة • كعمل أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة بأسماء الفاعل، وأفضل التفضيل
 وأمثلة المبالغة، غير أن الكوفيين يخرجون نوعين منها وهذا: أسماء الفاعلين وأمثلة المبالغة •
 فأسماء الفاعلين عند هم أفعال دائمة، فهي من الأفعال العاملة، وليست من الأسماء العاملة، أما
 سيج المبالغة فلا يصلحها البتة •

وأما الأدوات فهي أدوات الجر أو الخفض، وأدوات النسب، وأدوات الجزم (٣) • وأضاف
 الكوفيون الى هذه الأنواع من الأدوات نوعا رابعا هو الأدوات الرافعة • والرافع من الأدوات عند
 الكوفيين هو (لولا) • قال الفراء في تفسير قوله تعالى: من سورة الاعراف: ((لولا رجال مؤمنون
 ونساء مؤمنات)) رفسهم (رجال) بلولا (٤)، وقال في لولا: ((لولا هي الرافعة للاسم
 الذى بعدها ولاختصاصها بالأسماء كسائر الموامل)) (٥) •

١- انظر مد رسة الكوفة ص ٢٧٧-٢٧٨ ٢- انظر مد رسة الكوفة ص ٢٧٨

٣- انظر تفصيلها في مد رسة الكوفة ص ٢٨٢-٢٨٨ ٤- مد رسة الكوفة ص ٢٨٩

٥- كتاب الكافية ١/١٠٤ (٧- دار الكتب العلمية - بيروت) • وانظر مد رسة الكوفة ص ٢٨٩

وأما العوامل المضموية فقد كانت نادرة عند البصريين شائعة عند الكوفيين .
فليس في النحو البصري من العوامل المضموية الا عاملان هما : المبتدأ ، والفعل
المضارع (١) ، وقد اختلف النحاة في كثير من هذه العوامل ، والمدقق في خلافاتهم
يجد لها قائمة على الفروع ، وليس على الاصول . فالقواعد النحوية الاساسية لا يختلفون
فيها ، ولكن اختلف فهم قائم على العامل والملة ، والمامل كان من الأمور النحوية التي
شغلت بال النحاة العرب ، وملاّت كتب النحو ، وأثقلت كاهل المؤلفات النحوية ، وعقدت
النشء ، ومزجت الاصول بالفروع .

ولسنا بصدّد تعداد الخلافات النحوية وحصرها ، فهي كثيرة وطويلة ، ونظرة
في مخطوط شرح كتاب الجمل لابن الحريّ ، وفي كتاب الانصاف في مسائل الخلاف
لابن الانباري ، وفي كتاب الاشياء والنظائر للسيوطي ^{نقطة} صورة واضحة عن هذه الخلافات
غير أننا سنذكر بعض أوجه الخلافات — بين البصريين والكوفيين لنرى ما هو موقف نحاة
الاندلس من هذه الخلافات آنذاك . ومن هذه الخلافات .

(١) اختار الكوفيون اعمال الفعل الاول في الاسم لأنه أسبق الفملين ، واختار
البصريون اعمال الثاني في الاسم . ووافق ابن الحريّ رأي البصريين قال : ()
والاختيار عندي في هذا الباب اعمال الفعل الثاني ، لانه اقرب الى الاسم . والكوفيون
يختارون اعمال الاول لانه أسبق الفملين ، وذلك قولك : ضربت وضربني زيد ،
على اعمال الفعل الثاني ، والتقدير ضربت زيدا وضربني زيد ، الا انك حذف الفمحل
من الفعل الاول حذفاً لا استغنائك عنه بدلالة ما بعدها عليه . . . واذا قدرت الرفع
وأخبرت الناصب فقلت : ضربني وضربت زيدا ، عمل الناصب كما ترى عند البصريين ،
واضمرت الرفع الفاعل ضرورة لأن الفعل لا يخلو من الناصب ولأن ما بعده يبينه ، ورد
ذلك الفراء ، وقال : لا يجوز غير اظهاره ، واجازه الكسائي على حذف الفاعل ، وقد
أجاز ^{ببويه} : ضربني وضربت قومك بالناصب (٢) .

والاحظ ان ابن الحريّ رجح رأي البصريين في هذه القضية . وسبقه
أبو بكر الزبيدي فقال : (تقول : ضربت وضربني زيد . ولقيت ولقيني عمرو ، تريد
ضربت زيدا ، وضربني زيد ، ولقيت عمرو ، ولقيني عمرو ، فحذفت الفمحل الاول
لعلم المخاطب أنك تنويه . وأعملت الفعل الاخر لقربه من الاسم . . .) (٣) .

(١) مدرسة الكوفة ص ٢٩٢ ، وانظر مدرسة البصرة ص ٣٠٠

(٢) مخطوط شرح كتاب الجمل الورقة ٦٩ — ٧٠

(٣) الواضح ص ١٨١ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة .

كما أنهما أخذوا برأي البصريين في أن الفعل والفاعل كالشيء الواحد كما يلاحظ من النص السابق عند ابن المبريد وقال أيضا : ((والفعل مفتقر الى الاسم لا يقوم إلا به. ((١) . وقال أبو بكر الزبيدي موضحا علاقة الفعل بالفاعل : ((لأن الفعل لا بد له من فاعل مضر أو مظهر لا يستغني عنه . وقد يستغني عن المفعول ، ألا ترى أنك تقول : ضربت وقتلت . أي كان مني ضرب وقتل . ولا يستغني عن الفاعل لأن الفعل لا بد له من فاعل ((٢) .

٢- العامل في المضارع المرفوع
ذهب البصريون الى أنه مرفوع لقيامه مقام الاسم . وهذا عندهم شامل معنوي مثل الابتداء في رفع مبتدأ .
وذهب الكوفيون الى أنه مرفوع لتجده من السوالم الناصبة أو الجازمة ، فإذا دخلت عليه أدوات النصب نصبته ، وإذا دخلت عليه أدوات الجزم جزمته . وإذا لم يدخله شيء من ذلك كان مرفوعا ((٣) . قالوا : ((فعلنا أن بدخولها (أدوات النصب والجزم) دخل النصب والجزم . وسقط لها عنه دخله الرفع ((٤) .

وذهب الكسائي الى أنه يرتفع بدخول أحرف المضارعة على أوله . وأنكسر بعض النحاة ذلك ، لأن أحرف المضارعة أجزاء من الفعل ، لا تنفصل عنه . وإذا أعملناها في الفعل فكأننا جعلنا الشيء يعمل في نفسه . ولو كان هذا جائزا لما جاز نصب المضارع وجزمه لوجود حرف المضارعة في أوله . وقبل النحاة المتأخرون رأي الكوفيين في هذه المسألة ، ورفضوا رأي البصريين . فقد نقل الأشموني رأي الرضي في أن ذلك غير مسلم به ، لأن من الإقوال المضارعة المرفوعة ما يقع حيث لا يقع الاسم ، مثل : ((هلا تفعل ، وجعلت أفعل ، وما لك لا تفعل ، ورأيت الذي يفعل ، فإن الفعل في هذه المواضع مرفوع مع أن الاسم لا يقع فيها فلو لم يكن للفعل رافع غير وقوته موقع الاسم لكان في هذه المواضع مرفوعا بلا رافع فيبطل القول ان رافعه وقوته موقع

١- مخطوط شرح كتاب الجمل الورقة ٨ ٢- الراشح ص ١٨٢ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة

٣- انظر القواعد النحوية ص ٢٤٠ ، ودراسة البصرة ص ١١٥

٤- الانصاف في مسائل الخلاف المسألة رقم ٧٤

الاسم • وسج القول (يعني الكوفيين) بأن رافعه التجرد ((١)) • وأخذ الزبيدي برأي الكوفييين كغيره من النحاة • قال في رفع الأفعال المضارعة : ((وهي مرفوعة إلا وأخره ما لم يسمل فيها عامل نصب أو جزم) (٢)) •

٣- عامل رفعه المبتدأ • (٣) •

اتفق النحاة على أن رافع المبتدأ عامل معنوي • ولكسهم اختلفوا في طبيعة هذا العامل • فالبصريون يرون أن المبتدأ يرتفع بالابتداء • وخبره مرفوع بالابتداء • والمبتدأ • أما الكوفيون فيرون أنهم ما يترافقان • بمعنى أن المبتدأ مرفوع بالخبر • والخبر مرفوع بالمبتدأ (٤) •
وأخذ الزبيدي وابن الصريف برأي البصريين في هذه المسألة • قال أبو بكر الزبيدي : (إذا ابتدأت باسم لتخبر عنه • ولم توقع عليه عاملاً • فارفع ذلك الاسم بالابتداء • فإذا أخبرت عنه بشي • من أسماء أو نعت فارفعه لأنه خبر الابتداء) (٥) • كما أنه يرى أن عامل رفع الضمائر الواقعة جبتاً في الكلام هو الابتداء • قال : (فهذه الضمائر كلها ضمائر الرفع المنفصلة القائمة بأنفسها • وهي مرفوعة بالابتداء • وخبرها فيما بعدها) (٦) •

١- الأشعري ٥٤٧/٣ • وانظر دراسة البصرة ص ٣٠٠ •
أما المثال الأول فلأن حروف التحضيض لا يقع بعدها إلا الفصل • وأما المثال الثاني فلأن خبر أفعال القارة لا يكون إلا فعلاً مضارعاً • وأما المثال الثالث فلأن السماع لم يرد برفع الاسم بعد " مالك " • وأما المثال الرابع فلأن الصلة لا تكون إلا جملة • (انظر بحث الأشعري ٥٤٧/٣)

- ٢- الواضع ص ٣٩ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة • ص ٧ تحقيق الدكتور أمين السيد
- ٣- انظر الانصاف في مسائل الخلاف المسألة رقم ٥
- ٤- انظر دراسة البصرة ص ١١٣ • وانظر دراسة الكوفة ص ٢٨٠-٢٨١
- ٥- الواضع ص ٥٧ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة • ص ٣٠ تحقيق الدكتور أمين السيد •
- ٦- الواضع ص ٦٠ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة • ص ٣٣ تحقيق الدكتور أمين السيد

وقال ابن المرسف : ((والابتداء ما كان مقطوعا عما قبله ، ولم يتعلق به عامل لفظي . والابتداء غير المبتدأ ، وهو معنى في النفس يرفع المبتدأ . والعامل ينقسم قسمين : الأول لفظي ، والثاني معنوي . فالعامل اللفظي نحو ضرب ، وقام والعامل المعنوي هو في النفس الذي ذكرنا)) (١) .

٤- عامل رفع الفاعل
ذهب الكوفيون الى أن عامل رفع الفاعل هو معنى الفاعلية أو الاسناد ، ولكون الفعل مسنداً إليه كان مقتضياً فيه الرفع . ((والفعل عند كثير من أئمة الكوفيين يكاد يجرى في أكثر أحواله من اقتضائه العمل في الفعل ، بل في المفعول به أيضاً ، بل يكاد يحرم عن كل عمل ينسب إليه . فالعامل في الفاعل عند الكسائي ليس بلفظ الفعل ، وإنما كونه داخل في الوصف ، متلبساً بالفعل ، وعند هشام بن معاوية الضمير نحو الاسناد لا الفعل . وعند خلف الأحمر هو معنى الفاعلية أو الاسناد)) (٢) .

وذهب البصريون الى أن الفعل هو عامل الرفع في الفاعل . . . وأخذ الزبيدي وابن المرسف برأي البصريين . قال الزبيدي : ((إذا أخبرت عن شيء أنه فعل فعلاً ما ، وقد ست فعله قبله فارفع ذلك الشيء لأنه الذي فعل)) (٣) . وقال أيضاً : ((إذا أخبرت عن شيء أنه الفاعلين أنفساً مستقبلة رفعتهم أيضاً بأفعالهم . تقول : سيقدم زيد . يتقدم : فعل مستقبل . وزيد فاعل . لأنه هو الذي يقدم)) (٤) . وقال ابن المرسف في مثل قولنا : ((قام أحد ث في زيد الأعراب . وأحد ث زيد القيام)) (٥) .

وقال أبو بكر الزبيدي في عامل رفع نائب الفاعل : ((إذا أوقعت الفعل على المفعول ، ولم تذكر الفعل فارفع المفعول ، وأنته مقام فاعله في أعرابه . تقول : ضرب زيد . ضرب : فعل ماض . وزيد : مرفوع لأنه لم يسم فاعله ، مقام نائب الفاعل)) (٦) . وقال أيضاً في باب الاشتغال : ((فإن شغلت الفعل بضمير الاسم المتقدم ، قلت : زيد ضربته . . . ترفع الأسماء بالابتداء . وخبر الابتداء في الأفعال التي بعد الأسماء . وإنما رفعتها لأنك شغلت الفعل السام فيها بسببها فرفعتها بالابتداء)) (٧) .

١- مخطوط شرح كتاب الجمل الورقة ٣٤

٢- انظر مقدمة الكوفية ص ٢٧٨

٣- الواضح ص ٨ تحقيق الدكتور أمين السيد

٤- مصدر نفسه ص ٩

٥- مخطوط شرح كتاب الجمل الورقة ٩

٦- الواضح ص ١٦ تحقيق الدكتور أمين السيد .

٧- الواضح ص ١٧٢ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة

وقال ابن الصريف: ((وإذا اشتغل الفعل عن المفعول بضميره، ارتفع بالابتداء وصار الفعل خبره، كقولك: زيد ضربته، ترفع زيدا بالابتداء، وضربته خبره، والهاء عامدة على زيد، وفي التثنية والجمع... وهذا هو المختار، وقد يجوز نصبه، فتنسبه بفعل مضمير يدل عليه الظاهر... ولا يجوز إظهاره... والرفع أجود إلا في الاستفهام والأمر والنهي والجحد والمرغى والجزاء، فإنه يختار فيه النصب)) (١) .

٥- عامل نصب المفعول به (٢)

يرى بعض النحاة أن المفعول لبيعة هي عامل النصب في المفعول به، وقال البصريون: أن عامل النصب في المفعول به هو الفعل نفسه (٣) .
وما أبو بكر الزبيدي وابن الصريف إلى رأي البصريين، قال أبو بكر الزبيدي: ((وإذا كان الفعل ما يعتمد فاعله إلى مفعول يقع به، فارتفع الفاعل بفعله... وانصب المفعول لوقوع الفعل عليه، تقول: ضرب زيد عمرا، ضرب: فعل، اض: ورفعت زيدا لأنه الفاعل الذي ضرب، ونصب عمرا لأنه المفعول الذي به وقع عليه الضرب)) (٤) .
وقال أيضا في باب التسجيب: ((ما أظرف القوم أو ما أجمل الرجلين! تنصب هذه الأسماء كلها بوقوع الفعل عليها)) (٥) .

وقال ابن الصريف: ((وذلك أن الفعل ينصب كل ما يتعلق به بعد ارتفاع الفاعل، على اختلاف وجوه الخصومات كالمصدر والنظر والحال والتمييز...)) (٦) .

٦- العامل في جواب الشرط

يرى الكوفيون أن جواب الشرط مجزوم على الجوار، لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط لازم له، لا يكاد ينفك عنه، فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم، قالوا:

- ١- مخطوط شرح كتاب الجمل الورقة ٣٦
- ٢- انظر الانصاف في مسائل الخلاف السألة رقم ١١
- ٣- انظر دراسة الكوفة ص ٢٩٣
- ٤- الواضح ص ١٠ - ١١ تحقيق الدكتور أمين السيد
- ٥- الواضح ص ٨٣ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة
- ٦- مخطوط شرح كتاب الجمل الورقة ١٠٨

((الشرط مجزوم بالأداة ، والجواب مجزوم بالجسور)) (١) .

ويرى أكثر البصريين أن أداة الشرط هي السائل في فعل الشرط وجوابه ، وذهب بعضهم إلى أن السائل في جواب الشرط هما الأداة وفعل الشرط ، وذهب فريق إلى أن حرف الشرط يعمل في فعل الشرط ، وفعل الشرط يعمل في جواب الشرط . (٢) .

وذهب الزبيدي مذهب البصريين فقال في أدوات الشرط : ((وهي تجزم الأفعال التي في أوائلها الزوائد الأربع (حروف المضارعة) ، وتجزم الأفعال أجوبتها . وعوامل المجازاة تكون حروفاً وأسماء وظروفاً . فمن الحروف : إن ، وما ، وهي أم المجازاة . ومن الأسماء : مَنْ ومهما ، وأي ، وأيما . ومن الظروف : أين ، وأينما ، ومتى ، تقول : إن تكرني أكرمك . أن : حرف شرط . تكرني : جزم بالشرط . وأكرمك : جزم على جواب الشرط)) (٣) . فالزبيدي اقتصر على وجه واحد من أوجه البصريين في عامل جواب الشرط ، وهو أن الأداة تعمل في فعل الشرط : وفعل الشرط يعمل في الجواب . وهذه سمة ملاحظة في كتابه الواضح ، فيكتفي بالوجه الراجع عنده ، ولا يذكر غيره من الوجوه .

٧- أسماء الفاعلين

ذهب الكوفيون إلى أنها أفعال دائمة ، وليست من الأسماء العاملة ، وإنما هي من الأفعال العاملة ، ولها من قوة العمل ما للأفعال ، واعتبرها البصريون من الأسماء العاملة إذا كانت بمعنى المستقبل أو الحال (٤) .

وذهب أبو بكر الزبيدي إلى ما ذهب إليه البصريون قال : ((اعلم أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى المستقبل أو الدائم فإنه يعمل عمل الفعل الذي هو منه)) (٥) .

١- مدرسة الكوفة ص ٢٨٧

٢- القواعد النحوية ص ٢٤٠-٢٤١

٣- الواضع ص ١٠٦ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة

٤- انظر مدرسة الكوفة ص ٢٨١

٥- الواضع ص ١٧٦ تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة

٨ — المستثنى (١)

اختلف النحاة في عامل نصب المستثنى بالا ، فمن قائل ان الناصب له الا ، أو ما قبل الا من فعل ونحوه من غير أن يعدى اليه بوساطة الا ، أو الناصب له ما قبل الاعمدي اليه بوساطتها . وقد رجح أغلب البصريين أن المستثنى منصوب بالفعل الذي قبل الا ، أو بمعنى الفعل بتوسط الا . والكوفيون يذهبون الى أنه منصوب بالا (٢) قال ابن الحريص في هذه المسألة : (واختلف النحويون في الناصب للمستثنى فقال سييويه : انه عمل فيه ما قبله عمل العشرين فيما بعدها . . . والمبرد والزجاج يذهبان الى أن النصب في الاستثناء بتقدير استثنى زيدا ، ونابت عن الفعل ، وقامت مقامه ، وكأنه قال : أتاني القوم استثنى زيدا ، وهذا خطأ لأننا نقول : أتاني القوم غير زيد ، ولا يجوز أن تقدر استثنى غير زيد . والذي يوجب القياس قول سييويه ان تنصب زيدا بالفعل الذي قبل الا ، وذلك ان الفعل ينصب كل ما تعلق به بعد ارتفاع الفاعل على اختلاف وجوه المنصوبات كالمصدر والظرف والحال والتمييز ، فلما كان أتاني قد ارتفع به فاعله كان ما بعده الا متعلقا به فانتصب) (٣) .

واجمل ابن الحريص موقفه من العامل بقوله : (الاسم وضع ليُفعل فيه ، لا ليُفعل وأن الحرف وضع ليُفعل لا ليُفعل فيه ، وان الفعل وضع ليُفعل وليُفعل فيه . فاذن الحرف والا سم طرفان متضادان : الحرف عامل والا سم معمول فيه ، والفعل واسطة بينهما لانه عامل ومعمول فيه) (٤) .

وخلاصة القول لقد بلغ عدد المسائل المختلف عليها : بين نحاة البصرة والثقة في العامل تسع عشرة (٥) مسألة والمدقق فيها - كما لاحظنا فيما ذكرناه آنفا - يرى ان نحاة الاندلس مالوا الى آراء البصريين في العامل في الاغلب الا في بعض وجوه

(١) انظر الانصاف في مسائل الخلاف المسألة رقم ٣٤

(٢) القواعد النحوية ص ٢٣٩ - ٢٤٠ (٣) مخطوط شرح الجمل الورقة ١٠٨

(٤) المصدر نفسه الورقة ٩

(٥) انظر الانصاف في مسائل الخلاف ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٩

(٢٨٤)

قليلة عند الزبيدي (١) . ولكنهم تفاوتوا في استقصاء العامل وتعمقه ، فكان الزبيدي لا يهتم باختلاف النحاة فيه ، ولا يعرض لجميع آرائهم ، وإنما يكتفي بكسر الرأي الراجح عنده فيعتمده ، ويختار ما يراه صحيحا سليما ، فجاء كتابه خاليا من التعليلات الموهلة والتأويلات البعيدة ، والخلافات الكثيرة وتلك أمور لا تمس الأصول النحوية في علم النحو وإنما تتصل بالفروع . وقد كان أبو بكر محقا في تركها لأنه هدف من كتابه أن يكون سهلا مقبولا لدى الشاذين بالنحو والمتأدبين فيه . وعلماء النحو واللغة المحدثون يؤيدون هذا الموقف ويرون فيه حلا ويسرا لفهم النحو واستيعابه .

(١) ومنها أي الموصولة ، قال بعض البصريين بنائها ، وقال الكوفيون وجماعة من البصريين بأعرابها . انظر مغني اللبيب ١/٧٧ وقال الزبيدي بأعرابها أيضا فقد وافق الكوفيين وبعض البصريين في هذه المسألة . قال : (فقس مسائل أي ، وما ، على ما أوضحت لك في مسائل من . واحملها على ذلك في الخبر والاستفهام والجزاء . إلا أن أيا مضمرة ، وما ومن غير محريتين) الواضح ص ١٣٥ - ١٣٦ تحقيق الدكتور خليفة وانظر ص ١٣٩ منه . ومنها فصل الأمر : قال الكوفيون إن فعل الأمر مضرب وخالفهم البصريون ، فقالوا : هو مبني على السكون انظر الانصاف في مسائل الخلاف ٢/٣٠٣ وقال : الزبيدي (تقول إذا خاطبت مذكرا : اسمع . اسمع : جزم بالأمر . . . واضرب زيدا . اضرب : جزم بالأمر . . .) الواضح ص ٧١ تحقيق الدكتور خليفة . ومنها بعض نواصب المضارع مثل (حتى ، والفاء ، ولام التعليل . .) فالكوفيون يرون أنها ناصبة دون تقدير أن مضمرة بعدها . والبصريون ذهبوا إلى أن الفعل ينتصب بعدها بأن مضمرة (انظر الأشموني ٣/٥٥٦ - ٥٦٠) والزبيدي أخذ برأي الكوفيين — قال : (سرت حتى أدخل الدار . نصبت أدخل حتى . .) الواضح ص ١٢٤ تحقيق الدكتور خليفة . ومنها حاشي : ذهب بعض الكوفيين إلى أنها فعل ماض في الاستثناء وذهب بعضهم أنها فعل استعمل استحصال الأدوات . وذهب سيبويه وأكثر البصريين إلى حرفيتها ، وقال المبرد أنها تكون فعلا وتكون حرفا . واحتج كل فريق لرأيه أنظر الانصاف في مسائل الخلاف ١/١٧٨ - ١٧٩ واستحسن الزبيدي النصب بها ، واعتل بحلة الكوفيين قال : (والنصب في خلا وحاشي أحسن . لأن الفعل املك بهما لا ترى أنك تقول : حاشي يحاشي وخلا يخلو) . الواضح ص ٩١ تحقيق الدكتور خليفة .

أما ابن المريف فهو مقلد بكتابه (شرح كتاب الجمل)
بالخلافا للنحوية في جميع أمورها ، فهو ينقل آراء نحاة
الكوفة والبصرة ، ويزجج بعضها على بعض ، ولكنه الى نحاة
البصرة أميل ، وفي نحوهم أعلق .

ولعل قولنا : ((ان نحاة الأندلس في هذا القرن
نهجوا نهج نحاة البصرة ، ورأوا رأيهم في كثير من عوامل
أعراب اللفظية والمعنوية ، وأخذوا أحيانا قليلا
بأقوال الكوفيين - قريب من الصواب في ضوء ما تكشف
لنا من استقراء ما وصل إلينا من مؤلفات هذا القرن النحوية ،

التأويل

لحل اختلاف اللهجات العربية أدى الى اختلاف في روايات بعض نصوص التراث العربي . قال السيوطي : ((كثيرا ما تزوى الأبيات على أوجه مختلفة وربما يكون الشاهد في بعض دون بعض ، وقد سئلت قدما فأجبت باحتمال أن يكون الشاعر أنشد مرة هكذا ومرة هكذا ، ثم رأيت ابن هشام روى : (ولا أرض أبقى لـ ابقالها) بالتذكير والتأنيث . . . فان صح أن القائل بالتأنيث هو القائل بالتذكير صح الاستشهاد على الجواز من غير الضرورة ، والا فقد كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض ، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها ، ومن هنا تكثرت الروايات في الأبيات)) (١) .

ولعل هذا أدى أيضا الى اختلاف القراء في قراءة بعض آي القرآن . وعند ما دعت الحاجة الى وضع قواعد وأحكام تضبط الكلام العربي ، وتبعده عن اللحن والخطأ ، طفق علماء اللغة يجمعون اللفظة ، ويستقرئون نصوصها ويستنبطون منها قواعد وأحكام تطرد في كثير من التعابير والأساليب والتراكيب ، غير أنهم وجدوا بعض النصوص مخالفة لما أصلوه من أحكام ، فكان التأويل هو الوسيلة التي لجأوا اليها للتوفيق بين القواعد وبين النصوص المخالفة لها . وإذا لم يتيسر لهم هذا وصفوها بالشذوذ ، فقد ذكر السيوطي أن ابن السراج كان يرى أن أفضل التفضيل لا يأتي من الألوان ، وعندما واجهه بيت شعر جاء فيه اسم التفضيل من الألوان ، قال فيه : ((فان قيل قد أنشد بعض الناس :

يا ليتني مثلك في البياض
أبيض من أخت بني أباض

فالجواب أن هذا محمول على فساد ، وليس البيت الشاذ ، والكلام ، المحفوظ بأدنى اسناد — حجة على الأصل المجتمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه . وإنما يركن الى هذا ضعفه أهل النحو ومن لا حجة معه . وتأويل هذا وما أشبهه كتأويل ضعفه أصحاب الحديث ، واتباع القصاص في الفقه . انتهى . فأشار بهذا الى أن الشاذ ونحوه يطرح طرحا ، ولا يبهتم بتأويله)) (٢) .

ومثل هذه الأمثلة من النصوص المخالفة للقواعد يشكل عبثاً على البحث النحوي فمال النحاة الى وجوب حفظ بعضها وعدم جواز القياس عليها ووصفوها بالفاظ متعددة أهمها : القليل والنادر والشاذ في مقابل المطرد والشائع والغالب والكثير .

والتأويل في أوسع معانيه ((يعني صب طواهر اللغة المناغية للقواعد في قوالب هذه القواعد)) . (١) وهو ((لا يصح ولا يسوغ الا اذا كانت الجادة على شئ ثم جاء شئ يخالف الجادة فتأويل . أما اذا كان لغة طائفة من العرب لم تتكلم الا بها فلا تأويل . ومن ثم كان مردوداً تأويل أبي علي (الفارسي) (ليس الطيب الا المسك) على أن فيها ضمير الشأن ، لأن أبا عمرو (بن الملا) نقل أن ذلك لغة تميم)) (٢) .

وان إذا دخل الاحتمال بعض الشواهد اللغوية سقط بها الاستدلال ولا ضرورة للأغراق في التأويل . قال السيوطي : قال أبو حيان الأندلسي : إذا دخل الدليل الاحتمال سقط به الاستدلال ، ورد على ابن مالك كثيراً في مسائل استدلال عليها بأدلة بعيدة التأويل منها استدلاله على قصر الأخ بقوله : أخاك الذي ان تدعه لعلمة يجيبك بما تبغي ويثقبك من يبغى فانه يحتمل أن يكون منصوباً باضمار فعل ، أي ألزم . وإذا دخل الاحتمال سقط به الاستدلال)) (٣)

ولعل النحاة هدغوا من التأويل هدفين : صحة القواعد ، وسلامة النصوص واستخدموا في التأويل أساليب ثلاثة لتحقيق هاتين الغايتين (٤) .
الاسلوب الاول يقوم على فكرة عدم كفاية النصوص كمياً لاستخلاص القاعدة منها وبناء الأحكام عليها .

الاسلوب الثاني : يعتمد على وجود فوارق بين النصوص ، أو اختلاف نوعي ، وهذه الفوارق تصود الى أمرين : أولها الاختلاف في درجة فصاحة النصوص والثاني الاختلاف في الجنس الأدبي الذي ينتمي اليه النص شمراً كان أم نشراً .

(١) أصول التفكير النحوي ص ٢٦٢ (٢) الاقتراح ص ٢٩
(٣) الاقتراح ص ٢٩ (٤) أنظر تفصيل ذلك في أصول التفكير النحوي

والاختلاف في درجة الفصاحة تعود الى كون النص ضعيفا وهو ((ما انحط
 عن درجة الفصح)) (١) أو منكرا ، وهو ((أضعف من الضعيف وأقل احتمالا
 (٢) أو متروكا . وهو ((ما كان قد يما من اللغات ثم ترك واستعمل غيره (٣) .
 وهذا الأخير يجب تأويله عند النحاة ، اذا خالف القواعد لأنك ان : ((لم تأخذ
 به دخل عليك الشك في لغة من تستفصحه ولا تنكر شيئا من لنته مضافة أن يكون
 فيها بعض ما يخفى عليك فيعترض الشك على يقينك وتسقط بكل اللغات ثقتك)) (٤)
 أما الضعيف والمنكر فلأبي المكارم تحليل جيد على موقف النحاة منه
 قال : ((فان انحطاط في درجة الفصاحة حكم لا يمتد عند النحاة عن أسس
 محددة ، ولا يرتكز على حقائق ثابتة ، وكذلك الأمر في قلة الاستعمال أيضا ،
 فانها لا تعتمد على مقاييس موضوعية . ومن ثم يظل الأمر مجرد دعوى تطلق
 دون سند يقيد اليقين . وبذلك يضيف المنكر الى الضعيف مجالا جديدا من
 مجالات الأحكام الذاتية في البحث النحوي)) (٥) .
 الأسلوب الثالث : ويقوم على دعوى إعادة صياغة التركيب ، وفي ذلك توجد أبعاد
 في النص الموجود لا وجود لها فيه ، ويسبغ عليه من الخيال صورة تلبي كل ما تحتاج
 اليه ، وتغي بكل ما تفرضه الأحكام . وبهذا الأسلوب تجاوز التأويل كل مدى
 موضوعي وانفصلت من كل مقياس علمي ، وانطلق النحاة من خلاله يصححون كل
 ما يؤخذ عليهم من قواعد ونصوص مما)) (٦) .
 واتخذ النحاة وسائل عدة لتأويل النصوص المخالفة لقواعدهم ومنها :
 أ . المحذف والتقدير
 مال النحاة الى تأويل بعض النصوص التي تتجافى مع قواعدهم عن طريق
 افتراض صيغ محدوفة من التركيب اللغوي ، أو مقدرة تدل عليها الصيغة المذكورة
 وذلك ليوفقوا بين الشروط التي تفرضها القاعدة النحوية وبين النصوص التي لا تتسجم
 مع تلك الشروط ولا تطابقها .

-
- (١) المزهري ٢١٤/١ تحقيق أبي الفضل إبراهيم وزملائه
 (٢) المزهري ٢١٤/١ تحقيق أبي الفضل إبراهيم وزملائه
 (٣) المزهري ٢١٤/١ تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وزملائه
 (٤) الخصائص ٢٧/٢ - ٢٨
 (٥) أصول التفكير النحوي ص ٢٧٤ (٦) أصول التفكير النحوي ص ٢٨٠

وكان بعضهم يرى أن الحذف يختص بإسقاط العامل وإبقاء المصمول على ما كان له من حكم اعرابي ، فإذا تغير الحكم الاعرابي بعد الحذف دل عليه باصطلاح آخر هو الاتساع ، قال ابن السراج: ((الاتساع ضرب من الحذف ، إلا أن الفرق بينهما أنك تقيم المتوسع فيه مقام المحذوف ، وتصربه بأعرابه ، وفي الحذف تهذف العامل فيه وتدع ما عمل فيه على حاله في الاعراب ، والاتساع العامل فيه بحاله وإنما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف ، أو الظرف مقام الاسم)) (١) .

وتتناول ظاهرة الحذف والتقدير عند النحاة حركات الاعراب في مواطن الجمل التي لها محل من الاعراب ، كتقدير الرفع للجمل الواقعة خبراً للمبتدأ أو لأن وأخواتها ، والنصب في الجمل الواقعة خبراً لكان وأخواتها وظن وأخواتها . وكذلك في الجمل الواقعة حالا ومفعولاً ، والجرف في الجملة الواقعة مضافاً إليه وغير ذلك . وتقدر حركة اعراب المصدر المؤول حسب موقعه من الاعراب ، والاسماء المقصورة لا تظهر على أواخرها حركة الاعراب فتقدر تقديراً . أما المنقوصة فيطرد تقدير حركتها في حالتها الرفع والجرف . والاسماء المبهمه مبنية فتقدر حركاتها في جميع حالات الاعراب .

وتناول الحذف والتقدير أجزاء الجملة كما يلاحظ كحذف المبتدأ أو الخبر والأفعال الداخلة عليهما ، والإضافة والشرط والمائد وغير ذلك . ويشمل الحذف أقسام الكلمة الثلاثة : الاسم والفعل والحرف .

ولعل هو نفسه النحاة . من الحذف والتقدير في التراكيب النحوية قائم على مفهوم العمل النحوي الذي يقضي بالضرورة وجود ثلاثة أطراف في هذا العمل : العامل والمصمول ، والحركة الاعرابية التي تنتج عن أثر العامل في المصمول ، وإذا لم تتوافر هذه الأركان الثلاثة في الجملة مالوا إلى تقدير المحذوف منها .

وقد يشمل الحذف عند النحاة الجملة كما نلاحظه من حذف جملة الشرط (٢) والقسم وغيرهما .

(١) الأشباه والنظائر ١/ ١٣ ، وانظر أصول التفكير النحوي ص ٢٨٢

(٢) نحو قوله روبة: انظار حاشية الدسوقي على مفني اللبيب ٣/ ٣٦٠ مفني

اللبيب ٦٤٩/ ٢ تحقيق محمد صبي الدين ،

قالت بنات العم ياسلعي وان == كان فقيراً معدماً قالت وان

وقد يشمل أكثر من جملة ، كما في قوله تعالى : ((انا وجدناه صابرا نعم العبد)) ونحو قوله تعالى : ((ياليت قومي يعلمون)) . قال الشيخ الدسوقي في ذلك : ((وانما كان هذا الموضع من قبيل حذف الكلام بجملة أي بحيث لم يبق منه عمدة ولا فضله ، لأن المنادى عند سيوييه وجمهور البصريين مفعول به لأدعو مقدرا ، وأحمل يازيد : أدعوزيدا ، ثم حذف أدعوزوما لكثرة الاستعمال ودلالة النداء عليه ، فجزأ الجملة - وهما الفعل والفاعل - محذوفان ، فإذا حذف المنادى أيضا كان الكلام بجملة محذوفا)) (١) .

ومن مواطن حذف التركيب ، ما ذهب اليه بعض النحاة في قوله سبحانه : ((أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ، يوسف أيها الضيق)) والتقدير عندهم : فأرسلون إلي يوسف لأستمع به الرؤيا ، فأرسلوه ، فأتاه فقال له : يا يوسف)) (٢) .

والمدقق في مواقف النحاة من ظاهرة الحذف والتقدير يلحس أنهم لم يستمدوها - في كثير منها - من الموقف اللغوي والنحوي بل استعاروها من علوم الكلام ، وذلك لأن وظيفة النحو هي تحليل التراكيب والمعاني بتحديد المواقع المختلفة للكلمات في الجمل وتسجيل العلاقات الداخلية بينها ، فالمنهج الذي يجب اتباعه في ذلك يجب أن يكون مستمدا من خصائص اللغة ذاتها ، ومهمسة الباحث النحوي هي تسجيل ما تسلم اليه ملاحظاته في هذا المجال يسجلها كما هي دون أية محاولة لا سبغ صفة ما عليها ، وبصرف النظر عن مدى اتساقها أو تناقضها مع المذاهب الفلسفية أو المناهج المنطقية)) (٣)

وقال صاحب القواعد النحوية : ((وكان النحاة في بعض تأويلاتهم يتمسكون ويتكفون ، ويحاولون تأويل كل شيء ، كأنهم أرادوا أن يثبتوا أن كل ما نطق به العرب ، انما كان على طرق ثابتة ، لها أسبابها ونتائجها المنطقية ، وأصولها العقلية الصحيحة ، ولا ندري هل هذا صحيح في اللغات ، ونحن نعلم انها تخضع لموامل متشعبة منها الماديات العقلية والماديات الاجتماعية ،

(١) حاشية الدسوقي على مغنى اللبيب ٣٦٠ / ٢ ، انظر مغنى اللبيب ٦٤٩ / ٢

تحقيق محمد محي الدين (٢) مغنى اللبيب ٦٤٩ / ٢

(٣) انظر أصول التفكير النحوي ص ٣٠٤ - ٣٠٥

والاستعمال ، وما يقضي به كل ذلك من الخروج على الذائع المألوف خروجاً تختلف درجاته بين الكثرة والقلّة والندرة (((١) .

ب. الزيادة

حاول النحاة تأويل بعض ما اختلف مع قواعدهم من نصوص على اسلوب الزيادة ، واشتمل مفهوم الزيادة عند هم الصيغ والمفردات والتراكيب جميعاً . والزيادة عند علماء الصرف في الصيغ والمفردات تكون ((بالحقاق الكلمة من العروف مالم ينسبها ، إما لإفادة معنى كالف ضارب ، وواو مضروب ، وإما لضرب من التوسع في اللغة نحو واو عمود ، ويا سميذ)) (٢) .

وتقتصر الزيادة عند بعض النحاة على الأسماء والأفعال ، ولا تدخل الحروف ((لأن الزيادة ضرب من التصرف ، ولا يكون ذلك في الحروف)) (٣) . وقد جمصوا حروف الزيادة في قولهم ((سألتونيها)) .

وذكر ابن يعيش ثلاثة أضرب من الزيادة قال : ((اعلم أن الزيادة على ثلاثة أضرب : زيادة معنى ، وزيادة إلحاق بناء ، وزيادة بناء فقط ، لا يراد بها شئ مما تقدم ، فأما ما زيد للمعنى فنحو ألف فاعل نحو ، ضارب وعالم ، ونحو ، حروف المضارعة ، يختلف اللفظ بها لا يختلف المعنى ، وأما زيادة إلحاق فنحو الواو في كوشروجوهر ، ألحقت (الواو) الكلمة بجعفر ، وخرج ... وأما زيادة البناء فمثل فنحو ، واوعجوز ، ويا سميذ)) (٤) .

والزيادة في اللفظ تؤدي الى تقوية المعنى ، قال ابن جني : ((ان تكثير اللفظ يفيد تقوية المعنى)) (٥) .

(١) القواعد النحوية ص ١٨٠

(٢) شرح المفصل ١٤١/٩

(٣) شرح المفصل ١٤١/٩

(٤) شرح المفصل ١٤٤/٩

(٥) الخصائص ٣٦٤/٣

ومن الألفاظ التي أدرجها النحاة زيادتها في التراكيب اللغوية حسب ما
توافر لديهم من استقراء النصوص اللغوية ما يلي :

٠ ١ الباء

وتزاد في خبر ليس (١) ، وما الحجازية (٢) وفي المبتدأ (٣) والخبر
(٤) والفاعل (٥) والمفعول (٦) .

٠ ٢ من ، نحو قوله تعالى : ((ويكفر عنكم من سيئاتكم)) والمقصود يكفر عنكم
سيئاتكم .

٠ ٣ إن ، وأكثر زيادتها بعدما النافية ، وقد تكون مؤكدة وكافة . نحو قول
دريد بن الصمة (٧) .

ما إن رأيت ولا سمحت به كالיום طالي أنيق جرب

(١) نحو قوله تعالى : ((ولست عليهم بمسيطر))

(٢) نحو قوله تعالى : ((وما هم عنها بفائبين))

(٣) نحو قول الشاعر أشعر الرقبان الأمدى : انظر نوار أبي زيد ص ٧٣

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم هني مضر

(٤) نحو قوله تعالى ((والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها))

(٥) نحو قوله تعالى : ((وكفي بالله شهيدا))

(٦) نحو قوله تعالى : ((ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)) فالفعل متعمد

بنفسه بدليل قوله تعالى ((وألقى في الأرض رواسي))

(٧) شعراء النصرانية ٢ / ٧٦٦

- ٤ . أن ، تزداد بعد لما التوقيتية ، كما في قوله تعالى ((ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيي بهم)) .
- ٥ . ما ، تكون كافة وغير كافة ، ويؤتى بها لفادة التوكيد (١) كما في قوله تعالى ((إنما الله اله واحد)) وقوله : ((إنما يخشى الله من عباده العلماء))
- ٦ . لا ، تأتي زائدة مؤكدة ، نحو قوله تعالى : ((ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك)) . والتقدير ما منعك أن تسجد .
- ٧ . إذن ، ورأى بعض النحاة إلغاء عملها مطلقا إذا كانت زائدة ، قال صاحب التصريح : ((وهو القياس لأنها غير مختصة ، وإنما أعملها الأكثرون حملا على ظن أنها مثلها في جواز تقديمها على الجملة ، وتأخيرها عنها ، وتوسلها بين جزئيهما (٢) .
- ٨ . كان
- جعلها جمهور النحاة على ضربين : الإلغاء عن العمل مع دلالة الزمنية وإفادة التأكيد ، ويطرد هذا في أفعل التمجيد ، حيث تأتي زائدة بين التمجيد وفعل التمجيد نحو : ما - كان - أحسن زيدا . والثاني الإلغاء عن العمل والمعنى مما . نحو قوله تعالى : ((كيف تكلم من - كان - في المهد صبيا)) .
- ج . التحريص
- وقوام هذا عند النحاة هو ((الربط بين عدد من الأوقات أو الصيغ التي يوجد بينها نوع من الاتفاق وشيء من الاختلاف في الناحيتين الطولية والتركيبية . وغاية هذه الدعوى كما تتضح من شتات الأقوال النحوية هي رد الفوارق الصوتية إلى أصل متفق عليه)) (٣) . وهذا ملاحظ عندهم فيما قالوه في أن الساكنة مخففة عن إن الثقلة ، وكذلك أن عن إن ولكن عن لكن وكأن عن كأن .

(١) مخني اللبيب ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧

(٢) التصريح على التوضيح ٢ / ٢٣٥ ، ومن أمثلة زيادتها قول كثير عزة ،

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها وأمكنني منها إذن لا أقيها

(٣) أصول التفكير النحوي ص ٣٢٨

د . التقديم والتأخير

وهو يتعلق بتحديد العلاقة القائمة بين الصيغ داخل التركيب اللغوي ، من حيث مراعاة ترتيبها . والتقديم والتأخير أكثر أساليب التأويل انتشارا في البحث النحوي . وعند ما لاحظ النحاة من خلال استقراءهم اللغوي أن هناك صيغا تؤثر فيما بعدها ، ولا تأتي الا في الصدارة ، اشترطوا تقديمها كصيغ الشرط والاستفهام وغيرها ، لأنه لا يجوز أن يجعل ما قبلها عاملا فيها ، كما لا يجوز أن يحمل ما بعدها فيما قبلها (١) وعند ما تعارضت قواعدهم مع بعض النصوص لجأوا الى تأويلها وتخريجها بما يتفق وقواعدهم . ومن ذلك — مثلا — نقول زهير بن مسعود : (٢) .

فلم أرقه ان ينج منها وان يست فطاعة لا غش ولا بمنصر

ادعوا أن زهير أراد : ان ينج منها فلم أرقه . ودعم ابن جني هذا الادعاء في قوله ((قولك : أقوم — في أقوم ان قمت ليس جوابا للشرط ، ولكنه دال على الجواب أى ان قمت قمت ، ودلت أقوم على قمت ، ومثله : أنت ظالم ان فعلت ، أى ان فعلت ظلمت ، فحذفت ظلمت ، ودل قولك ، أنت ظالم عليه)) (٣) .

ومن التقديم والتأخير ما هو ماثل في عمل الصيغة فيما بعدها قال بعض النحاة بوجوب تأخير خبر كان عن اسمها اذا كان الخبر جملة فعلية ، وبعضهم أجاز ذلك معتمدا على بعض النصوص ، واعترض عليهم جمهور النحاة بأن ((كان انما تدخل على الكلام الذى كان قبلها مبتدأ وخبرا ، وأنت اذا قلت : يقوم زيد ، فانما الكلام من فعل وفاعل ، فكيف ذلك ؟ (٤) . وأجاب ابن جني على هذا التساؤل قائلا : ((لا يمتنع أن يمتنع مع كان في قولنا : كان يقوم زيد ، أن زيدا مرتفع بكان ، وأن يقوم مقدم عن موضعه ، فاذا حذفت كان زال الاتساع ، وتأخر الخبر الذى هو يقوم فصار بعد زيد)) (٥) .

(١) انظر مجمع الهوامع ٥٩/٢ (٢) نوادر أبي زيد عن ٧٠ واللسان مادة غش

(٣) الخصائص ٣٨٨/٢ ، وانظر أصول التفكير النحوي ص ٣٣٦

الغش : الضعيف اللئيم . والمفمر : الجاهل الذى لم يجرب الامور

(٤) الخصائص ٢٧٣/١ — ٢٧٤

(٥) الخصائص ٢٧٤/١

فاضطر النحاة الى تأويلها ، فقال ابن جني في ذلك : ((فان هناك طريقا آخر يسوغك غيره ، وذلك أن المفعول قد شاع عندهم واطرد من مذاهبيهم كثرة تقدمه على الفاعل والأمر في كثرة تقدم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر ، فلما كثر وشاع تقدم المفعول على الفاعل كان الموضع له ، حتى أنه اذا أخر فموضعه التقديم ، فعلى ذلك كأنه قال : جرى عدى بن حاتم ربه . ثم قدم الفاعل على أنه قد قدّره مقدما عليه مفعولاً له ، فجاز ذلك)) (١) .

ز . الحمل على المعنى

فرق النحاة بين مدلول بعض الكلمات من حيث دلالتها الكمية ، كالمفرد والمتى والجمع ، ومن حيث دلالتها النوعية كالتمييز بين المذكر والمؤنث ولكنهم وجدوا نصوصا شاذة عن هذه القواعد ، فمالوا الى تأويلها . ومن صور الخروج على التطابق الكمي ذكر الواحد والمراد به الجمع . وذكره ابن فارس وقال فيه : انه ((من سنن العرب)) (٢) وذلك كما في قوله تعالى : ((هؤلاء صنيغي)) . ومنه ذكر الجمع والمراد به ما هو أقل منه ، قال ابن فارس : ((من سنن العرب الاتيان بلفظ الجمع والمراد واحد واثنان)) (٣) . كما في قوله تعالى : ((ومنهم من يستمعون اليك حتى اذا خرج من عندك)) . ومنه ذكر المتى والمراد به الواحد ، كما في قول امرئ القيس : (٤) قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوصل ومنه ذكر المتى والمراد به الجمع ، نحو قوله تعالى : ((ألقيا في جهنم)) وهو خطاب لخزنة النار والزبانية (٥) .

(١) الخصائص ١/ ٢٩٤ ، ٢٩٧ (٢) الصاحبى ص ١٨٠

(٣) الصاحبى ص ١٨٠ (٤) شرح القصائد العشر ص ٤

(٥) انظر الزهرى ١/ ٣٣٥

ومنه تأنيث المذكر ، نحو قول عمر بن أبي ربيعة : (١)
فكان مجتني دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص : كاعبان ومعدن
فالأصل في المذكر والمؤنث التطابق ، غير أنه وردت بعض النصوص التي تخالف
ذلك ، فأولها النحاة وخروجوها على أسلوب الحمل على المسمى ، فتأنيث الشخص
في البيت السابق مرده الى أنه قصد به المرأة .

أخذ كثير من النحاة بهذه الوسائل من التأويل ، وطبقوها في بحثهم
النحوي ، وتراوح تمسكهم بها ، قلة وكثرة ، وعمقا وسطحية ، بحسب ما دلفوا اليه
من مؤلفاتهم النحوية .

ووقف نحاة الأندلس في القرن الرابع الهجري من قضية التأويل كما وقف
غيرهم من النحاة السابقين . فمنهم لم يهتم كثيرا بذكر النصوص المخالفة للقواعد
النحوية ، في تأليفه ، بل هدف الى وضع مؤلف نحوي خال من التعميدات والتأويلات
النحوية الاندلسية . وذلك واضح في كتاب الواضح لأبي بكر الزبيدي .

ومنهم من اعتنى بذكر الشواهد اللغوية متضمنة بعض النصوص المخالفة
للقواعد النحوية ، وهو ينقل آراء النحاة المختلفة فيها ، وأحيانا يصالي رأيه
فيها وذلك مانجده في مخطوط شرح الجمل لابن الحريف .

ومن وسائل التأويل التي أول بها نحاة الأندلس آنذاك على سبيل المثال :
الحمل على المسمى

وهو من أساليب التأويل عند النحاة العرب ، ولعل الزبيدي اعتمد عليه في
التفريق بين قولنا : في الدار زيد قائما ، وفي الدار زيد قائم . قال : ((رتقول :
في الدار زيد قائما . وفي المسجد أخوتك جلوسا . وزيد عندك مقيما : تنصب هذه
الأحوال بما في الكلام المتقدم من معنى الفعل . ألا ترى أنك أردت : استقر
زيد في الدار قائما . واستقر أخوتك في المسجد جلوسا . رفعت الأسماء بالابتداء
وخبرها في الظروف ، وذلك اذا جعلت الظروف للأسماء . وان جعلتها للأخبار
رفعتها ، فقلت : في الدار زيد قائم . زيد : ابتداء . وقائم : خبر الابتداء . وفي
الدار : ظرف للقيام . لأنك أردت : زيد قائم في الدار . وكذلك في المسجد أخوتك
جلوسا)) (٢)

(١) أنظر خزانة الأدب ٣ / ٣٢١ ، كتاب سيويه ٢ / ١٧٥

(٢) الواضح ص ٧٩ ، تحقيق وخليفة

وقال أيضا في القسم: ((فاذا حذف حروف القسم نصبت القسم به . تقول :
الله لأفعلن . وذلك لأن معنى قولك (الله) : أحلف بالله . فلما حذفت الحركة ،
الجار وقع الفعل المضمرة على المحلوف به فنصبه)) (١) .

وقال ابن الصريفي في نائب الفاعل : ((واذا أشغلت الاسم بالباء رفعت ما بعده على مالم يسم فاعله ، ونصبت الثاني على أصله ، فنقول سير يزيد يومان
فرسخين ، رفعت اليومان كما ذكرنا ، ونصبت الفرسخين على الظرف ، وان شئت
على التشبيه بالمفعول ، وفي المجرور ضمير مالم يسم فاعله . التقدير : سير يزيد
فيكون مخفوضا في اللفظ ، مرفوعا في التأويل ، كما قرأت القراء :)) (٢) من الله
غيره)) بالرفع نصبا للاله على الموضع . ويقول : ضُربَ يزيد ضربا شديدا ،
رفعت الضرب لما خففت زيدا ، وأقمته مقام مالم يسم فاعله . فان قلت : ضُربَ
يزيد ضربا شديدا على أن يقيم (يزيد) مقام مالم يسم فاعله ، كان ذلك بجائزا
والتقدير : ضُربَ زيد ضربا شديدا ، ولكن الرفع في المصدر اذا ثبت أحسن . .
والنصب جائز .)) (٣)

الزيادة

ومن صور الزيادة ما نلاحظه من حديث الزبيدي عن دخول كان بعد ما
التعجيبة في صيغة التعجب ما أفعل ، قال : ((ما أكرم القوم وأغضبهم :
فان أخبرت أن ذلك كان فيما مضى أدخلت كان بعد ما ، ولم تغير الكلام عن حاله
التي كان عليها . فقلت : ما كان أحسن زيدا ففي كان ضمير مرفوع . كأنه قال : ما أحسن
زيدا كان هذا الأمر ، ولا خبر لكان هنا ، لأنها بمعنى وقع . وانما أدخلت لتدل
على أن الأمر كان فيما مضى .)) (٤) .

وعرض لذلك ابن الصريفي ذكرا أقوال بعض النحاة فيها قال : ((قال أبو
العباس وأما كان فتدخل في باب التعجب وحدها من بين سائر أنواتها لا تساعدهم
فيها ، ولأنها أصل في كل فعل وحده . وذلك قولك : ما كان أحسن زيدا فيها :
رفعا لا ابتداء . وكان خبر للابتداء . واسمها مضمرة فيها ، وما بعده خبرها .

(١) الواضح ص ١٦٦ - ١٦٧ تحقيق الدكتور خليفة

(٢) المخطوط الورقة ٥٨ (٣) الواضح ص ٨٥ تحقيق الدكتور خليفة

وأحسن : فعل ماضٍ ، وزيدا نصب بالتعجب . وهو قول أبي اسحاق ، وقال الأَخفش : أما كان فلا عمل لها ، وإنما أدخلت في الكلام إلى نصب ما ، ولستم تعمل شيئا ، وإنما جئت بها لتدل على أنه كان ، وإذا أخرت رفعت ما بعد ما والنصب جائز على قبحه ، والتقدير ما أحسن كون زيدا تكون ما مع الفعل بتأويل المصدر ، فما ابتداءً ، وأحسن فعل ماضٍ فيه الخبر . ((١))
الحاصل على الضرورة الشريفة

قال ابن العرّيف في تأويله للبيت التالي :-

صدرت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

((ففيه أربعة أقوال للنحويين . قال سيبويه : ما في قلما : اسم في موضع رفع بفتح بقل ، ووصل مبتدأ ، وما بعده خبره ، والمبتدأ والخبر صلة ما . والتقدير يدوم قلما وصال لأنه إذا أراد تقليل الدوام . وقال المبرد : ما في قل صلوة ملخاة . والاسم بعدها مرتفع بقل . كأن قال : قل وصال يدوم على طول الصدود وقال بعضهم ، ما في قلما زائدة ، ليصلح أن يليها الفعل الذي لم يكن ليصلح أن يليها بخير ما . وإنما أولى قلما الاسم ، فقال : وقلما وصال للضرورة الشعر . ووجه الكلام أن تقول : قلما يدوم وصال . فيولي قلما الفعل دون الاسم .)) ((٢))
وقال الزبيدي : ((ولا يحسن إسقاط أن من قولك : عسى زيد أن يقسم ، إلا في ضرورة الشعر ، كما قال الشاعر (وهو هذبة بن خشرم الصدري) : (٣)
عسى الكرب الذي أنت فيه يكون وراءه فرج قريب

الحذف والتقدير والافاء

قال الزبيدي : ((فأما لولا فتدل على امتناع الشيء لوقوع غيره ، ولا بد لها أيضا من جواب . تقول : لولا زيد لأكرمتك . فزيد : ابتداء ، وخبره مضمر ، كأنه قال : لولا زيد عندك أو بحضرتك .)) ((٤))

(١) المخطوط الورقة ٦٦ (٢) المخطوط الورقة ٦٧

(٣) الواضح ص ١٢٦ تحقيق د . خليفة (٤) الواضح ص ٩٨ تحقيق د . خليفة

قال النحاة بد غول كان وأخواتها على الجملة الاسمية ، وأنها ترفع الأول ويسمى اسمها ، وتنصب الثاني ويسمى خبرها . ولكنهم عندما وجدوا مثل قولك : (كان زيد هو القائم) برفع زيد والقائم ، حاولوا تأويلها . قال ابن العريفي : (كان زيد هو القائم . . . فتجعل هو مبتدأ والقائم خبره ، والجملة خبر كان) وأما أهل البصرة فيجعلون هو فعلاً ملحقاً في الرفع والنصب . ويجعلون زيدا اسم كان ، والقائم خبره . وفي الابتداء والخبر خبر كان ، ويجعلون اسم كان مستترلاً فيها ، وأما أهل الكوفة فيسمونه العماد . ويجعلون زيدا ابتداءً ، والقائم خبره ، وفيهما خبر كان ، ويجعلون هو اسم كان . ويعتمدون عليها ، ويجعلونها . وأما أبو عمرو بن العلاء فيجعلها بمنزلة ثانئت . ويجعل زيدا ابتداءً ثانياً . والقائم خبر الابتداء الثاني . وفي الابتداء وخبره خبر الأول ، ويلحقى كان كما يلحقى ثانئت) (١) وأولوا بالرجوع الى الأصل ، قال ابن العريفي : (وقد جاء التذكير في النار والشمس عن بعض شيوخنا ، وذلك مصروف الى الأصل عندي ، لأن الشمس والنار أصلهما النور ، ولذلك أجازوا التذكير فيهما) (٢) والملاحظ أن ابن العريفي إذا رأى تأويلاً بعيداً ، لا تحوج الضرورة اليه أشار الى ذلك ، كما في قوله : (وإذا أحببت بحد الجواب بفعل معدولف فإن لك فيه ثلاثة : . . . فالجزم عطف على الفعل . . . أو تضم الفعل الآخر) والجزم أحسن إلا أن المطف على اللفظ أحسن منه على المعنى . وإذا نصبت فهو تأويل بعيد لا تحوج اليه ضرورة ، وهو جائز . . .) (٣) .

وقال الزبيدي في تأويل نصب نعت العلم المنادى المفرد المرفوع : (فان نعت الاسم المفرد بنعت مفرد ، كت فيه بالخيار ، ان شئت رفعت النعت وجعلته تابعا للفظ المدعو ، فقلت : يازيدُ الظريفُ ويامحمدُ الكريمُ . ويابشرُ الماقلُ . رفعت هذه النعت على لفظ المدعو . وان شئت نصبت لان الاسم المفرد المدعو في موضع نصب . وان كان مضموماً فموضعه موضع نصب لأنه مفعول بإلّا صل . وتقول : يازيدُ الكريمَ . وياعمرُ الظريفَ . . . نصبت النعت على الموضع) (٤)

(١) مخطوط شرح الجمل الورقة ٧٨ (٢) مخطوط شرح الجمل الورقة ٤٧

(٣) مخطوط شرح الجمل الورقة ١٠١ (٤) الواضح ص ٨١ تحقيق د . خليفة

و خلاصة القول ان المتفحص لمنهج نحاة الأندلس في بحثهم النحوي ، في القرن الرابع الهجري ، يجده لا يختلف في جوهره ، وطريقة عرضه عما سار عليه نحاة المشرق قبلهم . درسوا المؤلفات المشرقية ، واطلعوا على آراء النحاة المشاركة عن طريق الأخذ عن بعضهم مشافهة ورواية أو عن طريق دراسة مؤلفاتهم النحوية التي وصلت الى قرطبة في هذا القرن وأغلبها مؤلفات لنحاة بصريين — كما لاحظنا سابقا — واقتدوا بمنهجهم ضمن اطار الدرس النحوي الشامل ، ولذا لم يتفردوا بآراء جديدة تنسب اليهم وتجعل منهم مدرسة نحوية متميزة آنذاك (١) .

والملاحظ أنهم اتخذوا من نحو البصريين مرجعا لهم (لم يدبروا عندهم الا عندما يجدونه منحرفا عن حكم الرواية ومنهج الدراية) (٢) .

وانكر بعض العلماء المحدثين تقسيم النحاة العرب الى مدارس: بصرية ، وكوفية ، وبغدادية ، ومصرية ، وأندلسية اذا كان هذا التقسيم قائما على أساس المنهج النحوي الذي اتبعوه . يقول ابراهيم السامرائي : ((وهذا التقسيم لا يقوم أساسا على أن النحاة من أهل هذه الأقطار قد اتوا بجد يد يشهد منه مذهب قائم ، فالمقول أن هذا التقسيم جغرافي ليس غير)) (٣) .

وقال عبد الرحمن السيد : ((أما أن تكون هناك مدرسة بصرية تستقل بدراسة المذهب البصري ، وتعمل على انماؤه واذكائه ومدرسة كوفية تفرغ لدراسة النحو الكوفي ، فهذا ما لم يكن موجودا ولم يسلك اليه سبيل)) (٤) .

-
- (١) انظر من تاريخ النحو ص ٩٦ — ١٠٠ — سعيد الأفصاني . وانظر في تاريخ العربية ص ١١ — ١٢ — نهاد الموسى وانظر (أبو حيان ص ٣١٤) لحد يبة الحد يثي
- (٢) نظرات في اللغة والنحو ص ١٠ — طه الراوي
- (٣) النحو العربي — نقد وبناء ص ٦٠ — ابراهيم السامرائي
- (٤) مدرسة البصرة ص ٥٢٩

ولعل هذه الأقوال لا تحتاج الى دليل ، ففي تراجم أوائل النحاة ما يدل على أن الكوفيين الأوائل أخذوا نحوهم عن البصريين (١) أما ما اعتمد به بعض المحدثين في التفريق بين (المدرستين) فلعله ((لم يعد تمييز فروق معدودة في نطاق مبدأي القياس والسماع . أما فيما وراء ذلك فلا تكاد تجد فرقاً . ويخيل الى القارىء وهو يتتبع ما بناه ابن الأنباري في مسائل الخلاف أن نخمة منهجية واحدة هي التي تسود الكتاب . وأن الفريقين إنما يختلفان في بعض توقيعاتهما حسب ((٢) .

فمنطلق النحو من البصرة ، ثم أخذ عنهم نحاة الأقطار الأخرى أصول منهجهم واجتهد النحاة فيما بعد — ضمن هذا الإطار — باجتهادات جزئية حسب ما عدتهم اليه معطياتهم الثقافية آنذاك . ولم ينقضوا الأصول النحوية في شيء ذي بال . وأما منهج الاختيار فقد أخذ به نحاة المشرق قبل القرن الرابع الهجري وذلك ملاحظ في ترجمة بعضهم في مثل قولهم : وكان يخلط بين المذهبين ، وما أشبه ذلك ، كما أن ما كان بينهم من مشاحنات لم يصرف بعضهم عن الانتفاع بعلم بعض ، فقد مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيويه ، وذهب الكسائي للألفسان خمسين ديناراً لقراءته كتاب سيويه عليه ، وأنه سلخ كتابه في معاني القرآن من كتاب الألفسان . . . (٣) .

(١) فالرؤاسي ، أرجح من تتسب اليه أولية النحو الكوفي ، أخذ النحو عن عيسى بن عمرو ، وأبي عمرو بن الحلاء في البصرة ، والكسائي كانت له رحلة الى البصرة وأخذ عن عيسى بن عمرو وأبي عمرو بن الحلاء ، ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد والفراء مات وتحت رأسه كتاب سيويه . . . وغير ذلك . . . انظر المدارس النحوية ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) في تاريخ الصرية ص ١٢ . وقال الأفضاني في تصحيح التسمية الشائعة للمذاهب النحوية : ((وأن الأصوب أن يقال : نحاة بصريون ، ونحاة كوفيون ، ونحاة بغداديون . . . يختلف سبهم كل فريق من حيث النزعة السماعية والنزعة القياسية عن نصيب غيره كما وكيفا من تاريخ النحو ص ٩٥ .

(٣) من تاريخ النحو ص ٨٠ نقل بعض أخباره عن بغية الوعاة ص ٢٥٨

- ولعل موقف الأندلسيين في الاختيار من آراء النحويين الكوفيين والبصريين متأثر بمواقف النحاة المشاركة السابقة . غير أنه يجب ألا نبعد كثيرا في مثل هذا الافتراض، فإن ما أخذته نحاة الأندلس عن الكوفيين قليل إذا ما قيس بمواقفهم لنحو البصريين . فكانوا أميل إلى البصريين ، ولعل مرد ذلك إلى الذنب النحوية البصرية التي دخلت الأندلس، وإلى الأساتذة الذين حملوا لواء البصريين ، ورسموا منهجهم بين الأندلسيين أمثال القالي ، والرباعي والزبيدي وغيرهم .
- ولعلنا نستطيع أن نحدد ما بذله نحاة الأندلس من جهد في هذا القرن ، في ضوء ما تكشف لنا من إنتاجهم النحوي على النحو التالي :
- ١ . التأديب بالنحو وتدرسه ضمن خلفاتهم اللغوية ، وربط دراسة قوانين العربية وفهمها بالعلوم الدينية ربطا يجعلهما عنوان لا ينفصلان .
 - ٢ . ترسيخ نهج المنهج المشرقي عن طريق الرحلة والتلمذة على علمائه ، وعن طريق جلب كثير من المؤلفات النحوية الأصول إلى بلادهم ،
 - ٣ . التأليف في جزئيات من النحو والصرف .
 - ٤ . التأليف الشامل المتخصص المتأثر بالمنهج التعليمي الميسر ، من أجل وضع كتاب نحوي سهل التداول بأيدي الناس . ثم التأليف المتأثر ببعض المواقف الفلسفية ، والمتضمن لكثير من جوانب الخلافات والعمل والتأويلات النحوية .
 - ٥ . شرح بعض المؤلفات النحوية المشرقية ، والأندلسية فيما بعد لازالة غموضها وإبهامها ، وجعلها مستساغة ، مقبولة عند طلاب العلم .
 - ٦ . اختصار بعض المؤلفات المشرقية ، وتنقيتها من الشوائب ، والاستدراك على بعضها الآخر .
 - ٧ . تصنيف بعض المؤلفات ، تصدوا فيها للعامة في بلدهم ، وعذروا من خطر انتشارها ، وبينوا مواطن التوائها أمام اللغة الفصيحة .
 - ٨ . عقد المناظرات والمجالس الخاصة بين العلماء للمناظرة في مسائل من اللغة والنحو . وفي بعض كتب النحو كما لاحظناه سابقا عند الرباعي ، الذي جعل للمناظرة في كتاب سيبويه يوما في الأسبوع .

٩ . أدت جهودهم إلى تنشيط الدراسة النحوية ، واتساع دائرتها ، وترسيخ دعائمها ، ونضجها . فأنت شارها على يد نخبة القرن الخامس والسادس الهجريين فيما بعد .

ولذا فقد انضافت جهودهم — كما وكيفا — إلى جهود الأوانميس من نخبة القرن الرابع عامة مما أدى بدوره إلى تطور الدرس النحوي واستمراره ، والاقبال عليه فيما بعد .

xxxxxxxxxxxx

الخاتمة

تمت قرطبة في القرن الرابع الهجري - وقبله بمكانة سياسية وعلمية عالمة لم تتمتع بها أية مدينة أندلسية . إذ كانت عاصمة البلاد ، ومحط أنظار العلماء وملتقى الشعراء والأدباء ، منذ أن استقرت الأمور في الأندلس في عهد بني أمية . بدأ الأندلسيون يتلحون إلى المشرق بعد الفتح الإسلامي ، بهدف الاستفادة من حضارة اخوانهم وسبقهم الفكري ، وكان هذا الميل يرتبط أحيانا برغبة العلماء وعاجتهم إلى المعرفة والصلح .

وبعد أن تسلم بنو أمية مقاليد الحكم في الأندلس ، أخذوا ينافسون أبنسائهم عمومهم في بغداد ، ليجدوا ملكهم وسمعة دولة بني أمية في المشرق ، فأدرك بعضهم أن التقدم الحضاري والازدهار السياسي لدولتهم مرتبطان بالنهضة الفكرية والعلمية فمالوا إلى نشر علوم الدين واللغة ، وشجعوا الأقبال عليها . فبدأت رحلة العلماء المشاركة إلى الأندلس ، يقابلها رحلة أندلسية إلى المشرق .

بدأت بذور العلم والمعرفة تغدو على بلاد الأندلس من المشرق في القرن الثاني ونبئت في القرن الثالث ، حيث صنف مؤلفات أندلسية في العلوم ، خاصة علوم الشريعة واللغة . كان للنحو نصيب من هذا الاهتمام . إذ بدأت الدراسة النحوية تبنى طريقها في تيار الثقافة الأندلسية ، نتيجة للرحلات العلمية المتبادلة بين المشرق والمغرب التي أدت بدورها إلى ادخال بعض المؤلفات المشرقية إلى الأندلس ، وإلى المناظرات اللغوية في مجالس الأملاء والدرس بين بعض العلماء . ووفرت هذه الرحلات أيضا الالتقاء بجله علماء النحو واللغة المشاركة ، مثل الكسائي والغراء ، والرياشي ، وأبسي حاتم وأبي جعفر الدينوري ، والمازني ، وأبي اسحاق الزجاج ، وأبي بكر بن الأنباري ، وأبي الحسن الأخفش ونفطويه وغيرهم . أخذوا عنهم ، وقرأوا عليهم ، ورووا بعض مؤلفاتهم فأدخلوها بلادهم ، واشتغلوا بالتأديب والتدريس . وأثمرت جهودهم نظرا للمكانة التي حظوا بها عند الأندلسيين ، ورغبة المتأديبين والمتعلمين في التحصيل ،

والاحساس بالحاجة الى الثقافة والعلم . قال المقرئ : ((فالعالم منهم بارح لأنه يالجب
ذلك العلم بباعث من نفسه ، يحمله أن يترك الذي يستفيد منه ، وينفق من عنده حتى
يعلم)) (١) .

استمر الدرس النحوي في مرحلة التأديب الأولى في أحضان تيار الثقافة الدينية
اذ كان الأندلسيون يوثقون الصلة بين العلوم الشرعية والعلوم اللسانية ، ويسـرون
أنها : ((ضرورة على أهل الشريعة ، اذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب
والسنة ، وهي بلغة العرب ، وأغلب نقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها
من لغاتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة
وتفاوت بالتأكيـد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام والذي يتحصل
أن الأهم منها هو النحو . . .)) (٢) ،

ولفل هذا التصور المنهجي في التعليم هو الذي دعاهم الى تناول النحو ضمن
العلوم الدينية ، ولم يفصلوه عنها الا في القرن الرابع ، فلذلك لم يتوسموا فـي
أبوابه ، بل كان همهم تعليم الناشئة المبادئ الأولية والقواعد الأساسية التي
تبعدهم عن العجمة والفساد في النطق .

أجمل أبو بكر الزبيدي جهد نهاية الأندلس قبل القرن الرابع عند ترجمته للرباعي ،
قال : ((ان المؤدبين انما كانوا يعانـون اقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم الحواصل
وما شاكلها وتقريب المعاني لهم في ذلك . . . ولم يأخذوا أنفسهم بعلم دقائق
العربية وغوامضها ، والاعتلال لمساثلها ، ثم كانوا لا ينظرون في امالة ولا ادغام
ولا تصريف ولا أبنية ، ولا يجييون في شيء منها ، حتى نهج لهم الرباعي
(ت ٥٣٥٨) سبيل النظر ،

(١) نفع الدايـب ١٠٧/٢ (ط - الحلبي)

(٢) تاريخ ابن خلدون - المقدمة - ٥٥٥/١

وأعلمهم بما عليه أهل هذا الشأن في المشرق من استقصاء الفن بوجوده ، واستيفائه على حدوده ، وأنهم بذلك استحقوا الرياسة . . . (١)

مال نحاة ما قبل القرن الرابع الهجري في الأندلس إلى أراء الكوفيين النحوية ، إذ التقى جودي بن عثمان الموروري (ت ١٩٨ هـ) بالكسائي والفراف وأخذ عنهم ، وألف في النحو كتابا . (٢) وشرح أبو الحسن مفرج بن مالك النحوي كتاب الكسائي . (٣) وصنف محمد بن سليمان الجعفي كتابا شرح فيه كتاب الكسائي في النحو . (٤) وصنف غيره في النحو (٥) . والملاحظ أن أغلب اهتمامهم منصب على نحاة الكوفة في هذه الفترة ، ولعلمهم وجدوا في المذهب الكوفي سدادا من عوز ، وثقايسة حاجة الناشئين .

ولذا فإن القرن الثالث الهجري شهد حركة نحوية ناشئة على يد المؤيديين إذ صنف فيه بعض المصنفات النحوية ، وشرحت بعض المؤلفات السابقة ، وإن بعضها كان متداولاً بأيدي الناس . ولعل كثيرا منها كان تأليف مدرسية تهدف إلى مساعدة الشاذيين في فهم النحو . وما يؤسف له أنه لم يصل إلينا منها شيء ، ولا نعلم عنها أكثر من عناوينها في تراجم مؤلفيها ، مما يجعل حكمنا عليها ضربا من الحدس والتخمين ، قابلا للنقض على نحو ما يتسجد من دراسات ، ويكشف عنه النقاب من مخطوطات هذه الفترة التي لا تزال مفقودة .

(١) طبقات الزبيدي ص ٣٣٦ - ٣٣٧

(٢) طبقات الزبيدي ص ٢٧٨ - ٢٧٩ التكملة ٢٤٩ / ١

(٣) طبقات الزبيدي ص ٢٩٧

(٤) انباه الرواة ٢٧٢ / ١

(٥) انظار في ما تقدم من سياق البحث ص ١٥ - ١٨

استمر الدرس النحوي في تطور مستمر في القرن الرابع الهجري ، ودخل مرحلة جديد من مراحله ، وهي مرحلة التأديب المتطور)) ، حيث توافرت عدة عوامل جعلت من النحو في بداية هذا القرن — علما قائما بذاته ، له مؤدبوه ، وله تلاميذه المقبلون عليه . ومن هذه العوامل ما كان داخليا ، ومنها ما كان خارجيا .

أما العوامل الخارجية فتتمثل في : هجرة الكتب النحوية المشرقية الى الأندلس ، إذ احتوت مكتبة قرطبة وغيرها من المكتبات الأندلسية عددا كبيرا من كتب النحويين الأصول في جنباتها ، بصرية كانت أم كوفية أم مصرية ، فكانت هذه المؤلفات من أهم مصادر الثقافة النحوية لنحلة الأندلس وناشئتها (١) .

ويدل هذا العدد الكبير من الكتب النحوية المشرقية الداخلة الى الأندلس في هذا القرن ، على أن الاهتمام بالنتاج النحوي أخذ يتزايد بصورة واضحة ، وأن أغلب المؤلفات النحوية الأصول وجدت طريقها الى الأندلس ، وأن الاهتمام بالمذنب المصري أخذ يتزايد ، نظرا لسريان المؤلفات البصرية في تيار الثقافة الأندلسية ، ولتوافر بعض علماء هذا القرن ، واهتمامهم بكتاب سيويه ، إذ أدخله الأندلسي القالي ، وكان قد قرأه على ابن درستويه أجمع ، ((واستفصره جميعه ، وناظر فيه ، ودقق النظر وكتب عنه تفسيره ، وعلل الحلة ، وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين ، ونصر مذهب سيويه على من خالفه من البصريين)) (٢) .

ورواه الرباعي عن أبي جعفر بن النحاس في مصر ، وعند ما عاد الى بلده قرطبة عقد مجلسا للمناظرة فيه كل يوم جمعة ، وكثر عدد المهتمين بكتاب سيويه كثرة تنبى * عن تأثرهم به ، كما نراه عند أبي بكر الزبيدي في استدراكه عليه ، وابن الحريفي شرحه لكتاب الجمل للزجاجي (٣) .

(١) انظر في ما تقدم من سياق البحث ص ٢٩

(٢) انباه السرواة ٢٠٥ / ١

(٣) انظر في ما تقدم من سياق هذا البحث ص ١٥٢ ١٥٤

وعلى الرغم من سيادة أراء البصريين النحوية في بيئة الثقافة الأندلسية ، فقد بقي لنحو الكوفيين صورة ضئيلة عند نحاة الأندلس في هذا القرن ، وذلك لقلة أنصاره ، ولطغيان المؤلفات النحوية البصرية بين الأندلسيين ، ومن اعتنى بنحو الكوفيين فسي هذا القرن عبد الله بن الحسن المروزي ، ان صنف فيه كتابا سماه (الابداع) (١) .

ومن العوامل الخارجية التي ساهمت في تطور الدرس النحوي في قرطبة أيضا رحلة العلماء المشاركة الى الاندلس . شهد هذا القرن رحلة نشطة جادة ، اهتمت بها الدولة ، فأرسلت في طلب العلماء ، وأعدت عليهم الأموال

كان ابو علي القالي أهم هؤلاء العلماء الراحلين ، وأكثرهم انتاجا ، وأغزرهم علما ، وأبعدهم أثرا في تنشيط الحركة اللغوية والنحوية ، ان جلب معه مصنفات مشرقية عدة ، وأخذ عن عدد من شيوخ بغداد ، وجلبهم من كبار نحاة البصرة ولغوييها وصنف كتبها ، كانت زادا ثقافيا لتلاميذه ، فساعد ذلك كله على بث الثقافة اللغوية والنحوية المشرقية في أوساط العلماء والمثقفين الأندلسيين . ان اهتم به الأندلسيون اهتموا كبيرا ، واستقبلوه استقبالا كريما ، واقبلوا عليه ، مستفيدين من علمه وفضلته ، فكثرت تلاميذه كثرة تفصح عن بعد أثره ، وأصبحوا بعده - وفي حياته - المرجع الذي يرجع اليه الأندلسيون في كثير من المسائل اللغوية والنحوية والأدبية عامة . وعدّوه من الضابطين للناس لغتهم ، ومعشر أهل الإعراب واللغة والآداب (٢) .

أما العوامل الداخلية فقد تمثلت في الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي اللذين تمتعت بهما دولة بني أمية ، منذ بداية القرن الرابع الهجري . ان استطاع الناصر ، وابنه الحكم المستنصر ، والمنصور بن أبي عامر ، أن يوسعوا : عائم الحكم ويقضوا على الفتن والاضطرابات ، وتسموا بالخلفاء ، فزادت أهمية الدولة ، وخافها أعداؤها في الخارج ، وعم الأمن في الداخل .

(١) الصلصة ٢٨٦/١

(٢) انظار : جذوة المقتبس ص ٣٩٨ - ٣٩٩

أدى ذلك كله إلى منح العلماء الوقت المناسب للاشتغال بعلومهم ، وإكرام الشغاف للمؤدبين ، وحفزهم على التأديب .

ورافق هذا - أيضا - اهتمام حكام القرن بالحركة الثقافية والعلمية عامة ، وذلك عن طريق الحرية الفكرية والتسامح العلمي ، الذي أتاح للعلماء الاطلاع على علوم الفلسفة والمنطق ، مما ساعدهم على فهم بعض المؤلفات النحوية المتأثرة بـ ~~بعض~~ الفلاسفة والمناطق .

ورحب الحكام أيضا بالعلماء ، وزادوا في إكرامهم ، وحفزواهم على التأليف ، وأنشأوا لهم المكتبات ، وأرسلوا في طلب المؤلفات ، وحرصوا على أن تكون المؤلفات التي جمعوها خالية من الأخطاء والتصحييف ، فطلبوا من بعض العلماء تدقيق بعضهمنا ومقابلة نسخها المختلفة . وكان لذلك أثره في تنقية بعض المؤلفات النحوية وتصويبها . وبجانب هذه العوامل الجديدة ، كانت هناك عوامل قديمة ، قد ظهرت قبيل القرن الرابع ، ولكنها اتخذت في هذا القرن طابع الجدوية والاهتمام ، ومنها : حلقات التعليم والتدريس ، إذ استمرت حركة التأديب في هذا القرن ، فكان هناك نوع من التأديب يمكن أن نسميه ((التأديب الرسمي) نظرا لثبني الدولة له ، وخاصة فسي عهد الحكم المستنصر الذي اتخذ المؤدبين أولاد الضمفاء ، وأجرى عليهم المرتبات وبنى لهم المكاتب (١) .

والنوع الآخر من التأديب يمكن أن نسميه (تأديب الخاصة) وهو انقطاع المؤدب إلى بعض أولاد الملوك والأمراء وكبار رجال الدولة وغيرهم ، يؤدبهم في بيوتهم . أدت حركة التأديب هذه إلى ازدياد عدد المؤدبين والمتأديبين بالنحو ، مما أدى إلى الاهتمام به وتدريسه والقبال عليه . والملاحظ أن المؤدبين في هذه المرحلة أصبحوا على درجة من الوعي والادراك والقدرة على ملاحظة الأخطاء والتبويبها ، كما كانت لهم مناظرات شفوية في حلقاتهم ، وفي قصور حكامهم ، تدل على اهتمامهم بالنحو والاشتغال به .

استمرت رحلة العلماء الأندلسيين الى المشرق في هذا القرن ، وكان الكثير منهم يخرج من الأندلس ويمر في طريقه على القيروان ، ومصر ، وبغداد ، والبصرة وغيرها من مراكز الثقافة الاسلامية . يلتقي بالشيوخ ويأخذ عنهم ، وما يلاحظ أن رحلة العلماء أخذت تغف عما كانت عليه ، وخاصة في النصف الثاني من هذا القرن ، ولمحل ذلك يعود الى توفر أغلب مصادر المعرفة والحلم المشرقية ، والى رغبة الناصر والمستنصر في شراء المؤلفات المشرقية ، واحضارها الى قرطبة ، فقد كانا يبحثان بمبالغ طائلة ثمن بعض الكتب الجديدة التي تصدر في المشرق ، والى وجود عدد من العلماء الاساتذة في فنونهم .

كان الرباعي (ت ٣٥٨ هـ) أحد العلماء الأندلسيين الراحلين الى المشرق ، لقي ابن النحاس ، وابن ولاد وغيرهما . وأخذ عنهما كتاب سيبويه ، وعاد الى بلده ، فتحلق حولته تلاميذه ، وناظرهم فيه . وأجيزه الرباعي في تطور الدرس النحوي في قرطبة يعود الى عدة أمور منها : رفع مستوى التأديب بالنحو ، والمناظرة في الكتب النحوية الأصول ، وكثرة التلاميذ الذين أقبلوا عليه ، وأخذوا عنه .

أدت العوامل السابقة الى تقدم الثقافة الأندلسية وارتقائها ، فارتقى معها الدرس النحوي ، حيث بدأ المؤدون يؤدون بالنحو خاصة ، ويعقدون له الملتقات ، ويتناقشون في مسائله ، ويتناظرون في كتبه ، واختاروا نحوهم من البصريين والوافيين ، ولكنهم مالوا الى البصريين أكثر ، فانطبع أغلب نتاجهم بمنهج البصريين .

أدت جهود نحاة هذه المرحلة الى تكوين جيل جديد نقل الدرس النحوي في النصف الثاني من هذا القرن في الأندلس الى مرحلة جديدة يمكن تسميتها (مرحلة التأليف النحوي المتخصص الشامل المنظم) .

اتخذ التأليف النحوي في هذه الفترة سمتين : التأليف التحليلي الميسر ، والتأليف المتأثر بالا تجاه الفلسفي .

أما التأليف التحليلي الميسر فيظهر بشكل واضح عند أبي بكر الزبيدي وابن القوطية، وقد هدف هذا اللون من التأليف إلى تيسير النحو على الشاذين وتبسيطه والتقليل من الزوائد التي علق في متن الدرس النحوي، ولا حاجة للمتأدبين إليها فهي كما وصفها ابن حزم: ((فضول لا منفعة بها، بل هي مشغلة عن الأكسدة ومقطعة دون الأوجب والأهم، وإنما هي تكاذيب)) (١). وللزبيدي مصنفات عدة في اللغة والنحو، ولعل كتابه الواضح أقربها إلى هذا المنهج، وأدلى عليه.

أما فيما يتعلق بالبنية الصرفية لمفردات العربية، فقد صنف الزبيدي كتابه الاستدراك على سيوييه، وصنف ابن القوطية كتاب الأفعال، تناول فيها أوزان الكلمات وما يطرأ عليها من تغيير أو تبدل، واستدرك الزبيدي على سيوييه بحث الأبنية أيضاً وشرح بعض المفردات التي لم يشرحها سيوييه.

أما التأليف المتأثر بالمنهج الفلسفي، فقد بدأ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري عندما ازدادت ثقافة النحوي الاندلسي، وترسخت قدمه في علم النحو فأخذ يبحث عن الجزئيات الصغيرة، والقضايا الفرعية ويعمل الحلّة، ويجري وراء الخلافات النحوية، ويستقصي العوامل ويهتم بأوجه الإعراب المختلفة للقضية الواحدة فانطبعت بعض مؤلفاتهم بطابع الأسلوب الفلسفي، وذلك واضح عند ابن الصريصف في كتابه (شرح كتاب الجمل)، وفي رسالته في إعراب قولهم: ((إن الضارب الشاتم والده كان زيداً)) . كما رأينا في ما تقدم من سياق هذا البحث.

ووضع أيضاً أحمد بن أبان بن سيّد كتاباً في النحو سماه (العالم والمتعلم) بناء على المسألة والجواب، وصنف أبو الحسن اسحاق بن الحسن كتاباً في المبنى والمعرب، احتج لذلك وعلل (٢) وما يؤسف له أنه لم يصل إلينا شيء من هذا من الكتابين الأخيرين.

(١) نظارات في اللغة عند ابن حزم ص ٣١

(٢) التكملة ١/ ١٩٢

ومن خلال مؤلفات هذا القرن النحوية يدرك الدارس أنه تكونت لدى الأندلسيين قدرات علمية لا تقل شأنًا عن مستوى علماء المشرق ، مما دعاهم إلى تشبيهه الزبيدي مثلاً بابن دريد المشرق من حيث التخصص ، وكثرة التأليف في النحو واللغة .

وكان لنحاة هذا القرن أثرهم في تطوير الدرس النحوي ، إذ رسخوا الدرس النحوي المتكامل في تربة خاصة ، وبلاد الأندلس عامة ، بما بذلوه من جهد ، وانقسمت جهودهم قسمين : الأول : التأليف ؛ وضع النحاة مصنفات في النحو والصرف ، أقبل عليها تلاميذهم في الأندلس ، واتخذوها أساساً لدراسة النحو فيها . جملة ما اعتمدوه .

والثاني : يكمن في نخبة التلاميذ الذين تخرجوا عليهم ، فحملوا مسؤولية الاستمرار بالدرس النحوي وتطويره ، وغدوا يمثلون مرحلة من مراحل الدرس النحوي يمكن تسميتها (مرحلة الشرح والتعقيب والزيادة) . إذ مال بعضهم إلى تناول بعض مؤلفات النحاة السابقة بالشرح والتعقيب والزيادة ، فوضع أحمد بن أبان بن سيّد شرحاً للكتاب الأَخْفَش في النحو (١) . وهذّب عبد الملك بن طريف كتاب الأفعال لابن القوطيطة ، وزاد عليه بعض الزيادات (٢) ، وصنف أبو نصر هارون بن موسى كتاباً حول كتاب سيبويه (٣) . وشرح عبد الله بن محمد بن وليد بشرح كتاب الواضح للزبيدي ولكنّه لم يتمه (٤) . وغير ذلك

ولذا فإن النحو العربي في الأندلس في هذا القرن قد خطا خطوات واسعة

إن انبرى عدد من علمائه إلى تدريسه ، والتأليف فيه بأسلوب سهل ميسر ، أو بأسلوب فلسفي ، ومنهم من مال إلى الاستدراك على بعض الكتب النحوية الأصول كما رأيناه عند الزبيدي ، وكما ذكر عن ابن الصريف في استدراكه على كتاب الكافي لأبي جعفر أحمد بن النحاس .

(١) انباء الرواة ٣١ / ١ (٢) فهرسة ابن خير ص ٣٥٦

(٣) انباء الرواة ٣٦٢ / ٣ (٤) الصلة ٢٦٠ / ١

ومنهم من مال الى شرح بعض المؤلفات السابقة ، وهذا يدل على أنه قد تكونت حصيللة ثقافية نحوية في الأندلس في هذا القرن ، كانت الأساس الذي انبثقت منه الدراسة النحوية الأندلسية فيما بعد .

لمصل أهم النتائج التي توصلت اليها في هذا البحث تتلخص في ما يلي :

- ١ . بدأ الدرس النحوي في الأندلس ضمن اطار ثيار الثقافة الدينية ، ثم أخذ ينفصل عنها وريدا ، حتى كان له ذلك في القرن الرابع على يد بعض نشاته ، ومنهم الرباعي والزبيدي ، وابن الصريف وغيرهم من نحاة الأندلس .
- ٢ . بدأ الدرس النحوي في الأندلس كوفيا ، إذ مال أغلب النحاة الأوائل الى آراء الكوفيين ، وشرحوا بعض مؤلفاتهم ، وخاصة كتاب الكسائي ، والتقوا بعلمائهم ، وذلك لأن مذهب الكوفيين الى عقليتهم أقرب ، وفي نفوسهم أعلق ، في البداية ، ولذا فإن ماقرره بعض الدارسين من أن المذهب البصري أسبق من الكوفي في الأندلس يحتاج الى تصويب وتثبيت .

- ٣ . بدأ الاهتمام بنحو البصريين يتزايد منذ مطلع القرن الرابع عند نحاة الأندلس نتيجة لاهتمام عدة عوامل داخلية وخارجية ، منها هجرة الكتب النحوية المشرقية ، وعلى رأسها كتاب سيويه ، ووجود عالمين جليلين في قرطبة ، حملا على عاتقهما نشر نحو البصريين ، والدفاع عنه ، وهما القالي والرباعي . ثم جاء جهد تلاميذهم سنن بعدهما .

ولذا فإن ما جاء عند بعض الدارسين المحدثين من أن الاهتمام بالبصريين ، وكتاب سيويه كان في القرن الخامس الهجري ، يحتاج الى تفسير وتهديل في مفهوم الدرس النحوي الأندلسي ، ومراحل تطوره ، لأننا لا نستطيع أن نخفل بجهود نحاة القرن الرابع واهتمامهم بكتاب سيويه ، وذلك واضح في تدريس الرباعي له ، والمناظرة فيه ، وفي استدراك الزبيدي عليه ، والاهتمام به ، وغير ذلك كما وضناه في سياق هذا البحث .

- ٤ . مر النحو العربي في الأندلس ، حتى أواخر القرن الرابع ، في مراحل ثلاث : «مرحلة ما قبل القرن الرابع الهجري» ، وهي المرحلة التي لا حدنا فيها بدقة الاهتمام بالنحو ، والتأليف الأولي الذي دار حول شرح كتاب الكسائي والتأديب فيه ، فسي إطار المعرفة اللغوية الشاملة ، والمرحلة الثانية ، هي «مرحلة التأديب المتأخر المتخصص» ان تجرد بعض علماء النحو لتدريسه ، والتأديب فيه . وهي مرحلة تختلف عن سابقتها في كون الأولى كانت تهدف الى تعليم الناشئة ، المبادئ الأولية ، والقواعد الأساسية التي يستطيعون بها تقويم لسانهم ، والابتعاد عن الفساد والصحمة . وفي كون هذه المرحلة بدأت تهتم بعلم النحو أكثر ، وتستقصي بعض جوانبه ، وتهتم بتحليل علمه . والمرحلة الثالثة هي «مرحلة التخصص والتأليف المتقدم» ، وفي هذه المرحلة ، نجسد عددا من النحاة قد تكونت لديهم ثقافة نحوية واسعة ، وأصبحت قد مهم في تعليم العلم راسخة ، فأخذوا يبارون العلماء المشاركة ، ويأخذون المآخذ على بعض مؤلفاتهم ، ويصنفون في النحو ، مما أدى الى تزويد المكتبة النحوية الأندلسية بمؤلفات نحوية جديدة من تأليف علماء أندلسيين ، بعضهم لم يرحل الى المشرق .
- ٥ . هناك بعض المؤلفات النحوية والصرفية الأندلسية ، لم تنصفها أيدي المحققين بعد ، ولم يفسحوا لها مكانا في صدورهم ، فيتوافر عليها بعض رجال العلم والمعرفة لينقلها من ظلمات المخطوطات الى دور النشر والتحقيق ، وهي مؤلفات تستحق الجهد والاعتناء والاهتمام ، ومنها كتاب المقصور والمدود لأبي علي القالي ، وكتاب الاستدراك على سيبويه للزبيدي ، وكتاب شرح الجمل ، ورسالة في أعراب قولهم : ((ان الضارب الشاتم والده كان زيدا) لابن الصريف ، وغيرها .
- ٦ . ان ما نادى به بعض نحاة الأندلس من تغيير في منهج الدرس النحوي العربي في القرون التالية ، أمثال ابن مضاء القرطبي ، الذي رفض فكرة الحامل قد تمتد الى مواقف بعض نحاة هذا القرن ، وأعني الزبيدي في مؤلفه الواضح ، فان كان لم يصرح علانية في رفض منهج النحاة العرب من حيث الحامل والعلل وما شابه ذلك ، فقد طبق ذلك في كتابه عمليا فنقاه وصفاه من هذا كله ، الا اذا دعت ضرورة لذكره ، وهو نادر .

٧ . قامت النهضة النحوية الأندلسية فيما بعد على انتاج هذا القرن ، وجهود علمائه ، اذ رسخوا الدرس النحوي ، ومدوا تلاميذهم بغير من معرفتهم ، فاعتمدوا عليهم ، وأمرعت جهودهم في القرون التالية .

٨ . يمثل القرن الرابع الهجري عصر ازدهار حضارى وفكرى وعلمي في قرطبة ، نضجت فيه العقول ، وصنفت المصنفات في مختلف العلوم ، فمن عبثه على الدارسين أن يمتنوا به وبانتاجه ، حتى لا يقيموا في أحكام وعموميات ، تجافي الصواب ، ويضيع معها وجه الحق .

والله اسأل : أن أكون قد قدمت شيئاً ، ترتاح له النفس ، ويروض عنه الضمير ، وأن أكون قد اهتمت فيه الى وجه الحق والصواب .

.....

المشتمل

أ — ك	المقدمة
٢٤ — ١	الفصل الأول
٦ — ٢	تمهيد
٢٤ — ٧	مرحلة ما قبل القرن الرابع الهجري
٩ — ٨	مصطلح النحو
١٠ — ٩	رحلة العلماء المشاركة
١٥ — ١٠	رحلة الأندلسيين إلى المشرق
٢٤ — ١٥	النحوي قرطبة قبل القرن الرابع
٩٦ — ٢٥	الفصل الثاني
٩٦ — ٢٦	مرحلة التأنيب المنصور وعوامل تطورها
٦٩ — ٢٧	العوامل الخارجية
٣٠ — ٢٧	هجرة الكتب النحوية المشرقية
٣٤ — ٣٠	كتاب سيوييه وأهميته عند الأندلسيين
٣٥ — ٣٤	أسباب اهتمامهم به
٦٩ — ٣٥	رحلة العلماء المشاركة
٦٩ — ٣٧	أبو علي القالي
٣٩	استقبال الأندلسيين له
٤٠	اعجاب القالي بنشاط الأندلسيين النحوي واللفوي
٤٣ — ٤٠	تكوين القالي الثقافي
٤١	شيوخه في : الحديث
٤١	: القراءات
٤١	: الأخبار
٤٣	: اللغة والنحو

٦٩ — ٤٣	دور القالي في تنشيط الدرس النحوي في قرطبة
٦٠ — ٤٤	مؤلفاته
٤٧ — ٤٥	المطبوعة : الأمازي
٥٠ — ٤٧	البارع في اللغة
٥٨ — ٥٠	المخلوطة المقصور والمدود
٦٠ — ٥٩	المفقودة
٦٤ — ٦١	تلاميذ القالي
٦٩ — ٦٤	دوره النحوي
٩٦ — ٧٠	العوامل الداخلية
٧٨ — ٧٠	العوامل الجديدة
٧١ — ٧٠	: الاستقرار السياسي
٧٢ — ٧١	: الرفاء الاقتصادي
٧٤ — ٧٢	اهتمام الحكام بالحركة الثقافية
٧٦ — ٧٤	حفز الحمم على التأليف
٧٧ — ٧٦	: انشاء المكتبات
٧٨ — ٧٧	: التدقيق العلمي ومقابلة النسخ
٩٦ — ٧٨	العوامل التقليدية
٨٣ — ٧٨	: حلقات التعليم والتدريس
٨٧ — ٨٣	: رحلة العلماء الأندلسيين الى المشرق
٩٢ — ٨٧	الرباحي
٨٨	أثره في تطور الدرس النحوي
٩٠ — ٨٨	رفع مستوى التأديب
٩١ — ٩٠	التمكن بالنحو والمناظرة في الكتب
٩٣ — ٩١	تلاميذه
٩٦ — ٩٢	من مؤدبي هذه المرحلة

الفصل الثالث

٩٧ - ٤٤٤

- ١٠٢ - ١٠٠ ظهور الدارس النحوى المتخصص
- ١٠٣ - ١٠٢ التأليف التعليمي الميسر
- ١٩٣ - ١٠٣ أبو بكر الزبيدي
- ١١٢ - ١٠٧ ثقافته وشيوخه
- ١١٣ مؤلفاته :
- ١٢٣ - ١١٣ كتب اللغة : مختصر كتاب العين
- ١٢٠ - ١١٩ اهتمام الأندلسيين بكتاب العين
- ١٢١ - ١٢٠ كتاب العين بين المدح والقدح
- ١٢٣ - ١٢١ منهج الزبيدي في مختصره
- ١٤٥ - ١٢٤ كتاب لحن العوام
- ١٢٨ - ١٢٦ كتب اللحن والتلويح اللغوي
- ١٣٠ - ١٢٨ معنى كلمة لحن العامة عند الزبيدي
- ١٣١ - ١٣٠ دواعي تأليف الكتاب
- ١٣٦ - ١٣٢ منهج الزبيدي في لحن العوام
- ١٣٨ - ١٣٧ أهمية الكتاب
- ١٤٥ - ١٣٩ قضايا نحوية في كتاب لحن العوام
- ١٥٢ - ١٤٥ كتب التراجم : طبقات المحويين واللغويين
- كتب النحو والصرف :
- ١٧٢ - ١٥٣ الاستدراك على سيبويه
- ١٥٥ - ١٥٤ كلف الزبيدي بكتاب سيبويه
- ١٥٦ - ١٥٥ التواضع العلمي عند الزبيدي
- ١٦٢ - ١٥٧ منهج الزبيدي في استدراكه
- ١٧٢ - ١٦٣ استدراكات الزبيدي على سيبويه

كتاب الواضح :

١٨٤ — ١٧٤

مادة الكتاب ومنهجه

١٨٦ — ١٨٥

تأثير الزبدي بكتاب سيبويه

١٩٣ — ١٨٩

مؤلفاته المفقودة

٢١٠ — ١٩٤

أبو بكر بن القوطية

٢١٠ — ١٩٧

مؤلفاته :

١٩٧

المفقودة

٢١٠ — ١٩٧

المطبوعة

١٩٧

تاريخ افتتاح الاندلس

٢١٠ — ١٩٧

كتاب الافعال

٢١٠ — ١٩٩

مادة الكتاب ومنهجه

٢٣٥ — ٢١١

التأليف النحوي المتأثر بالاتجاه الفلسفي

٢١٥ — ٢١٢

ابن المريف

٢٣٢ — ٢١٥

مخطوط شرح كتاب الجمل

٢٣١ — ٢٢٣

منهجه

٢٢٧ — ٢٢٦

العامل

٢٢٩ — ٢٢٧

العلية

٢٣٠ — ٢٢٩

التأويل

٢٣١ — ٢٣٠

الخلاف الشهوي

٢٣٢ — ٢٣١

السماع والقياس

مخطوط رسالة في اعراب قولهم : (ان الضارب الشاتم والده كان زيدا) ٢٣٢ - ٢٣٥

٢٤٤ — ٢٣٦

نحاة آخرون

٣٠٤ — ٢٤٥	الفصل الرابع
	منهج حياة الاندلس في القرن الرابع في :
٢٥٥ — ٢٤٧	السمع والقياس
٢٧٣ — ٢٥٦	العلقة
٣٠٤ — ٢٨٦	التأويل
٣١٦ — ٣٠٥	الخاتمة

xxxxxxxx

فهرس الأماكــن

اشبيلية

١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٩٤ ، ١٩٥

٢٤٣ افليل

٨٣ الاهواز

البصرة

١٥ ، ٤٣ ، ٨٣ ، ١١٢ ، ٣٠٩ ، ٣١١

بغداد

٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١

٣٦ بيت المقدس

١٥٣ جاريث

٨٧ جيان

١١٠ ، ٣٦ حلب

١٠٣ حمص

٣٧ غلاط

٧١ الزاهرة

١٠٥ ، ٣٢ ، ٢ الزهراء

٢٤٢ سرقسطة

٥٧ الصراق

١٥٣ هاتيكان

٨٧ فحم أبي العوجاء

٥٧ فرفينيا

٣٧ قالي قلا

قرطبة

٢ ، ٣ ، ٦ ، ١٥ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٥ ،
 ٤٧ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٦ ،
 ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
 ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ،
 ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ،

القسطنطينية ٧١

قلعة الرياح ٨٧

القيروان ٣٦ ، ٤٠ ، ٨٣ ، ١١٩ ، ٣١١

الكوفة ١٥

متممة ٣٧

مجريط ٢٤٠

مصر ٣٦ ، ٥٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٣١١

مكة ٣٦

منازجرد ٣٧

الموصل ٣٧ ، ٤٤ ، ٤١

xxxxxxxxxx

فهرس الأعلام

(أ)

٤١	أحمد بن سعيد الدمشقي	٢٤٢	ابن الأبار
١٣	أحمد بن شاب بن عيسى الأموي	٦٣	ابراهيم بن عبد الرحمن التنسي
٣	أحمد ضيف	٣٠١	ابراهيم السا مرائي
	أحمد بن عبد العزيز بن أبي العباب	٢٢	ابن ابيض
٢٥٩	٨٠ ، ٨١ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٢٣٨ ،		ابن الأثير
	٢٤٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٣٩	٣٥ ، ٢٧ ، ٦ ، ٢	احسان عباس
٦٤	أحمد بن عبد القادر	٦٢ ، ٤٦ ، ٧٨ ، ٤	أحمد بن آبان
٢٤١	أحمد بن عبد الله بن طريف	٢٣٧ ، ٢٣٦ ، ٢١٢	
٤١	أحمد بن علي بن المثنى ابو يعلى	٣١٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣	
١٤	أحمد فؤاد	٣١٣	
٩٤ ، ٨٠	أحمد بن محمد الأعرج ، أبو عمر	١٦٥ ، ٩٢	أحمد بن بشر الأغبس
٩٣	أحمد بن موسى الرازي	١٥	أحمد بدر
٤١	أحمد بن موسى بن مجاهد	١٣	أحمد بن بقي
١٣٧	أحمد بن هشام اللخمي	٣	أحمد بلا فريج
١١٠	أحمد بن نصر بن خالد	١٩٥	أحمد بن خالد
٣٠ ، ٤	أحمد بن يوسف بن حجاج	٦٢	أحمد بن ربيع الاصبحي
٧٣	أدريس بن ميثم	٢٢	أحمد بن زياد
١٦٤	أرطباش	٢٢	أحمد بن سالم التستري
١١٤	الأزهري	١٠٩	أحمد بن سعيد بن حزم
١٩٥	أسلم بن عبد الوهاب	٦٢	أحمد بن سعيد ابراهيم
٢٤٠	اسماعيل بن سيدة	١٠٥	أحمد بن سعيد الجعفري

(٣٢٥)

أبو الأسود الدؤلي	المقدمة ح ،	الانباري ، ابوبكر	١٢ ، ١٨ ، ٢٨
	١٤٥ ، ١٥٢		٤٢ ، ٤٤ ، ٥٣
الاشموني	١٧٥ ، ٢٧٨		٦٨ ، ٨٥ ، ٩٦
أبو الأصم عيسى بن أبي جرثومة الخولاني			١٣٩ ، ٢٣٦ ،
	٨٠		٢٤٠ ، ٢٧٧ ،
أصبغ بن ناصح المدني	٨١		٣٠٥
الأصمعي	٢٨ ، ٤٤ ،	الانطاكي أبو الحسن	٣٦ ، ٢٤٠ ،
	٥٦ ، ٥٨ ،	الانطاكي ، ابو العباس	٩١
	١١٦ ، ١٣٤ ،	الاوزاعي	٢٠
	١٣٥ ، ١٦١	ايوب بن محمد الانصاري	٦٤٠
	١٩٦ ، ٢٠٧	ايوب بن منصور الانصاري	٨٠
الأصيلي	٧٤		
ابن الأعرابي	٥٦ ، ٥٧ ،	(ب)	
	١١٥ ، ١١٦	بالنثيا	٤
	١٦٢ ، ٢٣٧ ،	الباهلي ، بن أحمر	١٦١
	٢٥٢	براجستراسر	١٢٥
الأعرج ابن ابي الوليد	١٩٥	بروكلمان	١٠٤ ، ١١٧
ابن الافليحي	٤٦ ، ٢٤٣	ابن بصرى	١٢٣ ، ١٣٧
اقليدس	٢٢٩ ، ٢٧٠	ابن بسام	٤٠
ألبير حبيب مطلق	١٥٦ ، ١٦٢	بكر بن عبد الله الكلامي	١٢
الامدى	٢٣٧	البكرى ، أبو عبيد	٤٧
امرو القيس	٢٩٦	(ت)	
أمين السيد	المقدمة س ،		
	١١٦ ، ١٦٢	تمام بن غانسان	٤ ، ١٢٠
	١٧٣ ، ١٧٥	التنوخى ، أحمد بن اسحاق البهلولى	
	١٨٧ ، ١٨٨	٤١	

(٣٢٦)

(ح)

حاجي خليفة

١٩٠

الحارث بن حلزة

١٦١

ابو حاتم السجستاني

٤٢ ، ٢٨ ، ١٦ ، ١٢

١٢٩ ، ١١٥ ، ٥٨ ، ٥٦

٣٠٥ ، ١٦٢ ، ١٣١

حاتم صالح الضامن

٣٦

حبيب بن احمد الشنلجيري

٢٣٩ ، ٦٣

الحجاج بن يوسف الثقفي

١٥٢

ابن حزم

٧٩ ، ١٠١ ، ٥٠ ، ٦

٢٣٧ ، ١٨٧ ، ١٠٢ ،

٣١٢ ، ٢٥٩

الحسن البصري

٥

الحسن بن رشيق

٢١٣

حسن بن عبد الله الزبيدي

١٩٥

الحسن بن علي الطوسي ابو علي

٤١

(ث)

ثابت بن عبد العزيز السرقطاسي

١١٩

ثابت بن محمد الجرجاني

٣٦

الشمالي

١١٣

ثعلب ابو العباس احمد بن يحيى

٦٨ ، ٥٦ ، ٤٢ ، ٢٣

٢٣٠ ، ١١٤ ، ١١٠ ، ١٠٩

٢٣١

(ج)

الجبرمي

٢٣١ ، ٢١٩ ، ١٥٥

الجزولي ابو موسى

المقدمة ب

جعفر بن عثمان المصحفي

٨٢

أبو جعفر بن هارون البغدادي

١٠

ابن جني

٢٤٩ ، ١٧٦ ، ١٦٩ ، ١٥٥

٢٩٦ ، ٢٩٥ ، ٢٩١ ، ٢٥٧

جودي بن عثمان النحوي

٣٠٧ ، ٢١ ، ١٥ ، ١٢

جويدي

١٥٣

الحسين بن علي ، أبو سعيد	الحميدى
٤١	المقدمة ن ، ٤ ، ١٢ ، ٤
الحسن بن وليد	٢٣٩ ، ١٠٩
٢٣٢ ، ٨٤	حمدون النحوى
حسين نصار	٣٣ ، ٣٠ ، ٢٤ ، ١٥
١٢٦ ، ١١٧ ، ٤٩	أبو حنيفة
ابن الحصار الأندلسي	٣٦
١٤٩	ابن حيان
الحكم المستنصر	المقدمة ن ، ١٠٥
٣٨ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ١٢ ، ٣	أبو حيان
٥٠ ، ٤٧ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٣٩	٢٨٧ ، ٢٤٩ ، ٢٤٠ ، ١٨٧
٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦١ ، ٥١	(خ)
٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣	ابن خالوينه
٨٧ ، ٨٤ ، ٨١ ، ٧٩ ، ٧٨	١٥٥
١٠٩ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ٩٢	خد يجة الحد يثي
١١٠ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٣٥ ، ١٣٠	٣٠١ ، ٣٣
١٤٦ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ١٩٦	ابن خروف ابو بكر
٣١١ ، ٣١٠ ، ٣٠٩	٨٥
حكم بن محمد	الخزاعي أبو بكر
٨٥	٤٢
حكم بن منذر بن سعيد	ابو الخصيب الفارسي
٤٦	٩٤ ، ٨٥
حماد بن سلمه	خطاب بن سلمه
١٥١	٨٥
عمزه الاصفهاني	خطاب بن يوسف
٦٠	٢٩

الخطار	١٩٤	الد ينوري
ابن خلدون	١٠٧ ، ١٠١ ، ٢٠ ، ١٤	٣٠٥ ، ٣٣ ، ١٧ ، ١٢
ابن خلكان	١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ،	(ن)
	١٨٧ ، ١١٣	ابن ذكوان
خلف بن سليمان بن عمرو البزاز	٢٣٦ ، ٦٢	٧٤
الخليل	٤٩ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ٧٨ ،	(ر)
	١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١٠٦	الرافضي
	١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١١٧	٣٣
	١٨٦ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،	الرؤاسي
	٢٢١ ، ٢٢٠ ، ٢١٨ ، ٢٠٣	٣٠٢ ، ١٩
	٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢٣١ ، ٢٢٤	رؤبة
	٣٠٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٠ ، ٢٥٩	١٦١
ابن خير		الرياحي
المقدمة د	٥٩ ، ٥١ ، ٤٦ ،	المقدمة ج
	١٩٢ ، ٦٠	٢٧ ، ١٩٤ ،
	(د)	٣٤ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨
ابن درستويه	٣٠ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٦٤ ،	٧٨ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٦٤ ، ٣٥
	٣٠٨ ، ١١٤	٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨١
ابن دريد		١١٢ ، ١١١ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠
	٢٢٨ ، ٢٢٠ ، ٢١٩ ، ٢١٨ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢١١ ، ٢١٠ ، ٢٠٩ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩٢ ، ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٨١ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٦ ، ١٧٥ ، ١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٧٢ ، ١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ ، ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٤٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٤١ ، ١٤٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ، ١٣٣ ، ١٣٢ ، ١٣١ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٩ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٦ ، ١١٥ ، ١١٤ ، ١١٣ ، ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٦ ، ١٠٥ ، ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٢ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٥ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٩ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧٣ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٧٠ ، ٦٩ ، ٦٨ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٦٥ ، ٦٤ ، ٦٣ ، ٦٢ ، ٦١ ، ٦٠ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٥٧ ، ٥٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٥٣ ، ٥٢ ، ٥١ ، ٥٠ ، ٤٩ ، ٤٨ ، ٤٧ ، ٤٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢ ، ٤١ ، ٤٠ ، ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٣٢ ، ٣١ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٢٧ ، ٢٦ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ١٣ ، ١٢ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤ ، ٣ ، ٢ ، ١ ، ٠	٢٧٨ ، ٢٥٤ ، ٢٠٦
	٢٧٥	ابن رفاعه الالبيري
	١٦١	٣٩
	١٦٢ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١١٤	الرماني ، علي بن عيسى
	٣١٣ ، ٢٩٢ ، ٢٥١ ، ١٨٩	٢٧٥
		ذو الرضة ١٦١

رمضان عبد التواب

الزجاج ، أبو اسحاق

١٢٥ ، ١٣٢

١٢ ، ١٨ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٢

الرياشي

٥٩ ، ٨٥ ، ١٨٢ ، ٢٣٨ ،

١٢ ، ١٦ ، ٤٢ ، ٥٦ ، ٣٠٥

٢٨٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥

(ز)

الزجاجي

٢٦ ، ٣٦ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،

الزاهد ، أبو عمر

١١٤ ، ١٧٦ ، ١٨٨ ، ٢١٤

٤٢ ، ١١٤

٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢

الزبيدي ، محمد بن الحسن أبو بكر

٢٤٣ ، ٢٦١ ، ٣٠٨

المقدمة ب ، و ، ز

زهير بن مسعود

٤ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٥

٢٩٤

١٦ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣١

الزيات أبو الحسن اسحاق بن الحسن

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ - ٣٩ ، ٤٦

٢٤٢ ، ٢٤٣

٥٠ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥

أبو زيد الأنصاري

٧٢ ، ٧٥ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣

٢٨ ، ٢٥٦ ، ١٣٥ ، ١٦٢ ،

٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٥

١٦٦

١٠٢ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٨

١٠ زيد الجباني

١٩٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩

١٦١ زيد الخيل

٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٣٤ ،

زيد بن الربيع بن سليمان (البار)

٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٨ ، ١٧

٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

(س)

٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦

١٦١ ساعدة بن جؤية

٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨

١٦١ سحيم بن وثيل

٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢

ابن السراج

٢٨٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩

٢٩ ، ٤٢ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٥٥

٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨

١٧٦ ، ٢٤٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧

٣١٢ — ٣١٥

سيويه

٢١، ٢٠، ١٩، ١٧، ١٦

٤٩، ٣٣، ٣٠، ٢٨، ٢٤

١١٢، ٦٧، ٦٤، ٥٨، ٥٦

١٥٥، ١٥٤، ١٥١، ١٤٤

١٦٨، ١٦٦، ١٦٣، ١٦١

١٨٣، ١٨٢، ١٧٧، ١٧٢

٢٢٨، ٢١٩، ٢٠٣، ١٨٥

٢٥٦، ٢٥٥، ٢٤٠، ٢٣١

٢٨٣، ٢٧٧، ٢٦٩، ٢٦٨

٣٠٣، ٣٠٢، ٢٩٩، ٢٩١

٣١٣، ٣١٢، ٣١١، ٣٠٨

سعيد بن أبي الزاهد

١٩٥

السيرافي

١٤٨، ٨٢، ٤٢، ٣١

السيوطي

المقدمة ٥، ٥٩، ٦٥

٢٥٨، ٢٤٨، ١٩٠، ١١٤

٢٨٧، ٢٨٦، ٢٧٧، ٢٦٠

(ش)

الشلوبين ، أبو علي

المقدمة ب

سعيد الأفغاني

٣٠٢، ٣٠١

سعيد بن جابر الكلاعي

٢٣٧، ١٩٦، ١٩٥، ٨٥

سعيد بن خمير

١٣

سعيد بن دراك

٨٠

سعيد بن عثمان بن أبي سعيد

١٣٩، ٦٣، ٢٩

سعيد بن عبد الله بن دحيم

٢٤١، ٣١

سعيد بن مخلوب

١٠٩

سعيد بن قدامه

٩٣

سعيد بن محمد بن شعيب

٢٣٩

سعيد بن معاوية

٢٤١

ابن سلام ٢٥١

سلمة بن سعد الله النحوي

٢٤٠

(٣٣١)

٥	عبادة بن ماء السماء	(ص)	
٢٣٧	العباس بن أحمد الأوبى	صاعد اللخوى	
٢١٣	عباس بن الأحنف	٢١٣ ، ٨٢ ، ٣٦ ، ٣١ ، ٥٥	
٢١٤	عباسة	٢١٤	
١٥	عبد الحميد حسن	صالح بن محافى	
٦٠	عبد الحميد غابد بن	٣	
٤	ابن عبد ربه	٧١	صبح
٣٩	عبد الرحمن بن رماحس	١٠٦	الصفدى
	عبد الرحمن السيد	٣٦	الصنوبرى
٣٠١	المقدمة و ،	(ط)	
	عبد الرحمن بن عثمان الأسدى	١٣	طاهر
	٩٤ ، ٨٥		طاهر بن عبد العزيز
	عبد الرحمن بن وهب	١٦٥	
٨٢ ، ٣١	عبد الإسلام هارون		ابو طاهر القاضي
	المقدمة ب	٢١٣	
	عبد العزيز الدورى	١٦١	الطرماح
٤٣		٢٢	ابن طفيل
	عبد العزيز مطر		طه الراوى
١٢٩		٣٠١ ، ٧٢ ، ٢٠	
عبد الله بن اسحاق الحضرمي			ابو الطيب بن عليون المقرئ
٢٥٦		١٤٨ ، ٣٤ ، ٦	
عبد الله بن حرب الكلابي		(ع)	
٩٤ ، ٨٠ .			الفاصي
		٨٢ ، ٧٢ ، ٣١	
			عامر رشيد

عبد الله بن حمود الزبيدي	٣١
عبد الله بن حسين بن ابراهيم بن عاصم	٦٣
عبد الكريم خليفة	٣٥ ، ٣٠٩
عبد الله بن الحسين المروزي	١١٧
عبد الملك بن عبد ياب السلمي	٤١
عبد الله درويش	٦٣
عبد الملك بن سراج	٣٦
عبد الله بن أبي داود السجستاني	٦٢
عبد الملك بن طريف	٣
عبد الله بن الربيع التميمي	٤١
عبد الملك بن مروان ، الخليفة	٦٢ ، ٢٣٧
عبد الواحد بن سلام الاحدب	٦٣
عبد الوهاب بن أصبغ	٣٦
ابو عبيدة	٢٣٧ ، ٦٢
عبد الله بن غرج الطوطاقي	٣
عبد الله بن غرج الطوطاقي	٤١
عثمان بن ابراهيم البرشقيري	١١٠
عثمان بن ربيعة	٦٢ ، ٩١ ، ٢٣٧
عثمان بن محمد	٦٣ ، ٥١
عبد الله بن منذر المنكوف	١٦
عبد الله بن منذر المنكوف	٦٤

عزلان	المجلي ، أبو النجم
٨٨ ، ٨٧	١٦١ ، ١٠
علي بن أبي شيبة	عدي بن حاتم
١٩٥	٢٩٦
علي بن سليمان الاخفش ابو الحسن	ابن العريف ، الحسين بن وليد ،
٢٩ ، ٢٨ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٢	المقدمة ز ، ٣١ ، ٣٢
١١٥ ، ٨٥ ، ٦٧ ، ٥٦ ، ٤٢	٨١ ، ٧٥ ، ٧٢ ، ٣٤
٢٩٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣١ ، ٢١٩	٢١٣ ، ٢١٢ ، ٨٤ ، ٨٢
٣١٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٢	٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢١٥ ، ٢١٤
علي بن عبد المزي	٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦
٢٣٧	٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٠
علي عبد الواحد	٢٥٣ ، ٢٥١ ، ٢٤٣ ، ٢٤١
١١٨	٢٧٧ ، ٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٦٦
علي بن محمد بن عبد الله	٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨
٢٤١	٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٢٨٥ ، ٢٨٣
عمر بن احمد بن علي بن السعدى	٣١٣ ، ٣١٢ ، ٣٠٨ ، ٣٠٠
١٥٣	٣١٥ ، ٣١٤
عمر بن أبي ربيعة	ابن عصفور
٢٩٧	١٧١ ، ١٧٠ ، ١٦٩ ، ٢٦٥
عمر بن حفص	عطا
١٦٥	٢٣١
عمر رضا كحالة	عفير بن مسعود
٢٤ ، ١٩	١٧ ، ١٠
ابو عمرو بن الملا	الملكي ، المسيح بن حاتم
٢٨٧ ، ٢٥٦ ، ١٦٢ ، ٥٦	٦٧
٣٠٢ ، ٣٠٠	

(ق)	عيسى بن شذائق
ابو القاسم احمد	٨٤
١٠٧	عيسى بن عمر
القاسم بن اسماعيل الصحافلي	٣٠٢ ، ٢٥٦ ، ١٥٢
٤١	(ف) ابن فارس
قاسم بن أصبغ	١١٤ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٧٦
١٦٥ ، ١٠٩ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٥	٢٧٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٦
قاسم بن ثابت	الفتح بن خاقان
١١٩	١٠٨
قاسم بن سعدان	الفراء
٩٣	١٢ ، ١٥٠ ، ٢١ ، ٢٨ ، ٥٦
القاسم بن سلام ، ابو عبيد	٥٧ ، ٦٨ ، ١٣٩ ، ١٦٢ ،
١٠ ، ٤٤ ، ١٠٥ ، ١١٥ ،	١٩٦ ، ٢٠٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ،
١٣٥	٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ،
ابن قاضي شهبه	ابن فرج الجياني
١٦ ، ١٧ ، ٢٠٩	٥
القالبي المقدمة ، ٥ ، ٣ ، ٤ ، ٩	ابن فرحون
٢٧ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩	١٠٧ ، ١٠٨
٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ — ٥٨ ، ٥٥ — ٦١ ، ٦٤	٢٥٥ الفرزوقي
٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٩١ ، ٩٢	ابن الفرضي
٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٩	المقدمة د ، ٦ ، ٨ ، ١١
١٤٨ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٩١	٨٩ ، ٩٢ ، ١١٢ ، ٢٣٧
١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٣٦	
٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٧٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣	
٥٠ ، ٥٠١ ، ٥٥٢ ، ٥٦٦ ، ٥٠٣	
٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ، ٣١٥	

المازني ،	ابن قتيبة ، ١٠٩ ، ١١٠
١٤٨ ، ٢٨ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٢	ابن القطاع ، ٢٠٩
٣٠٥ ، ٢١٩ ، ١٤٩	قطرب ، ٢٠٧
مالك ، ٢٣١	القفطي ، المقدمة ، ٣٨ ، ٥١
ابن مالك ، ١٧٦ ، ١٨٧	٩٠ ، ٩٢ ، ٢١٠
مؤج الدوسي ، ١١٥	ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عبد العزيز
المجور ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٤٢	المقدمة ز ، ٣٩ ، ٦٢ ، ٩١
٩١ ، ٨٩ ، ٨٥ ، ٦٨ ، ٥٦	٩٢ ، ٩٥ ، ١٠٢ ، ١٠٣
١٩٦ ، ١١٤ ، ١١٠ ، ١٠٩	١٧٢ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٨
٢٣٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣١ ، ٢١٩	١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦
٢٩٩ ، ٢٨٣ ، ٢٥٧	٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
المتبني ، ٢٤٣	٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٣١٢ ، ٣١٣
ابن مجاهد ، ٢٣١	(ك)
محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي	كثير عزة ، ٢٢٣ ، ٢٩٣
٢٣٦ ، ٦٢ ، ٥١	الكسائي ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨
محمد بن ابراهيم المصروف بابن زروقة	١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٥٦ ، ١٥١ ، ١٦٢
٢٤٢	١٦٦ ، ١٨٣ ، ٢٠٧ ، ٢١٩ ، ٢٣٩
محمد بن ايان سيد	٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥
٩٥ ، ٧٨ ، ٥١	٣٠٧ ، ٣١٤ ، ٣١٥
	الكمال ابو المباس احمد الشريشي ، ٤٦
	كرنكو ، ١٤٦
	ابن كيسان ، ٤٢
	(ل)
	الليثاني ، ٥٧ ، ٢٥٢
	الليث بن نصر بن سيار ، ١١٤
	(م)
	مازن مبارك ، ٢١٢

محمد بن الخطاب الأزدى	محمد بن أبي الحسين
٦٣ ، ٨١ ، ٩١ ، ٢٣٨	٧٨
محمد بن سليمان الجرفي	محمد بن أبي علاقة
١٢ ، ١٨ ، ٣٠٧	١٢ ، ١٨ ، ٨٥
محمد بن سعيد القشيري	محمد بن أحمد الأشبيلي
٦٢ ، ٩١ ، ٢٣٦	١٣
محمد بن شقير أبو بكر	محمد بن أحمد بن سيد
٤٢	١٧
محمد بن شخيم	محمد بن أحمد الحقيلي
٣ ، ٧٩	٦٣ ، ٢٣٩
محمد بن طرخان	محمد بن أحمد بن مفرج
٧٦	٨٤
محمد بن عاصم	محمد بن أرقم
٦٢ ، ٩١ ، ٢٣٧ ، ٢٤١	٦٣
محمد بن الحباس	محمد بن إسحاق بن منذر
٣٦ ، ١١٠	٨٥
محمد بن إبراهيم الرحمن بن عيسى	محمد بن أصبغ
٩١ ، ٢٤٢	١٧ ، ٩١
محمد بن عبد السلام الخشني	محمد بن أفلح
١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ١٧	٢٣٧
محمد بن عبد الله الخازي	محمد حجي
١٢ ، ١٦ ، ١٧	١٩
محمد بن عبد الله بن مسرة	محمد بن حمز
٢٢ ، ١٩٣	١٣
	محمد بن الحسين الفهري
	٤٨ ، ٦٣ ، ٦٥

محمد بن عبد الله القون
 ١٩٥
 محمد بن معاوية المعروف بابن الأحمر
 ٨٥
 محمد بن محمر الجباني
 ٧٨ ، ٤٨
 محمد بن مفرج المصافري
 ٨٥
 محمد بن موسى الافشيمي
 ٣٣ ، ٢٤ ، ١٧ ، ١٢ ، ٤
 محمد بن هشام
 ١٣ ، ٥
 محمد بن يحيى الصولي
 ٦٧
 محمد بن يحيى القلقاط
 ٨٣
 محمد بن يحيى بن مفرج
 ٦ ، ٥
 محمود فهمي
 ١٧٦ ، ١٣٧ ، ٩
 مروان بن أحمد بن عبد العزيز
 ٢٤٠
 المستكفي بالله الاندلسي
 ٢٤٣
 المسعري
 ١١٥

محمد بن عبد الله القون
 ١٩٥
 محمد بن عبد الوهاب بن مغيث
 ١٩٥
 محمد بن عبيد الله بن محمد
 ٦٣
 محمد عبد المنعم العميري
 ٢
 محمد عبد المنعم خفاجه
 ٤٦ ، ٣
 محمد بن عبد الملك بن ايمن
 ١٩٥ ، ٥
 محمد بن عبد الملك التاريخي
 ٤١
 محمد بن عطاء النحوي
 ٢٣٨ ، ٨٠
 محمد بن علي بن الحسن
 ٨٥
 محمد بن علي الحلبي
 ١٤٦
 محمد بن عمر بن لبانه
 ١٩٥ ، ١١٠
 محمد كامل بركات
 ١٢٦
 محمد لبيب
 ٣

المقري ،	مسكويه ابو علي
المقدمة د ، ٢ ، ١١ ، ١٣	٢٤٩
٣٢ ، ٢٣ ، ١٨ ، ١٧ ، ١٤	مسلم بن احمد بن اناج
٣٠٦ ، ١١٣ ، ١٠٨ ، ٨٢ ، ٣٨	٢٤٢
ابوالمكارم	مسلمة بن سعد الله النحوي
٢٨٨	٩١
المكوف ابو بكر بن مخاطب	ابن مضاء القرطبي
١٦	٣١٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣
مكي بن ابي طالب	المفصل بن عبد الرحمن
٣٦	٢٥١
مكي الصقلي	مطرف بن عبد الرحمن بن ابراهيم
١٢٧	١٧
ملحان	مطرف بن عيسى بن لبيب
٩٤ ، ٧٣	٩٥
منذر بن سعيد البلوطي	مطرف بن قيس
١١٩ ، ٩٥ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٧٨	١١٠
المنذر عبد الرحمن ابو الحكم	المخلفر ، عبد الملك بن منصور بن ابي عامر
٣١	٢٣٨ ، ٨١
المنصور بن ابي عامر	معاذ بن عبد الله بن طاهر
٣ ، ٥ ، ٢٢ ، ٣١ ، ٣٥ ،	٢٤١ ، ٩١
٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٧١ ، ٧٠	المخافري سعيد بن محمد ابو عثمان
٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٠٧ ،	معن بن اوس ٥٩
٢١٣ ، ٢٣٢ ، ٣٠٩	المغيرة بن عبد الرحمن الناصر
منى الياس	٨٨ ، ٨١
١٨٧	مفرج بن مالك المعروف بالبخل
	٣٠٧ ، ٢١ ، ١٦

نفطويه، ابو عبد الله
 ٣٠٥ ، ٨٥ ، ٤٢ ، ١٨ ، ١٢
 ابن نفيل ، ابو ايوب سليمان بن خلف
 ٢٤٠ ، ٦٣ ، ١٧ ، ٨
 نهاد الموسى
 ٣٠١ ، ١٨٨ ، ١٨٧
 (هـ)
 هارون بن موسى بن جندل ابو نصر
 ٢٤٠ ، ٨٠ ، ٦٣ ، ٣١
 ٢٤٢ ، ٢٤١
 هاشم الطحان
 ٤٨
 هاشم ياغي
 ٦٠
 هديبه بن خشرم العذرى
 ٢٩٩
 ابن هشام
 ٦٥
 هشام بن عبد الملك
 ١٩٤
 هشام المؤيد
 ١٠٦ ، ١٠٥ ، ٨١ ، ٧١
 ١١٠ ، ١٠٧
 هشام بن وليد الفافقي
 ١٨ ، ١٢

مهدى المخزومي
 المقدمة و ، ١١٧
 (ن)
 النابغة
 ١٤١ ، ٩٥
 الناصر عبد الرحمن بن محمد
 ١٢ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٥١
 ٥٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٨١
 ٨٢ ، ٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣١١
 الناصر بن المستضى الحياشي
 ٧٦
 ابن النحاس، ابو جعفر
 ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٤
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٥
 ١٤٩ ، ١٥٠ ، ٢١٤ ، ٢٣٠
 ٢٣١ ، ٢٣٧ ، ٢٤٣ ، ٣٠٨
 ٣١١ ، ٣١٣
 نافع بن سعيد بن محمد
 ٢٤٢
 النطنز بن شميل
 ٥٦ ، ١١٥
 نعمة العزاوى
 المقدمة ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٥٦

اليزيدى	هنرى بيرس
١١٦	٥
يعقوب بن السكيت	(و)
٢٨ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ١٤٨ ، ١٦٢	واضح
ابن يعيش	٧٧
٢٩١	ابن الوزان
يوسف المش	١٤٨
١١٧	ابن ولاد ، ابو العباس احمد
يوسف بن فضالة	٢٩ ، ٧٨ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ١١٩
٦٢ ، ٥٩	٣١١ ، ١٥٠
يوسف بن محمد بن طريف	ابو الوليد
٩٣	١٠٧
يوسف بن هارون الرمادى	الوليد بن عبد الملك
٦٣ ، ٣٩	١٩٤
يوسف بن ورمز السكوني	(ي)
٢٤١	ياقوت
يونس بن احمد الحراني	٣٨ ، ٥٩ ، ١١٣
٥٩	يحيى البرمكي
يونس بن حبيب	١٥١
٣٠٢ ، ٢٥١	يحيى بن عبد الرحمن الممرؤف بالا بيض
يونس بن عبد الله بن مفيث	١٥
٢٤١	يحيى بن مالك بن كيسان
	٨٣
	يزيد بن المهلب
	٨٧

ثبت بالمصادر والمراجع

٠١ المخطوطات

- ٠١ ابن العريف ، حسين بن وليد (ت ٣٩٢ هـ) :
شرح كتاب الجمل - مخطوط دار الكتب المصرية تحت
رقم ٤٦٤ نحو
- ٠٢ ابن العريف ، حسين بن وليد (ت ٣٩٢ هـ) :
رسالة في اعراب قولهم : ((ان الضارب الشاتم والده كان زيدا))
مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٠٧٠ نحو
- ٠٣ القالي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم :
المقصود والممدود - مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٨٤ لغة

٠٢ المصادر المطبوعة

- ٠٤ ابن الابار ، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت ٦٥٩ هـ) :
كتاب التكملة لكتاب الصلة - الخانجي - مصر - والمثنى - بغداد
— ١٩٥٦ م .
- ٠٥ ابن الابار ، أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت ٦٥٩ هـ) :
الحلة السيرة - تحقيق حسين مؤنس - الطبعة الاولى - الشركة الحربية
للطباعة والنشر - القاهرة - ١٩٦٣ م
- ٠٦ ابن الأثير ، ضياء الدين :
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - تحقيق أحمد الحوفي وبدوى
طابانة - الطبعة الاولى - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - ١٣٧٩ / ١٩٥٩
- ٠٧ ابن الاثير ، عزالدین ابو الحسن علي (ت ٦٣٠ هـ) :
الكامل في التاريخ - ٢٢ - ٢٢ -

- ٠٨ الأشموني :
شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسقى (منهج السالك السقى
ألفية ابن مالك) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - الطبعة
الأولى - مطبعة السعادة - مصر - ١٣٧٥ / ١٩٥٥
- ٠٩ ابن الأنباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن (ت ٥٧٧ هـ) :
الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين - تحقيق محمد
محي الدين - الطبعة الرابعة - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة
١٩٦١ م
- ٠١٠ ابن الأنباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن (ت ٥٧٧ هـ) :
الاعراب في جدل الاعراب وللمع الأمانة في اصول النحو - تحقيق
سعيد الافخاني - الطبعة الاولى - دمشق ١٣٧٧ / ١٩٥٧ - والطبعة
الثانية - بيروت - ١٣٩١ / ١٩٧١
- ٠١١ ابن الأنباري ، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن (ت ٥٧٧ هـ) :
نزهة الألباء في طبقات الأرباء - تحقيق ابراهيم السامرائي
الطبعة الثانية - مكتبة الأندلس - بغداد - ١٩٧٠ م
- ٠١٢ الأزهري ، خالد بن عبد الله :
شرح التصريح على التوضيح - الطبعة الثانية المطبعة الأزهرية
١٣٢٥ هـ
- ٠١٣ ابن بسام ، أبو الحسن الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) :
الخيرة في محاسن أهل الجزيرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر - القاهرة - ١٣٥٨ / ١٩٣٩ م
- ٠١٤ ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ) :
الصلة - دار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م
- ٠١٥ البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) :
خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - تحقيق عبد السلام محمد
همارون - دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة
١٣٨٧ / ١٩٦٧ م

١٦ . البكرى ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز :

ذيل الأمالي والنوادر ، ويلي التنبيه على أوهام أبي علي
في أماليه - الطبعة الثانية - ٢٢ - ٢٢ -

١٧ . = = = عبد الله بن عبد العزيز :

التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه - الطبعة الثالثة -

مطبوعة السعادة - مصر - ١٣٧٣ / ١٩٧٥ .

١٨ . التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢ هـ) .

شرح القصائد العشر - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

الطبعة الاولى - مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٢ / ١٩٦٢

١٩ . الشعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ) :

يتيمة الدهر في محاسن أهل مصر - تحقيق محمد محي الدين

عبد الحميد - مطبعة حجازي - القاهرة - ٢٢

٢٠ . ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٤٢٩ هـ) :

مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام محمد هارون - الطبعة

الثانية - دار المعارف - مصر ١٤٨٨ م)

٢١ . الجرجاني ، علي بن محمد علي (ت ٥٨١ هـ) :

التمريفات - مطبعة البابي الحلبي - مصر - ١٣٥٧ / ١٩٣٨

٢٢ . ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) :

الخصائص - الطبعة الاولى - تحقيق محمد علي النجار - مطبعة

دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٧١ / ١٩٥٢ والطبعة

الثانية ١٣٧٦ / ١٩٧٦

٢٣ . ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) :

المنصف لكتاب التصريف - تحقيق ابراهيم مصافى وعبد الله

أمين - الطبعة الاولى - مطبعة مصافى البابي الحلبي

مصر ١٣٧٣ / ١٩٥٤ .

- ٢٤ • ابن الجزري ، شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ) :
غاية النهاية في طبقات القراء - نشره ج - برجستراسر - مكتبة
الخانجي - مصر - ١٣٥٢ / ١٩٣٣ .
- ٢٥ • ابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان بن عمرو (ت ٦٤٦ هـ) :
كتاب الكافية في النحو - شرحه الشيخ رضي الدين الاسترأبادي
(ت ٦٨٦ هـ) : دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٢
- ٢٦ • حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله :
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - تحقيق محمد شرف
الدين - استانبول - ١٣٦٢ / ١٩٤٣
- ٢٧ • ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) :
جمهرة أنساب العرب - تحقيق عبد السلام محمد شارون دار المعارف
مصر - ١٣٨٢ / ١٩٦٢ ،
- ٢٨ • ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) :
التقريب لحد المنطق والمدخل اليه - تحقيق احسان عباس - دار
العباد - بيروت - ١٩٥٩ م .
- ٢٩ • ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد الاندلسي (ت ٤٥٦ هـ) :
رسائل ابن حزم الاندلسي - تحقيق احسان عباس - مكتبة الخانجي
مصر - ١٩٥٤ م .
- ٣٠ • الحميدى ، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر (ت ٤٨٨ هـ) :
جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس - الدار المصرية للتأليف والترجمة
- ٢٢ - ١٩٦٦ م .
- ٣١ • الحميري ، محمد عبد المنعم :
الروض الممطر في خبر الأقطار - تحقيق احسان عباس دار القلم
للطباعة - بيروت - لبنان - ١٩٧٥ م .
- ٣٢ • الحنبلي ، أبو الفلاح بن الصناد (ت ١٠٨٩ هـ) :
شذرات الذهب في اخبار من ذهب - المكتب التجاري للطباعة والنشر
بيروت - ٢٢

- ٣٣ . ابن حيان ، أبو مروان القرطبي (ت ٤٦٩ هـ) :
المقتبس في أخبار بلد الأندلس - تحقيق عبد الرحمن علي
الحجي - دار الثقافة - بيروت - ١٣٨٤ / ١٤٢٥ .
- ٣٤ . ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن خاقان :
مطلع الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس
الطبعة الاولى - مطبعة الجوائب - قسنطينة -
١٣٠٢ هـ .
- ٣٥ . ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد :
مقدمة ابن خلدون - تحقيق علي عبد الواحد - الطبعة
الأولى - لجنة البيان العربي - ٢٤ - ١٣٧٩ / ١٩٦٠
: تاريخ ابن خلدون - المقدمة - دار البيان - منشورات
مؤسسة الأعلني للمطبوعات - بيروت - ١٣٩١ / ١٩٧١
- ٣٦ . ابن خلكان ، أبو الحباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) :
وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان - تحقيق احسان عباس
دار صادر - بيروت - ١٩٦٩ م .
- ٣٧ . ابن خير ، أبو بكر بن خير (ت ٥٧٥ هـ) :
فهرسة ابن خير - الطبعة الثانية - منشورات المكتب
التجاري - بيروت - مكتبة المتن - بغداد - مؤسسة
الخانجي - القاهرة - ١٣٨٢ / ١٩٦٣ .
- ٣٨ . ابن دريد ، أبو بكر بن الحسن (ت ٣٢١ هـ) :
جمهرة اللغة ، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع -
القاهرة - طبعة جديدة بالأفست - مطبعة مجلس
دائرة المعارف - حيد رآباد - ٢٩ - ١٣٤٤ هـ .
- ٣٩ . ابن دريد ، أبو بكر بن الحسن (ت ٣٢١ هـ) :
الملاحن - تصحيح وتعليق ابراهيم الجزائري - المطبعة
السلفية - القاهرة - ١٣٤٧ هـ .

٤٠. الدسوقي ، مصدافي محمد عرفة :

حاشية الشيخ الدسوقي على متن مغنى اللبيب - مطبعة

بولاق - مصر - ١٢٨٦ هـ .

٤١. الرضوي ، رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) :

شرح شافية ابن الحاجب - تحقيق محمد نور الحسن .

ورفيقيه - مطبعة حجازي - القاهرة - ١٩٤٠

٤٢. الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ) :

طبقات النحويين واللغويين - تحقيق محمد (أبو الفضل)

ابراهيم - الطبعة الاولى - الخانجي - مصر - ١٣٧٣ / ١٩٥٤

٤٣. الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ) :

مختصر كتاب العين - قوم نصه وعلق حواشيه ، وقدّم له غلال

الفاسي ومحمد بن تاووت الطنجي - مكتبة الزعمرة العربية

الدار - البيضاء - ١٩٤٠ - ١٩٤٠

٤٤. الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ) :

لحن الموام - تحقيق رمضان عبد التواب - القاهرة - ١٩٦٤ هـ .

٤٥. الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ) :

كتاب الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات على

ما أورده مهبذا - باعتناء المستشرق الايطالي اغناطيوس

كويدي - طبع روما - ١٨٩٠ هـ .

٤٦. الزبيدي ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٧٩ هـ) :

الواضح - تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفه - منشورات الجامعة

الأردنية - مطابع الجمعية العلمية الملكية - عمان - ١٣٨٢ / ١٩٦٢

الواضح في علم العربية - تحقيق أمين السيد - دار المعارف -

مصر - ١٩٧٥ .

- ٤٧ . الزبيدي ، السيد محمد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ) :
تاج الصروس - دار ليبيا للتوزيع والنشر - بنغازي - ١٩٩٠
- ٤٨ . الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق :
الأيضاح في علل النحو - تحقيق مازن مبارك - مطبعة
المدني - مصر - ١٣٧٨/١٩٥٩
- ٤٩ . أبوزيد ، سميد بن أوس بن ثابت :
النوادر في اللغة تحقيق سميد الخوري - بيروت المطبعة
الكاثوليكية - ١٨٩٤
- ٥٠ . السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد (ت ٥٦٢هـ) : الأنساب
تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني - المطبعة
الأولى - مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر
آباد - الهند - ١٣٨٦/١٩٦٦
- ٥١ . السيرافي ، أبو سعيد بن عبد الله (ت ٣٦٨هـ) :
أخبار النحويين البصريين - تحقيق طه محمد ومحمد عبد المنعم
الدابعة الأولى - البابي الحلبي - مصر ١٣٧٤/١٩٥٥
- ٥٢ . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) :
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - الدابعة الأولى
مطبعة السعادة - مصر - ١٣٢٦هـ
- ٥٣ . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) :
المزهر في علوم اللغة وأثرها تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
وزملائه - دار إحياء الكتب العربية - ٩٢ - ٩٣
- ٥٤ . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) :
الاشباه والنظائر في النحو - الطبعة الثانية - دائرة
المعارف العثمانية - حيدرآباد - الهند - ١٣٥٩هـ
- ٥٥ . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) :
الاقتراح في علم اصول النحو ، دار المعارف - حلب - ٩٢

- ٥٦ . السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٥٩١ هـ) :
 دمع الهوامع في شرح جمع الجوامع - تصحيح محمد بدر
 الدين النعماني - الطبعة الاولى - مطبعة السعادة -
 مصر - ١٣٢٧ هـ .
- ٥٧ . سيويه : أبو بشر عمرو بن عثمان (ت ١٨٠ هـ) :
 الكتاب - الطبعة الاولى - مطبعة بولاق - مصر - ١٣١٦ هـ .
- ٥٨ . صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي (ت ٤٦٣ هـ) :
 طبقات الأم - تحقيق الأب لويس شيخو - المطبعة الكاثوليكية
 للآباء اليسوعيين - بيروت - ١٩١٢ م .
- ٥٩ . الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ابيك (ت ٧٦٤ هـ) :
 الوافي بالوفيات - باعتناء س ن د يرينغ - مطبعة وزارة المعارف
 استانبول ١٩٤٩ م .
- ٦٠ . الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد (ت ٥٩٩ هـ) :
 بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس - دار الكتاب
 العربي - ٩٩ - ١٩٦٧ م .
- ٦١ . ابن طفيل الأندلسي ،
 حي بن يقظان - قدم له بدراسة وتعلييل جميل صليبا
 وكامل عواد - الطبعة الخامسة - مطبعة جامعة دمشق
 دمشق - ١٩٦٢ / ١٣٨١
- ٦٢ . أبو الطيب اللخوي ، عبد الواحد بن علي (ت ٣٥١ هـ) :
 مراتب النحويين - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - مطبعة
 نهضة مصر القاهرة - ١٣٧٥ / ١٩٥٥
- ٦٣ . ابن عبد ربّه ، أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢١ هـ)
 كتاب العقد الفريد - تحقيق احمد امين ورفاقه - مطبعة
 لجنة التأليف والترجمة والنشر - ٩٩ - ١٣٥٩ / ١٩٤٠ م .

٦٤ . ابن عذارى المراكشي :

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق ج . س .

كولان . وأ . ليفي برونسسال - دار الثقافة - بيروت لبنان ٩٩

٦٥ . ابن عصفور ، علي بن عبد المؤمن (ت ٥٦٦ هـ) :

المتع في التصريف - تحقيق فخرالدین قباوة - الدار

الاولى - المكتبة العربية - طيب - ١٣٩٠ / ١٩٧٠

٦٦ . ابن عصفور ، علي بن عبد المؤمن (ت ٥٦٦ هـ) :

المقرب - تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله

الجبوري - الطبعة الاولى - مطبعة الحانني - بغداد

١٣٩١ / ١٩٧١

٦٧ . الغراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٤٠٧ هـ) :

معاني القرآن - تحقيق محمد علي النجار - مطابع

سجل العرب - القاهرة - ٩٩

٦٨ . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥ هـ) :

معجم مقاييس اللغة : تحقيق عبد السلام محمد دارون -

الطبعة الاولى - دار احياء الكتاب العربي - القاهرة

٥١٣٦٩ هـ

٦٩ . ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥ هـ) :

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - مطبعة

المؤيد - القاهرة - ١٣٢٨ / ١٩١٠

٧٠ . الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) :

كتاب الصين - تحقيق عبد الله درويش - مطبعة الحانني

بغداد - ١٣٨٦ / ١٩٦٧

٧١ . ابن فرحون ، برهان الدين ابراهيم علي :

الديباج المذهب في معرفة علماء اعيان المذهب - تحقيق

عباس عبد السلام - المطبعة الاولى - مدر - ١٣٥١ هـ

- ٧٢ . ابن الغرضي ، ابو الوليد عبد الله بن محمد (ت ٤٠٣هـ) :
تاريخ العلماء والرواة للحلم بالأندلس - نشر وتصحيح
عزت المطار - مكتبة المثنى بخداد - الخانجي - مصر
١٩٥٤ / ١٣٧٢ .
- ٧٣ . ابن قاضي شهبة (ت ٥١٥هـ) :
طبقات النحاة واللغويين - تحقيق معسن غياث - مطبعة
النعمان - النجف الأشرف - ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .
- ٧٤ . القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ) ج :
الأمالى - دار الفكر - ١٩٩٢ - ١٩٩٠ .
- ٧٥ . القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ) :
البارع في اللغة - صورة عن مخطوطة المتحف البريطاني
طبعت في لندن سنة ١٩٣٢ م ١٩٠٤ .
: البارع في اللغة تحقيق هاشم الطحان - المطبعة الاولى
مكتبة النهضة - بخداد - دار الحضارة العربية -
بيروت - ١٩٧٥ م ١٩٠٤ .
- ٧٦ . القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦هـ) :
ذيل الأمالى والنوادر - الطبعة الثالثة - ١٩٩٢ - ١٩٩٠ .
- ٧٧ . القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف :
انباء الرواة على انباء النحاة - تحقيق محمد ابو الفضل
ابراهيم - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة -
١٩٥٠ / ١٣٦٩ .
- ٧٨ . القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف :
المحدثون من الشعراء وأشعارهم - تحقيق معسن محمدي
دار اليمامة - الرياض - ١٣٩٠ / ١٩٧٠ .

- ٧٩ . ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر (ت ٥٣٦٧هـ) :
تاريخ افتتاح الاندلس - تحقيق عبد الله أنيس الطباع -
دار النشر للجامعيين - بيروت - ١٩٥٧م .
- ٨٠ . ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر (ت ٥٣٦٧هـ) :
كتاب الأفعال - تحقيق علي فودة - الطبعة الاولى -
مطبعة مصر - القاهرة - ١٣٧١/١٩٥٢م .
- ٨١ . ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٥٧٧٤هـ) : البداية والنهاية
مطبعة السعادة - مصر - ١٩٢٠ -
- ٨٢ . ابن مالك ،
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد - تحقيق محمد كامل بركات
دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - ٩٩ - ١٣٨٧/١٩٦٧م .
- ٨٣ . المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧هـ) :
المعجب في تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد سعيد
المرين - ٩٩ - القاهرة - ١٣٨٣/١٩٦٣م .
- ٨٤ . ابن مضاء ،
كتاب الرد على النعاة - تحقيق شوقي ضيف - الطبعة
الاولى - دار الفكر العربي - ١٣٦٦/١٩٤٧م .
- ٨٥ . المقرئ ، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ) :
نفع الدايب من غصن الاندلس الرطيب - تحقيق احسان
عباس - دار صادر - بيروت - ١٣٨٨/١٩٦٨م .
- نفع الدايب من غصن الاندلس الرطيب - ط - عيسى البابي
الحلبي - مصر - ١٣٥٥/١٩٣٦م .
- ٨٦ . ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم :
لسان العرب - دار صادر - بيروت - ١٣٧٥/١٩٥٦م .
لسان العرب المحيط - اعداد يوسف خياط ونديم
المرعشلي - دار لسان العرب - بيروت - ٩٩م .

٨٧ . الموسوي ، محمد باقر :

روضات البينات في احوال العلماء والسادات - تحقيق
اسد الله اسماعيليان - مطبعة نهنه - راستوار - طهران ٩٩

٨٨ . ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب :

كتاب الفهرست - تحقيق رضا تجدد - طبع في د انشگاه -
طهران - ١٣٥٠ / ١٩٧١

٨٩ . النباهي ، ابو الحسن بن عبد الله :

تاريخ قضاة الاندلس - نشر ليفي بروفنسال - دار الكاتب
المصري - القاهرة - ١٩٤٨

٩٠ . ابن هشام ، ابو محمد جمال الدين بن يوسف الأنصاري (ت ٥٧٦١هـ) :

مغني اللبيب عن كتب الأعراب - تحقيق محمد محي الدين
عبد الحميد - دار الكاتب العربي - بيروت - ٩٩

٩١ . ابن هشام ، ابو محمد جمال الدين بن يوسف الأنصاري (ت ٥٧٦١هـ) :

أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك - تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد - الطبعة الخامسة - دار اعيان التراث
العربي - بيروت - لبنان - ٩٩

٩٢ . ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله :

معجم الأدباء - الطبعة الأخيرة - مطبعة المأمون -
مصر - ٩٩

٩٣ . ياقوت ، شهاب الدين ابو عبد الله :

معجم البلدان - طهران - ١٩٦٥

٩٤ . ابن يمين ، موفق الدين يمين بن علي (ت ٦٤٣هـ) :

شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت - مكتبة المتنبى -
القاهرة - ٩٩

.....

٣. المراجع

- ٩٥ . ابراهيم السامرائي : النحو العربي - نقد وبناء - دار الصادق بيروت - ١٣٨٨ / ١٩٦٨
- ٩٦ . احسان عباس : تاريخ الأدب الاندلسي - عصر سيادة قرابة الطبعة الأولى - دار الثقافة - بيروت - ١٩٦٠ م
- ٩٧ . أحمد أمين : ظهر الاسلام - الطبعة الثالثة - مكتبة النهضة المصرية القاهرة - ١٩٦٢ م
- ٩٨ . أحمد بدر : دراسات في تاريخ الأندلس ومشاركتها من الفتح حتى الخلافة الطبعة الثانية - ٩ - دمشق - ١٩٧٢ م
- ٩٩ . أحمد بلافريج وعبد الجليل خليفه : الأدب الاندلسي - مطبعة الوحدة المغربية - تطوان - المغرب - ١٣٦٠ / ١٩٤١
- ١٠٠ . أحمد ضيف : بلاغة العرب في الأندلس - الطبعة الأولى مطبعة مصر - مصر ١٣٤٢ / ١٩٢٤
- ١٠١ . أحمد فؤاد الأهواني : التربية في الاسلام - دار المعارف - مصر ١٩٦٧ م
- ١٠٢ . أسماء الحمصي : فهرس مخطوطات دار الكتب الخيرية - علوم اللغة والنحو - دمشق - ١٣٩٣ / ١٩٧٤
- ٢٠٣ . البير حبيب مطلق : الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية عصر ملوك الطوائف - المكتبة الحصرية صيدا - بيروت - ١٩٦٧ م

١٠٤ - بالنشيا ، أنجل جنثالث : تاريخ الفكر الأندلسي - نقله عن

الاسبانية حسين مؤنس - الطبعة الأولى

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٥ م

: التطور النحوي للغة العربية - مطبعة

السماح - مصر - ١٩٢٩ م .

: تاريخ الأدب العربي - ترجمة عبد الحليم

النجار - دار المعارف - مصر - ١٩٦١ م

: هدية الحارفين وأسماء المؤلفين وآثار

المصنفين - مكتبة المثنى - بغداد -

١٩٥١ م .

: تاريخ آداب اللغة العربية - مطبعة

الحلال - مصر ١٩١٢ م .

: المعجم العربي - نشأته وتطوره -

دار الكتاب العربي - مصر / ١٣٧٥ / ١٩٥٦

: أبنية الصرف في كتاب سيويه - الطبعة

الأولى - مكتبة النهضة - بغداد - ١٣٨٥ /

١٩٦٥ -

: ابو حيان النحوي - الطبعة الأولى -

منشورات مكتبة النهضة - بغداد - ١٣٨٥ / ١٩٦٦

: الأعلام - الطبعة الثالثة - ١٩٩٤ - ١٩٩٤

: لحن العامة والتطور اللغوي - دار

المعارف - القاهرة - ١٩٦٧ م .

: نظرات في اللغة عند ابن عزم - مطبعة

جامعة دمشق ١٣٨٣ / ١٩٦٣

١٠٦ - بروكلمان ، كارل

١٠٧ - البخداوى ، اسماعيل باشا

١٠٨ - جرجي زيدان

١٠٩ - حسين نصار

١١٠ - خديجة الحد يثي

١١١ - خديجة الحد يثي

١١٢ - خير الدين الزركلي

١١٣ - رمضان عبد التواب

١١٤ - سعيد الأفصاني

- ١١٥ - سعيد الأفغاني : من تطريخ النحو - دار الفكر - ٢٢-٢٢
- ١١٦ - شوقي ضيف : المدارس النحوية - دار المعارف - مصر ٢٢
- ١١٧ - طه الراوي : نظرات في اللغة والنحو - الطبعة الأولى منشورات المكتبة الأهلية - بيروت - ١٩٦٢ م.
- ١١٨ - عامر رشيد السامرائي : آراء في العربية - مطبعة الارشاد - بغداد - ١٩٦٠ م.
- ١١٩ - عبد الحميد حسن : القواعد النحوية - مادتها وطريقتها - مطبعة العلوم القاهرة - ١٩٤٦ م.
- ١٢٠ - عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة النحوية - نشأتها وتطورها الطبعة الأولى - دار المعارف - مصر - ٢٢
- ١٢١ - عبد الرحمن علي الحجي : أندلسيات الطبعة الأولى - دار الارشاد ببيروت - ١٣٨٨/١٩٦٩ -
- ١٢٢ - عبد الحال سالم مكرم : القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية دار الفكر - مصر - ١٣٨٤ / ١٩٦٥
- ١٢٣ - عبد العزيز مطر : لحن العامة في نحو الدراسات اللغوية الحديثة الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٦ م
- ١٢٤ - عبد الله درويش : المحاجم العربية - مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٥٦ م.
- ١٢٥ - المعزاي ، نعمة رحيم: أبو بكر الزبيدي وآثاره في النحو واللغة - مطبعة الآداب - النجف الاشرف - ١٣٩٥ / ١٩٧٥ -
- ١٢٦ - علي ابو المكارم : اصول التفكير النحوي - منشورات الجامعة اللبنانية ١٣٩٣ / ١٩٧٣
- ١٢٧ - علي عبد الواحد : فقه اللغة - الطبعة الثانية - مطبعة الاعتماد - مصر - ١٣٦٣ / ١٩٤٤

- ١٢٨ . عمر رضا كحالة :
 اللغة العربية وعلومها - المطبعة التعاونية -
 دمشق - ١٣٩١ / ١٩٧١
- ١٢٩ . عمر رضا كحالة :
 معجم المؤلفين - مطبعة الترقى - دمشق -
 ١٣٧٩ / ١٩٦٠
- ١٣٠ . لويس شيخو :
 شعراء النصرانية - مطبعة الآباء اليسوعيين - بيروت
 ١٨٩٠ م
- ١٣١ . مازن مبارك :
 النحو العربي - العلة النحوية - نشأتها وتطورها
 الطبعة الثالثة - دار الفكر الحديث - بيروت -
 ١٣٩٣ / ١٩٧٤
- ١٣٢ . محمد عبد الله عنان :
 دولة الاسلام في الأندلس - الخلافة الأموية والدولة
 العاصرية - الطبعة الثالثة - لجنة التأليف والترجمة
 والنشر - القاهرة - ١٣٨٠ / ١٩٦٠
- ١٣٣ . محمد عبد المنعم خفاجي :
 قصة الأدب في الأندلس - مكتبة المعارف - بيروت
 ١٩٦٢ م
- ١٣٤ . محمد كامل حسين :
 أدب مصر الإسلامية - مطبعة الوفد - ٩٩ - ٩٩
- ١٣٥ . محمد لبيب :
 رحلة الأندلس - الطبعة الأولى - مطبعة الكشكول
 ٩٩ - ١٩٦٧ م

١٣٦٠ . محمود فهمي حجازي :

علم اللغة العربية - وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٣ م

١٣٧٠ . مصطفى صادق الرافعي :

تاريخ آداب العرب - أخرجه محمد سعيد المريان - الطبعة

الأولى - طبعة الاستقامة - ٩٢ - ١٣٥٩ / ١٩٤٠ م

١٣٨٠ . مهدي المخزومي :

مدرسة الكوفة - الطبعة الثانية - مطبعة الحلبي - مصر ١٣٧٧ / ١٩٥٨

١٣٩٠ . مهدي المخزومي :

عبقري من البصرة - نشر وزارة الاعلام العراقية - ١٩٧٢ م

١٤٠٠ . نهاد الموسى :

مستدرك على كتاب الواضح - الطبعة الاولى - عمان ١٩٧٨ م

١٤١٠ . نهاد الموسى :

في تاريخ العربية - ابحاث في الصورة التاريخية للنحو -

ساعدت الجامعة الاردنية على نشره - ١٩٧٦ م

١٤٢٠ . هاشم ياسيني :

أبو علي - حياته وآثاره - رسالة ما جستير غير مطبوعة

٥ . الدوريات

١٤٣٠ . مجلة اللسان العربي - المجلد الثاني عشر - الجزء الاول سنة ١٣٩٥ -

١٩٧٥ م

١٤٤٠ . مجلة مجمع اللغة العربية الأردني - المجلد الاول -

كانون الثاني سنة ١٩٧٨ - صفر ١٣٩٨ هـ

xxxxxxxxxxxx